

تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي



د. محمد حسين محاسنة

تاريخ مدينة دمشق
خلال الحكم الفاطمي

الكتاب: تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي
المؤلف: د. محمد حسين محاسنة

الطبعة الأولى 2001م

الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية

دمشق - هاتف 2248255 - ص.ب: 10181 (أو) 3397

موافقة وزارة الإعلام رقم /43810 - 1999/2/10

التدقيق العام: إسماعيل الكردي

تصميم الغلاف: جمال سعيد
تنضيد وإخراج: أمل عصفور

لوحة الغلاف: (دمشق) من أجواء الفنان علي حسين

تاريخ مدينة دمشق
خلال الحكم الفاطمي

(هذه الدراسة استكمال لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ)

الدكتور
محمد حسين محاسنة

الأوائل

الإهــــداء

إلى مدينة دمشق

دار الأوائل

المقدمة

جاءت هذه الدراسة لتغطي فترة الحكم الفاطمي لدمشق في القرنين (4 – 5 هـ/10–11م)، **وقد دفعتني لهذه الدراسة عدة عوامل أهمها: قلّة الدراسات العربية الحديثة في هذا الموضوع**، فقلّما أولى الباحثون عنايتهم لتاريخ مدينة دمشق خلال هذه الفترة، وإذا تناولها أحدهم فبإشارات محدودة لا تتناسب مع أهمية المدينة.

وكان لأهمية المدينة ودورها التاريخي في العصور المختلفة دور في اختيار هذه الدراسة، فكانت دمشق حاضرة عربية منذ زمن بعيد، ثم أصبحت عاصمة لدولة الخلافة الأموية مدّة قرن تقريباً، فصار من الضروري التعرف على دور المدينة ومكانتها في الفترات التي تحولت فيها عاصمة الخلافة إلى مكان آخر.

كما كان أحد دوافع هذه الدراسة هو **إثارة اهتمام الباحثين في تاريخ هذه المدينة ودورها الحضاري من جديد في فترة غفل عنها الباحثون فبدت مظلمة**، ولرغبة ملحة في استجلاء خفايا الصراعات الكثيرة، وأطماع الطامعين في الوصول إلى المدينة وتولي أمرها من الفاطميين إلى القرامطة إلى الترك والتركمان إلى جماعات الأحداث الدمشقية التي قامت بدور الوصي والحامي لحقوق المدينة وحقوق أهلها، والمدافع عنها ضد أي خطر خارجي.

بدأتُ الدراسة بعرض موجز لأهم المصادر المعتمدة في البحث وتحليلاً لأهميتها في دراسة تاريخ دمشق خلال العصر الفاطمي، وقسّمتُ الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة وقائمة بمصادر الدراسة ومراجعها.

احتلت المقدمة الجغرافية وخطط المدينة الفصل الأول من هذه الدراسة، واشتمل ذلك على البحث في بناء المدينة، وتسميتها، وموقعها الجغرافي، ومناخها ومياهها، وتوزيع السكان فيها، وما طرأ عليها من تجديد أو خراب في العمارة الدينية والمدنية خلال العصر الفاطمي.

وجاء الفصل الثاني لدراسة الفتح الفاطمي للمدينة، وما نجم من أحداث ومشاكل كثيرة شغلت الفاطميين فترة من الوقت، ودور الجماعات المحلية في هذه الأحداث، كأحداث المدينة والقرامطة وأفتكين التركي، وما ترتَّب على ذلك من دمار وتخريب في بعض أحيائها، وتوقُّفٍ لأعمال النشاط الاقتصادي كالزراعة والتجارة لبعض الوقت، هذا بالإضافة إلى أهم الأحداث التي تعرّضت لها طوال وجود دولة الخلافة الفاطمية في مصر.

أما الفصل الثالث فقد خُصص لدراسة التنظيمات الإدارية والمالية التي شهدتها المدينة إبان حكم الفاطميين لها كتعيين الولاة وجباة المال وأصحاب الديوان والقضاء والشرطة والحسبة، ودور هذه المؤسسات في تنظيم شؤون المدينة وإدارتها.

وشكّلت الحياة الاقتصادية مادة الفصل الرابع، فتضمنت دراسة للحياة الزراعية في الفترة المدروسة وأهم المنتوجات الزراعية في دمشق وضواحيها، والصناعات الدمشقية، والنشاط التجاري، وطرق المواصلات التي تربطها بالمدن والبلاد الأخرى، وأسواقها، والنقود التي كان يتعامل بها أهل دمشق، وعلاقتها بالعالم الخارجي وصادراتها ووارداتها.

وأُفرد الفصل الأخير لدراسة الحياة الثقافية، وما وصلت إليه المدينة من تطور علمي في المجالات المختلفة خاصة في علوم القرآن والحديث، وذكرِ أهم العلماء الذين برزوا في هذا المجال، وشعراء المدينة وأدبائها ومؤرخيها، وعلماء الطب والهندسة والرياضيات، وبعض منجزاتهم العلمية والأدبية.

لقد استهدفت هذه الدراسة إلقاء الضوء على فترة من تاريخ دمشق لم يتناولها الباحثون بالدراسة، والتعريف بتاريخ مدينة هامة لسد النقص في جانب من جوانب تاريخها.

تحليل المصادر

لقد اشتملت الدراسة على عدة فصول، وتضمّنت عدة نواحٍ في تاريخ دمشق خلال الفترة الفاطمية، منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها فكرية واجتماعية، لهذا تعدّدت مصادر الدراسة وكَثُرت، وهي مصادر متفاوتة من حيث الأهمية والفائدة للدراسة، ومن حيث الثقة بالمعلومات التي اشتملت عليها.

وشكّلت كتب التاريخ مصدراً هاماً من المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، فمنها كتب معاصرة لفترة الدراسة، وهي فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، مثل كتاب (**أخبار القرامطة**) **لثابت بن سنان**[1] (**ت365هـ/ 976م**)، وفيه معلومات وافية عن القرامطة وأخبار غزوهم لدمشق إثر الفتح الفاطمي لها، واتفاقهم مع أمرائها على محاربة الفاطميين، وما كان بينهم وبين الفاطميين من حروب في بلاد الشام حتى سنة 368هـ/978م[2].

ويعدُّ كتاب (**أخبار الشام**) **للسميساطي**[3] (**ت453هـ/1061م**) الذي وصلنا قطعة منه في كتاب كنز الدرر للدواداري من الكتب ذات الأهمية الخاصّة لمعاصرته لأحداث فترة هامة من الوجود الفاطمي في دمشق وهي الفترة من (359–394هـ/969–1003م)، فاشتمل على معلومات قيّمة فيما يتعلق بالفتح الفاطمي للمدينة[4]، وموقف القرامطة من ذلك الفتح وغزوهم لها، ثم اتفاقهم مع واليها أفتكين التركي

---

(1) ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة الحراني (انظر إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين جـ5، ص248، الزركلي: الأعلام جـ2، ص98).

(2) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص9،16–17، 226–230،233–234.

(3) هو أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي (انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص534، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ18، ص71، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص229).

(4) انظر الدواداري: الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية/ نقلاً عن السميساطي في أخبار الشام، ص125–129.

ضدّ الفاطميين[1]. كما اشتمل الكتاب على معلومات ذات أهمية كبيرة بالنسبة لأحداث دمشق في السنوات الأولى من الحكم الفاطمي، وموقف أهل دمشق من الفاطميين وظهور جماعة الأحداث فيها[2]. ومعلومات مفيدة تتعلق بالجانب الإداري للمدينة تلقي الضوء على ولاتها وبعض أصحاب المناصب الهامة فيها من أصحاب الدواوين وشؤون المال[3].

ورغم أن كتاب أخبار الشام هذا مفقود إلاّ أن معلوماته خلال الفترة المشار إليها موجودة ضمن كتاب (**كنز الدرر وجامع الغرر**) في الجزء السادس الذي يحمل اسم (**الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية) للدواداري**، حيث نقلها من كتاب أخبار الشام كما يصرح بذلك بعد انتهائه من نقلها[4].

وتضمن **كتاب (أخبار مصر في سنتين) للمسبحي**[5] **(ت 420هـ/ 1029م)** معلومات مفيدة عن أخبار دمشق خلال عامي (414 –415 هـ/ 1023– 1024م) خاصةً ما يتعلق بالأحداث الناتجة عن تَجَمُّعِ القبائل العربية في بلاد الشام واتفاقها على محاربة الفاطميين وإخراجهم من المنطقة[6]، وتضمن بعض المعلومات المفيدة في شؤون الإدارة خاصة ديوان الرسائل وديوان الخراج[7].

واشتمل كتاب **(ذيل تجارب الأمم) لأبي شجاع الروذراوري**[8] **(ت 488هـ/ 1095م)** على معلومات وافية عن الأحداث التي تعرضت لها دمشق في أوائل الحكم الفاطمي حتى سنة 389هـ/ 998م، ودور جماعة الأحداث والموقف الشعبي والرسمي من هذه الجماعة[9].

---

(1) الدواداري: الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ص132–136، 148–162، 178–180.

(2) ن.م، ص166–172، 184–196، 200–201، 205–207، 209–212.

(3) ن.م، ص193، 216، 219، 229، 232، 271.

(4) انظر م.م، ص272.

(5) هو محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ1، ص515، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ4، ص7، ابن العماد: شذرات الذهب جـ3، ص216، الزركلي: الأعلام جـ6، ص259–260).

(6) المسبحي: أخبار مصر في سنتين ص247.

(7) انظر المسبحي: أخبار مصر في سنتين ص13، 15، 31، 35، 53، 63.

(8) محمد بن الحسين بن محمد الروذراوري (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2، ص69، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ3، ص3، الزركلي: الأعلام جـ6، ص100–101.

(9) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص209، 217، 227–229، 334.

كما اشتمل هذا الكتاب على معلومات ذات فائدة كبيرة في التنظيمات الإدارية المتعلقة بالدواوين والتنظيمات العسكرية[1].

وتضمن كتاب (**صلة تاريخ ابن البطريق**) **ليحيى بن سعيد الأنطاكي (ت458هـ/1066م)** معلومات تتعلق بغزو القرامطة لدمشق. والفتح الفاطمي للمدينة، ثم ولاية أفتكين وتعاونه مع القرامطة لمحاربة الفاطميين فيما بين 365-368هـ/975-978م[2]، كما تضمّن معلومات تتعلق بالإدارة الفاطمية وديواني الرسائل والخراج في المدينة[3].

وتوجد بعض المصادر التي جاءت متأخرة قليلاً عن فترة الدراسة، إلاّ أنها شكّلت مصدراً هاماً لها، وتضمّنت أموراً ذات فائدة كبيرة أغنت البحث في مجالات عديدة لاعتمادها على مصادر معاصرة لفترة الدراسة منها:

1 - كتاب (**تاريخ دمشق**) **لابن القلانسي**[4] **(ت555 هـ/1160م)**، وهو أديب وشاعر ومؤرخ مشهور من أعيان دمشق، عمل في ديوان الشام مما أتاح له الاطلاع على معلومات كثيرة ومفيدة، ونقل بعض معلوماته عن تاريخ هلال بن المحسن الصابي (ت448هـ/1056م) وتاريخ ابنه محمد (ت480هـ/1087م) وانتهى من النقل عن تاريخ هلال سنة (447هـ/1055م)، وبدأ هو بكتابة تاريخه ابتداءً من سنة (448هـ/1056م)[5].

رتّب ابن القلانسي كتابه على السنين، وتفرّد بكثير من الأحداث الخاصة بدمشق والشام خلال القرنين (4 - 5هـ/10-11م)، واشتمل على أحداث الصراع القرمطي الفاطمي في دمشق[6] والحكم الفاطمي لها، وهو الحكم الذي لم يعرف الاستقرار، وسيرة جماعة الأحداث في المدينة خلال هذه الفترة[7]،

---

(1) ن.م، ص186، 217، 226، 228-229.

(2) يحيى بن سعيد الأنطاكي: صلة تاريخ ابن البطريق ص116-117، 132-133، 181، 143.

(3) ن.م، ص 173، 277.

(4) هو حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، انظر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص332، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص174، الزركلي: الأعلام جـ2، ص276).

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق/المقدمة ك، ص140، وانظر إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين جـ6، ص510، الزركلي: الأعلام جـ8، ص92.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1-8، 31-37.

(7) ن.م، ص9-20، 38-41، 44-50.

واشتمل أيضا على معلومات تتعلق بعمران المدينة وما طرأ على خططها من تغيُّر وتبدُّل نتيجة الحريق والدمار اللذين أصابا المدينة بعد دخول الجيش الفاطمي إليها، وإحراقه لأحياء بأكملها، ونتيجة الفتن بين الجيش والسكان والتي أدت إحداها إلى إحراق الجامع الأموي سنة (461هـ/1068م)[1].

كما اشتمل على معلومات تتعلق بإدارة المدينة، فقد كان للفاطميين طريقة في تعيين الولاة حيث يُمنح الوالي عهداً ويخلع عليه الخليفة، وترافقه فرقة عسكرية ويصحبه كبار الموظفين المعينين في الولاية كالقاضي وصاحب الديوان[2].

والثاني كتاب (**تاريخ مدينة دمشق الكبير**) **لابن عساكر**[3] (**ت571هـ/1175م**) وكان ابن عساكر من أكابر حفّاظ الحديث، ويكثر من الرحلة والسفر لجمعه وروايته، وصنّف كتاب التاريخ في ثمانين مجلدة تضمنت تراجم وافية لأهل دمشق وساكنيها ومن أقام بها أو زارها إلى عصر المؤلف.

تلقى ابن عساكر معلوماته من مصادر متعددة أهمها جاء عن طريق عدد كبير من الشيوخ الذين درس عليهم أو اتصل بهم بالإنباء أو التحديث أو الإخبار، وكان يستمدّ معلوماته من ثقات الشيوخ، ويشير إلى طريقة حصوله على المعلومات بقوله أنبأنا أو أخبرنا أو حدّثنا فلان[4].

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن عساكر أبو الفرج غيث بن علي بن عبد السلام الصوري المعروف بابن الأرمنازي[5]، والعلاّمة اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت395هـ/1004م)[6]، وتمام بن محمد الرازي البجلي (ت414هـ/ 1023م)[7]، وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي[8]،

---

(1) انظر ن.م، ص10–14، 16، 17، 162.

(2) انظر ن.م، ص21–22، 38–39، 48–52، 59–59، 68–70، 82–85، 93–97، 107–109، 112–120، 134–136، 139–140، 150–159.

(3) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ1، ص335، ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص294، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص294، السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ص126، الزركلي: الأعلام جـ4، ص273).

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص25، 26، 28، 47، 119، جـ7، ص39، 187.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص9، ابن كثير: البداية والنهاية جـ10، ص148.

(6) الذهبي: العبر جـ3، ص58.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص440–441، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص397، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص290، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص73.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص10، 126، جـ7، ص99.

وأبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن بن إبراهيم الداراني[1].

وقد يستمدُّ ابن عساكر معلوماته من كتب تعود لأحد الشيوخ أو يبعث بها أحدهم إليه فيرد في كتابه: قرأتُ بخط شيخنا فلان، أو كتب إليّ فلان[2].

أما القسم الآخر من معلوماته فقد أخذها من كتب وردت الإشارة إلى بعضها مثل كتاب (**اشتقاق أسماء البلدان**) **لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس اللغوي**[3]، **وتاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني (ت365هـ/975م)**[4].

وتضمّن كتاب ابن عساكر معلوماتٍ موثوقةً ومتميزةً في الجوانب الجغرافية والعمرانية لمدينة دمشق[5]، وذكراً لمساجدها وحمّاماتها ومدارسها وأنهارها وأقنيتها[6]، وقدّمت التراجم في هذا الكتاب صورة واضحة عن التطورات والتغيرات التي طرأت على المدينة في العصر الفاطمي، كما قدّمت معلومات ذات أهمية كبيرة فيما يتعلق بالحياة الثقافية، إذ يشتمل الكتاب على تراجم لأغلب العلماء والأدباء الذين برزوا في هذه المدينة خلال فترة الدراسة[7].

ومن المصادر التاريخية التي قدّمت معلومات مفيدة للدراسة كتاب (**نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**) **لابن الطوير**[8] (**ت617هـ/1220م**)، وهو أحد الكتّاب المشهورين الذين عملوا في

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص237.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص9، 21، 96–110، جـ7، ص107، بشار عواد معروف: ابن عساكر في بغداد/ مجلة كلية الآداب، بغداد 1981 عدد30 ص198.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص17، الذهبي: العبر جـ3، ص58.

(4) عبد القادر الريحاوي: خطط مدينة دمشق عند المؤرخ الكبير ابن عساكر ص490.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص203، 243، جـ2، ص134، 143–144، 147، جـ4، ص477، جـ6، ص255–256، جـ10، ص23–24، جـ12، ص83، 535، جـ14، ص644–645، عبد القادر الريحاوي: خطط مدينة دمشق عند ابن عساكر ص103.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص26–48، 50–56، 60–162.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص315، جـ4، ص191، جـ5، ص242، جـ6، ص255–256، 343–344، جـ7، ص52–54، 77، 161–162، 370–371، جـ8، ص212، جـ10، ص278، 346، جـ12، ص83–84، 456، 496–497، 517–518، 532–533، جـ14، ص721–723، جـ15، ص245–246، 325–326، جـ16، ص141–142، عبد القادر الريحاوي: خطط مدينة دمشق عند ابن عساكر ص97–98.

(8) القاضي المرتضي أبو محمد عبد السلام بن الحسن بن عبد السلام القيسراني (انظر الصفدي: الوافي بالوفيات جـ18، ص417–418، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1947، أيمن فؤاد سيد: مقدمة كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ص9–11).

خدمة الدولة الفاطمية وتولّوا أمر دواوينها[1]، وكتابه هذا من أهم الكتب التي تناولت نظم الحكم ورسوم دار الخلافة في مصر، وعنه نقل كثير من المتأخرين مثل **القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى)**[2]، **والمقريزي في كتابه (الخطط)**[3]، وفيه معلومات قيّمة عن التنظيمات الإدارية الفاطمية والتي من خلالها قاموا بإدارة ولاياتهم المختلفة من تعيين الولاة والنواب في الولايات وكيفية التعيين والعزل[4]، والقضاء[5]، والاحتساب[6]، وأخبار المواكب والاحتفالات[7].

وتضمّن كتاب **(أخبار الدول المنقطعة) لابن ظافر الأزدي**[8] **(ت623هـ/1226م)** معلوماتٍ هامةً جداً في الجانبين السياسي والعسكري، وقدّم للدراسة معلومات مفيدة عن الفتح الفاطمي لدمشق، وقدوم جعفر بن فلاح الكتامي من مصر إلى الشام والحروب التي خاضها حتى تمكّن من فتح دمشق سنة 359هـ/969م، وما فعله الجيش الفاطمي عند مروره بمدن فلسطين[9].

أما كتاب **(الكامل في التاريخ) لابن الأثير**[10] **(ت630هـ/1232م)** إمام الحديث والتاريخ والعالم بأيام العرب ووقائعهم وأخبارهم[11]، وكتابه في التاريخ العام يؤرخ فيه على السنين ويشتمل على معلومات ذات فائدة كبيرة للدراسة وفي موضوعات متعددة منها فتح الفاطميين لدمشق[12]، فقد اشتمل

---

(1) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص77، والمقدمة ص10، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص491، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ3، ص348.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص533، 542، 550، 554، 559، 567، 571، 581– 581، 595–596، أيمن فؤاد سيد: مقدمة نزهة المقلتين ص15.

(3) المقريزي: الخطط جـ1، ص401–403، 443، 463، 469.

(4) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص117–118، 124–125.

(5) ن.م، ص107–109.

(6) ن.م، ص115–117.

(7) ن.م، ص145–188.

(8) هو علي ابن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي (انظر ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات جـ2، ص51، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص762، الزركلي: الأعلام جـ4، ص296).

(9) ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة/ قطعة بذيل كتاب الجامع في أخبار القرامطة جـ2، ص401–402.

(10) الشيخ عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني وهو من علماء النسب والأدب ومؤرخ مشهور يعدّ من ثقات المؤرخين (انظر ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص128، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1380، الزركلي: الأعلام جـ4، ص331).

(11) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ1، ص3.

(12) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص31–32، 42، 54–55.

كتابه على أخبار جعفر بن فلاح وقدومه إلى دمشق والحروب التي جرت بينه وبين الإخشيديين في فلسطين، وما حدث بينه وبين أهل دمشق قبل دخوله المدينة وبعد ذلك[1].

وتضمّن الكتاب معلوماتٍ هامةً عن ولاية قسّام التراب لدمشق، وما جرى بينه وبين الفاطميين فيها[2]، وولاية بكجور التركي سنة 372هـ/982م[3]، كما تضمّن إشاراتٍ واضحةً إلى حصار التركمان لدمشق حتى سقوطها بيد آتسز بن أوق وإخضاعها للسيطرة السلجوقية سنة 468هـ/1075م[4].

ويعدُّ كتاب **(الأعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة) لابن شداد**[5] **(ت632هـ/1234م)**، من الكتب القيِّمة التي قدّمت معلوماتٍ مفيدةً عن جغرافية دمشق ومياهها[6]، ومعلوماتٍ هامةً عن خطط المدينة وعمرانها، ففيه ذكر للمساجد والخانقاوات والمدارس والحمّامات الموجودة في المدينة[7]، فهو متأثر بأسلوب ابن عساكر في تنظيم أبواب الكتاب غير أنه اختلف عنه باهتمامه بالنص دون التركيز على الرواة، والإشارة إلى بعض مصادر معلوماته ومنهم ابن عساكر، ومحمد بن أبي نصر الحميدي، وأبو عبيد البكري، وابن خرداذبة وغيرهم[8].

كما يعدُّ كتاب **(مرآة الزمان) لسبط بن الجوزي**[9] **(ت654هـ/1256م)** من الكتب ذات الفائدة الكبيرة للدراسة، فهو ينقل عن مؤرخين معاصرين للأحداث[10] منهم ثابت بن سنان، وهلال ابن المحسن بن إبراهيم الصابي وابنه محمد بن هلال (غرس النعمة)، واشتمل الكتاب على معلومات تتعلق بأحداث أواخر الفترة الفاطمية وما أصاب دمشق خلالها من مصائب ومجاعات وأمراض، ثم

---

(1) ن.م، جـ7، ص31–32.

(2) ن.م، جـ7، ص96، 98–99.

(3) ن.م، جـ7، ص112–113.

(4) انظر ن.م، جـ8، ص110، 122–124، 126.

(5) يوسف بن رافع الحلبي (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2، ص354، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1 ص125، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين جـ6، ص553–554، الزركلي: الأعلام جـ8، ص230.

(6) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص13–17.

(7) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص23–30، 45–62، 75–76، 92–187، 191–194، 199–200.

(8) انظر ن.م، ص17، 23، 25، 75.

(9) يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله الجوزي (انظر ابن كثير: البداية والنهاية جـ13، ص194، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص266، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ7، ص39، الزركلي: الأعلام جـ8، ص246).

(10) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص1، وانظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق/المقدمة ط.

هجوم السلاجقة على دمشق، والتحول الكبير الذي تعرضت له المدينة في هذه الفترة وتناقص عدد السكان بصورة كبيرة نتيجة الأمراض والمجاعات والفتن[1].

ويعدُّ كتاب (**كنز الدرر وجامع الغرر**) **الجزء الخاص بالدولة الفاطمية**، المعروف بكتاب (**الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**) **للدواداري (ت736هـ/1335م)** والذي ينقل فيه عن مؤرخين معاصرين منهم ابن زولاق[2] من كتابه (**تاريخ مصر**)[3]، والشريف أبو الحسين محمد بن علي أخو محسن[4]، ومحمد بن عبد الرزاق في كتابه (**بحل الرموز في علم الكنوز**)[5]، والسميساطي **الذي نقل عنه أخبار الشام** حتى سنة 394هـ/1003م[6].

واشتمل القسم المتبقي من كتاب الدرّة المضيئة على معلومات وأخبار تتعلق بالتنظيمات الإدارية لدمشق، وأخبار التقليد والعزل[7] والفتن وأحداث دمشق خلال الفترة الفاطمية[8]، وتكمن فائدة هذا الكتاب فيما اشتمل عليه من كتاب أخبار الشام للسميساطي وقد سبق الحديث عنه.

وجاءت **كتب المقريزي**[9] **(ت845هـ/1441م)** لتشكّل مصادر هامة لتاريخ الفترة الفاطمية، ولتمدَّ الدراسة بمعلومات في غاية الأهمية، والمقريزي مؤرخ مشهور، وهو الذي جمع تاريخ الدولة الفاطمية بعد أن كان موزّعاً ومفرّقاً في كتب التاريخ والأدب، ونقل بعض معلوماته عن مؤرخين معاصرين للفترة الفاطمية منهم الحسن بن إبراهيم بن زولاق[10]، ومحمد بن عبيد الله المسبحي[11]، وابن ميسر

---

(1) ن.م، جـ12، ص172-175، 178-180، 182-186، 200.

(2) هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي مؤرخ مصري مشهور وُلد سنة 306هـ/918م، وتُوفي سنة 387هـ/997م (انظر الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381-400هـ) ص118، 136).

(3) الدواداري: الدرة المضيئة ص4، 317.

(4) ن.م، ص9، 17، 44.

(5) ن.م، ص302.

(6) ن.م، ص272.

(7) الدواداري: الدرة المضيئة ص288، 325.

(8) ن.م، ص324-326، 388، 390، 398.

(9) أحمد بن علي بن عبد القادر (انظر حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص7، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين جـ5، ص127، الزركلي: الأعلام جـ1، ص177).

(10) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص134، 135، 138، 227.

(11) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص244، جـ2، ص60.

وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن مهذب[1]، وعلي بن منجب الصيرفي[2]، وابن الطوير[3].

وللمقريزي مجموعة كتب في هذا المجال هي **(اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا)** وكتاب **(إغاثة الأمة في كشف الغمة)** وكتاب **(المقفى الكبير)** وكتاب **(المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار)**.

ويعدُّ كتابه **اتعاظ الحنفا** في طليعة الكتب التي جمعها عن الخلفاء الفاطميين، فقد أضاف فيه إلى ما جمعه إضافاتٍ حسنةً مما توفَّر له من مطالعاته،أو ما تهيأ له من خلال المناصب الهامة التي تولاها في مصر، فتضمن الكتاب أخبار الخلفاء الفاطميين وسيرهم، واشتملت هذه الأخبار على معلوماتٍ مفصَّلةً عن الفتح الفاطمي لدمشق[4]، وأخبار ولاة المدينة وقضاتها، وموظفي الدواوين الإدارية والمالية فيها[5]، كما اشتمل على الأخبار السياسية والعسكرية التي مرّت بها المدينة، والفتن التي تعرّضت لها ابتداء من غزو القرامطة وظهور جماعة الأحداث[6] وحتى نهاية الفترة، إضافة إلى معلومات هامة عن الظواهر والطقوس الدينية، والاحتفال بالمواسم والأعياد الدينية عند الفاطميين[7]، وما آلت إليه دمشق إثر ضعف النفوذ الفاطمي فيها وتعرّضها لهجوم التركمان وسيطرة السلاجقة عليها[8].

أما كتابه **المقفى الكبير** فهو تاريخ تراجم لأهل مصر وساكنيها وزوّارها، ويعدُّ من أهم كتب التراجم، غير أنه لم يُعثر على جميع أجزائه، وإنما وُجدت منه عدّة مجلدات تشتمل على قسم من هذه التراجم، وكثير منها من الفترة الفاطمية وممَّن تولى إمارة دمشق[9] أو قضاءها[10] أو حسبتها[11]، فتضمّن

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص235، 236، 296.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص123.

(3) انظر المقريزي: الخطط جـ1، ص397، 400، 401.

(4) المقريزي: اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا جـ1، ص120-127.

(5) ن.م، جـ1، ص127، 210، 219، 221، جـ2، ص7، 15، 19-20، 35، 43، 45، 46، 50، 156،191 و203، 267-268.

(6) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124،211-212، 239،249،253،257،جـ2، ص31-32.

(7) ن.م، جـ2، ص17، 20،27، 160-161، 255.

(8) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص259، 277، 303،315-318.

(9) المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص127، جـ2،، ص302-303.

(10) ن.م، جـ1، ص209، جـ3، ص664-665، جـ7، ص347-349، 351.

(11) ن.م، جـ1، ص231، جـ2، ص664-665، جـ7، ص347.

الكتاب معلوماتٍ ذات فائدة كبيرة لموضوع الدراسة في جوانب متعددة من إدارة المدينة[1]، والأحداث التي مرّت بها إبان الفترة الفاطمية[2]، ثم دخول التركمان إليها أواخر العصر الفاطمي[3]، كما تضمَّن معلوماتٍ قيّمةً عن النقود التي سكّها بعض الخلفاء الفاطميين وتداولها الناس في العصر الفاطمي[4].

واشتمل كتاب **المواعظ والاعتبار** على معلومات ذات فائدة كبيرة في التنظيمات الإدارية والسياسية[5]، المتعلقة بدواوين الإدارة المالية والسياسية وتنظيم المواكب والاحتفالات الفاطمية[6]، وهو يعتمد فيها على كتابات مؤرخين وأدباء معاصرين للدولة الفاطمية منهم علي بن منجب وابن الطوير[7].

وشكّلت الكتب الجغرافية مصدراً مهماً لهذه الدراسة بما تضمنت من معلومات قيّمة، ومن هذه الكتب **(مختصر كتاب البلدان) لابن الفقيه**[8] **(ت340هـ/951م)**، فقد ذكر في كتابه مدينة دمشق وغوطتها واشتقاق اسمها وذكر أقسامها والمدن التابعة لها، وما قاله الشعراء في وصف بساتينها وأشجارها، كما ذكر بعض ملامح عمارتها في العصر الفاطمي، فأشار إلى أبوابها ومسجدها الجامع ووصف أقسامه وزخرفته والمواد المستخدمة في بنائه[9].

ويعدُّ كتاب **(صورة الأرض) لأبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م)** من الكتب ذات الأهمية للدراسة، فقد تحدّث ابن حوقل عن جغرافية دمشق في بداية الفترة الفاطمية، وأشار إلى أهمية موقعها، واعتدال مناخها وتوفر المياه في غوطتها مما جعلها منطقة زراعية خصبة كثيرة الخيرات[10]، وتحدث فيه عن الطرق ومحطات البريد المرتبطة بالمدينة[11].

---

(1) ن.م، جـ1، ص33–130، جـ2،، ص303–306، 405.

(2) ن.م، جـ3، ص53–55، 57–58، 297.

(3) ن.م، جـ2، ص220–223.

(4) المقريزي: المقفى الكبير، جـ3، ص100.

(5) المقريزي: الخطط جـ1، ص397، 400–402، 443، 463، 469.

(6) انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين: المقدمة ص15، المقريزي: خطط جـ1، ص265–266، 389، 447.

(7) انظر المقريزي: خطط جـ1، ص401، 402، 403، 443، 463، جـ2، ص284، اتعاظ الحنفا جـ2، ص123، ابن الطوير: نزهة المقلتين/ المقدمة ص15.

(8) أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (انظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ2، ص63، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين جـ5، ص62، الزركلي: الأعلام جـ1، ص208).

(9) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص101–105، 106–107.

(10) ابن حوقل: صورة الأرض ص160–162.

(11) ابن حوقل: صورة الأرض ص170–172.

وجاء كتاب (**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**) **للمقدسي**[1] (**ت380هـ/990م**) ليوفر مادة متميزة من حيث قيمتها وأهميتها للدراسة، فاشتمل الكتاب على معلومات جغرافية وعمرانية أشار من خلالها إلى أسواق المدينة ومبانيها والمادة المستخدمة في البناء في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[2].

وتحدّث المقدسي في كتابه أيضاً عن سكّان المدينة ومذاهبهم، وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية عندهم كالملابس والأطعمة والاحتفالات[3]، كما تحدَّثَ فيه عن زروع الشام وثمارها ومعادنها وبعض الصنائع والحِرَفِ والتجارات، والأدوات المستخدمة في المعاملات التجارية من نقود ومكاييل وأوزان[4]، ثم أشار إلى الطرق التجارية ومحطات البريد[5]، فقدّمَ بذلك للدراسة معلوماتٍ قَلَّ أن تتوفر في غيره من المصادر لاسيما وأنه جغرافي معاصر لأوائل الفترة الفاطمية في بلاد الشام.

أما كتاب (**المسالك والممالك**) **للمهلبي**[6] (**ت380هـ/990م**) فلا توجد منه سوى قطعة صغيرة نُشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية سنة 1958م[7]. كما نُشرت ذات القطعة في كتاب جمع فيه صلاح الدين المنجد ما كتبه الجغرافيون والرحالة المسلمون عن مدينة دمشق ونُشر سنة 1967م[8].

لهذا جاءت المعلومات التي أفادت الدراسة منه قليلة منها ما يتعلق بجغرافية دمشق ومنها ما يتعلق بعمران المدينة[9]، وذكر لبعض منتجاتها الزراعية خاصة ما يتعلق بما يُزرع حول نهر بردى وبعض ما يُزرع في الغوطة كالورود والرياحين[10]، وتأتي أهمية هذا الكتاب من كون صاحبه معاصراً لبداية الفترة الفاطمية موضوع الدراسة، فقد ألّفه للخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله ونسبه إليه فسمّاه (العزيزي)[11].

---

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (انظر حاجي الفقيه خليفة: كشف الظنون جـ1، ص16).

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص156-157.

(3) ن.م، ص179-180، 182-184.

(4) ن.م، ص181-183.

(5) ن.م، ص190-191.

(6) أبو الحسين الحسن بن أحمد (انظر حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1665).

(7) انظر مجلة معهد المخطوطات العربية 1958م، ص43-65.

(8) انظر صلاح الدين المنجد: مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ص80-86.

(9) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك/ مجلة معهد المخطوطات العربية ص62-65، وانظر مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ص81-85.

(10) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص65، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ص86.

(11) انظر حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1665، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين جـ5، ص272.

واشتمل كتاب (**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**) للإدريسي[1] (ت560هـ/1165م) على معلومات قيمة في الناحية الاقتصادية فيذكر منتجات دمشق الزراعية، والمعادن الموجودة فيها أو قريباً منها والتي استُخدمت في الصناعات الدمشقية كالحديد والرخام[2]، كما ذكر فيه كثيراً من الصناعات التي اشتهرت بها المدينة مثل صناعة الأصباغ، والمنسوجات الفاخرة والزجاج[3]، وبعض صادرات المدينة ووارداتها[4] في أوائل القرن السادس الهجري/الثالث عشر الميلادي.

وجاءت **كتب الرحلات كرحلة ابن جبير**[5] (ت614هـ/1217م)، **ورحلة ابن بطوطة**[6] (ت779هـ/1377م) والتي حملت اسم (**تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**) بمعلومات مفيدة، فقد اشتملت على وصفٍ لمدينة دمشق وأنهارها ومنتجاتها الزراعية والصناعية[7]، وبعض المعلومات المتعلقة بعمارة المدينة خاصة الجامع الأموي[8].

وتعدُّ كتب الموسوعات ذات فائدة كبيرة للدراسة لما اشتملت عليه من معلومات مفيدة في أكثر من فصل، مثل كتاب (**نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب**) **للنويري**[9] (ت732هـ/1332م)، **وكتاب** (**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**) **لابن فضل ا لله العمري**[10] (ت749هـ/1349م)، وكتاب (**صبح**

---

(1) أبو عبد ا لله محمد بن عبد ا لله الحمودي (انظر الصفدي: الوافي بالوفيات جـ1، ص163، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1947، الزركلي: الأعلام جـ7، ص24).

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص46، 371.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص365-366، 369.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص46، 365-366، 369-371، 378.

(5) أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني وهو أديب ورحال مشهور (انظر ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القرّاء جـ2، ص60، المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب جـ1، ص515، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص60، الزركلي: الأعلام جـ5، ص220).

(6) أبو عبد ا لله محمد بن عبد ا لله بن إبراهيم اللواتي رحالة ومؤرخ كبير (انظر إسماعيل باشا البغدادي: ذيل كشف الظنون جـ3، ص262، هدية العارفين جـ6، ص169، الزركلي: الأعلام جـ6، ص235-236).

(7) ابن جبير: الرحلة ص234، ابن بطوطة: الرحلة ص63.

(8) ابن جبير: الرحلة ص178، 190، 235، 240، 254، ابن بطوطة: الرحلة ص88، 90، 107.

(9) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي (انظر ابن كثير: البداية والنهاية جـ14، ص164، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ9، ص299، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1985، الزركلي: الأعلام جـ1، ص165).

(10) شهاب الدين أحمد بن يحيى بن محمد الكرماني (انظر الكتبي: فوات الوفيات جـ1، ص7، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ10، ص234، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1662، الزركلي: الأعلام جـ1، ص177).

الأعشى في صناعة الإنشاء) للقلقشندي[1] **(ت821هـ/1418م)**.

فتضمَّن كتاب نهاية الأرب معلوماتٍ تتعلَّق بأخبار القرامطة وغزوهم لمدينة دمشق على إثر الفتح الفاطمي لها[2]، واشتمل كتاب مسالك الأبصار على معلومات جغرافية وعمرانية مفيدة خاصة ما يتعلق بعمارة الجامع الأموي والتجديدات التي طرأت على عمارته[3]، ولابن فضل الله العمري كتاب آخر يتحدَّث فيه عن تطور عمارة الجامع الأموي بصورة مفصَّلة[4].

بينما تضمَّن كتاب صبح الأعشى معلوماتٍ ذات فائدة أكبر، فقد كان القلقشندي ينقل في كتابه هذا بعض المعلومات المتعلقة بالفترة الفاطمية عن ابن الطوير المعاصر لأواخر الدولة الفاطمية، فاشتمل كتابه على معلومات مفيدة في النواحي الجغرافية[5] والاقتصادية فذكر بعض المنتجات الزراعية كالزيتون والتين والأشجار المثمرة والخضروات والحبوب[6].

كما تضمَّن الكتاب معلومات مفيدة في التنظيمات العسكرية والأسلحة التي استخدمها الجيش الفاطمي والرواتب التي كانت تُخصص لأفراده[7] ومعلومات هامة عن الإدارة والوظائف والقضاء الفاطمي[8].

أما كتب الطبقات فقد زوّدت الدراسة بأهم المعلومات وأكثرها فائدة للحياة الثقافية في مدينة دمشق، وأهم المصادر ذات الفائدة الكبرى في هذا المجال **(طبقات الفقهاء) للشيرازي**[9] **(ت476هـ/1083م)**، و**(طبقات الحنابلة) لابن أبي يعلى**[10] **(ت526هـ/1131م)**، **وكتاب (عيون**

---

(1) أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (انظر السيوطي: نظم العقيان ص103، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1070، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين جـ5، ص122، الزركلي: الأعلام جـ1، ص177).

(2) النويري: نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب جـ25، ص305، 308، 311، 314-315.

(3) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ص178، 188، 189-200.

(4) ابن فضل العمري: مسجد دمشق ص47-53، 71-72.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص80-88، 94-101.

(6) ن.م، جـ4، ص90-91.

(7) ن.م، جـ3، ص547، 551، 554، 563، 565.

(8) ن.م، جـ3، ص557-558.

(9) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي (انظر ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص124).

(10) أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين (انظر الصفدي: الوافي بالوفيات جـ1، ص159، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص79، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1097-1098، الزركلي: الأعلام جـ7، ص23).

الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة[1] (ت668هـ/1269م)، و(سير أعلام النبلاء) و(المعين في طبقات الحفّاظ) و(طبقات القرّاء) وجميعها للذهبي[2] (ت 748هـ/1347م)، و(طبقات الشافعية) للأسنوي[3] (ت772هـ/1370م)، و(غاية النهاية في طبقات القرّاء) لابن الجزري[4] (ت833هـ/1429م)، و(طبقات الشافعية) لابن قاضي شهبة[5] (ت851هـ/1447م)، و(طبقات المفسِّرين)، و(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) وهما للإمام جلال الدين السيوطي[6] (ت911هـ/1505م)، و(طبقات المفسِّرين) للداوودي[7] (ت945هـ/1538م).

وقد تضمّنت هذه الكتب تراجم لمشاهير العلماء من القرّاء[8] والفقهاء[9] والمحدِّثين[10] وإشارة إلى منزلة كل من هؤلاء العلماء وأساتذتهم وتلاميذهم، وما قدّموه أو صنّفوه من مؤلفات

---

(1) موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي وهو مؤرخ وطبيب (انظر ابن كثير: البداية والنهاية جـ13، ص257، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ7، ص229، الزركلي: الأعلام جـ1، ص197).

(2) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (انظر الكتبي: فوات الوفيات جـ2، ص183، ابن الجزري: غاية النهاية جـ2، ص71، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ10، ص182، ابن العماد: شذرات الذهب جـ6، ص153).

(3) أبو محمد جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي (انظر حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1101، الزركلي: الأعلام جـ3، ص344).

(4) أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف شيخ القرّاء في زمانه (انظر السيوطي: طبقات الحفّاظ جـ3، ص85، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1105، الزركلي: الأعلام جـ7، ص45).

(5) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الأسدي وهو مؤرخ شافعي دمشقي (انظر ابن العماد: شذرات الذهب جـ6، ص312، الزركلي: الأعلام جـ1، ص225).

(6) هو الأديب المؤرخ عبد الرحمن أبو بكر بن محمد بن سابق (انظر ابن العماد: شذرات الذهب جـ8، ص51، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص1107، الزركلي: الأعلام جـ3، ص301).

(7) شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المالكي (انظر ابن العماد: شذرات الذهب جـ8، ص26، الزركلي: الأعلام جـ1، ص225).

(8) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة جـ2، ص193، الذهبي: تذكرة الحفاظ جـ3، ص1017، المعين في طبقات الحفّاظ ص134، طبقات القرّاء جـ1، ص299، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص125، 221، 243، 249، 301، 433، جـ2 ص83–84، السيوطي: طبقات المفسِّرين ص45، بغية الوعاة جـ1، ص189، 395، الداوودي: طبقات المفسِّرين جـ1، ص245–246، جـ2، ص75.

(9) الشيرازي: طبقات الفقهاء ص128، 132، الأسنوي: طبقات الشافعية جـ1، ص246، جـ2، ص218، 412–413، ابن قاضي شهبة جـ1، ص234–235، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص357، 573.

(10) الذهبي: المعين في طبقات المحدِّثين ص119، 112–123، 127، 132–134، تذكرة الحفاظ جـ3، ص255، الأسنوي: طبقات الشافعية جـ1، ص117، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص221، السيوطي: طبقات الحفاظ ص391، 414، 417.

أُضيفت إلى المكتبة العربية[1] خلال الفترة موضوع الدراسة.

وتضمّنت كتب اللغة والأدب معلومات وافية عن علماء اللغة والأدب في دمشق خلال العصر الفاطمي مثل كتاب (**معجم الشعراء**) **للمرزباني**[2] (**ت384هـ/994م**) الذي تضمن ترجمة لعدد من شعراء دمشق في هذه الفترة كالوأواء الدمشقي[3]، وكتاب (**يتيمة الدهر**) **للثعالبي**[4] (**ت429هـ/1038م**) الذي تضمّن معلوماتٍ مفيدةً عن الصناعة والأسواق في دمشق[5]، كما تضمّن تراجم لعدد من شعراء دمشق وأدبائها في الفترة الفاطمية[6].

وكذلك اشتملت كتب (**دمية القصر في عصرة أهل العصر**) **للباخرزي**[7] (**ت467هـ/1074م**)، و(**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**) **لابن بسام**[8] (**ت542هـ/1147م**)، و(**إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**) **المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الحموي**[9] (**ت626هـ/1228م**)، و(**المحمّدون من الشعراء**) **للقفطي**[10] (**ت646هـ/1248م**) على معلومات قيّمة، فقد تضمنت هذه الكتب تراجمَ ومعلوماتٍ وافيةً

---

(1) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة جـ2، ص193، الذهبي: طبقات الحفاظ ص134، ابن الجزري: النهاية جـ1، ص74، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص189 ص573، طبقات الحفاظ ص391، 417.

(2) أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (انظر الصفدي: الوافي بالوفيات جـ4، ص235، الذهبي: العبر جـ3، ص27، الزركلي: الأعلام جـ6، ص319).

(3) المرزباني: معجم الشعراء ص420.

(4) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل وهو من أئمة اللغة والأدب (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ1، ص290، ابن العماد: شذرات الذهب جـ3، ص246، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص1049، الزركلي: الأعلام جـ4، ص163).

(5) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص276، 288.

(6) ن.م، جـ1، ص252، 281، 288، 297، 312، 351-356.

(7) أبو الحسن علي بن حسن بن علي بن أبي الطيب (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ1، ص360، ابن العماد: شذرات الذهب جـ3، ص327، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص761، الزركلي: الأعلام جـ4، ص272-273).

(8) أبو الحسن علي بن بسام الأندلسي وهو أحد الكتّاب الوزراء (انظر ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب جـ1، ص417، الزركلي: الأعلام جـ4، ص266).

(9) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي وهو مؤرخ ثقة وعالم في الجغرافية واللغة والأدب (انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2، ص210، الزركلي: الأعلام جـ8، ص131).

(10) أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (انظر الكتبي: فوات الوفيات جـ2، ص96، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص236، الزركلي: الأعلام جـ5، ص33).

عن الأدباء والنحويين[1] في دمشق خلال فترة الدراسة.

وقدّمت المراجع الحديثة معلوماتٍ طيبةً أفادت الدراسة كثيراً مثل كتاب (**خطط دمشق**) **لأكرم العلبي**، فكان ذا فائدة كبيرة لما فيه من معلومات مفيدة عن تاريخ دمشق العمراني وتطوره عبر العصور[2]، فذكر مساجد المدينة[3] ومدارسها[4] وحمّاماتها[5] وأسواقها[6]، وما كان فيها من الأحياء والحارات والخانقاوات[7].

واشتملت **كتب محمد كرد علي** مثل (**خطط الشام**) و(**غوطة دمشق**) على معلومات قيّمة أفادت الدراسة في جوانب متعددة، فتضمّن كتاب غوطة دمشق معلوماتٍ جغرافيةً تتعلق بموقع المدينة وأقسامها وتضاريسها ومناخها، وأثر ذلك على الحياة الزراعية[8].

وذكر في كتاب خطط الشام منتجات دمشق الزراعية كالتين والزيتون والفواكه والبقول وغيرها[9]، كما ذكر فيه مصنوعات دمشق الفاخرة وفي طليعتها صناعة المنسوجات التي يُنسب بعضها إلى دمشق وحمل اسم (الدمقس)، وصناعة النحاس وصناعة الزجاج[10]، وعلاقات المدينة التجارية مع البلاد الأخرى[11].

ويعدُّ كتاب (**Damas Et La syria Sous La Domination Fatimide**) **للمؤرخ الفرنسي ثيري بيانكي**،(**Theiry Bianquis**) المنشور باللغة الفرنسية عن دمشق وبلاد الشام من الكتب ذات الأهمية الكبيرة للدراسة مع تركيزه على الجوانب السياسية والعسكرية، وذكر

---

(1) الباخرزي: دمية القصر جـ1، ص144، 158-159، ابن بسام: الذخيرة قسم4، جـ2، ص574، ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ4، ص201، 263، جـ9، ص233-235، جـ10، ص163-164، جـ11، ص119، 176-177، القفطي: المحمَّدون من الشعراء ص54-55، 363.

(2) انظر أكرم العلبي: خطط دمشق ص66-67، 196-198، 284-304، 346، 397-398.

(3) أكرم العلبي: خطط دمشق ص281، 284-289.

(4) ن.م، ص51-54، 196-197.

(5) ن.م، ص493 وما بعدها.

(6) ن.م، ص444-449، 451-452.

(7) ن.م، جـ3، ص389-390، 397، 398، 438.

(8) كرد علي: غوطة دمشق ص9-29، 48-51، 82-85، 86-90، 160-198.

(9) كرد علي: خطط الشام جـ4، ص140، 148، 151-156، 176-177، 179-180، 182.

(10) كرد علي: خطط الشام جـ4، ص199، 201، 203، 205-209، 213-228.

(11) ن.م، ص239، 242-243.

الأحداث الداخلية لمدينة دمشق خلال العصر الفاطمي، ومَنْ تولى إدارتها للفاطميين، ومدى ارتباطهم بدولة الخلافة في القاهرة[1].

وتضمّن كتاب (**Arab Coins in Cairo**) **لمؤلفه ستانلي لين بول** (**Lane- Poole,stanley**) معلوماتٍ تلقي الضوء على النقود التي استخدمها أهل دمشق خلال الفترة الفاطمية[2].

ومن المراجع التي تضمّنت معلومات أفادت الدراسة كتاب (**الدولة الفاطمية في مصر**) **لمحمد جمال الدين سرور**، فقد تضمّن البحث في التنظيمات الإدارية عند الفاطميين وإعدادهم للموظفين الذين يتولون مناصب هامة في ولايات الدولة والإشراف على الدواوين والتنظيمات العسكرية مع الإشارة إلى العناصر التي تكوّن منها الجيش الفاطمي[3]، كما تضمّن إشارة إلى بعض النقود التي تداولها الناس في الشام خلال العصر الفاطمي، وذكراً لبعض المواكب والأعياد والمناسبات التي احتفل بها الفاطميون وطريقة الاحتفال بها[4].

واشتمل كتاب (**دمشق الشام**) **لجان سوفاجيه**، وهو كتاب مترجم عن الفرنسية على معلومات تتعلق بعمران دمشق في العصور المختلفة، فيتحدث فيه عن دمشق في العصور الآرامية واليونانية والرومانية، ويذكر وجود المعابد والشوارع والأحياء السكنية وطريقة تنظيمها[5]، ثم يشير إلى ما حدث من تغيُّر وتبدل في عمران المدينة وظهور أحياء جديدة في العصر الفاطمي مثل حي العقيبة والشاغور وقصر حجاج وغيرها[6].

وجاء كتاب (**نظم الفاطميين ورسومهم في مصر**) **لعبد المنعم ماجد** ليشتمل على معلومات هامة أفادت كثيراً من جوانب الدراسة، فتحدث فيه عن الإدارة الفاطمية، وتعرّض بدراسته لنظام الوزارة عند الفاطميين ومسؤولياتها ودورها في إدارة الولايات الفاطمية[7]، والدواوين الفاطمية كديوان الإنشاء

---

(1) انظر -Bianquis: Damas Et La Syriee Sons Domination Fatim, Damas 1989, vol I p65 101, 103-104,108-109,115-140,225,233,240-246,257-258,384.

(2) انظر Lane- Poole: Arab Coins in Cairo, p164,176-177, 180.

(3) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر ص140–141، 144–149.

(4) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية ص163، 166–173.

(5) جان سوفاجيه: دمشق الشام ص33–34، 41–49، 66–70.

(6) ن.م، ص73–74.

(7) انظر عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر جـ1، ص78–92.

ومسؤولياته، ودواوين الإدارة المالية والمحلية في الولايات الفاطمية[1]، والوظائف التي تقوم بها.

ولابد من الإشارة إلى ما اشتملت عليه بعض المقالات التي نُشرت في المجلات الدورية، أو بـ المؤتمرات العلمية الدولية والقطرية خاصة المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، ومن هذه المقالات **(تاريخ دمشق العمراني)** و**(قصور الحكّام في دمشق)** **لعبد القادر الريحاوي** ونُشرتا في مجلة الحوليات الأثرية السورية: الأولى سنة 1964، والثانية سنة 1972م، وتحدَّثَ فيهما عن تطور العمارة في مدينة دمشق، وذكر بعض المنازل والقصور التي كانت موجودة فيها أو تم بناؤها في العصر الفاطمي[2].

ومن الدراسات التي أفادت البحث مقالة لمحمد عبد القادر خريسات بعنوان **(التوسع العمراني في مدينة دمشق)**/المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام سنة 1990م، تحدَّثَ فيها عما أصاب عمران دمشق من تغيّر في العصر الفاطمي، وذكر فيها بعض البيوت والقصور والأحياء السكنية التي كانت موجودة في دمشق[3].

إن معظم هذه الدراسات الحديثة تركّز على تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، أما دراسة تاريخ مدينة دمشق بصورة خاصة ،فإن جوانب كثيرة منها لم يتناوله الباحثون في دراساتهم كالإدارة الفاطمية في دمشق من حيث التنظيم الإداري، ودواوين الإدارة المالية والقضاء، والإشراف على أمن المدينة واستقرارها.

كما أن دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لدمشق وبلادها خلال العصر الفاطمي من الأمور التي تستحق أن تأخذ نصيبها من الدراسة والاهتمام لمعرفة حال المدينة، وفئات المجتمع الدمشقي ومستواها الاجتماعي ومشاركتها ودورها في الحياة العامة.

ومن الأمور التي تستحق الاهتمام جوانب الحياة الثقافية لمدينة دمشق، وبيان مكانتها العلمية والأدبية وما وصلت إليه من تطور في هذا المجال خاصة في الشعر وعلوم القراءة والحديث، ولعل في الدراسة ما يغطي هذه الجوانب.

---

(1) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم جـ1، ص95-96، 102، 104-106، 112-129، 133-134.

(2) عبد القادر الريحاوي: تاريخ دمشق العمراني/مجلة الحوليات الأثرية السورية 1964م مجلد 14، ص35-36، قصور الحكّام بدمشق /مجلة الحوليات الأثرية السورية 1972م مجلد 22، ص64، 36، 38، 40-42.

(3) محمد عبد القادر خريسات: التوسع العمراني في مدينة دمشق/المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام 1990م ص22، 24، 27.

الفصل الأول

دراسة في الجغرافية والعمران

أ ـ الجغرافية:

1- تسمية دمشق وبدء عمارتها.

2- موقع المدينةوأقسامها.

3- مناخ دمشق.

4- المياه.

5- السكان.

ب ـ العمران:

1 - قبيل العصر الفاطمي.

2 - في العصر الفاطمي.

أ - العمارة المدنية.

ب - العمارة الدينية.

الجغرافية

تسمية دمشق وبدء عمارتها

كانت مدينة دمشق موجودة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد[1]، وورد ذكرها في الألف الثالثة قبل الميلاد في ألواح آيبلا (تل مرديخ) الأثرية باسم (دامسكي)[2].

وورد اسم دمشق أيضاً في الآثار والكتابات الهيروغليفية في تل العمرانية التي ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد[3] باسم (تماسكو)، ومعناها المزهرة أو المثمرة تسمية بغوطاتها الخصيبة[4]. وكانت إحدى المدن التي احتلها تحتمس الثالث فرعون مصر الذي سيطر على سوريا آنذاك[5].

كما ورد اسم دمشق في الآثار الآشورية التي تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد باسم (دمشقي وتمشكي)[6].

---

(1) Eisseeff: Dimashk/ Encyclopidia Of lslam, London 1965, Vol 2, P 278.

(2) عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء في أحياء دمشق الفيحاء/ مجلة الحوليات الأثرية، دمشق 1997-1978م مجلد 27-28، ص9.

(3) Elisseeff: Dimashk/El, Vol 2, P278.

(4) عيسى إسكندر المعلوف، حقائق تاريخية عن دمشق/ مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، 1969، ص345-346، هارتمان: دمشق/دائرة المعارف الإسلامية، طبعة دار الفكر جـ9، ص265، عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء، ص9، يوسف نعيسة: مجتمع مدينة دمشق: دار طلاس/دمشق 1986، ص67.

(5) Elisseeff: Dimashk/El, Vol 2, P278.

(6) انظر أحمد حلمي العلاف: دمشق في مطلع القرن العشرين، دار دمشق 1983، ص5، هارتمان: دمشق/ دائرة المعارف الإسلامية جـ9، ص265، يوسف نعيسة: مجتمع مدينة دمشق ص67، هورست كلينكل: آثار سورية القديمة، دمشق 1985، ص90، Elisseeff: Dimashk/El, Vol 2, P 278

وقد أورد الجغرافيون والمؤرخون أسماء متعددة لمدينة دمشق[1]، وفي العصر الإسلامي اشتهرت باسم جلّق.

وجلّق لفظة فارسية معناها مائة ألف زهرة، وفي هذه التسمية إشارة إلى غوطتها، وما كانت تشتهر به من كثرة الورود والرياحين[2]، وقد وردت لفظة جلّق في شعر حسان بن ثابت إذ قال[3]:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأول

ولُقّبَت دمشق بالفيحاء؛ أي الواسعة من الأرض أو الدور أو الرياض[4]، ولهذا فإن تسميتها بالفيحاء جاء نتيجة اتساع أرض الغوطة حول دمشق، وكثرة ما فيها من الأشجار والورود ذات الرائحة الطيبة.

وينسب المؤرخون والجغرافيون بناء مدينة دمشق إلى شخصيات متعددة، فمرَّةً إلى نوح عليه السلام[5]، ومرّةً إلى ذي القرنين[6]، ومرّةً إلى غلام إبراهيم عليه السلام[7]، غير أن دليلاً قاطعاً على ذلك لا يتوفر.

---

(1) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك/ مجلة معهد المخطوطات العربية 1958 ص62، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص11، العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر جـ3، ص19، الهروي: الإشارات إلى أماكن الزيارات ص10، الحميري: الروض المعطار ص168-169، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص72، الوطواط: مناهج الفكر/ قطعة في كتاب مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين/ جمع صلاح الدين المنجد ص195، غرس الدين الظاهري: زبدة كشف الممالك/ باريس 1894، ص44، القرماني: أخبار الدول ص449، عيسى المعلوف: حقائق تاريخية عن دمشق ص345، قتيبة الشهابي: دمشق تاريخ وصور/ دمشق 1986 ص9.

(2) الحميري: الروض المعطار ص237، الحصيني: منتخبات التواريخ لدمشق جـ1، ص25، عيسى المعلوف: حقائق تاريخية عن دمشق ص346.

(3) حسان بن ثابت: الديوان، طبعة بيروت ص179.

(4) الحصيني: منتخبات التواريخ لدمشق جـ1، ص25، كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر ص8، صفوح خير: مدينة دمشق ص124، أحمد حلمي العلاف: دمشق ص6، أحمد غسان سبانو: دمشق في دوائر المعارف ص49.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص11، الهروي: الإشارات ص10، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص71، ابن طولون: قرة العيون في أخبار جيرون، دمشق 1964 ص9، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ص103.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص13، ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص463، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص27، أبو البقاء: نزهة الأنام في محاسن الشام ص19.

(7) ابن الفقيه: البلدان ص104، المقدسي: أحسن التقاسيم ص159، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص12، ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص463، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص71، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص143.

وسُمِّيت دمشق باسم بانيها الذي اختلفت حوله المصادر، فقيل هو دمشاق بن كنعان بن حام أو دامشقيوش[1]، وقيل هو دمشق بن قاني بن مالك بن آرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[2]، وهو أخو فلسطين وإيليا وحمص والأردن، وكان كل واحد منهم قد بنى موضعاً فَسُمِّي باسمه[3].

ولفظُ دمشقَ فِعْلٌ من قولِ العرب: ناقة دَمْشَقٌ أي سريعة، ويقال الدَمْشَقَةُ: السرعة في المشي، ويقال دَمْشَقَ الضرب دمشقةً إذا ضرب ضرباً خفيفاً سريعاً[4]، قال الشاعر[5]:

وصاحبتي ذات هباب دمشق كأنها بعد الكلال زروق

وقيل إن دمشق فارسية وأصلها (دم بشك)[6]، أو أنها لفظة آرامية مُماتة (مشق) تتقدمها دال النسبة، ومعناها الأرض المزهرة أو الحديقة الغنّاء[7].

---

(1) الزبيدي: تاج العروس جـ6، ص348، الفيروزبادي: القاموس المحيط جـ3، ص240، وانظر أيضاً: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق جـ1، ص12، أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع جـ1، ص556، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ص237، ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ2، ص464، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص71، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ص23، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ص449، أحمد غسان سبانو: دمشق في دوائر المعارف العالمية ص49، اكتشافات مثيرة تغير تاريخ دمشق القديم ص260.

(2) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص104، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص159، الحميري: الروض المعطار ص237، الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات ص10، ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص464، الحصيني: منتخبات التواريخ لدمشق جـ1، ص22، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص143، صفوح خير: مدينة دمشق، دمشق 1969، ص123، أيوب سعدية: دمشق الشام أقدم مدينة في العالم ص16.

(3) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص18، ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ2، ص464، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص17، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ1، ص48، ابن طولون: تاريخ المزة وآثارها ص35، أحمد حلمي العلاف: دمشق في مطلع القرن العشرين ص3، أيوب سعدية: دمشق الشام، ص16.

(4) الجوهري: الصحاح جـ4، ص1477، ابن سيده: المخصَّص مجلد2 جـ7، ص125، الزبيدي: تاج العروس جـ6، ص348، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص159، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص17، ابن منظور: لسان العرب جـ10، ص104، الفيروزبادي: القاموس المحيط جـ3، ص240، أيوب سعدية: دمشق الشام ص16.

(5) الجوهري: الصحاح جـ4، ص1477، الزبيدي: تاج العروس جـ6، ص348، ابن منظور: لسان العرب جـ10، ص104.

(6) الحصيني: منتخبات التواريخ لدمشق جـ1، ص26، أحمد حلمي العلاف: دمشق/ المقدمة ص6.

(7) انظر صفوح خير: مدينة دمشق ص123، أيوب سعدية: دمشق الشام ص16.

وعلى ضوء نتائج الحفريات والدراسات الأثرية فإن بناء مدينة دمشق كان في الألف الثالثة[1] أو الثانية قبل الميلاد[2].

وعندما بُنيت المدينة حَصَّنَها بُناتُها، فبنوا حولها سوراً يحميها من أي خطر يهددها، وجعلوا في سورها عدة أبواب للداخل إليها والخارج منها، وكانت كل جماعة تسكن دمشق أو تحكمها تزيد في هذه الأبواب أو تغلق منها، وحسب الحاجة إلى أن استقرَّ عددها على سبعة أبواب في الفترة الفاطمية[3].

---

(1) عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء في أحياء دمشق الفيحاء ص9.

(2) عيسى المعلوف: حقائق تاريخية عن دمشق ص346، يوسف نعيسة: مجتمع مدينة دمشق ص67، هارتمان: دمشق/ دائرة المعارف الإسلامية جـ9، ص265.

(3) انظر الواقدي: فتوح الشام جـ1، ص270، البلاذري: فتوح البلدان ص127، اليعقوبي: البلدان ص.325 قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ص291، المقدسي: أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم ص156، المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص62-63، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص15، 216، ابن جبير: الرحلة ص254، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص72، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ص237، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص36، المنيني: الإعلام بفضائل الشام ص69، هارتمان: دمشق/ دائرة المعارف الإسلامية جـ9، ص267، عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص41، عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء ص10، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ص33، سليم عادل عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق الأثرية، مطبعة الترقي، دمشق 1950، ص9.

موقع المدينة وأقسامها

وصف كثير من المؤلفين والجغرافيين العرب مدينة دمشق[1]، فأشاروا إلى أهمية موقعها، من حيث قُربها من مصادر المياه، والارتفاع عن سطح البحر، ومن حيث خصوبة أرضها وصلاحيتها للإنتاج الزراعي.

وعُدّت هذه الأسباب من عوامل ازدهار المدينة ورقيها[2]، فوجود الغوطة حولها جعلها من أكثر البلاد إنتاجاً لأصناف مختلفة من المنتوجات الزراعية حتى عَدَّها بعض الجغرافيين من أخصب أربع مناطق في الدنيا[3].

وجاء موقع المدينة في البقعة التي توزعت فيها مياه نهر بردى الذي يخترقها من الغرب إلى الشرق ليزيد في أهمية المدينة ومكانتها الاقتصادية.

تقع مدينة دمشق في أرض مستوية على خط طول 30شرقي غرينتش وعلى درجة عرض 33 شمالاً إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية[4].

---

(1) اليعقوبي: البلدان ص325، الإصطخري: مسالك الممالك ص59، ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص463، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص189، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص13، ابن بطوطة: الرحلة ص84، ابن طولون: ضرب الحوطة على جميع الغوطة/ مجلة المجتمع العلمي العربي/ دمشق مجلد1، 1946، ص152.

(2) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص62، الإصطخري: مسالك الممالك ص59، وانظر الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق جـ4 ص366، ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص463.

(3) ابن سعيد: الجغرافية طبعة بيروت 1970، ص152، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ2، ص48، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص189، أبو الفداء: تقويم البلدان ص253، ابن إياس: بدائع الزهور ص54، ابن السباهي: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان (الجامعة الأردنية/ شريط رقم 559) ص50، الصيادي: الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، دمشق 1330هـ، ص14، كرد علي: غوطة دمشق ص79، نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب ص115.

(4) صفوح خير: مدينة دمشق ص48، هارتمان: دمشق/ دائرة المعارف الإسلامية جـ9، ص264.

والعراق، ومن الغرب وجود المناطق الجبلية التي سيطرت على طريـق التجـارة الموصـل إلى سـاحل البحر المتوسط حيث من هناك يتم الاتصال بأوروبا، إضاقة إلى طريق الموصل شمالاً إلى حلب وآسيا الصغرى جعلها مركزاً تجارياً هاماً لاستقبال البضائع وتصديرها[1].

وكانت دمشق في العصر الفاطمي تضـمُّ مجموعـة مـن القـرى والضيـاع والـمزارع الـتي عَدَّهـا الجغرافيون تابعة لها تضم المدينة نفسها إضافة إلى ثنيـة العقـاب[2] والجابيـة وحرسـتا[3] وداريـا والبثنية ودمَّر[4] وعذرا وقطنا والمزة وبيت لاهيا[5] وعقربا والصالحيـة وبـرزة والنـيرب[6]، والربـوة والمنيحة ودومة وزملكا[7].

---

(1) .Chsrles Worth: Trade Routes Of the Roman Empire, P38

(2) قرية مشرفة على غوطة دمشق على طريق حمص (ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص85).

(3) قرية في وسط بساتين دمشق (ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص241).

(4) عقبة دمُر وهي المنطقة المشرفة على غوطة دمشق (ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص463).

(5) قرية على طريق بغداد القديمة (كرد علي: غوطة دمشق ص164).

(6) قرية في سفح جبل قاسيون (كرد علي: غوطة دمشق ص181).

(7) انظر الإصطخري: المسالك والممالك ص62، ابـن حوقـل: صـورة الأرض ص162، حسـين عطـوان: الجغرافيـة التاريخية ص44.

تتكون دمشق من ثلاثة أقسام طبيعية هي المنطقة السهلية وتشمل الغوطة والمرج، ونهر بردى بفروعه وأقنيته، والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة.

فالقسم الأول عبارة عن أرض منبسطة واسعة يرتفع سطحها عند أطرافها الشمالية والغربية، وتأخذ في الانخفاض تدريجياً نحو الشرق مما ساعد على جودة عملية الصرف المائي في المنطقة. وقد قام أهل دمشق منذ القديم بتنظيم هذا المنحدر الخفيف على شكل مصاطب اصطناعية لتسهيل عملية الري وحفظ التربة من الانجراف[1].

ويُمثِّلُ نهر بردى وفروعه أبرز المظاهر الطبيعية في غوطة دمشق، فقد حفر مجراه في هذه المنطقة ابتداءً من خانق الربوة، ثم يجري في أرض منبسطة مارّاً بالمدينة والغوطة، ثم يتسع بعد وصوله إلى الشرق من دمشق، ويتصل بالنهر عدد من الأنهر التي اشتُقت منه لإرواء المناطق المختلفة القريبة والبعيدة[2].

وتُطَوِّقُ جبال القلمون غوطة دمشق من الشمال والغرب وتشرف عليها من ارتفاع يقارب 1000متر فوق سطح البحر، وهي جبال جرداء يقطعها نهر بردى عند خانق الربوة، كما يخترقها وادي منين عند قرية برزة[3]، وأهم هذه الجبال جبل قاسيون وجبل الصالحية وجبل المزّة[4]، ولها أهمية استراتيجية تتمثل في إشرافها على أهم الطرق المؤدية إلى دمشق.

ويشرف على دمشق أيضاً من جهة الغرب جبل الشيخ ويُعرف بجبل الثلج[5]، بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام وهي منطقة مفتوحة.

لقد تمتّعت دمشق بموقع جغرافي فريد، فالأرض الخصبة، والمياه المتدفقة جعلت غوطتها من أغنى البلاد في إنتاجها الزراعي، وانفتاحها من الشرق على السهول الموصلة إلى الفرات

---

(1) انظر صفوح خير: غوطة دمشق ص50–59.

(2) كرد علي: غوطة دمشق ص86–87، صفوح خير: غوطة دمشق ص53–54.

(3) صفوح خير: غوطة دمشق ص47.

(4) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة ص144، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص189، ابن بطوطة: الرحلة ص101، صفوح خير: مدينة دمشق ص46، عفيف البهنسي: المدينة العربية ص9.

(5) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة ص94، ابن إياس: بدائع الزهور ص41، كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر ص139.

مناخ دمشق

يُعَدُّ المناخ من العوامل المؤثرة في الإنتاج الزراعي وفي الاستقرار والعمران في مدينة دمشق، ويشتمل المناخ على عناصر رئيسية تؤثر فيه أهمها الموقع والحرارة والرياح والأمطار.

وقد انعكس موقع مدينة دمشق بشكل واضح على مناخها، فوجود الجبال في غربها سواءً كانت جبال لبنان الشرقية القريبة منها أم جبال لبنان الغربية شكّلت حاجزاً مزدوجاً منع وصول التأثيرات البحرية إلى المدينة على الرغم من أنها لا تبعد أكثر من (80كم) عن البحر المتوسط[1]. وهذا يمنع غيوم البحر المتوسط التي تحمل الأمطار من الوصول إليها بشكل مؤثر، ويخفف ذلك من معدل الأمطار في فصل الشتاء الذي لا يتجاوز ثلاثة أشهر[2].

ومن جهة أخرى فإن موقع دمشق المفتوح باتجاه الشرق جعلها تشارك بادية الشام في جفافها فيتصف صيفها بالجفاف التام[3].

وتتأثر الحرارة بعدة عوامل أهمها الموقع الفلكي للمدينة حيث تقع دمشق على خط 30 شرقاً و33 شمالاً، والارتفاع عن سطح البحر الذي يصل إلى 700م تقريباً.

ويبلغ متوسط الحرارة السنوي في دمشق (18°م)، إلا أن هذا المعدّل السنوي لا يعطي صورة واضحة بسبب تعرضه للتفاوت الكبير نتيجة عدم وصول التأثيرات البحرية إلى المنطقة[4]. فترتفع درجة

(1) انظر صفوح خير: مدينة دمشق ص48، جان سوفاجيه: دمشق الشام ص23، عفيف البهنسي: المدينة العربية ص10.

(2) صفوح خير: مدينة دمشق ص48، جان سوفاجيه: دمشق الشام ص23.

(3) كرد علي: غوطة دمشق ص17، صفوح خير: مدينة دمشق ص49.

(4) انظر صفوح خير: غوطة دمشق ص63.

الحرارة صيفاً حتى تصل إلى أكثر من (38°م)[1]. وتنخفض في فصل الشتاء ليصل متوسطها في كانون الثاني إلى (7°م)، وربما أقل من ذلك في شرق الغوطة. وأحياناً تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر فيسبب ذلك حدوث الصقيع الذي يؤثر سلبياً على بعض المحاصيل الزراعية، وإيجابياً على بعض الأشجار المثمرة كالتفاح والدرّاق والخوخ[2].

وتتعرّض المنطقة لتأثيرات المنخفضات الجوية في فصل الشتاء مما يجعل الجوّ متقلباً وردیئاً بما ينتابه من رياح عاصفة وطقس مضطرب وأمطار شديدة، كما تتعرض للرياح الغربية والجنوبية الغربية، بينما تتعرّض في الفصول الانتقالية للرياح الشرقية (الخماسين) التي قد تحمل معها الرمال والأتربة فتؤثر على المنتوجات الزراعية[3].

وتحتل الأمطار مكانة هامة بين عناصر المناخ لأهميتها في الحياة الاقتصادية، وتتصف المنطقة بأن أمطارها شتوية لكن كميتها في دمشق قليلة، فمعدلها السنوي يتراوح بين (215–225 ملمتراً)[4].

وقد عوّض وجود نهر بردى وفروعه عن قلّة الأمطار الشتوية في دمشق[5]، وتمرُّ دمشق بفصلين كل عام هما:

1 – فصل شتاء قصير جداً.

2– فصل صيف طويل يمتدُّ معظم السنة، وتتفاوت فيه درجات الحرارة ما بين الليل والنهار.

وبهذا يمكن القول بأن مناخ دمشق حارٌّ جافٌّ صيفاً، وباردٌ معتدلُ البرودة شتاءً، مع أمطار متوسطة وفصل شتوي قصير.

---

(1) كرد علي: غوطة دمشق ص17، صفوح خير: مدينة دمشق ص48، عفيف البهنسي: المدينة العربية ص10.

(2) انظر صفوح خير: غوطة دمشق ص67.

(3) ن.م، ص76.

(4) كرد علي: غوطة دمشق ص17، صفوح خير: مدينة دمشق ص49.

(5) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة ص144، ابن حوقل: صورة الأرض ص160، 161، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص366، ابن فضل الله العمري/ مسالك الأبصار ص81.

المياه

تعتمد دمشق على ثلاثة مصادر رئيسية للمياه هي الأمطار الشتوية ومياه الأنهار، ومياه العيون والينابيع.

وكما سبق فإن مياه الأمطار محدودة وتتراوح ما بين 215–225 ملمتراً في العام، وهي لا تفي بحاجة السكان وحاجة الأرض الزراعية التابعة للمدينة، كما أن هذه الكمية غير ثابتة[1]، فهي عرضةٌ للتقلُّبِ والتغيُّرِ حسب الموسم، لهذا فإن الاعتماد عليها في الزراعة يكون محفوفاً بالأخطار خاصة في سنين الجفاف.

وتُعَدُّ مياه بردى[2] أهم مورد للمياه في مدينة دمشق وفي غوطتها، وهو عماد الخصب فيها، وعصب الحياة الرئيسي بالنسبة للمدينة وللغوطة.

وتخرج مياه بردى من جبال لبنان الشرقية ومن نبع دائم على ارتفاع 1100م في الزاوية الجنوبية الغربية من سهل الزبداني، ومن نبع بردى في جبل سنير[3].

ويجري النهر فوق سهل الزبداني مسافة تزيد على 8 كم، ثم تلتقي به المياه المتدفقة من عين الفيجة[4] قبل وصوله إلى دمشق بحوالي 20 كم تقريباً يخرج بعدها ليجري في سهل دمشق ويروي الغوطة

---

(1) صفوح خير: غوطة دمشق ص117.

(2) عُرِفَ نهر بردى قديماً باسم نهر (أبانا)، وسمّاه الإغريق والرومان نهر الذهب، كما عُرف بالنهر البارد (انظر كرد علي: دمشق ص9، صفوح خير: مدينة دمشق ص81، قتيبة الشهابي: دمشق ص9).

(3) هو فرع من فروع جبال لبنان الشرقية ويُعرف اليوم بجبل القلمون (انظر كرد علي: غوطة دمشق ص13).

(4) الإصطخري: الأقاليم ص32، ابن حوقل: صورة الأرض ص161، أبو زيد البلخي: صورة الأرض ص53، الأصفهاني: خريدة القصر جـ3، ص20، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص367، ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص378، ابن السباهي: أوضح المسالك ص50، ابن المبرد: غدق الأفكار ص23–24، ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص34، صفوح خير: غوطة دمشق ص118.

والمرج[1]، ويتابع سيره باتجاه الشرق لينتهي إلى بحيرة تُعرَف ببحيرة دمشق أو بحيرة العتيبة[2].

وقد استثمر الدماشقة مياه نهر بردى منذ القدم، فقاموا بشق مجموعة من الأنهار والقنوات التي تنطلق من مجرى النهر إلى نواح متعددة في دمشق والغوطة، لتزوِّد أهلها وحمّاماتها ومساجدها بما تحتاج إليه من المياه، ولتروي الأراضي التي لا تصل إليها مياه النهر[3]. وذكر ابن عساكر[4] (ت571هـ/1175م) أنه كان في دمشق أكثر من (130) قناة، كان عدد كبير منها موجوداً في الفترة الفاطمية.

أما الأنهار التي كانت تنطلق من مجرى النهر فهي: نهر القنوات[5] إلى الغرب من دمشق، ويبدو أنه سُمّي كذلك نظراً لكثرة القنوات التي كانت تتصل به لتزويد المناطق المجاورة بما تحتاج إليه من المياه.

ونهر الجامع[6] ويتفرع عن نهر بردى من الجهة اليمنى عند الربوة، وسُمّي كذلك لأنه كان يُزَوِّدُ الجامع بما يحتاجه من الماء[7]، ويخرج منه نهر اسمه طوير يسقي بساتين وأراضي كثيرة في الغوطة[8].

ونهر الداراني نسبة إلى قرية داريّا الواقعة إلى الجنوب الغربي من دمشق، ويسقي داريّا وأراضيها والمناطق المجاورة لها[9].

---

(1) صفوح خير: غوطة دمشق ص121-123.

(2) ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص378، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ص81، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص87، الوطواط: مناهج الفكر ص195، صفوح خير: غوطة دمشق ص118، قتيبة الشهابي: دمشق ص9.

(3) انظر الإصطخري: مسالك الممالك ص59، أبو زيد البلخي: صورة الأرض ص53، ابن حوقل: صورة الأرض ص160، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص366، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص147، ياقوت معجم البلدان جـ1، ص378، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص81، العمري: مسالك الأبصار ص81، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص98، 99، الصيادي: الروضة البهية ص21-22، صفوح خير: غوطة دمشق ص123-124.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص60-162، محمد محاسنة: الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي ص32.

(5) انظر عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء في أحياء دمشق الفيحاء ص14.

(6) كان قديماً يُسمى بنهر بانياس نسبة إلى أحد حكماء اليونان، ويقال بأنه هو الذي أجراه (انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص147، شيخ الربوة: نخبة الدهر ص194، ابن المبرد: غدق الأفكار ص31، قتيبة الشهابي: دمشق ص10).

(7) سبط الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص115، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص99، صفوح خير: مدينة دمشق ص100.

(8) ابن المبرد: غدق الأفكار ص31.

(9) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص198، أبو البقاء: نزهة الأنام ص93، ابن المبرد: غدق الأفكار ص32، صفوح خير: مدينة دمشق ص94، قتيبة الشهابي: دمشق ص10، كارل ولتسينجر: الآثار الإسلامية ص56.

ونهر يزيد نسبة إلى يزيد بن أبي سفيان، وتم استحداثه في العصر الأموي لتزويد منطقة الصالحية وبرزة وحرستا بحاجتها من المياه[1].

ونهر ثورا ويجري موازياً لنهر يزيد في السفح الأيسر لجبل قاسيون فيزوّد البيوت والحمّامات ويروي البساتين والأراضي الواقعة ما بين الصالحية ودمشق وقسماً من قرى الغوطة، ويقال بأنه منسوب إلى أحد ملوك الروم[2].

ونهر المزة وهو من الأنهار الصغيرة، ويتفرع عن بردى عند الربوة ويسقي قرية المزّة وما يحيط بها من المزارع[3].

---

(1) الإصطخري: الأقاليم ص32، المسالك والممالك ص45، ابن حوقل: صورة الأرض ص161، الأصفهاني: خريدة القصر جـ3، ص20، شيخ الربوة: نخبة الدهر ص194، ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص378، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص115، ابن المبرد: غدق الأفكار ص26.

(2) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص194، ابن المبرد: غدق الأفكار ص30، قتيبة الشهابي: دمشق ص9.

(3) الإصطخري: مسالك الممالك ص59، ابن حوقل: صورة الأرض ص161، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص115، شيخ الربوة: نخبة الدهر ص194-195، ابن المبرد: غدق الأفكار ص31، صفوح خير: غوطة دمشق ص156، محمد محاسنة: الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي ص31.

السكان

استوطن العرب بلاد الشام منذ القديم، إذ يرجع وجودهم فيها إلى الألف الأولى قبل الميلاد، ثم تزايد سكانها من العرب بصورة ملحوظة منذ القرن الثالث الميلادي[1].

وكان انتشار العرب متركزاً في المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام، ومن القبائل العربية التي قدمت إلى بلاد الشام بعد القرن الثالث الميلادي قبائل غسان وبهراء وتنوخ وسليح وكلب ولخم وجذام وقضاعة[2]، وجماعات من القين وعذرة وجرم[3].

وتوالى قدوم القبائل العربية إلى الشام بعد الفتح العربي، وتركّزت منازل القبائل العربية القادمة خارج مدينة دمشق لعدم قدرة المدينة على استيعاب الجماعات المهاجرة لكثرتها، فنزلت أكثر هذه القبائل في الغوطة وحول أسوار المدينة[4].

وحملت الأماكن التي نزلت بها بطون القبائل العربية أسماء النازلين بها، وورد ذكرها عند ابن عساكر (ت571هـ/1175م)، فذكر منها لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة، وقينية، وصنعاء والحميريين ومنازل بني رعين في الجهة الغربية، وسطرا والفراديس والأوزاع والصدف ومرج شعبان من الجهة

---

(1) انظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ1، ص217، 249، الدوري: العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام/ المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام الطبعة الأولى/ عمان 1974م ص25.

(2) اليعقوبي: البلدان ص326، التاريخ جـ1، ص207، الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص274، المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ2، ص85، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص453، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق/ مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق 1955 مجلد30 ص62.

(3) صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص62.

(4) الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص274، الخولاني: تاريخ داريا ص9، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص432، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل ص64، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص109، سليمان الخرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي على بلاد الشام/ رسالة دكتوراه، القاهرة 1990م ص51.

الشمالية، والراهب ومحلة السفليين والقطائع وفندق بني عبد المطلب من الجنوب[1].

ونزل الأمويون مدينة دمشق في العصر الراشدي وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التي أقامها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان، عندما كان والياً على دمشق، ثم أصبحت داراً للإمارة وبقيت مقرَّ السلطة الأموية بعد تَحَوُّلِ الخلافة للأمويين سنة (40هـ/661م)[2]، كما نزلها جماعة من بني الخطاب[3].

وفي مطلع الفترة الأموية استقر توزيع القبائل العربية في بلاد الشام بصورة عامة واستمر بعد ذلك[4]، ففي دمشق كانت غسان القبيلة الأولى وكانت فيها أيضاً قبائل قضاعة وكندة وقيس[5].

وأُعطيت القبائل المهاجرة إلى المنطقة أراضي للزراعة والرعي، كما أُعطيت للقبائل المقيمة أصلاً أراضي جديدة وذلك لاعتبارات اقتصادية واستراتيجية، وهي من الأراضي التي جلا عنها أهلها نتيجة ظروف الفتح، أو من الأراضي الموات[6].

و على ضوء هذا الاستقرار فقد توزعت القبائل العربية في دمشق والقرى المحيطة بها في الغوطة والمرج، فغلب على الغوطة قبائل من غسان وكلب وقيس وربيعة فكان بها من كلب عامر ابن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلي[7].

وكان نزول اليمانية في دمشق من أيام معاوية بن أبي سفيان(41-60هـ/661-679م)، فقد سكنها بنو كلب ونزلوا في قرية المزّة التي نُسبت إليهم فسميت مزّة كلب[8].

---

(1) ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ2، ص143، 144، وانظر الطبري: الرسل والملوك جـ5، ص531، جـ7، ص241، ابن طولون: تاريخ المزّة وآثارها ص33، 34، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل ص64.

(2) مصعب الزبيري: نسب قريش ص79، اليعقوبي: البلدان ص326، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص88، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ40، ص351، أبو الفداء: تقويم البلدان ص326، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية في بلاد الشام/ عمان 1977، ص34، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص108.

(3) مصعب الزبيري: نسب قريش ص229، 288، 359.

(4) الدوري: العرب والأرض في بلاد الشام/ المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام 1974، ص26.

(5) انظر البلاذري: أنساب الأشراف جـ5، ص132، 135، الدينوري: الأخبار الطوال/ القاهرة 1960، ص172، الدوري: العرب والأرض ص26.

(6) البلاذري: فتوح البلدان ص152، الدوري: العرب والأرض ص27.

(7) الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص272، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص64، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص105، سليمان الخرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي على بلاد الشام ص51.

(8) ياقوت: معجم البلدان جـ4، ص522، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل ص67.

ونزلت جماعة من اليمن في بانياس[1]، وجماعة أخرى بين المزّة ودمشق بمحاذاة تل الثعالب في قرية سمّوها صنعاء[2] مكان جامعة دمشق حالياً.

وكانت داريا أكبر قرى اليمانية في الغوطة في العصر الأموي، ونزل معهم فيها جماعة من عبس وخولان وجماعة من رجب[3]، كما كانت لهم قرى متعددة منها بيت أبيات، وبيت الآبار وقرى جرش وجسرين وداعية وزملكا وعقربا وعين ثرما وكفر سوسية وكوكبا[4]، واستوطنت جماعة منهم في حوران والبثنية[5].

أما قيس فكانت لهم قرى صكا[6] وبراق وبلاس وكفر بطنا والقطيفة[7]، كما نزلت جماعة منهم في حوران والبثنية[8].

واستقر في دمشق أيام الأمويين جماعة من بني سليم[9]، وبنو محارب بن فهر[10]، وفزارة[11]، والسكون[12]، وقوم يقال لهم بنو ذو الدبس[13]، ونفر قليل من جهينة وذبيان والقين ولخم[14].

---

(1) اليعقوبي: البلدان ص326، نقولا زيادة: جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام/ عمان 1974م، ص167.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ3، ص429–431، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص66.

(3) الخولاني: تاريخ داريا ص8–9، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص190.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص182–187، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص68–69.

(5) الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص271، اليعقوبي: البلدان ص326، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص63، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص34، نقولا زيادة: جغرافية الشام ص167.

(6) انظر ياقوت: معجم البلدان جـ3، ص419، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص109.

(7) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص182، 187–188، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل ص69.

(8) الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص271، اليعقوبي: البلدان ص326، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص26، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص34، نقولا زيادة: جغرافية الشام ص167، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص63.

(9) الطبري: الرسل والملوك جـ7، ص240، الأصفهاني: الأغاني جـ7، ص76، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص109.

(10) ابن الكلبي: جمهرة النسب ص120، البلاذري: أنساب الأشراف جـ5، ص139، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص178.

(11) اليعقوبي: التاريخ جـ2، ص251، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص109.

(12) البلاذري: أنساب الأشراف جـ5، ص138.

(13) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ38، ص89.

(14) الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص273.

وأقامت فيها جماعة من بني مرّة، فسكنتها أميمة بنت عبد بن بجاد بن عمير بن الحارث بن سعد، وكان لها فيها دار وأموال كثيرة، كما سكن بها عمرو بن عبيد الله الجواد بن معمر بن عثمان[1].

وفي القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي نزل السكاسك من ولد السكسك بن أشرس في بيت لهيا شرقي دمشق وبنوا فيها المنازل والقصور[2].

وأقام بنو ضبّة في جبل سني[3] وبنو الحارث بن كعب بن مذحج مع جماعات من عك وهمذان في الفلجة[4].

واستقرت في دمشق أيام الأمويين بعض القبائل الربعية؛ فكانت تغلب بدومة وحرستا من قرى غوطة دمشق[5]، ونزل قوم من حمير في قرية نُسبت إليهم على نهر قنوا عند حي الشويكة. أما منازل بني رعين فكانت قرب المزّة غربي صنعاء. وأقامت جماعة من زبيد بغوطة دمشق والمرج[6]، وكان بنو تغلب بن وائل في قريتي دومة وحمنا[7].

أما عدد سكان مدينة دمشق فليس لدينا إحصائية دقيقة عنه في الفترة الفاطمية، غير أن هناك تقديراً لعدد من سكان المدينة في نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي قدّمها علماء الآثار تتراوح بين (20-25) ألف نسمة، وتقديراً آخر لفترة طويلة تمتد ما بين عامي (800-1800م/184-1215هـ) يتراوح ما بين (25-45) ألف نسمة[8].

وترك سبط بن الجوزي (ت654هـ/1256م) إحصائية عن الفترة التي تعود لأواخر الحكم الفاطمي بدمشق حوالي سنة (467هـ/1074م) يُقدِّر فيها سكان دمشق بنصف مليون نسمة، ويقول

(1) مصعب الزبيري: نسب قريش ص229، 288، 359.

(2) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص191، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص68.

(3) اليعقوبي: البلدان ص326، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص30، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص63، الدوري: العرب والأرض ص26.

(4) الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص274، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص107، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل ص63.

(5) الطبري: الرسل والملوك جـ7، ص241، حسين عطوان: الجغرافية التاريخية ص109.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص241، كرد علي: دمشق مدينة السحر ص142، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل ص66-67.

(7) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص184، صلاح الدين المنجد: منازل القبائل حول دمشق ص70.

(8) أحمد غسان سبانو: مكتشفات مثيرة تغير تاريخ دمشق ص372-373.

بأنه كان في المدينة (240 خبازاً)[1]، ثم يذكر أن هذا العدد تراجع خلال سنوات بسبب المصائب والمحن إلى ثلاثة آلاف نسمة، ولم يبق في المدينة إلا خبازان[2].

ولعل هذه الإحصائية تشير بشكل تقريبي إلى عدد سكان المدينة خلال الفترة الفاطمية، ويمكن الاستدلال على ذلك من عدد الخبازين الموجودين في المدينة في ذات الفترة، والذي وصل إلى (240 خبازاً)، فإذا كان الخباز يكفي لما يقرب من (1500-2000 نسمة)، فإن التقدير الذي ذهب إليه سبط بن الجوزي يُعَدُّ مقبولاً.

ويمكن لمن يتعرف على عدد المساجد الموجودة في دمشق في الفترة الفاطمية أن يتعرف على كثرة عدد سكان المدينة لتلك الفترة.

وكان عدد سكان المدينة يتأثر بالأحداث التي مرّت بها المدينة خلال الفترة الفاطمية سواءً أكانت هذه الأحداث كوارث طبيعية كالزلازل أو القحط والجفاف، وما ينتج عن ذلك أو يصاحبه من أوبئة وأمراض[3] أو مصائب ومحن سببها الإنسان كالظلم والتسلط أو كثرة الحروب التي يرافقها الدماء والقتل والحرائق[4]، وهجرة الناس إلى مناطق أخرى.

ويمكن حصر العوامل المؤثرة في عدد سكان دمشق خلال العصر الفاطمي بما يلي:

1 - الكوارث الطبيعية كالزلازل التي هزّت مدينة دمشق مرّات عديدة، وكانت تترك آثاراً من التدمير والتخريب والقتل، فيموت الناس تحت الردم[5]، وقد تؤدي إلى هجرة بعض السكان من المنطقة.

---

(1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص196.

(2) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص196، كرد علي: دمشق ص22، شاكر مصطفى: دخول الترك الغز إلى الشام/ المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، ص311.

(3) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص167، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص188، 191، الدواداري: الدرة المضيئة ص197،المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص132، محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء جـ1، ص269.

(4) انظر التنوخي: نشوار المحاضرة جـ2، ص170، ثابت بن سنان: تاريخ أخبار القرامطة/ قطعة في كتاب الجامع في أخبار القرامطة جـ2، ص232، أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص209، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12-13، 19، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص35، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277، تيسير زواهرة: طرق التجارة والحج/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص20، محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي ص30.

(5) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص167، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص118، الدواداري: الدرة المضيئة ص326، القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ص321، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص132، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة جـ4، ص207.

لقد تعرضت دمشق خلال العصر الفاطمي للزلازل عدّة مرّات منها زلزال سنة (362هـ/972م) الذي نتج عنه تهدم عدد كبير من المباني[1].

وفي سنة (381هـ/991م) أصابت مدينة دمشق زلزلة عظيمة نتج عنها سقوط ألف دار وهلاك عدد كبير من الناس[2]، ثم تكرَّرت الزلازل سنة (393هـ/1002م)[3]، وسنة (420هـ/1029م)[4]، ثم في سنة (455هـ/1063م)[5]، فأدَّت هذه الأحداث بالإضافة إلى الخراب والتدمير إلى انخفاض عدد السكان لكثرة من مات فيها أو هاجر بسببها، وربما دفعت هذه الأحداث البعض إلى العمل بجدٍّ من أجل إعادة البناء لإصلاح ما دُمِّر أو لحقه الخراب.

2 – الجفاف والقحط، وما يترتب على ذلك من انتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات وارتفاع الأسعار، فكان يموت في هذه المجاعات أعداد كبيرة من الناس.

وارتفعت الأسعار في دمشق في السنوات (366هـ/976م)[6]، (373هـ/983م)[7]، (387هـ/997م)[8]، ثم تعرّضت سنة (423 هـ/1031م) إلى غلاء شديد نتيجة الجفاف وقلة الأمطار، واستسقى الناس فلم يُسْقَوا وتبع ذلك وباء عظيم[9].

وتكرَّر الغلاء والوباء سنة (441 هـ/1049م)، فتعرضت دمشق لحالة عدم استقرار أحدثت أضراراً بالغة في المزروعات[10].

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص132، محمد الطباخ: إعلام النبلاء جـ1، ص269، يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام ص21.

(2) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص167، القلقشندي: مآثر الإنافة ص321، يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام ص22.

(3) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص118، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص207.

(4) الدواداري: الدرة المضيئة ص326، شاكر مصطفى: دخول الترك ص309.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص89، الحصيني: منتخبات التواريخ جـ1، ص135-136، أحمد غسان سبانو: دمشق في دوائر المعارف ص128.

(6) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ4، ص124، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ص69، محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي ص38، تيسير زواهرة: طرق الحج والتجارة الدولية/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص20.

(7) الدواداري: الدرة المضيئة ص212.

(8) المقريزي: اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا جـ2، ص100.

(9) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ8، ص3، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195.

(10) ابن الأثير: الكامل جـ8، ص53، الدواداري: الدرة المضيئة ص359، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195.

وعاد القحط – الذي غالباً ما كان يصاحبه الغلاء والوباء – ليعمَّ سائر البلاد بما فيها دمشق وذلك سنة (448 هـ/1056م)، وعظمت شدته حتى كان يموت في كل يوم (10 آلاف إنسان)[1].

ثم تكرَّر الغلاء مرّة أخرى في مدينة دمشق سنة (459هـ/1066م)[2]، وسنة (461هـ/1068م)[3]، فَقَلَّت الأقوات وعظم الفساد، وكان لذلك أثر سلبي على دمشق التي استمرَّ فيها الغلاء والجوع إلى سنة (462هـ/1069م)[4]، ثم كانت أكبر المحن التي تعرّضت لها المدينة سنة (468هـ/1075م)، إذ جاء جراد أكل الغلاّت وآذى الناس حتى قلَّ الطعام وجاع الناس، وارتفعت الأسعار ارتفاعاً شديداً وحلَّ الوباء، فماتت أعدادٌ كبيرة جداً من الناس حتى فقدت دمشق عدداً كبيراً من سكانها[5].

3 – اضطراب الأمن وعدم الاستقرار، وذلك بسبب الحروب والفتن التي كانت تؤدي إلى القتل والدمار، وقد بدأت هذه الفتن باستيلاء جعفر بن فلاح على دمشق سنة (359هـ/969م)، حيث نهب الجنود المغاربة المدينة، وقتلوا عدداً من سكانها، كما ألقوا النار في أسواقها فانتشرت الحرائق وعَمَّ الخراب أحياء المدينة مما أثار الناس، واشتعلت الحروب بين الجنود المغاربة وأهل دمشق، وتسبَّبت هذه الفتنة بموت عدد كبير من سكان المدينة وتحول العديد من منازلها وأحيائها إلى رماد[6].

وتكرّرت هذه الأحداث بقدوم القرامطة إلى دمشق سنة (360هـ/ 970م)، فتعرضت المدينة لأخطار جسيمة، وقطع القرامطة الطريق واستولوا على خيرات المدينة وغلاتها،وعانى أهلها من ظلمهم

---

(1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص191، الدواداري: الدرة المضيئة ص369-371، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص59، شاكر مصطفى: دخول الترك الغز ص310.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص95، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195.

(3) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص35.

(4) ابن الجوزي: المنتظم جـ8، ص257.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص196، ابن ميسر: المنتقى ص42، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص192، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص317، ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص112، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص101-102، كرد علي: دمشق ص22، محمد خريسات: التوسع العمراني ص31. Rihawi: Damascus, Its History, P14

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، الدواداري: الدرة المضيئة ص118، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124، المقفى ص223، 224، محمد سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص20، 120، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام ص26، محمد خريسات: التوسع العمراني ص26، علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر ص41، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ3، ص149، عبد القادر الريحاوي: مدينة دمشق ص17، عارف تامر: المعز لدين الله ص122.

أكثر مما عانوا من ظلم الفاطميين، وقد صوّر ابن القلانسي (ت 555هـ/1160م) ما تعرّضت له دمشق عند حصار القرامطة لها بقوله: "وفي ذي القعدة وصل القرامطة إلى دمشق ونصبوا على أسوارها السلالم وتعلقوا بها وفتحوها قصداً وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وشنّعوا بأهلها وقتلوا واليها جعفر بن فلاح"[1].

وفي سنة (363هـ/973م)، لجأ الفاطميون إلى أسلوب جديد لإعادة سيادتهم على دمشق، فعيّن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ظالم بن موهوب العقيلي[2] والياً على دمشق في محاولة لضرب العلاقات التي تربط القرامطة بزعماء القبائل العربية في بلاد الشام، واستمالة بعض الأمراء لجانبهم، فعمل ظالم على أخذ دمشق بالقوة. وأشعل النار بأماكن عديدة لإجبار سكانها على الاستسلام، وبالعام نفسه تعرّضت دمشق لتعديات الجيش الفاطمي عندما عجز قائدهم أبو محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح عن منعهم، فأكثروا النهب والقتل، وأحرقوا أكثر دمشق بالنار. ثم تعرّض أهلها لمثل هذه المصائب على يد القائد جيش بن محمد بن الصمصامة الذي تولّى دمشق بعد عزل ظالم العقيلي[3].

وعلى إثر عزل منير الخادم عن ولاية دمشق سنة (381هـ/991م)، تعرّضت المدينة لهجوم نزّال والي طرابلس الفاطمي، ومنجوتكين الوالي الجديد للمدينة الذي وصل من القاهرة، والذي كان عازماً على إحراقها لأنه علم أن أهل دمشق يريدون القتال مع واليها المعزول، فحاربهم وقتل عدداً كبيراً منهم[4].

وفي سنة (415هـ/1024م)، اتفق أمراء القبائل العربية على اقتسام بلاد الشام، وتحالفوا على أن يكونوا يداً واحدة ضد الفاطميين على أن يكون لحسان بن جراح من الرملة إلى مصر ولأخيه محمود

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، وانظر التنوخي: نشوار المحاضرة جـ4، ص170، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص42.

(2) هو أحد أمراء قبيلة طيء العربية، لحق بالقرامطة بعد احتلال الفاطميين مدينة دمشق، وطلب مساعدتهم ضد الفاطميين، ثم انحاز إلى الفاطميين بعد هزيمة القرامطة سنة 363هـ/973م، فعينوه والياً على دمشق (انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص9، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص210، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص96، سلمان البدور: الإسماعيلية ص9.

(3) أبو شجاع: نيل تجارب الأمم ص229، ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص232–233، الدواداري: الدرة المضيئة ص161–162، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص53–55، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص211–213، المقفى ص367، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص96، محمد زغلول: الأدب ص74، درويش النخيلي: فتح الفاطميين للشام ص380، تيسير زواهرة: طرق التجارة ص20.

(4) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص168، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68–69، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص55، عارف تامر: الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله ص13.

طبرية وما يتصل بها من الساحل، ولسنان بن عليان دمشق وسوادها، ولصالح بن مرداس ما بقي من الشام إلى نهر الفرات[1]. فاجتمع سنان بن عليان مع صالح بن مرداس ومعهما حشود العرب فحصروا دمشق ونهبوا الغوطة وسائر السواد، وأخذوا ما فيها من الأموال والغلاّت والمواشي[2].

كما تعرّض أهل دمشق لظلم الحكّام وفرض الضرائب، ومن أمثلة ذلك ما فعله أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري الذي ولي دمشق فيما بين عامي (419-433هـ/1028-1041م)، رغم أنه وُصف بأنه من الحكام الذين أحسنوا السيرة وعدلوا بين الرعية[3].

وكانت الفترة التي مرّت بها المدينة فيما بين عامي (440-460هـ/ 1048-1067م)، فترة تدهور وحروب أهلية متصلة فيما بين الولاة وأهل المدينة، وتولّى دمشق خلال هذه الفترة عدد كبير من الولاة تعرَّضت المدينة خلالها للحريق والحصار والتدمير[4].

ثم جاءت أقسى المظالم والويلات التي حلَّت بأهل دمشق في سنة (461هـ/1068م)، زمن واليها معلّى بن حيدرة[5]، فلم ير أهلها من العسف والظلم بعد جيش بن الصمصامة مثلما لقوا في ولاية معلّى هذا من ظلم وسوء فعل، وقاسوا من اعتدائه وقسوة أصحابه وتعدّياتهم كثيراً، ونتج عن ذلك أن لجأ بعض الأهالي إلى ترك المدينة، ومفارقة أملاكهم وأوطانهم. وهذه الفتنة هي التي عرّضت دمشق لأكبر حريق عرفته حتى ذلك الوقت، وكان المسجد الجامع أحد الأماكن التي لحقها الحريق، فَدُمِّرَ وقُضِيَ على رونقه ومحاسنه[6].

ومن أسوأ أحداث العصر الفاطمي في دمشق ما تعرّضت له المدينة من حصار على يد القائد التركي أتسز بن أوق الخوارزمي الذي بدأ أعماله ضدها سنة (463هـ/1070م)، إذ ضايق المدينة،

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص155-156.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص156-157، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام ص79.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص126-127، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص32، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195، شاكر مصطفى: دخول الترك ص309.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص155 وما بعدها، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ7، ص112.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص107.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161-162، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص107، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص35، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص316، ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص93، شاكر مصطفى: دخول الترك ص309.

وواصل غارته عليها وعلى أعمالها وقطع الميرة عنها، ورعى زرعها في كل ربيع سنين عدة[1]، ولم يزل يتردد عليها إلى أن ساءت أحوالها، وخربت منازلها، وزاد ارتفاع الأسعار فيها، وجلا أكثر أهلها عنها، ونزل بالمدينة من البلاء والمحن ما ضاقوا به، واستمر ذلك حتى استسلمت له سنة(468هـ/1075م)[2].

لقد أدّت الأحداث التي تعرّضت لها دمشق خلال الفترة الفاطمية إلى إحداث أضرار كبيرة في المباني مما كان يدفع بالسكان إلى العمل بجدٍّ لإعادة بناء ما دمّرته الزلازل أو أحرقته الحروب والفتن، فشهدت الفترة الفاطمية نشاطاً عمرانياً في دمشق خاصة بعد زلزال سنة (381هـ/991م)، حيث سقط منها ألف منزل.

وأحياناً كانت هذه الأحداث تدفع بالسكان إلى ترك المدينة والهجرة إما بشكل مؤقت ريثما تهدأ الأمور، ثم يعودون، كما حدث عندما خرج السكان من دمشق سنة (381هـ/991م) نتيجة الزلازل التي استمرت شهراً، ثم عادوا إلى المدينة بعد أن هدأت[3]، أو بشكل دائم كما حدث بعد الفتنة التي تعرّضت لها المدينة في ولاية معلّى بن حيدرة سنة (461هـ/1068م)[4].

وكان الأثر الأكبر لهذه الأحداث هو ما كانت تُحدِثُه في الأرواح البشرية، فالفتن كان يموت بها أعداد كبيرة، وكانت الفتن كثيرة في الفترة الفاطمية بمدينة دمشق، أما الزلازل والأوبئة فكان يموت بها الناس بالجملة، ففي زلزال سنة (362هـ/972م) مات تحت الردم خلق كثير[5]، وفي زلزال سنة (381هـ/991م) مات عدد هائل تحت ألف منزل سقطت في المدينة.

أما القحط فكان يؤدي إلى موت الناس بسبب الجوع، فذكر سبط بن الجوزي أنه كان

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص167، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص315، المقفى الكبير، جـ2، ص221، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية ص109.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174–175، سبط الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص157، ابن ميسر: المنتقى ص42، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص316–317، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص221–222، محمد خريسات: التوسع العمراني ص31.

(3) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص273، يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام ص22.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161–162، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص107، ابن ميسر: المنتقى ص35، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص316، ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص93.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص132، يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام ص22.

يموت كل يوم عشرة آلاف إنسان بسبب القحط الذي أصاب دمشق سنة (448هـ/1056م)[1]، وتكرّرت هذه المحنة سنة (468هـ/1075م)[2]، على أن هذا الرقم قد يكون مبالغاً فيه، أو ربما حدث ذلك لمرّة أو اثنتين، إلاّ أنه على أيّة حال يشير إلى الأثر الكبير الذي كان يسببه القحط أو الجفاف على أهل دمشق.

---

(1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص191، الدواداري: الدرة المضيئة ص359، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص59.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص196، ابن ميسر: المنتقى ص42، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص192، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص317.

الأحداث التي تعرّضت لها دمشق خلال الفترة الفاطمية

الرقم	نوع الحدث	التاريخ	الآثار التي تركها
1-	فتن داخلية	359هـ/969م	نهب المنازل وإحراقها، موت أعداد كبيرة من الناس
2-	هجوم القرامطة	360هـ/970م	قتل أعداد كبيرة من السكان /قطع الطريق/ نهب الغلال والمنتوجات
3-	زلزال	362هـ/972م	تهديم عدد من المباني وموت عدد من السكان
4-	تعدّيات الجيش الفاطمي	363هـ/973م	نهب / حرائق / قتل للسكان
5-	غلاء	366هـ/976م	نقص في الطعام / الجوع
6-	غلاء	373هـ/983م	نقص في الطعام / الجوع
7-	زلزال	381هـ/ 991م	سقوط ألف دار وموت أعداد كبيرة من الناس تحتها
8-	غلاء	387هـ/ 997م	نقص في الطعام / الجوع
9-	زلزال	393هـ/ 1002م	تهديم بعض المنازل
10-	زلزال	420هـ/ 1029م	سقوط المنازل وموت أعداد كبيرة من السكان
11-	جفاف	423هـ/ 1031م	غلاء/ وباء
12-	قحط	448هـ/ 1056م	وباء مات به آلاف الناس
13-	زلزال	455هـ/ 1063م	تهديم المنازل وموت أعداد من أهل المدينة
14-	غلاء	459هـ/ 1066م	نقص في الطعام
15-	فتن داخلية	461هـ/ 1068م	تدمير/ احتراق الجامع الأموي وأحياء من المدينة وموت أعداد كبيرة من السكان
16-	غلاء	461هـ/ 1068م	نقص في الطعام / الجوع
17-	حصار التركمان	463هـ/ 1070م	كساد الزراعة/ ارتفاع الأسعار ورحيل كثير من سكان المدينة
18-	الجراد	468هـ/ 1075م	هلاك الغلال الزراعية/ انتشار الجوع والمرض/ ارتفاع الأسعار/ وموت أعداد كبيرة جداً من الناس

عمران دمشق

أ – قبيل العصر الفاطمي:

بدأت مدينة دمشق الآرامية مجموعة من المنازل المتجمعة حول الهيكل دون تخطيط منظم. وفي العصر اليوناني بُنيت مدينة منظّمة مكونة من أحياء مستطيلة تخترقها شوارع مستقيمة ومتقاطعة(1).

واستمر تنظيم المدينة في العصر الروماني، فكان مخطط المدينة على شكل مستطيل يتضمن مساحة مقسومة إلى جزر مستطيلة تفصل بينها شوارع تتجه من الشمال إلى الجنوب أو من الشرق إلى الغرب، ويتخلل المدينة شارع عريض يقوم عليه قصر الحاكم، وتتصل به مساحة عامة ومعبد كبير هو معبد جوبيتر(2).

وأُحيطت المدينة بسور مستطيل في العهد الروماني(3)، أبعاده (750×1500) متراً، وكان للسور سبعة أبواب: ثلاثة في الشمال، واثنان في الجنوب، وواحد في الشرق وآخر في الغرب(4)، كما اهتمّ الرومان بعمل قناة لإيصال مياه الشرب إلى المدينة، وبقي السور والأبواب حتى الفتح العربي الإسلامي(5).

---

(1) جان سوفاجيه: دمشق الشام ص43.

(2) انظر عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء في أحياء دمشق ص10، سوفاجيه: دمشق الشام ص43-47، سالم عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق الأثرية ص7، كارل ولتسينجر وواتسينجر: الآثار الإسلامية ص59، هورست كلينكل: آثار سورية القديمة ص90، .Elisseeff: Dimashk: El, vol 2, p 278

(3) هورست كلينكل: آثار سورية القديمة ص90، سوفاجيه: دمشق الشام ص47، عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء في أحياء دمشق ص10.

(4) انظر سوفاجيه: دمشق الشام ص47، عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء ص10، الفارس دارفيو: وصف دمشق ص25، سليم عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق ص8، صفوح خير: مدينة دمشق ص159، Elisseeff: Dimashk :El, vol 2, p 279, Akram sateh: Citadels, and Castles In Syria, p2.

(5) الواقدي: فتوح الشام جـ1، ص70، البلاذري: فتوح البلدان ص129، اليعقوبي: البلدان ص325، قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ص291، محمد خريسات: التوسع العمراني ص6.

وفي الزاوية الشمالية الغربية للسور كان يوجد قصرٌ حصينٌ أُقيم في العهد الروماني، وتحوّل في أواخر الفترة الفاطمية إلى قلعة قام ببنائها القائد التركماني آتسز سنة 469هـ/1076م[1]، فصارت مركزاً حصيناً له أثره في حماية المدينة والدفاع عنها[2].

أما المساكن فكانت تمتدُّ بشكل مستطيل من الشمال إلى الجنوب، مع انحراف قليل نحو الغرب لدخول النور إليها بصورة مناسبة، واستمرَّ هذا النظام حتى العصور الإسلامية[3].

ونظراً لندرة الحجارة وبُعْد المقالع الحجرية نسبياً عن مدينة دمشق، فإن العمارة وكثرة المنشآت اعتمدت على مادة الطين لإقامة الجدارن، فكانت الأبنية الحجرية قليلة، واقتصرت على المباني العائدة للفئات الغنية[4]، أو المباني الرسمية.

وفي العصر الإسلامي كانت الفترة الأموية هي فترة الازدهار العمراني لدمشق والعمل الجاد الذي جعل منها مدينة متميزة تليق أن تكون عاصمة لدولة الإسلام.

وزاد الاهتمام بتحصين الأسوار، وبُنيت فيها القصور والحمّامات والمساجد والأسواق التي كانت تتمركز حول المسجد الجامع (مسجد بني أمية) حتى صار مركز المدينة. وبُني القصر الذي أصبح مقرّ الدولة إلى الجنوب من الجامع الأموي، وأمام القصر أقيمت اصطبلات أُطلق عليها اسم دار الخيل، وعلى مقربة منها تجمعت منازل الأمراء، وكانت مادة البناء من اللبن المجفف والخشب وهي المادة المستخدمة في البناء المحلي[5].

ومن أبرز ما أشاد الأمويون في دمشق بناء معاوية بن أبي سفيان لقصر الخضراء إلى الجنوب من سور المسجد الجامع، وبدأ بناؤه في ولاية معاوية على الشام سنة (23-35هـ/ 643-655م) زمن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، ثم أعاد معاوية تجديد البناء في خلافته (41-60هـ/661-680م)،

---

(1) عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء في دمشق الفيحاء/ مجلة الحوليات الأثرية السورية دمشق 1977-1978م، ص12.

(2) انظر أبو البقاء: نزهة الأنام ص60، عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص397، هارتمان: دمشق جـ9، ص267، عدنان البُني: قلعة دمشق/ مجلة الحوليات الأثرية 1955 ص29-30، قتيبة الشهابي: دمشق ص245، Akram sateh: Citadels and Castles, p29.

(3) عفيف البهنسي: المدينة العربية ص11، Elisseeff : Dimashk: El, vol 2, p 278.

(4) عفيف البهنسي: المدينة الإسلامية ونموذجها دمشق القديمة ص10.

(5) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص134، جان سوفاجيه: دمشق الشام ص56-57.

وسُمِّي الخضراء لأن القبة والجدران طُليت باللون الأخضر وصار داراً للإمارة[1].

وبقي قصر الخضراء مقرّاً للأمويين حتى زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك (96- 99 هـ/ 715-718م) فاتخذ مقراً آخر بدلاً من الخضراء وشيّد قصراً بدرب محرز في موضوع سقاية جيرون، وجعل له قبة صفراء تشبيهاً لها بالقبة الخضراء[2].

وشيّد الوليد بن عبد الملك في دمشق منشآت وعمائر جميلة، فقد كان مولعاً بالعمارة والبناء، فأقام المساجد والقصور والقباب والمستشفيات[3]، واتخذ رجال البيت الأموي دوراً لهم في المنطقة المجاورة لقصر الخضراء[4].

وحدثت تغيرات على عمارة دمشق في العصر العباسي، فقد هدم العباسيون أجزاءً من السور سنة 132هـ/750م، مما أدى إلى انهياره[5]، كما تهدّمت القصور والمباني الأموية، غير أنه أُعيد بناء السور ودار الإمارة بعد أن استقرت الأمور في دمشق للعباسيين[6]، وأُعيد ترميم الخضراء التي استمرت قائمة إلى سنة 302هـ/924م، واستُخدمت سنة 313هـ/914م، سجناً ومركزاً للشرطة[7].

وأقام العباسيون مجموعة من الأبنية في دمشق، فأقام الفضل بن صالح بن علي أمير دمشق العباسي قبة الخزنة، وهي بناء صغير ذو شكل مثمن في صحن الجامع الأموي كان يجلس فيها

---

(1) انظر البلاذري: أنساب الأشراف جـ1، ص147، اليعقوبي: البلدان ص326، المقدسي: أحسن التقاسيم ص175، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص243، جـ2، ص133-134، ابن كثير: البداية والنهاية جـ9، ص149-150، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ص42، أحمد فائز الحمصي: روائع من الحضارة العربية الإسلامية في سوريا ص98، عبد القادر الريحاوي: مدينة دمشق ص55.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام جـ4، ص8، ابن كثير: البداية والنهاية جـ9، ص185، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ص42.

(3) المسعودي: مروج الذهب جـ2، ص121، ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص92، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص224، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ص36.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص243، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ص35.

(5) عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء في أحياء دمشق ص10.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ38، ص390، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص37، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ3، ص48، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكّام بدمشق/ مجلة الحوليات الأثرية السورية 1972 مجلد22، ص34.

(7) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ3، ص48، 89، محمد خريسات: التوسع العمراني في مدينة دمشق/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، ص24.

بعض الخلفاء للراحة[1]، ثم استُخدمت خزينة للمال[2].

وأقام المأمون (198-218هـ/ 813-833م) قصراً بدير مرّان خارج دمشق بسفح جبل قاسيون قرب النيرب[3].

وفي العصر الطولوني (254-292هـ/868-905م) قام خمارويه بن طولون (272-282هـ/885-895م) ببناء قصر في دير مرّان على نهر ثورا، واتُّخذ هذا القصر داراً للإمارة[4].

كانت دمشق قبيل الفترة الفاطمية مدينة مزدهرة عمرانياً؛ فللمدينة سورها وأبوابها التي تم تجديدها في العصر العباسي بعد استقرار العباسيين، ولها شوارعها وأسواقها التي تنطلق من جامع بني أمية إلى الاتجاهات المختلفة.

وانقسمت المدينة إلى مجموعة من الأحياء السكنية والمحلاّت، واشتملت هذه الأحياء على كل مايلزم سكانها من الطرق والحمّامات والمساجد، كما اشتملت على قصور لأغنياء المدينة وأمرائها.

فمن الأحياء التي كانت في المدينة باب الفراديس والفاخورة والقنوات والرصيف ومناطق السّمّاقي والفحّامين والقصّارين، ومنها زقاق المشاطين وسوق الجعفري[5]، والميدان وقينية واللؤلؤة[6] والفسقار وحجر الذهب ورحبة السّمّاكين[7].

وكان في المدينة من الحمّامات حمّام قاسم وحمّام ضحاك وحمّام العجمي[8]، ومن المساجد

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص179، صلاح الدين المنجد: خطط دمشق/ مجلة المشرق 1949م، مجلد 43، ص444، محمد خريسات: التوسع العمراني ص19.

(2) عبد القادر الريحاوي: تاريخ دمشق العمراني ص35، سليم عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق الأثرية ص22، قتيبة الشهابي: دمشق ص250.

(3) الذهبي: تاريخ الاسلام جـ4، ص182-183.

(4) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص72، وانظر الأصفهاني: الأغاني جـ6، ص176، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ3، ص6، محمد خريسات: التوسع العمراني ص22.

(5) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص232-233، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12-14، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص55، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10، 11.

(7) انظر ن.م، ص14.

(8) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص13، 14.

مسجد إبراهيم ومسجد القاضي ومسجد معاوية إضافة إلى المسجد الجامع[1] ومساجد أخرى غيرها، وفيها من القصور خضراء معاوية وقصر الخليفة هشام بن عبد الملك وقصر حجاج وقصر عاتكة[2]، وقصر السلطنة الذي بناه خمارويه بن طولون[3].

ب – في العصر الفاطمي:

تتأثر العمارة في أي بلد بالأحوال السياسية والعسكرية، فكثرة الحروب والفتن تؤدي إلى تراجع العمران، فيما يؤدي الاستقرار والأمن إلى توسع العمران وتطوره، وقد تأثرت دمشق بظروف الفتح الفاطمي لها وقيام الفتن والحروب بين أهلها وبين الفاطميين واستمرارها لعدة سنوات.

1- العمارة المدنية:

بعد أن تمّ لجوهر الصقلي فتح مصر سنة 358هـ/968م أرسل حملة إلى بلاد الشام بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي في أواخر سنة 359هـ/969م، فوصل إلى الرملة بفلسطين ومن هناك دعا ولاة الشام إلى طاعة المعز لدين الله الفاطمي، فأجابه بعضهم، أما الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيد فقد استنجد بعمّاله على دمشق وطبرية فخذلوه، ثم تعرّض لهزيمة وأُسر مع كثير من جنده[4].

ورغم محاولة أهل دمشق الدخول مع جعفر بن فلاح في الصلح، إلا أن الأمور بينهم تطورت على خلاف ذلك وقامت الحرب بين جند الفاطميين وأهل دمشق، فدخل الفاطميون المدينة بقوة السيف[5].

وأدّى ذلك إلى عدم استقرار الوضع في المدينة، وفسح المجال لقيام الحروب بين الفاطميين وأهل المدينة مرّات عديدة، فكان لذلك أبلغ الأثر على عمران المدينة الذي تعرض لأخطار الحرب من التدمير والحرق.

---

(1) ن.م، ص13-14.

(2) انظر ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص232-233، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12-14، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص55، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277.

(3) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص72، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ3، ص6، محمد خريسات: التوسع العمراني ص22.

(4) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص171، محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص18.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص173-175، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص19.

وكان أخطر الأحداث التي تعرّضت لها دمشق ما حدث سنة 363هـ/973م في ولاية ظالم ابن موهوب العقيلي[1]،وذلك بقيام الفتنة في المدينة بسبب الخلاف المذهبي بين أهل دمشق السُّنَّة وبين الفاطميين الشيعة. وزادت مشاعر العداء والكراهية التي يُكِنُّها أهل دمشق للفاطميين بسبب أعمال العنف التي قام بها الجنود الفاطميون عند دخولهم دمشق سنة 359هـ/969م[2]، باعتدائهم على البيوت وسلب أموال الناس[3].

وعندما نزل القائد الفاطمي أبو محمود إبراهيم بن جعفر دمشق في رمضان سنة 363هـ/ أيار 974م خاف أهل دمشق من اعتداء الجنود المغاربة، وما هي إلا أيام حتى بدأ المغاربة بإثارة الشغب والفساد والتعدي على الناس وقطع الطريق عليهم[4]، فثار العامة وأحداث المدينة لِرَدِّ عاديةِ المغاربة، فساءت الأحوال وكثرت التعديات حتى لم يعد الإنسان قادراً على الانتقال في الطرقات أو في شوارع المدينة، وقد صوّر ابن القلانسي (ت555هـ/1160م) الوضع الناتج عن ذلك بقوله: "كثر في البلد الفساد وقطع الطريق على الصدّار والورّاد، وامتنع السّفّار من المجيء والذهاب، وعدلوا في ذلك عن نهج الصواب"[5]، فاضطرب الوضع وانعدم الاستقرار في المدينة.

ازدادت تعديات الجنود المغاربة على أهل المدينة وتكررت مرات عديدة، فأحرقوا دمشق بالنار، وتحولت أسواقها وأحياؤها ومنازلها إلى الرماد[6]، ونهبت المغاربة قريتي قينية واللؤلؤة الكبيرة، كما ألقوا النار في ناحية باب الفراديس فاحترق جانب كبير من المدينة، وأتى الحريق على ما بين الفاخورة وحمّام قاسم وكنيسة مار يوحنّا، كما شمل الحريق مناطق القنوات ودرب الفحّامين ودرب القصّارين ودرب السّمّاقي وما حوله إلى حمّام العجمي ومسجد القاضي، ودور بني حذيفة، وزقاق المشّاطين وباب

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص32، المقريزي: المقفى ص225، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام ص24-25.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125، الدواداري: الدرة المضيئة / نقلاً عن السميساطي/ ص127.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12-13، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11 ص277، الدواداري: الدرة المضيئة ص162، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124-125، المقفى: ص367، الريحاوي: مدينة دمشق ص17، علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر ص241، عارف تامر: المعز لدين الله ص122، محمد زغلول: الأدب ص74.

الحديد، والمظلة إزاء دار الحمّامي، وقصر عاتكة وسوق الجعفري وقصر حجاج[1]، وأدى هذا الحريق إلى تخريب المنازل وقطع الماء عن البلد، ومات كثير من الفقراء على الطرقات بسبب الجوع والبرد[2].

لقد أدت هذه الأحداث إلى انتشار الخوف، فبدأ أهل القرى والأحياء الخارجية بالنزوح منها فراراً من تعدي الجنود المغاربة[3]، كما أدت إلى تراجع عمران المدينة بسبب كثرة التدمير والحرق.

إلا أن ما أحدثه المغاربة لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما عادت دمشق إلى نشاطها العمراني، فظهرت أزقة داخل أسوار المدينة يحمل بعضها أسماء الفئات التي كانت تثير الخراب والدمار مثل حارة المغاربة وزقاق العيارة في القصارين، ومحلّة الزط في الشاغور، وزقاق العبيد في سوق صاروجا[4].

كما نشأت في العصر الفاطمي ضواحي جديدة منها ضاحية العقيبة في الشمال، وسُمِّيت كذلك لوقوعها على المنحدر الذي يحدُّ نهر بردى من الشمال، وضاحية الشاغور في الجنوب، وقصر حجاج في الجنوب الغربي[5].

وبُنيت المنازل على طول الطرقات الواصلة إلى أبواب السور، وكان أكثرها ضواح زراعية، أقامها أصحابها لتكون قريبة من مزارعهم التي كانوا يعملون بها.

- أسوار المدينة وأبوابها:

قام بعض ولاة الفاطميين بإعادة بناء وتعمير ما وصل إليه الدمار أو الحريق في مدينة دمشق، ولمّا كانت الحاجة تدعو إلى إصلاح أسوار المدينة لضمان حمايتها من أية أخطار خارجية، فقد أعادوا بناء الأسوار، إلا أن التخطيط الجديد لها لم يوافق تخطيط السور القديم إلا في بعض المواقع، نتيجة ظهور أحياء سكنية جديدة خارج الأسوار في بعض المواقع فلزم إدخالها ضمن أسوار المدينة (انظر شكل رقم2).

---

(1) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص232-233، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12-14، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص55، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277، يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص126، كرد علي: خطط الشام جـ5، ص272، محمد خريسات: التوسع العمراني ص27.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص20.

(3) ن.م، ص10.

(4) أكرم العلبي: خطط دمشق ص437، محمد خريسات: التوسع العمراني ص31-32.

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص13-20، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص55، سوفاجيه: دمشق الشام ص74، صفوح خير: مدينة دمشق ص163، عفيف البهنسي: مجاهل الأسماء ص11، 16، سليم عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق الأثرية ص19، قتيبة الشهابي: دمشق ص313.

واستفاد الفاطميون من الأبواب القديمة، فأصلحوها واستعملوا خمسة منها، وتمّ تصغير الأبواب حتى يسهل تحصينها والدفاع عنها[1].

وذكر الدواداري[2] الذي ينقل عن مؤرخ معاصر للفترة الفاطمية الأولى في دمشق أنه تم تجديد السور في ولاية قسّام التراب سنة 372هـ/982م، والذي استطاع أن يسيطر على دمشق ويغلب على ولاة الفاطميين فيها، ثم انفرد بحكم المدينة، فأراد حمايتها من أي عدوان تتعرض له.

وأُعيد إصلاح بعض جوانب السور بعد أن تعرضت للتخريب والدمار في ولاية جيش بن محمد بن الصمصامة (387–390هـ/997–999م) نتيجة المعارك التي وقعت بين جند الفاطميين وأهل المدينة[3].

وأبقى الفاطميون أبواب المدينة الموجودة في السور القديم وهي سبعة أبواب باستثناء باب السلام الذي أُغلق لأساب أمنية وحدث تصغير في اتساع الأبواب الستة الباقية وهي باب الجابية وباب الصغير وباب كيسان والباب الشرقي وباب توما وباب الفراديس[4]، وذلك بهدف زيادة تحصين المدينة، وتسهيل الدفاع عنها.

– الأسواق والشوارع:

كان تخطيط الأسواق في دمشق يُمثّل مجموعة من الشوارع المتوازية تُقفَل بأبواب في مداخلها، ويختصُّ كل سوق منها بأصحاب مهنة واحدة، وكان أكثر أسواق دمشق مغطاة[5]، وكان غطاؤها من الخشب أو من المعدن، وتقوم على طرفيها الدكاكين.

وكانت أسواق المدينة تُزيَّن ببعض التماثيل التي تُقام في الشوارع، وقد أورد العماد الأصفهاني

---

(1) انظر الدواداري: الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية/ نقلاً عن السميساطي ص206، سوفاجيه: دمشق الشام ص74، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكام ص38، سليم عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق الأثرية ص55، صفوح خير: مدينة دمشق ص163.

(2) الدواداري: الدرة المضيئة ص206.

(3) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص88–89.

(4) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص62–63، المقدسي: أحسن التقاسيم ص156، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص368، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص15، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص72، ابن جبير: الرحلة ص254، عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص42، ابن طولون: قرّة العيون ص9، Eisseeff : Dimashk El,vol Il, p279.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص120، أكرم العلبي: خطط الشام ص446، سوفاجيه: دمشق الشام ص68، زريف المعايطة: الأسواق في بلاد الشام في العصر العباسي/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص3، عبد القادر الريحاوي: مدينة دمشق ص151، الفارس دارفيو: وصف دمشق ص29.

(ت594هـ/ 1197م) بيتين من الشعر لعبيد ا لله بن المظفر المرّي يصف فيهما سوق دمشق وقد زُيِّن وعُلِّق فيه سبع على ربح يقول[1]:

يا رب سوق مزين حسن جزت به والنهار منسلخ
رأيت من فوق بابه سبعاً يدخل فيه الهواء فينتفخ

وبُنيت في المدينة مراكز تجارية ومهنية كان يُطلق عليها اسم القيساريات[2]، وكانت تساهم في تنشيط الحركتين التجارية والصناعية في المدينة، وأهمها قيسارية العقيقي التي تعود للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[3]، وقيسارية الأشراف التي بناها الشريف العلوي أبو يعلىَ حمزة بن الحسن بن العباس (ت434هـ/1042م)[4].

وأُقيمت أيام الفاطميين بعض الجسور على نهر بردى وفروعه لتسهيل الانتقال بين جهات المدينة المختلفة منها جسر الحديد الذي بناه ختكين الداعي على نهر بردى أيام الحاكم بأمر ا لله الفاطمي[5].

وجسر ثورا الذي بُني على نهر ثورا في عهد الخليفة المنتصر با لله سنة 456هـ/1063م، حيث وُجد مكتوباً عليه بالخط الكوفي ما نصه: (أمر بعمارة الجسر المبارك مولانا الإمام المستنصر با لله أمير المؤمنين صلوات ا لله عليه تاج الأمراء... جيوش... شرف الملك عمدة الإمام سيف الإسلام معز الدولة وعضدها أطال ا لله بقاءه في ربيع الأول سنة 456هـ)[6].

- الأحياء السكنية:

انتشرت الأحياء والأزقة في دمشق، ومنها كانت تتشكل التجمعات السكانية، وتنتشر على جانبي الأسواق الرئيسية للمدينة.

وكانت كل حارة أو حيٍّ من أحياء المدينة يشتمل على مسجد وحَمَّام ونظام لتوزيع المياه، وله أبواب تُغلق في الليل كنوع من الإجراء الاحترازي وزيادة في الأمان.

---

(1) العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر جـ4، ص380.

(2) القيسارية: سوق مغلقة لتبادل السلع الثمينة كالمصوغات والسجاد والمطرزات والمنسوجات الفاخرة (انظر أكرم العلبي: خطط دمشق ص470).

(3) أكرم العلبي: خطط الشام ص472.

(4) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ1، ص251، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص35.

(5) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص135، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص242، كرد علي: خطط الشام جـ5، ص267.

(6) كرد علي: خطط الشام جـ5، ص268.

ومن أحياء دمشق التي تعود للعصر الفاطمي، قصر عاتكة، وهو حيٌّ خارج باب الجابية منسوب إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان[1]، ودرب الخزاعية، وهو درب قديم عُرف منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[2]، وزقاق عطاف داخل باب الجابية[3]، والشماسية وهي المكان الذي نزل فيه أبو محمود مقدّم العسكر الفاطمي سنة 363هـ/ 973م قريباً من مسجد القدم[4]، وقصر الثقفيين، وهو محلّة من محال دمشق قريباً من موقع القلعة[5]، وسوق الفسقار بناحية باب الحديد[6]، ووردت إشارات عن سوق كان له شهرة واسعة هو دار البطيخ[7].

ومن الأحياء التي كانت موجودة في العصر الفاطمي أيضاً حي القصّارين بناحية الميدان[8]، وحي القنوات[9] إلى الغرب من دمشق، والفراديس[10] وهي محلّة من محال دمشق كان لها باب خاص نُسب إليها في منطقة العمارة حالياً[11]، وحجر الذهب[12]، وهو محلّة شرقي القلعة مكان المدرسة العصرونية[13]، وناحية البطاطين[14]، وهي مجهولة الموقع، وزقاق الرمان[15] قرب العقيبة.

وقد تأثرت أحياء المدينة بالحوادث التي تعرّضت لها دمشق منذ قدوم الفاطميين، وبالحروب التي مرّت بها المدينة، وكان الجيش الفاطمي أحد العناصر الرئيسية فيها، ودُمِّرت فيها أحياء واحترقت أحياء

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص14، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277، محمد خريسات: التوسع العمراني ص27، كرد علي: غوطة دمشق ص253، يوسف نعيسة: مجتمع مدينة دمشق ص74.

(2) النعيمي: دور القرآن ص42.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص117، ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص61.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص9.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص19، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص76، الريحاوي: قصور الحكّام ص42-43.

(6) ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص60.

(7) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص288، القفطي: المحمدون من الشعراء ص54، عبد الوهاب الصابوني: شعراء ودواوين ص209، أبو البقاء: نزهة الأنام ص62.

(8) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10، 13.

(9) ن.م، ص11.

(10) ن.م، ص12.

(11) انظر عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص42.

(12) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص14.

(13) انظر ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص123 الهامش.

(14) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص16.

(15) ن.م، ص41.

بكاملها منها الفراديس والسّماقي وزقاق المشّاطين والقنوات ولؤلؤة الكبيرة والصغيرة[1].

– الدور:

وصف المقدسي (ت375هـ/985م) منازل دمشق فقال: "منازلها ضيقة وأزقتها غامّة"[2].

وتلتصق المساكن بعضها ببعض أو تفصلها الأزقة والدروب الضيقة، وكانت بعض المساكن تُبنى من الحجر، وبعضها من الطين والخشب، وكانت تبنى من طبقات تصل أحياناً إلى ثلاث[3].

لقد وردت إشارات تدل على وجود البيوت في العصر الفاطمي منها دار عمرو بن مالك، ودار ابن طغج بن جف بالقرب من باب الحديد، وقد تعرّضتا للحريق خلال الفتن التي مرّت بها دمشق في مطلع الفترة الفاطمية[4].

ومن الدور القريبة من باب الحديد دار الحمّامي، وكانت هناك دار تعود ملكيتها لابن مقاتل[5]، لكن موقعها غير معروف.

وكانت لمحمد بن عصودا[6] دار بدمشق كانت مبنية قبيل العصر الفاطمي[7]، وللقاضي أبي القاسم أحمد بن علي الحسيني دار دُفن فيها، ثم نُقل إلى باب الصغير[8]، ولسعد الله بن صاعد المرجي داران إحداهما بقصر الثقفيين وأخرى خلف حمّام العقيقي[9].

ونزل جيش بن محمد بن الصمصامة عندما قدم والياً على دمشق سنة 363هـ/973م في

---

(1) ن.م، ص13.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص157، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص119–120، عبد القادر الريحاوي: تاريخ دمشق العمراني ص35-36.

(3) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص157، عبد القادر الريحاوي: تاريخ دمشق العمراني ص37، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص149، المدينة العربية ص20، كارل ولتسينجر وواتسينجر: الآثار الإسلامية ص60–61، صفوح خير: مدينة دمشق ص158.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص13.

(5) ن.م، ص14.

(6) هو أحد زعماء الأحداث الذين تصدوا لجعفر بن فلاح الكتامي عند قدومه إلى دمشق سنة 359هـ/969م انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص2 الهامش، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص53–54.

(7) انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص53–54، قطعة من كتاب المقفى الكبير ص227.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص57.

(9) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ6، ص82.

وكانت دار رشا بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقي[1] (ت444هـ/1052م) إلى جانب السميساطية على الباب الشمالي للجامع الأموي، وهي الدار التي أوقفها على القرّاء، وتحولت إلى مدرسة لعلوم القرآن الكريم وحملت اسم الدار الرشائية[2].

أما دار أبي القاسم علي بن محمد السميساطي (ت453هـ/1061م)، فقد كانت بباب الناطفيين، ووقفها على فقراء الصوفية، ووقف علوها على الجامع الأموي[3].

كذلك تأثرت الدور بحوادث دمشق وتعرّض بعضها للدمار والحريق ومن ذلك الدور التي احترقت في ولاية ظالم بن موهوب العقيلي (363هـ/973م) في الفتنة التي حدثت بين الجيش الفاطمي وبين أهل دمشق، فاحترقت دار عمرو بن مالك ودار ابن طغج بن جف وما حولها من الدور، كما احترقت بعض الدور القريبة من مسجد الخضر أحد مساجد دمشق[4].

- **القصور:**

بدأ بناء الفاطميين للقصور منذ دخولهم دمشق سنة (359هـ/969م)، فجعفر بن فلاح الكتامي أول أمير فاطمي لدمشق نزل على الدكّة[5] فوق نهر يزيد خارج المدينة، وبنى قصراً بالحجارة، وبنى أصحابه من حوله المساكن والأسواق، فشكّلوا أحياء خارج أسوار المدينة[6].

واهتمّ جعفر ببناء قصره اهتماماً كبيراً، فقال المقريزي في وصفه بأنه كان قصراً شاهقاً محكم البناء[7].

---

(1) هو أحد القرّاء والمحدّثين المشاهير بدمشق في القرن 5هـ/11م (انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ6، ص255-256، الذهبي: العبر جـ2، ص285، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس جـ1، ص11، دور القرآن في دمشق ص11-12، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص194، بسام عبد الوهاب الجابي: معجم الأعلام ص269، الزركلي: الأعلام جـ3، ص21).

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص477، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص39، ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القرّاء جـ1، ص284.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص535.

(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص13-14، 17-18.

(5) موضع خارج دمشق على نهر يزيد في مكان يعرف اليوم باسم الدواسة (انظر كرد علي: غوطة دمشق ص232).

(6) الدواداري: الدرة المضيئة ص129، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1 ص125، المقفى ص225، الريحاوي: قصور الحكام ص40.

(7) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125-126، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكام 40.

الدار المعروفة بالروذباري في قصر الثقفيين[1]، وذكر المهلبي (ت380هـ/990م) داراً بدمشق كانت تُعرف بدار قرمان[2].

ومن دور دمشق المشهورة التي بُنيت في العصر الفاطمين دار العقيقي، وهي منسوبة إلى الشريف أبي القاسم أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي العقيقي (ت378هـ/988م)، فقد كانت له دار وحمّام بنواحي باب البريد[3].

كان ينزل في دار العقيقي بدمشق الأشراف العلويون، فنزلها الشريف أبو طاهر حيدر بن إبراهيم بن أبي الجن الذي قتله بدر الجمالي بدمشق سنة (462هـ/1069م)[4]، كما نزلها آخر قاضٍ لدمشق الشريف جلال الدولة أبو الحسن أحمد بن علي بن محمد النصيبي (ت468هـ/1075م)[5].

وكانت للؤلؤ بن عبد الله البشاري أمير دمشق أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي (386-411هـ/996-1020م) دار بالقرب من دار العقيقي[6]، وكانت هناك بيوت في المنارة الشرقية سكن إحداها الإمام أبو الحسن علي بن داوود الداراني إمام جامع دمشق الذي استقدمه الدماشقة من داريّا[7] سنة (388هـ/998م)[8].

ونزل أنوشتكين الدزبري سنة (406هـ/1015م) عند قدومه إلى دمشق في دار حيوس والد الشاعر المشهور محمد بن سلطان بن حيّوس وكانت موجودة في زقاق عطّاف[9].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص19.

(2) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص65.

(3) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص104، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص619، العبر في خبر من غبر جـ2، ص204، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص293، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس جـ1، ص349، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكّام في دمشق ص42، محمد أحمد دهمان: في رحاب دمشق ص112.

(4) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص296، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص80، محمد أحمد دهمان: في رحاب دمشق ص112.

(5) المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص541، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص102، النعيمي: الدارس جـ2، ص151، الزركلي: الأعلام جـ3، ص21.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص645.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص83، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص127، الذهبي: العبر جـ2، ص202، النعيمي: دور القرآن ص56، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص13.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص83.

(9) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص117، وزقاق عطاف هو الآن حي الخيضرية.

ووُجد في مدينة دمشق في العصر الفاطمي عدّة قصور، أقام بعضها ولاة الفاطميين لسكانهم، وبعضها كان موجوداً قبل قدوم الفاطميين إليها، ومن هذه القصور:

1 – **قصر الخضراء**: وكان قد تعرّض للخراب في العصر العباسي، فأُعيد بناؤه واستُخدم سجناً ومركزاً للشرطة[1]، وصار داراً للضرب في العصر الفاطمي[2].

2 – **قصر حجاج**: ويُنسب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان، وبقي عامراً حتى الفترة الفاطمية، فبُنيت حوله المساكن، وأصبح حياً كبيراً من أحياء المدينة إلى الجنوب الشرقي من باب الجابية، ولحق بعض جهاته الحريق في أحداث سنة (363هـ/973م)[3].

3 – **قصر السلطنة أو قصر الولاة**: وبُني خارج أسوار المدينة ليكون داراً للإمارة بعد أن هُدم قصر الخضراء، وربما كان هو القصر الذي بناه خمارويه الطولوني، وبقي قائماً حتى تعرّض للحريق والدمار سنة (460هـ/1067م)[4].

وقيل إن هذا القصر كان يتسع لألوف من الناس، فكان أشبه ما يكون بحصن ينزل فيه الوالي والحامية العسكرية[5].

4 – **قصر الدكّة**: وأقامه الفاطميون خارج دمشق على نهر يزيد، وهو القصر الذي بناه جعفر بن فلاح عند استيلائه على دمشق سنة (360هـ/970م)[6]، وقد اتخذه بعض ولاة

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص175، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص203، جـ2، ص133–134، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ3، ص89، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكام ص36.

(2) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك /مجلة معهد المخطوطات العربية 1958م ص36، المقدسي: أحسن التقاسيم ص175، الريحاوي: قصور الحكام ص35، صلاح الدين المنجد: دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ص85.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص14، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ4، ص44، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص75، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277، محمد خريسات: التوسع العمراني ص27، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكام ص36، كرد علي: غوطة دمشق ص253.

(4) انظر سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص119–120، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص818، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكام ص41، تاريخ دمشق ص35–36.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص157، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص119–120، عبد القادر الريحاوي: تاريخ دمشق العمراني ص35–36.

(6) الدواداري: الدرة المضيئة ص129، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125، المقفى الكبير جـ3، ص55، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكام ص40.

الفاطميين مقراً لهم، فكانوا ينزلون فيه عند قدومهم إلى المدينة[1].

5 – **القصر الذي أقامه ظالم بن موهوب العقيلي:** ويبدو أنه كان داخل سور المدينة، فيذكر ابن القلانسي في أحداث سنة (363هـ/973م): "خرج ظالم من دار الإمارة حتى وفد عند الجسر المعقود على بردى وأمر بغلق باب الحديد"[2].

6 – **القصر البكجوري نسبة إلى بكجور**[3] أحد ولاة الفاطميين على دمشق: والقصر موجود خارج دمشق في مزرعة كانت تُعرف باسم بستان بكجور، وقد بُني هذا القصر في ولاية بكجور على دمشق[4] (373–378هـ/983–978م).

– **الحمّامات:**

انتشرت الحمّامات في دمشق منذ العصور السابقة للإسلام، ثم زاد الاهتمام بها في العصر الأموي والعصور التالية.

وقد تفنّن أهل دمشق بإقامة الحمّامات، فكانت تُزيّن وتُفرش أرضها بالرخام[5].

وقد وصفها المؤرخون في فترات مختلفة وأشاروا إلى حمّاماتها، يقول المقدسي في وصف حمّامات دمشق: "لا ترى أحسن من حمّاماتها ولا أعجب من فوّاراتها"[6]،

كما وصفها الصيادي بقوله: "إن الحمّامات الدمشقية من أبدع حمّامات الدنيا لما بها من البناء والزخرفة والفرش والخدمة لا سيما تزيينها بنوافر الماء داخلاً وخارجاً، وبالبرك المبنية من المرمر على أجمل طرز"[7].

وذكر ابن عساكر سبعة وخمسين حمّاماً في القرن السادس الهجري[8]، ويزداد هذا العدد

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص644–645.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12.

(3) انظر ن.م، ص48.

(4) ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ10، ص23–24، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص286.

(5) منير كيال: الحمّامات الدمشقية وتقاليدها ص5–7، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص193، المدينة العربية ص22.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص156.

(7) الصيادي: الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية ص27.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص164.

حتى يصل إلى ما يقارب المائة حمّام في القرن السابع الهجري[1].

وكان الحمّام يتألف من ثلاث قاعات إحداها باردة والثانية دافئة والثالثة ساخنة، واستُخدمت خزانات كبيرة لتزويد الحمّامات بالمياه عن طريق أقنية من الرصاص[2].

ومن حمّامات دمشق التي عُرفت في العصر الفاطمي: حمّام العقيقي يوجد بنواحي باب البريد وأقامه الشريف العقيق في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[3]، وأقام سعد الله بن صاعد المرجي حمّام القصر في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[4].

ومن حمّامات دمشق أيضاً حمّام اللؤلؤة، وكان قديماً يُعرف بحمّام اليزيديين[5]، وحمّام درب الهاشميين الذي جدّده حسن الخادم[6] أحد الشخصيات التي أقامت بدمشق في الفترة الفاطمية، وحمّام الجمجمي في درب الجمجمي بقرب المقسلاط[7]، وقد خرب هذا الحمّام وصار داراً لابن قوّام[8].

ومن الحمّامات الأخرى التي كانت موجودة أيام الفاطميين حمّام التميمي في دار البطيخ، وحمّام ابن العفيف بوادي النيرب[9]، وحمّام العجمي في منطقة العقيبة وحمّام قاسم[10]، وحمّام ابن منجا، كما وُجدت حمّامات أخرى في المزّة والصالحية وبيت لهيا[11].

---

(1) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ص240.

(2) انظر منير كيال: الحمّامات الدمشقية ص150.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص162، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص104، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص297، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص619، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص293.

(4) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ6، ص82.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص163، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص294.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص162، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص294.

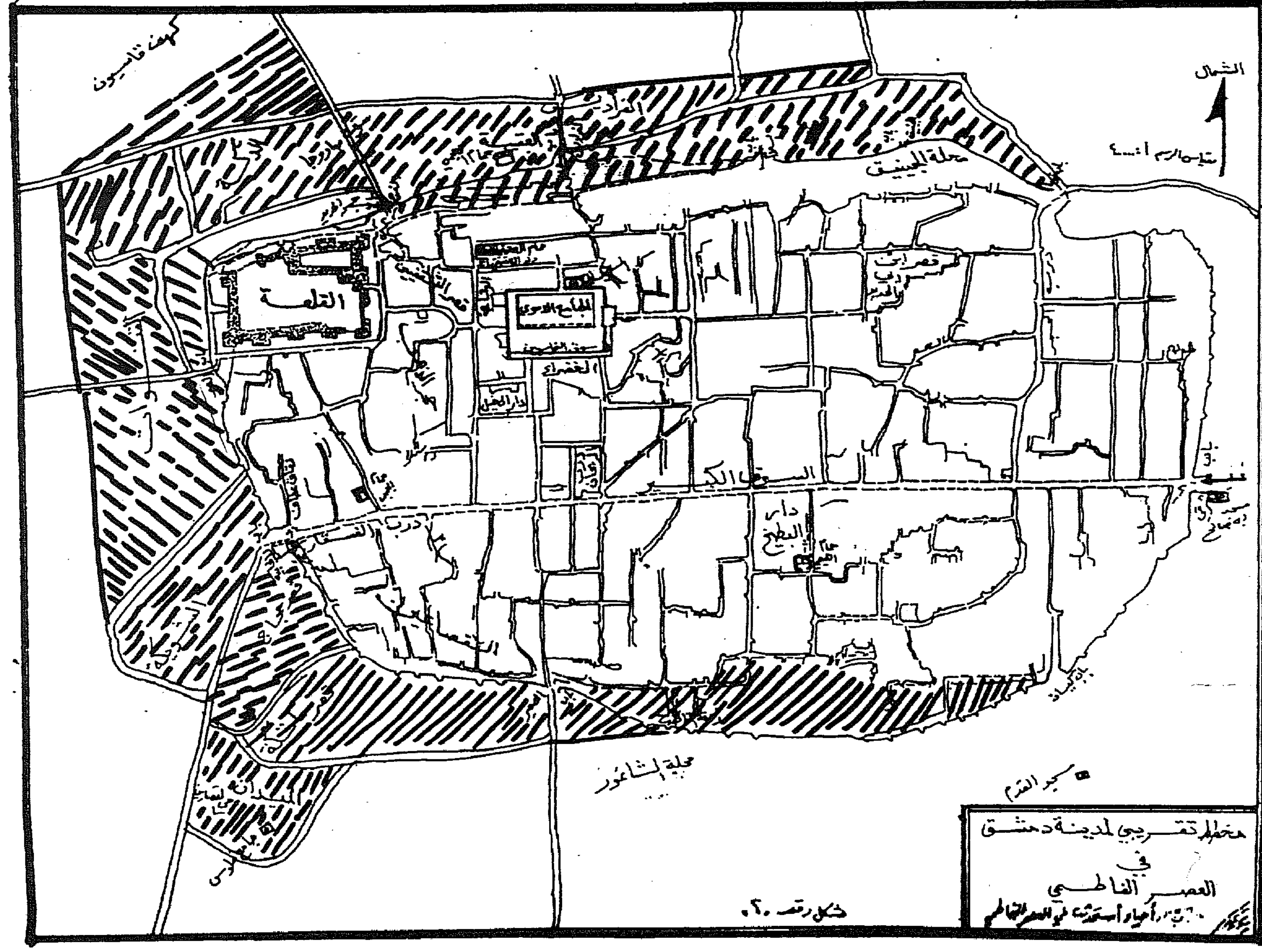
(7) المقسلاط: موضع النحاسين بدمشق (انظر البلاذري: فتوح البلدان ص128).

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص162، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص299.

(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص163، 164.

(10) ابن القلانسي: تاريخ دمشق جـ2، ص13، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص300.

(11) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص301-302.



مخطط تقريبي لمدينة دمشق
في
العصر الفاطمي
الشمال
القلعة
الجامع الأموي
الخضراء
دار الخيل
دار البطيخ
محلة الشاغور
شكل رقم ٢٠

2- العمارة الدينية:

تُعَدُّ المساجد أهم المباني الموجودة في دمشق، وأعظم مساجدها هو الجامع الأموي الذي شيّده الوليد بن عبد الملك سنة (87هـ/706م)(1)، وهو من أحسن المساجد المعروفة في الإسلام، وقد جمع الوليد لبنائه أمهر الصنّاع والمهندسين في العالم من فارس والهند وبلاد الروم والمغرب، وأنفق على عمارته خراج الشام سبع سنين(2).

وقد بُني المسجد على أنقاض معبد وثني قديم، كان قد تحوّل إلى كنيسة أقيم المسجد مكانها، وعوّض المسلمون النصارى بدلاً منها(3)، وبُني المسجد بشكل مستطيل طوله 300 ذراع وعرضه 200 ذراع (156×97) متراً(4)، وكان له أربعة أبواب هي باب البريد في الجهة الغربية وباب الناطفيين (الفراديس) في الجهة الشمالية، وباب جيرون في الشرق، أما الباب القبلي فيُعرف بباب الساعات (الزيادة)(5) لأن عمل الساعات كان بجانبه(6)، وكان على كل باب من أبواب

---

(1) المسعودي: مروج الذهب جـ3، ص157، قدامة بن جعفر: الخراج ص294، المقدسي: البدء والتاريخ جـ4، ص90، أحسن التقاسيم ص158، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص26، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص367، ابن جبير: الجامع الأموي ص13، ابن فضل الله العمري: مسجد دمشق ص47-53، ابن الوردي: خريدة العجائب ص392، النعيمي: جامع بني أمية ص94، الدارس جـ2، ص379، عبد الباسط العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص218-219، أكرم العلبي: خطط دمشق ص287، كمال الدين سامح: في العمارة الإسلامية ص9، جعفر الحسني: معبد دمشق ص546، عفيف البهنسي: الجامع الأموي ص20.
Creswell: Early Muslim, Architecture, vol 1, p153.

(2) ابن الفقيه: البلدان ص107، ابن حوقل: صورة الأرض ص161، المقدسي: أحسن التقاسيم ص158، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص35، ابن جبير: الجامع الأموي ص13-14، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص65، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ص188، مسجد دمشق ص56-57، ابن الوردي: خريدة العجائب ص392، النعيمي: جامع بني أمية ص94، الدارس جـ2، ص379، عبد الله قاسم الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي ص144-145، Creswell: Early, Muslim Architecture, vol 1, p151-152.

(3) ابن الفقيه: البلدان ص106، ابن حوقل: صورة الأرض ص161، قدامة بن جعفر: الخراج ص294-295، ابن جبير: الجامع الأموي ص14، ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص465، ابن فضل الله العمري: مسالك ص178، ابن بطوطة: الرحلة ص88، النعيمي: جامع بني أمية ص99-100، جعفر الحسني: معبد دمشق ص359-360.

(4) ابن جبير: الجامع الأموي ص15، ابن بطوطة: الرحلة ص88، أحمد فائز الحمصي: العمارة العربية ص19، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص147.

(5) سُمِّيَ باب الساعات لأنه عُمِل هناك بركار الساعات لتحديد الوقت حيث عليها عصافير وحيّة وغراب من نحاس فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست الذي أسفلها (انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص47، ابن منظور: مختصر جـ1، ص272).

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص47-48، تهذيب جـ1، ص262-263، ابن جبير: الجامع الأموي ص22-23.

المسجد الأربعة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ميضأة وفوّارات ماء[1].

وزُين المسجد الأموي بالفسيفساء والرخام والكتابات العربية حتى أصبح مثالاً للروعة والجمال[2]. وقد حافظ المسجد على بنائه وروعة زخارفه حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري حيث تعرّض للحريق سنة (461هـ/1068م)، فقد وقع القتال بين المشارقة والمغاربة في ولاية بدر الجمالي، فضربوا داراً كانت مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت النار بالجامع فقضت على معالمه الرئيسية ولم يسلم من الحريق إلا جوانب قليلة من الرواق الخارجي[3]، وأُعيد تعميره في ولاية معلى بن حيدرة الكتامي[4] (461-468هـ/1068-1075م) بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها المدينة بسبب الحصار الذي ضربه التركمان عليها.

وقد أُضيف لبناء الجامع خلال العصر الفاطمي بعض التجديدات منها بناء قبة الرخام التي فيها فوّارة الماء، وكان ذلك سنة (369هـ/979م) حسب تأريخ ابن عساكر[5]، أما ابن شداد فيذكر أن بناءها كان سنة (396هـ/1005م)[6]، وهي قبة صغيرة أُقيمت في وسط صحن الجامع على أربعة أعمدة[7]، أُطلق عليها اسم قبة النوفرة[8].

وقد بُنيت مئذنة العروس التي تتوسط الرواق الشمالي في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، لكنها تهدمت وأُعيد بناؤها في العصر الفاطمي سنة (375هـ/985م)[9].

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص159.

(2) انظر البلخي: صورة الأرض ص54، ابن حوقل: صورة الأرض ص161، المقدسي: أحسن التقاسيم ص159، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص368، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص35-36، أبو الفداء: تقويم البلدان ص230.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص48، تهذيب جـ5، ص24، ابن الجوزي: المنتظم جـ8، ص241، ابن العبري: مختصر الدول ص185، الفارقي: التاريخ ص192.

(4) ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ص125.

(5) انظر تهذيب تاريخ دمشق جـ4، ص445، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ1، ص265، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ص199، مسجد دمشق ص72.

(6) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص75، النعيمي: جامع بني أمية ص120، العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص221، عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص361، عفيف البهنسي: الجامع الأموي ص105.

(7) يذكر المقريزي أنه في سنة (450هـ/1058م) بُنيت القبة التي بصحن جامع دمشق، شرقي الجامع على باب مشهد علي، وكُتب عليها اسم المستنصر (انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص255).

(8) ابن جبير: الجامع الأموي ص16، الرحلة ص240، أكرم العلبي: خطط دمشق ص291، عفيف البهنسي: دمشق ص250.

(9) ابن بطوطة: الرحلة ص90، عفيف البهنسي: الجامع الأموي ص53، 115، أحمد الحمصي: العمارة العربية ص21، سليم عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق ص23. Creswell: Erarly Muslim Architecture, vol1, p120.

وأنشأ الشريف القاضي فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني الفوّارة المنحدرة في وسط جيرون سنة (416هـ/1025م)، وعمل لها قناطر وعقد عليها قبة مزخرفة، وأجرى ماءها من ظاهر قصر حجاج[1]، ثم تعرّضت هذه الفوّارة للسقوط سنة (457هـ/1064م)، وذلك من جِمَالٍ تحاكّت بها، فأُعيد إنشاؤها مرّة أخرى[2]، ويبدو أن القبة كانت محاذية لأحد الشوارع، ولم تكن مرتفعة حتى تسبَّب مرور الجِمَال بإسقاطها.

أما القبة الشرقية وتُسمّى قبة الساعات فأُنشئت عام (400هـ/1009م) زمن الخليفة الحاكم بأمر الله، وأُقيمت على ثمانية أعمدة على هيئة القبة الكبرى[3]، وفي رمضان سنة (411هـ/1020م) أُقيم في صحن المسجد عمودان من الشرق والغرب بأمر قاضي المدينة واستُخدما لإنارة المسجد[4].

ووُجد عدد كبير من المساجد في دمشق خلال العصر الفاطمي منها ما تمَّ بناؤه أيام الفاطميين ومنها ما كان قائماً من قبل حتى لم يكن يخلو حيّ أو شارع من شوارع المدينة من وجود مسجد[5]، فكان في سوق النحاسين مسجد يحمل اسم هذا السوق[6]، وكان في دار البطيخ عدّة مساجد منها مسجد الأكافين[7]، ومسجد الإجابة[8]، ومسجد عوينة[9] ومسجد يعرف بالمسجد المعلق[10].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص32، جـ4، ص445، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص75، ابن منظور: مختصر جـ1، ص265، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص35، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ص199–200، مسجد دمشق ص72، النعيمي: جامع بني أمية ص120–121، العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص221، ابن طولون: قضاة دمشق ص40، عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص361، المنجد: خطط ص44–45.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص32، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص75، ابن منظور: مختصر جـ1، ص265، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ص200، مسجد دمشق ص72، النعيمي: الدارس جـ2، ص121.

(3) ابن جبير: الرحلة ص240، البهنسي: الجامع الأموي ص105.

(4) الطنطاوي: الجامع الأموي ص57.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص50–94، جـ14، ص674–680، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص92–125، ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص60–132، النعيمي: الدارس جـ2، ص301–367، محمد بن عيسى كنان: المروج السندسية الفسيحة: تلخيص تاريخ الصالحية ص12–15، أسعد أطلس: ذيل كتاب ثمار المقاصد ص192–245.

(6) ابن عساكر: تهذيب جـ2، ص466، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ4، ص325.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص55.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص62، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص103.

(9) ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص132.

(10) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص62، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص102، النعيمي: الدارس جـ2، ص314.

وعلى باب الجابية أُقيم مسجد عُرف بمسجد عطية، ويُنسب إلى عبد ا لله بن عطية بن حبيب المقرئ المفسِّر (ت383هـ/993م) وكان في رأس درب الأسديين[1]، ومسجد سوق الأحد ويُعرف بمسجد العباسي قبلة المطرزين[2] كان موجوداً في العصر الفاطمي ومسجد أبي صالح خارج الباب الشرقي[3]، ومن أبنية العصر الفاطمي أيضاً مسجد فلوس في حي الميدان جنوب دمشق، وفيه محراب يمتاز بزخارف وكتابات مشجرة معمولة بالجص وفق الأسلوب الفني للعصر الفاطمي[4].

أما مسجد القدم فكان خارج دمشق قرب عالية وعويلية، وهو مسجد فاطمي جدَّدَ بناءه أبو البركات بن طاهر القرشي سنة (517هـ/1123م) وله محراب من جص ومنبر من خشب، وبين المحراب والمنبر شباك، وللمسجد منارة مربعة من طين[5]، ومسجد ابن أبي الحديد المعلّق وهو مسجد قديم كان موجوداً في العصر الفاطمي[6]، ومسجد أهل الكهف ويُنسب بناؤه إلى الشاعر أبو الفرج محمد ابن عبد ا لله بن أحمد الدمشقي المعروف بابن المعلم المتوفى سنة (411هـ/1020م)[7].

ومن المساجد بدمشق أيضاً مسجد سوق اللؤلؤ[8]، ومسجد الخشابين[9]، ومسجد رحبة البصل[10]، ومسجد الربوة المباركة وهو بناء فاطمي[11]، ومسجد نعيم[12]، ومسجد المربعة[13]،

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص77، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص109، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص125، الداوودي: طبقات المفسِّرين جـ1، ص246.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص70، جـ40، ص51، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص116، الذهبي: العبر جـ2، ص266، ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص83-84.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص81، جـ14، ص674، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص38، محمد عيسى كنان: المروج السندسية ص15.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص93، الريحاوي: تاريخ دمشق ص35، مدينة دمشق ص113.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص157، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص94، جـ7، ص19، ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص129، أسعد أطلس: ذيل ثمار المقاصد ص244-245.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ11، ص879، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص112، ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص80، النعيمي: الدارس جـ2، ص324.

(7) ابن فضل ا لله العمري: مسالك الأبصار ص209، محمد عيسى كنان: المروج السندسية ص20، كارل ولتسينجر وواتسينجر: الآثار الإسلامية ص294.

(8) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص101، ابن منظور: مختصر جـ6، ص328، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص357.

(9) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد جـ17، ص331، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص103.

(10) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص71، جـ7، ص77، تهذيب جـ1، ص417، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص116، النعيمي: الدارس جـ2، ص329.

(11) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص150، النعيمي: الدارس جـ2، ص355، محمد كنان: المروج السندسية ص21.

(12) ابن عساكر: تاريخ دمشق (تراجم عبادة بن أوفى- عبد ا لله بن ثوب) ص360.

(13) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص68، جـ39، ص175.

ومسجد بحضرة حمّام العقيقي[1]، ومسجد الزيتونة[2]، ومسجد درب الريحان[3].

ومنذ العصور الإسلامية الأولى ارتبطت بالمساجد مبان ذات صفة تعليمية هي دور القرآن الكريم، والزوايا التي كانت عبارة عن مدارس للعلوم الدينية وعلوم القرآن الكريم، ومنها الدار الرشائية شمال الخانقاه السميساطية على درب الخزاعية بباب الناطفيين، وقد أنشأها رشا بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقي سنة (400هـ/1009م)[4]. وسيتم الحديث عنها بصورة أوسع في الفصل الخامس.

وبُنيت الخانقاوات بدمشق؛ وهي دور للصوفية يجتمعون بها للعبادة أو تلقي العلوم الدينية، وأقدم خانقاة في دمشق هي خانقاة دويرة حمد، وتوجد بدرب السلسلة في باب البريد، وتُنسب إلى حمد بن عبد الله الدمشقي المقرئ، الذي وُجد مقتولاً فيها سنة (401هـ/1010م) مع زوجته وصبي من أقاربه[5].

أما أهم خانقاوات دمشق فهي السميساطية على الباب الشمالي للجامع الأموي على يمين الخارج من باب الناطفيين، وكانت تُسمَّى دويرة الفقراء، وهي منسوبة إلى أبي القاسم علي بن محمد السميساطي (ت453هـ/1061م)، وكانت هذه داراً لعبد العزيز بن مروان، ثم صارت لابنه عمر، ثم وقفها أبو القاسم السميساطي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[6].

وفي جبل قاسيون بناء من العصر الفاطمي ذو صبغة دينية يقال له كهف قاسيون أو كهف جبريل بناه محمد بن عبد الله بن أحمد بن المعلم (ت411هـ/1020م).

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص75، ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص91.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص84، جـ14، ص680، ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص113، النعيمي: الدارس جـ2، ص347.

(3) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد جـ15، ص336، ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة جـ1، ص96.

(4) النعيمي: الدارس جـ1، ص11، دور القرآن في دمشق ص11، العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص7، أكرم العلبي: خطط دمشق ص66، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص30، عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص16، رناد الخطيب: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي ص34.

(5) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص193، ابن منظور: مختصر جـ7، ص252، العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص144، العلبي: خطط دمشق ص397، عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص275.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص292، ابن جبير: الجامع الأموي ص28-29، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص191، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ18، ص71، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص70، البصروري: صفحات مجهولة من تاريخ دمشق ص199، النعيمي: دور القرآن ص42، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص226، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين ص27، علي الطنطاوي: الجامع الأموي ص33.

وكانت الربوة من أجمل متنزهات الدنيا، وقد عُمِّرت فيها القصور والمباني من أيام المستنصر با لله الفاطمي، فقد ورد ذكر نص تذكاري يتألف من عشرة أسطر ومنقوش بالخط الكوفي على صخرة في المكان المعروف بالنشار، ومؤرخ بعام (444هـ/1052م) ذُكر فيه اسم الخليفة الفاطمي المستنصر با لله وأعمالاً إنشائيةً تمّتْ في مسجد الربوة وما أوقف عليه من العقارات[1]. وفي الربوة وادٍ تتدفق فيه المياه ومحلٌّ يقصده الناس للزيارة والتبرك في سفح جبل قاسيون.

على ضوء ما تقدَّم فإن عمران دمشق خلال الفترة الفاطمية كان يتأثر إلى درجة كبيرة بالاستقرار أو عدمه؛ فحيثما توفر الاستقرار تطور العمران، وإذا انعدم الاستقرار واضطربت أحوال المدينة أصبحت خططها عرضة للتغير والتبدل، لهذا تعرّضت كثير من الأحياء للتدمير والاحتراق بسبب الحروب والفتن الداخلية التي عانت منها دمشق خلال حكم الفاطميين، حتى امتدَّ الحريق والدمار ليشمل المسجد الجامع في أواخر الحكم الفاطمي للمدينة.

وشهدت فترتا أوائل الحكم الفاطمي لدمشق وأواخره أسوأ الفترات في تاريخ المدينة العمراني وذلك بسبب ما أصابها من تخريب وتدمير وإحراق.

وتأثر عمران دمشق أيضاً بالعوامل الطبيعية التي غيَّرت في بعض معالمها، فزلزال دمشق سنة (381هـ/991م) أدّى إلى تدمير ما يزيد على ألف منزل.

ومع هذا فقد برزت في دمشق مناطق عمرانية جديدة خلال الفترة الفاطمية نتيجة التوسع في العمران الذي استهدف استيعاب القادمين الجدد، فتغيرت خطط المدينة، وانتشرت بعض الأحياء السكنية خارج الأسوار التي كانت قائمة عند قدوم الفاطميين إليها، مثل أحياء الشويكة والدكّة والقنوات والعقيبة، كما برزت معالم عمرانية أخرى دعت إليها الحاجة كقصر الإمارة الذي أقامه جعفر ابن فلاح في الدكّة، والقصر البكجوري الذي بناه بكجور عندما تولى أمر المدينة ليكون مقراً لإدارته.

وأُضيفت بعض المباني إلى المسجد الأموي، كما جُدِّدت الأسوار بسبب الحاجة إلى توفير الحماية اللازمة للمدينة بعد أن تعرّضت أسوارها للخراب والتدمير عند قدوم الفاطميين إليها.

---

(1) انظر ابن طولون: القلائد الجوهرية ص10، عبد القادر الريحاوي: تاريخ دمشق ص36، مدينة دمشق ص63، قتيبة الشهابي: دمشق ص211، محمد أحمد دهمان: في رحاب دمشق ص20.

الفصل الثاني

دمشق في العصر الفاطمي

1 – دمشق في أواخر الفترة الإخشيدية.

2 – الفتح الفاطمي لمدينة دمشق.

3 – القرامطة.

4 – حركة أفتكين.

5 – الأحداث في دمشق.

6 – الحكم الفاطمي لدمشق.

7 – سقوط دمشق بيد الأتراك.

دمشق في العصر الفاطمي

دمشق في أواخر الفترة الإخشيدية

مُؤَسِّسُ الدولة الإخشيدية هو محمد بن طغج الإخشيد[1] الذي تقلّد مدينة الرملة للعباسيين سنة (316هـ/928م)، وأقام بها إلى سنة (318هـ/930م) حيث وردت إليه كتب الخليفة المقتدر بولاية دمشق، فسار إليها وتولّى أمرها، وبقي والياً عليها إلى سنة (324هـ/935م)، ثم أضاف الخليفة الراضي إلى ولايته المذكورة ولاية مصر بعد أن عزل عنها أحمد بن كيغلغ[2]، وذلك مكافأة له على مشاركته في ردّ الفاطميين الذين حاولوا غزو مصر.

وتعرضت دمشق خلال فترة حكم الإخشيديين لعدة أطماع، فاستولى عليها محمد بن رائق[3] أمير الأمراء في بغداد بتكليف من الخليفة العباسي سنة (328هـ/939م) بعد أن طرد منها بدر بن عبد الله الإخشيدي والي ابن طغج عليها[4].

(1) انظر.. C.E. Bosworth: Ikhshid /EI,London 1965, Vol II, P1060.

(2) عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري ص137، محمد بن عبد الملك الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص298، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ6، ص256، ابن سعيد: المغرب ص157-158، سيدة كاشف: مصر في عهد الإخشيديين ص69-71، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية في العصر العباسي ص177-178، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام ص19، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص141، محمد أحمد الزيود: العلاقات بين مصر والشام في العهدين الطولوني والإخشيدي ص284.

(3) هو أبو بكر محمد بن رائق أحد مماليك الخليفة العباسي المعتضد، تولى شرطة بغداد للخليفة المقتدر سنة 317هـ/929م ثم إمارة واسط والبصرة، ثم عينه الخليفة الراضي أميراً للأمراء ببغداد سنة 324هـ/935م (انظر عريب: صلة تاريخ الطبري ص125-136، الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص264، 286، 325، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص327، الذهبي: العبر جـ2، ص200، 203، الزركلي: الأعلام جـ6، ص23، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص10، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص181، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص142).

(4) الكندي: ولاة مصر، بيروت 1959، ص307، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص327، الذهبي: العبر جـ2، ص210، ابن كثير: اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، حلب 1989م، ص85.

وخاض الإخشيديون عدة معارك ضد ابن رائق فانتصر ابن رائق على الجند الإخشيدي وقتل أبو نصر أخا الإخشيد، فغسّله وكفّنه وبعثه إلى أخيه وكتب إليه معزّياً ومعتذراً عمّا جرى[1]، وبعث ابنه مزاحم إلى الإخشيد ليقتصَّ منه، فاستقبله الإخشيد وأكرمه وردّه إلى أبيه.

ورغم أن الإخشيد تمكن من تحقيق نصر ضد ابن رائق إلاّ أن الأمر بينهما انتهى إلى عقد صلح يقضي بأن تكون بلاد الشام من الرملة شمالاً لابن رائق وباقي المنطقة تبقى للإخشيد، وأن يدفع الإخشيد لمحمد بن رائق مائة وأربعين ألف دينار كل سنة[2]، فهو لا يريد أن يستمرَّ خلافه مع الدولة العباسية، وربما رغب الاحتفاظ بقوته تحسباً من أي خطر على حدود مصر الغربية حيث الدولة الفاطمية[3].

وبعد وفاة ابن رائق سنة 330هـ/941م تمكن الإخشيد من إعادة بلاد الشام إلى حوزته من غير حرب، فاستقر حكمه فيها وحصل على تقليد من الخليفة المستكفي بولايتها[4].

وتطلع الحمدانيون[5] لانتزاع دمشق من أيدي الإخشيديين، فقد كان الحمدانيون ناقمين على الإخشيد بسبب حصوله على تقليد من الخليفة العباسي المتقي يخوله حكم مصر وجميع بلاد الشام.

وما أن دخل سيف الدولة الحمداني حلب سنة (333هـ/944م) واستقرَّ بها حتى سار إلى حمص يريد دمشق. ولما بلغ الإخشيد أن سيف الدولة عازم على بسط سلطانه على دمشق أعدّ جيشاً

(1) ابن الأثير: الكامل جـ6، ص274، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية ص182، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص142.

(2) الكندي: الولاة والقضاة ص289، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص327، ابن كثير: اليواقيت والضرب ص86، المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار جـ1، ص329، ابن الأثير: الكامل جـ6، ص274-275، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص185، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص19، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص10، سيدة كاشف: الإخشيديين ص82-83، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص142.

(3) انظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي جـ3، ص68، محمد جمال سرور: النفوذ الفاطمي ص11.

(4) الكندي: الولاة والقضاة ص292، ولاة مصر ص308، ابن الأثير: الكامل جـ6، ص284، سيدة كاشف: مصر في عهد الإخشيديين ص86، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص112، عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ص44، محمود أمين: سلمية ص86.

(5) ينتسبون إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب العربية التي أقامت بضواحي مدينة الموصل وحصلوا على ولايتها من الخليفة العباسي سنة 292هـ/904م، ثم مدّوا نفوذهم إلى حلب (انظر ابن الأثير: الكامل جـ6، ص111، سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص31 وما بعدها).

عيّن عليه كافوراً الإخشيدي لحماية دمشق والتقى بسيف الدولة عند بلدة الرستن[1] على نهر العاصي، حيث تعرّض الجيش الإخشيدي للهزيمة، وتقهقر إلى دمشق[2]، ثم حاصر سيف الدولة دمشق ولم يتمكن من فتحها، فتركها عائداً إلى حلب.

أما الإخشيد فقد أعدّ جيشاً آخر اتجه به إلى دمشق، وعندما وجد سيف الدولة قد رجع عنها سار في أثره حتى التقيا بقنسرين[3]، فلم يظفر أحدهما بالآخر، ورجع الإخشيد بعد أن عقد صلحاً مع سيف الدولة سنة (334هـ/945م) على أن تكون لسيف الدولة حلب، وللإخشيد دمشق وأعمالها، وأن يدفع الإخشيد لسيف الدولة ضريبة سنوية[4]، فقد كان الإخشيد رجلاً مسناً يحب المسالمة، كما أن بقاء الدولة الحمدانية في شمال بلاد الشام يعني حماية ممتلكاته الشامية من أخطار الدولة البيزنطية.

ولمّا أحسّ الإخشيد بدنو أجله عهد إلى كافور[5] بالوصاية على ولده أبي القاسم أنوجور الذي كان طفلاً لم يتجاوز الرابعة عشرة، فقام كافور بتدبير أمره وصار صاحب السلطة الفعلية في إدارة الدولة الإخشيدية[6].

واستغلّ الحمدانيون موت الإخشيد وهاجموا دمشق، فاستسلم واليها الإخشيدي، فكاتب أهلها كافوراً الذي لم يتوانَ عن إعداد جيش خرج به مع سيده أنوجور وتمكّن من إلحاق هزيمة بسيف الدولة فأخرجه من دمشق ولاحقه إلى حلب فهزمه، وعقد معه صلحاً جديداً بنفس الشروط التي عقدها معه محمد

---

(1) الرستن بلدة قديمة على نهر العاصي في منتصف الطريق بين حمص وحماه (انظر ياقوت: معجم البلدان جـ3 ص42).

(2) ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص112-113، ابن الأثير: الكامل جـ6، ص312، الذهبي: العبر جـ2، ص232، ابن كثير: اليواقيت والضرب ص93، سيدة كاشف: مصر في عهد الإخشيديين ص350، محمد الزيود: العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والإخشيدي ص322، عبد العزيز سالم: طرابلس الشام ص44-45، مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص145-146، سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص67، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص114.

(3) الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص352، ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص114، ابن الأثير: الكامل جـ6 ص312، سامي الكيالي: سيف الدولة ص68، مصطفى الشكعة: سيف الدولة ص146.

(4) الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص352، ابن العديم، زبدة الحلب جـ1 ص115، ابن الأثير: الكامل جـ6، ص312، ابن كثير: اليواقيت والضرب ص97، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص114، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص142-143.

(5) انظر المقريزي: كتاب المقفى الكبير جـ2، ص313-317،
A.S.Ehrenkretz: Kafur/El, London 1979, vol lll, p418.

(6) مسكويه: تجارب الأمم، جـ1، ص154، ابن الأثير: الكامل جـ6، ص318، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية ص190، Ehrenkretz: Kafur/ El,vol lll, p418.

ابن طغج من قبل على أن يتوقف الإخشيديون عن دفع الضريبة التي كانت مقررة في السابق، وعاد بعدها كافور وسيده إلى دمشق ثم إلى مصر[1]، وبهذا احتفظت الدولة الإخشيدية بسيادتها على دمشق.

وتعرّضت دمشق للاضطراب بعد وفاة كافور الإخشيدي سنة (357هـ/968م)، فقد عمل الولاة على خدمة مصالحهم الشخصية، وأصبح هَمُّ الولاة هو جمع المال ومصادرة الأهالي، كما غلب على المدينة حكم الخدم والغلمان مثل فاتك وفنك وشمول الإخشيدي آخر نواب الدولة الإخشيدية فيها، فقد حكموا المدينة حكماً منفرداً دون اعتبار للسلطة الإخشيدية في العاصمة[2].

وزاد من اضطراب أحوال دمشق تعرّضها لغارات القرامطة سنة (357هـ/967م)، وهزيمة الإخشيديين، فدخل الحسن بن عبيد الله مع القرامطة في هدنة تعهّد فيها أن يدفع للقرامطة ضريبة قدرها (300) ألف دينار سنوياً[3]، وبقي الإخشيديون يدفعون المال المقرر للقرامطة حتى سيطر الفاطميون على دمشق سنة (359هـ/969م).

---

(1) ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص114، 373، ابن الأثير: الكامل جـ6، ص318، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ3، ص391-392، محمود أمين: سلمية ص88، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ3، ص139، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص115-116.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ11، ص266، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص191، سوفاجيه: دمشق الشام ص27-28.

(3) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص132، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص42، سلمان البدور: الإسماعيلية في بلاد الشام/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، ص7، محمد عبد الحي شعبان: الدولة العباسية (الفاطميون) ص232، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص16.

الفتح الفاطمي لمدينة دمشق

بعد أن سيطر جوهر الصقلّي[1] على مدينة القاهرة سنة (358هـ/968م) ورث دور مصر السابق، وما كان لهذا الدور من علاقات مع القوى المختلفة، وكان الأمر يتطلب منه تأمين حدود مصر من الشمال والشرق، والوقوف في وجه الروم والقرامطة.

وكانت الروابط بين مصر وبلاد الشام قوية، فتُعَدُّ كُلٌّ منهما منطقةَ أمانٍ للآخر، وكلاهما يقع على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب.

وكان الفاطميون منذ قيام دولتهم يحرصون على إضعاف الخلافة العباسية وانتزاع زعامة العالم الإسلامي منها، وبلاد الشام مدخلٌ للعراق مقرّ الخلافة العباسية.

وكانت دمشق قبل قدوم الفاطميين ولاية عباسية تخضع للسيادة الإخشيدية، ويلي أمرها شمول ابن عبد ا لله أبو الحسن الكافوري الإخشيدي نيابة عن الحسن بن عبيد ا لله بن طغج الإخشيد آخر حكام الدولة الإخشيدية[2].

أمام كل هذه الظروف أعدَّ جوهر الصقلي جيشاً بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي[3]، وكلّفه بالتوجه

---

(1) جوهر بن عبد ا لله أبو الحسن الصقلي الرومي الكاتب مولى المعز لدين ا لله الفاطمي ولد سنة 312هـ/924م، تربى في كنف المعز وعينه وزيراً له سنة 345هـ/956م، ثم توجه إلى مصر وفتحها سنة 358هـ/968م، فنظم أمورها وأعدها لاستقبال الخليفة الفاطمي ونقل الخلافة إليها (انظر الدواداري: الدرة المضيئة ص120-121 نقلاً عن السميساطي، المقريزي: كتاب المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى 1991 جـ3، ص83-84، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص54-56، سهيل زكار: تاريخ الحروب الصليبية ص321-326، علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي ص20-25، مصر في العصور الوسطى ص115).

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ11، ص266، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص21-25.

(3) هو أحد قادة الفاطميين، مغربي من قبيلة كتامة، نشأ مع أبيه الذي تولى إمارة برقة وطرابلس للفاطميين، وتربى ⇐

إلى الشام، فسار جعفر حتى وصل مدينة الرملة بفلسطين، ولما علم الحسن بن عبيد الله بن طغج والي دمشق بذلك استخلف شمولاً الإخشيدي على دمشق وسار إلى الرملة[1]، لمواجهة الجيش الفاطمي.

وكاتبَ جعفرُ بن فلاح بعضَ ولاة الشام قبل التقائه بالإخشيديين، فدعا فاتك الإخشيدي والي طبرية وشمول الإخشيدي نائب الحسن بن عبيد الله على دمشق، والصباحي والي بيت المقدس للدخول في طاعة المعز لدين الله، فتمكّن من استمالتهم واستجابوا لدعوته[2]. ومع أن الحسن بن عبيد الله استنجد بهم -وهم من عمّاله- إلا أن أحداً منهم لم يجبه إلى ذلك، وقامت الحرب في الرملة، فحلّت الهزيمة بقوات الإخشيديين، وأُسِرَ قائدهم الحسن بن عبيد الله وعدد كبير من جنده فَحُمِل إلى مصر ثم إلى المغرب[3].

ودخل جعفر بن فلاح مدينة الرملة في رجب سنة (359هـ/أيار970م)، فنهب الجيش الفاطمي المدينة، وأساء جعفر بن فلاح إلى فئات كثيرة من أهلها[4].

بعد أن اطمأن جعفر بن فلاح إلى الوضع في الرملة توجَّه إلى طبرية وكان عاملها فاتك الإخشيدي[5] غلام ملهم العقيلي الذي كان والياً عليها من قِبَل كافور الإخشيدي، وسبق أن راسله

⇐ جعفر على خدمة المعز لدين الله. وقدم مع جوهر الصقلي عندما توجه لفتح مصر سنة 358هـ/968م، فأقام في القاهرة إلى أن كلّفه جوهر بالتوجه إلى الشام لفتحها سنة 359هـ/ 969م، وهو أول من تولى إمارة دمشق للفاطميين (انظر الذهبي: العبر جـ2، ص314-315، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص270، الدواداري: الدرة المضيئة ص125-126، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص121، المقفى الكبير جـ3، ص50-51.

(1) الدواداري: الدرة المضيئة ص125، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص123، المقفى ص221، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص118.

(2) الدواداري: الدرة المضيئة ص125، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص120، المقفى جـ3، ص52، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص118.

(3) يحيى بن سعيد: صلة تاريخ أوتيخا ص143، ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة/ قطعة بذيل كتاب الجامع في أخبار القرامطة جـ2، ص401، ابن الأثير: : الكامل جـ7، ص31-32، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص44، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص122، أمراء دمشق ص11، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص120-122، المقفى: ص221، درويش النخيلي: فتح الفاطميين للشام ص135، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص42.

(4) ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة جـ2، ص401، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر جـ2، ص109، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص118.

(5) هو أبو شجاع فاتك قائد رومي كان زميلاً لكافور الإخشيدي، عمل في خدمة الإخشيديين من أيام محمد بن طغج، وكان يرى أنه أحق من كافور في حكم مصر، مما دعا كافور إلى مداراته وملاطفته (انظر أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص146).

جعفر بن فلاح، واتفق معه على ترك طاعة الحسن بن عبيد الله، وإقامة الدعوة للخليفة الفاطمي، فدخلها جعفر، وأخذ يدبّر للتخلص من فاتك، فاتفق مع جماعة من أبناء القبائل العربية الذين استمالهم، فتربّصوا له بالتعاون مع بعض رجال الفاطميين، وقتلوه غيلةً بعد أن دافع عن نفسه منفرداً وقتل أحدهم[1].

أما القبائل العربية، فمع نهاية القرن (3هـ/9م) تحركت بعض القبائل التي استقرت في البادية من مواطنها، فخرجت قبيلة عقيل إلى الجزيرة الفراتية، وكلاب إلى منطقة حلب، وطيء إلى الأطرف الجنوبية من بلاد الشام، وتمكنت هذه القبائل من تأسيس إمارات خاصة بها، فسيطر الطائيون على فلسطين والأردن وأقاموا إمارة طيء[2]، وإمارة كلب في منطقة دمشق[3]، وانتشر بنو عقيل في حوران والبثنية[4].

وقد تعاون آل الجراح ومَنْ معهم من قبيلة طيء مع القرامطة، وحاربوا إلى جانبهم ضد الفاطميين، إلا أن الأطماع المادية لعبت دورها في حروب الطرفين، فلجأ الفاطميون إلى إغراء آل الجراح بالمال لاستمالتهم بهدف إحداث التوازن السياسي والعسكري، فقدّموا لهم عرضاً مالياً مغرياً ليتخلوا عن حُلفائهم القرامطة[5]، ووقع ابن الجراح أسير الطمع، فكانت خيانته للقرامطة سنة (363هـ/973م) سعياً وراء المال فخسر حليفه القرمطي، كما لم يتمكن من إقامة علاقة حسنة مع الفاطميين.

أما بنو مرّة وفزارة فقد استمالهم جعفر بن فلاح بعد وصوله إلى الرملة وأوقع بينهم وبين بني عقيل، وكان بنو عقيل على قدر من القوة بحيث لا تستطيع جماعات بني مرّة وفزارة هزيمتهم، فأمدّهم جعفر بالجنود المغاربة حتى هزموا العقيليين وطردوهم من منطقتي حوران والبثنية[6]، فاستفاد

---

(1) الدواداري: الدرة المضيئة ص125، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص123، المقفى الكبير جـ3، ص52، درويش النخيلي: فتح الفاطميين للشام ص352–354، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص23، حسن إبراهيم وطه شرف: المعز لدين الله ص95، حسن إبراهيم: الفاطميون في مصر ص112، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص118–119.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص5، الداوداري: الدرة المضيئة ص125، المقريزي: المقفى الكبير، ص221، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص32–34، 44–45.

(3) انظر مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص32.

(4) اليعقوبي: البلدان ص326، الدوري: العرب والأرض ص26، نقولا زيادة: جغرافية الشام ص167.

(5) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص230، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص7، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص276، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص42–43، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص34، 44، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص132، صادق جودة: مدينة الرملة ص109.

(6) الدواداري: الدرة المضيئة ص126–127، نقلاً عن السميساطي، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص123، درويش النخيلي: فتح الفاطميين للشام ص358، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص23، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص118–119.

الفاطميون من ضرب القبائل العربية بعضها ببعض، ومن خلالهم تخلص جعفر بن فلاح من فاتك الإخشيدي، وتظاهر بعدم رضاه عن ذلك، وتبّرأ ممَّن قتله، فقبض عليهم وبعثهم إلى ابن ملهم ليقتصَّ منهم، غير أنه أطلق سراحهم[1]، فقد كان يعلم أن ما حدث لفاتك لم يكن إلا بتدبير من جعفر، وفضَّل ألا يصطدم به.

وعندما علم أهل دمشق نزول جعفر بطبرية وإيقاعه الهزيمة ببني عقيل في حوران والبثنية وأنه متوجه إلى مدينتهم، بعثوا إليه وفداً من وجوه المدينة لطلب الأمان، وكان وصول الوفد يوم مقتل فاتك وقيام فتنة في طبرية، فأساء المغاربة مقابلة الوفد الدمشقي وسلبوا ثيابهم، فرجعوا إلى دمشق في أسوأ حال[2].

إن تراكم هذه التصرفات والأعمال العدوانية التي سلكها جند الفاطميين، إضافة إلى الاختلاف بين أهل دمشق السُّنَّة وبين الفاطميين الإسماعيلية في المذهب أثار أهل دمشق بقوة ضد الفاطميين، فصمَّموا على مقاومة جعفر بن فلاح.

وكان جعفر قد أعدَّ نفسه لدخول المدينة بعد خروج شمول الإخشيدي منها، فدار القتال بينهما، وتولّى محمد بن عصودا[3] أمر الدماشقة. فنظَّم الدفاع عن المدينة وأغلق أبوابها وأوقف الرماة على شرفات الأسوار لضرب الجنود الفاطميين، وأقاموا الحواجز، وكسروا أقنية المياه وحفروا الخنادق[4]، واشترك جميع أهل دمشق في الدفاع عن مدينتهم، وصمدوا عدة أيام يدافعون عنها إلى أن نزل جند الفاطميين أرض عاتكة خارج باب الجابية، وألقوا النار في الأبنية هناك فانهزم القاسم بن أبي يعلى أحد أعيان دمشق[5] ومَنْ معه من أهل دمشق وقُتل كثير منهم.

---

(1) الدواداري: الدرة المضيئة ص126، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص52، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة صيداء ص68، درويش النخيلي: فتح الفاطميين للشام ص352، 359.

(2) الدواداري: الدرة المضيئة ص126، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص123، المقفى الكبير جـ3، ص52، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص119، المعاضيدي: الحياة السياسية ص24، علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر ص40.

(3) أحد زعماء الأحداث بدمشق (انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124، سهيل زكار: أخبار القرامطة جـ1، ص95، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص20–21).

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص32، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124، المقفى ص223، سهيل زكار: تاريخ الحروب الصليبية ص317.

(5) من أشراف دمشق الهاشميين وقائد مشهور تعاون مع الأحداث لرد الأخطار الفاطمية عن مدينة دمشق (انظر ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، الذهبي: العبر جـ2، ص319، المقريزي: اتعاظ جـ1، ص124، المقفى الكبير جـ3، ص54، محمد كرد علي: خطط الشام جـ1، ص196، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص203، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص20).

وأحاط الفاطميون بالمدينة من كل جانب فتضايق السكان، وخرج جماعة من المشايخ إلى جعفر بن فلاح للتحدث معه في أمر الصلح، فاعترضهم الجنود الفاطميون كعادتهم، وأخذوا ملابسهم وقتلوا منهم رجلين، فاندهش أهل دمشق وهم ينظرون إلى ما حدث من فوق الأسطحة والمآذن[1].

وعندما أحسَّ أهل دمشق بعجزهم في الدفاع عن المدينة توجّه قسم منهم إلى جعفر بن فلاح يطلبون الأمان، وتوسلوا له في التصالح، فاشترط عليهم أن يخرجوا إليه ومعهم نساؤهم مكشوفات الشعور، ويتمرغن في التراب أمامه حتى يعفو عنهم[2]، فأجابوه إلى طلبه.

واتفق معهم على أن يصلي الجمعة مع رجاله في مسجد دمشق، فدخل معهم وأقام الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وحذف منها اسم الخليفة العباسي المطيع، وذلك في المحرم سنة (360هـ/تشرين الثاني970م)[3].

وبعد خروجهم من الجامع انتشر الجنود الفاطميون في أسواق المدينة ينهبون، فثار الناس عليهم وقتلوا كثيراً منهم، وخرج المشايخ إلى ابن فلاح مرّة أخرى فتوعّدهم بحرق المدينة، وقال لهم: (دخل رجال أمير المؤمنين إلى الصلاة فقتلتموهم)، وراحوا يرجونه حتى وعدهم بالعفو مقابل أن يدفعوا دية من قُتل من جنوده، فأجابوه وقدّموا له الأموال الكثيرة[4].

إنَّ عَبَثَ الجنود المغاربة وانتهاكهم لحرمات البيوت، وسَلْبَ ما فيها من أموال ومتاع، إضافة إلى مشاعر الكراهية التي حملها أهل دمشق للجنود المغاربة لاختلاف مذهبهم الشيعي عن

---

(1) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، الدواداري: الدرة المضيئة ص127، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي جـ6 ص66، سهيل زكار: أخبار القرامطة جـ1، ص95، علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر ص40–41، رمضان شيشن: دور الأتراك في الشام قبل السلاجقة/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص5.

(2) الدواداري: الدرة المضيئة ص127، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125، المقفى الكبير جـ3، ص54، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص19، المعاضيدي: الحياة السياسية ص25.

(3) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، الدواداري: الدرة المضيئة ص128، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص267، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص119، المعاضيدي: الحياة السياسية ص25، عبد الكريم غرايبة: العرب والأتراك ص117.

(4) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص267، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص210، الدواداري: الدرة المضيئة ص128، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125، المقفى الكبير جـ3، ص55، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر جـ2، ص109، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص119، النفوذ الفاطمي ص19–20، حسن نصر الله: تاريخ بعلبك ص116.

مذهب أهل دمشق السُّنَّة، أدَّى إلى استياء أشراف المدينة، ودفعهم للثورة بزعامة الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي الذي جمع أحداث دمشق وأبطل خطبة المعز الفاطمي[1].

رأى جعفر بن فلاح أنه لن يتمكن من توطيد سلطة الفاطميين في دمشق إلا بالتخلص من الزعماء الذين يقودون الثورة ضده، فأرسل جنده للقبض عليهم، فنجا أبو القاسم بن أبي يعلى ومحمد بن عصودا، وقبض على بقيتهم وفيهم إسحاق بن عصودا فقتلهم ومَثَّل بهم[2].

أما أبو القاسم بن أبي يعلى فقد قبض عليه أحد أمراء بني كلب وهو ابن عليان العدوي وهو يحاول الهروب إلى بغداد، وجاء به إلى جعفر فَشَهَّر به على جمل ثم بعثه إلى القاهرة[3]، بينما ذهب محمد بن عصودا وظالم بن موهوب العقيلي إلى القرامطة في الإحساء وطلبا مساعدتهم ضد الفاطميين[4]، خاصة وأنهم أدركوا أنه لا قِبَلَ لهم بمواجهة الجيش الفاطمي الذي وصل دمشق، وأن الحاجة تدعوهم للاستعانة بقوة أخرى.

وافق القرامطة على مساعدة أمراء دمشق لاسترداد بلادهم من الفاطميين، رغبةً منهم في استمرار جباية الأموال التي كان يدفعها الإخشيديون لهم، كما سبق لهم أن تغلبوا على دمشق وصارت لهم علاقات حسنة مع ولاتهم الذين تردَّدوا عليهم لمساعدتهم ضد الفاطميين، وكان القرامطة يتخوفون على نفوذهم السياسي إذا ما انتقلت السيادة إلى الفاطميين، فأعدّوا لمواجهتهم والسير لإخراجهم من دمشق.

ولا شك أن ما قام به الجيش الفاطمي من أعمال السلب والنهب، بالإضافة إلى سياسة التسلط التي سلكها جعفر بن فلاح ضد الدماشقة، وما نتج عن ذلك من حريق ودمار قضى على أحياء كاملة من

---

(1) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، القريزي: المقفى ص225، المعاضيدي: الحياة السياسية ص24-25، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة صيداء ص69، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله ص128، محمد زغلول: الأدب في العصر الفاطمي ص74.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص126، المقفى الكبير جـ3، ص55، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص197، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص120.

(3) الذهبي: العبر جـ2، ص108، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص126، المقفى ص225، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص196-197، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص95، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة صيداء ص69، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص120، علي إبراهيم: مصر في العصور الوسطى ص269، Stanley – Lane – pool: Ahistory in the Middle ages, p 105.

(4) الذهبي: العبر جـ2، ص108، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص126، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص95، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص204-205.

المدينة، مع ما يشعر به أهل دمشق من اختلاف بينهم وبين الفاطميين في المعتقدات[1] واختلاف في الطباع والأوطان، كانت من الأسباب التي دفعت بأهل دمشق إلى رفض السيادة الفاطمية ومقاومتها مقاومة شديدة منذ دخول الفاطميين إلى المدينة، فتحوَّل أكثر سكانها إلى ثوار ومحاربين يقفون في وجه الجنود الفاطميين لمنعهم من الاعتداء والرد عليهم، وتأكد تلاحم أهل المدينة بوقوف أشرافها وأحداثها جيشاً واحداً ضد المعتدين[2].

ونجح محمد بن عصودا وظالم العقيلي في إقناع القرامطة على مساعدتهم[3]، فتجهز القرامطة، وأرادوا أن يسندوا أنفسهم بقوة أخرى عن طريق الاتصال بالخلافة العباسية في بغداد، ونجحوا أيضاً في كسب تأييد ومساعدة عز الدولة بختيار البويهي[4] ليزيدوا من قوتهم العسكرية قبل وصولهم إلى دمشق.

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12–14، الدواداري: الدرة المضيئة ص125، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص280، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص123، المقفى ص221–223، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص197.

(2) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124، المقفى ص223–224، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص95، Bianquis: Damas, vol I, p65.

(3) الدواداري: الدرة المضيئة ص132، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص209.

(4) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص226، ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة جـ2، ص402، الدواداري: الدرة المضيئة ص134، درويش النخيلي: فتح الفاطميين للشام ص151.

القرامطة

ينتسب القرامطة إلى حمدان بن الأشعث الملقب حمدان قرمط[1]، وهو من أتباع الحركة الإسماعيلية التي أسَّسها ميمون القداح وابنه عبد الله[2]، وقد نشطت هذه الدعوة نشاطاً واسعاً في القرن (3هـ/9م) في سواد العراق فقامت بأعمال تخريبية[3].

وانتقلت إلى البحرين على يد أبي سعيد الجنابي الذي تمكن من الاستيلاء على الإحساء فأسَّس دولة القرامطة في بلاد البحرين وهي ما يرتبط بهذه الدراسة.

واستطاع أبو سعيد تكوين قاعدة عسكرية للحركة بتنظيم القبائل العربية في شرق الجزيرة العربية وهدَّد بها سلطان الخلافة العباسية[4].

ولما كانت الخلافة الفاطمية في المغرب دولة شيعية إسماعيلية المذهب، فقد كانت العلاقة بينها وبين القرامطة علاقة طيبة يدين لها القرامطة بالولاء والطاعة.

ثم انقسم القرامطة في منتصف القرن (4هـ/10م) بسبب التنافس بين أبناء أبي سعيد، ففريق منهم بقي على ولائه للفاطميين، وفريق آخر أضمر العداء لهم بزعامة الحسن بن أحمد (الأعصم) لأنه رأى أن الفاطميين قد سلبوهم نفوذهم[5].

---

(1) الطبري: الأمم والملوك جـ11، ص338، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب ص408، الدوري: العصور العباسية المتأخرة ص157.

(2) الطبري: الملوك والأمم جـ11، ص338، ابن الأثير: الكامل جـ6، ص69-70، الدواداري: الدرة المضيئة ص51، 65، مصطفى غالب: الدعوة الإسماعيلية ص14-15.

(3) الطبري: الملوك والأمم جـ11، ص369-370، الدوري: العصور العباسية المتأخرة ص164.

(4) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة ص16، فاروق عمر فوزي: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ص270، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ4، ص197، مصطفى غالب: الدعوة الإسماعيلية ص14-15.

(5) ابن الأثير: الكامل جـ6، ص99، 100، 104، ابن خلدون: التاريخ جـ4، ص88-90، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص70-71، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ3، ص200.

اتخذ الحسن الأعصم من استيلاء الفاطميين على دمشق سنة (359هـ/969م) حجة لإعلان العداء للفاطميين، خاصة وأنهم حرموه الضريبة التي كان يحصل عليها القرامطة من الإخشيديين[1]. ولما طلب إلى جعفر بن فلاح القائد الفاطمي الذي استولى على دمشق الإبقاء على ما يدفعه الإخشيديون للقرامطة رفض جعفر ذلك، فقرر الحسن المسير إلى دمشق والاستيلاء عليها، خاصة وأن أمراء دمشق قدموا إليه يطلبون عونه، فتوفرت لديه الأسباب الكافية لاستعادة دمشق من الفاطميين.

واستقر رأي الحسن على أن يعدَّ نفسه لمحاربة الفاطميين وإجلائهم عن دمشق، فبعث إلى الخليفة العباسي المطيع وعز الدولة بختيار أمير بني بويه في العراق سنة (360هـ/970م) يطلب إليهما أن يمدّاه بالمال والرجال ليتمكن من استرداد بلاد الشام ومصر من الفاطميين على أن يتولى حكم هذه البلاد من قبل العباسيين[2].

وكان البويهيون يستأثرون بالسلطة في بغداد آنذاك. ورأوا أن امتداد نفوذ الفاطميين إلى بلاد الشام يُعرِّض سلطانهم في العراق للخطر، لهذا رحَّب عزُّ الدولة بختيار بعرض الحسن بن أحمد وزوّده بمليون درهم وألف جوشن[3]، وألف رمح وألف قوس وألف جعبة[4] ليساعده في إخراج الفاطميين من بلاد الشام[5]، كما أرسل إلى ناصر الدولة الحمداني ليمدَّه بأربعمائة ألف دينار، فأجابه إلى ذلك، وزاد أيضاً بأن أمدَّه بقوة من الرجال وهم الجند الإخشيديون الذين وفدوا إلى ناصر الدولة فراراً من مصر وفلسطين بسبب ما لحق بهم على يد الجيش الفاطمي[6].

---

(1) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص226، الدواداري: الدرة المضيئة ص132، القاضي عياض: ترتيب المسالك وتقريب المدارك جـ3، ص302، الكتبي: فوات الوفيات جـ1، ص227، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص296، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص42، نجدة خماش: التنظيم الإداري في الشام/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص31، عارف تامر: العزيز بالله ص22، حسن إبراهيم وطه شرف: المعز لدين الله ص96، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص23-24، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص33، Made Lung: Karmati/ El, Leiden 1978, vol lV, p663.

(2) انظر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص74، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص24، Made lung: Karmati/ El, Leiden 1978,vol lV, p663.

(3) نوع من الدروع يتكون من حلقات معدنية متداخلة يلبسها المحارب على ظهره (انظر صلاح العبيدي: الأسلحة في العصر العباسي/ مجلة آداب بغداد عدد 32 ص111، محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ص319).

(4) الجعبة وعاء لوضع السهام (انظر محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي ص279).

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، وانظر الدواداري: الدرة المضيئة ص134، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص74، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص24-25.

(6) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص226، ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة جـ2، ص402، ⇐

وانضمَّ إلى الحسن بن أحمد جماعة من العقيليين بزعامة ظالم بن موهوب العقيلي، ممّن خسروا نفوذهم في بلاد الشام، فكان لذلك أثر كبير في ازدياد قوة القرامطة المتجهة إلى دمشق[1].

وتوجّه الحسن بن أحمد إلى دمشق سنة (360هـ970م) بعد أن أتم استعداداته، وحمل جنوده الأعلام السود تحمل اسم الخليفة العباسي المطيع عبد الكريم وكُتب تحتها (السادة الراجعون إلى الحق)[2]، مما يدل على أن القرامطة انحازوا إلى الدولة العباسية السُّنّية ضد الفاطميين الشيعة.

وأخذ جعفر بن فلاح في الاستعداد لمواجهة القرامطة إلا أنه لم يكن يتوقع أن يهاجموه بقوات ضخمة، فترفع عن طلب المساعدة من جوهر الصقلّي، ولم يعدّ القوات الكافية لمواجهة قوة القرامطة، ومَنْ معهم من الإخشيدية وبني عقيل[3]، فما أن التقت قواته بقوات القرامطة في ناحية الدكّة على مقربة من دمشق حتى تعرض للهزيمة[4].

وقُتل جعفر بن فلاح في هذا الهجوم في ذي القعدة سنة (360هـ/ أيلول971م)[5]، فيذكر المقريزي أن جعفر بن فلاح وُجد مطروحاً على الطريق خارج دمشق فجاءه محمد بن عصودا فقطع رأسه وصلبه[6] على حائط داره ليثأر لأخيه إسحاق الذي قتله جعفر وصلبه، وبانتصار الحسن بن أحمد تمكّن القرامطة من الاستيلاء على دمشق وطرد الفاطميين منها.

⇐ ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، الدواداري: الدرة المضيئة ص134، النويري: نهاية الأرب جـ25، ص305، المعاضيدي: الحياة السياسية ص25، عارف تامر: العزيز بالله ص26، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص25، وانظر Made Lung: Karmati/ El, Leiden 1978, vol lV, p663.

(1) حسن إبراهيم وطه شرف: المعز لدين الله ص109، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص25.

(2) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص74، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص26.

(3) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص226، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، الدواداري: الدرة المضيئة ص134، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص95، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص125-126.

(4) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص227، التنوخي: نشوار المحاضرة جـ4، ص170، الأنطاكي: التاريخ المجموع ص102-103.

(5) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص227، التنوخي: نشوار المحاضرة جـ4، ص170، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1-2، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر جـ2، ص111، محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله ص76، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص95، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص26.
Axel Havemann: The case of Fatimid Damascus, p3, stanley. Lane-poole: Ahistory of the middle ages, p106.

(6) الدواداري: الدرة المضيئة ص135، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص127، المقفى الكبير جـ3، ص57-58.

وتظاهر الحسن بن أحمد برغبته في استمالة أهل دمشق وأقام الدعوة للخليفة العباسي، وأبطل الخطبة للفاطميين[1]، فلقي هذا العمل ترحيباً من أهالي المدينة بسبب عدائهم للشيعة، واستيائهم من سياسة الظلم التي سلكها جعفر بن فلاح معهم.

وبعد أن ملك القرامطة مدينة دمشق توجّهوا إلى الرملة واستولوا على جميع المناطق الواقعة بين المدينتين، وحاصر فريق منهم مدينة يافا ومَنْ تحصَّن بها من الفاطميين حتى هلكوا من الجوع[2].

وبدخول القرامطة إلى دمشق وسيطرتهم عليها من الفاطميين صار لهم دور كبير على مسرح الأحداث السياسية في بلاد الشام ومصر خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وساروا إلى مصر لمحاربة الفاطميين إلا أنهم تعرضوا للهزيمة هم وحلفاؤهم من العرب[3]، فأُجبروا على الانسحاب والعودة إلى الإحساء.

أنفذ جوهر الصقلّي جيشاً إلى يافا بعد هزيمة القرامطة، فتمكّن من استعادة سلطة الفاطميين عليها، ثم واصلت قواته السير إلى دمشق فنزلت بظاهرها وبها يومئذ ظالم بن موهوب العقيلي متولياً من قِبَل الحسن بن أحمد القرمطي، فاضطر إلى الرحيل عنها[4]، وعادت دمشق لسيطرة الفاطميين من جديد.

وقد فشل المعز لدين الله في رَدِّ الحسن بن أحمد عن عزمه في الاستمرار بمهاجمة أملاك الفاطميين بعد الهزيمة التي لحقت به في مصر، فرأى المعز بعد أن قدم إلى مصر سنة (362هـ/972م) أن يبعث إلى الحسن كتاباً لعله يستميله أو ينجح في إثاره الساخطين من القرامطة عليه، ليحمله على تعديل موقفه العدائي من الفاطميين.

---

(1) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص228، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص3، الدواداري: الدرة المضيئة ص135-136، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص127، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص126، Bianquis: Damas, vol l, p65-101.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص3، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص42، صادق جودة: مدينة الرملة ص103.

(3) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص229، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص4، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص43، مصطفى غالب: الدعوة الإسماعيلية ص204، خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي والغزو الصليبي ص14.
Kaml. Salibi: Syria under lslam, p91, Ferdinand wustenfeld: Fatimiden califen, p18-19, Lan -poole: A History of Eygpt in the middle ages, p107.

(4) انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص296، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص37، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص127، رمضان شيشن: دور الأتراك ص5.

وأشار المعز في رسالته إلى ما كان من تودُّد القرامطة من قبلُ للفاطميين، وأخذ عليه خروجه على سياسة أسلافه من الفاطميين، وأبدى له استياءه من إقامة الدعوة لبني العباس، وهدد بسوء العاقبة إن بقي على موقفه[1].

أظهر الحسن بن أحمد عدم اكتراثه بتهديد المعز له، وأساء في رَدِّهِ إلى المعز، فكتب إليه: "وصل كتابك الذي كثر تفصيله وقلّ تحصيله، ونحن سائرون على أثره والسلام"[2].

وزحف الحسن بن أحمد إلى مصر سنة (363هـ/974م)، وتعاون مع آل الجراح فشكَّلا قوة هجومية كبيرة أقلقت الفاطميين، فعمد الفاطميون إلى استمالة حسان بن الجراح الطائي رئيس جند العرب وهم من أقوى عناصر جيش الحسن بن أحمد، ودفعوا لهم أموالاً مجزية تُقدَّر بنحو مائة ألف دينار من أجل الانسحاب من المعركة[3].

وكانت هذه الأموال كافية لحمل آل الجراح على ترك حليفهم القرمطي، فما أن بدأت الحرب بين الفريقين حتى تقهقر حسان بن الجراح بقواته أمام الفاطميين، فأدى ذلك إلى هزيمة الحسن بن أحمد وتعرّض عدد كبير من جنده للأسر وعاد إلى بلاده مهزوماً.

تركَّزت سياسة المعز لدين الله بعد ذلك على التخلص مما بقي للقرامطة من نفوذ في بلاد الشام، وكما استعان ببني الجراح من قبلُ استعان ببني عقيل هذه المرّة وقَرَّبَ إليه ظالماً بن موهوب العقيلي، الذي تخلى عن سياسة تأييد القرامطة، وأسند إليه ولاية دمشق فعاد إليها ظالم ودخلها في رمضان سنة (363هـ/ حزيران 974م)، وقضى على واليها أبي المنجا القرمطي وولده، وأخذ أموالهم[4]، فاستعاد

---

(1) انظر النويري: نهاية الأرب جـ25، ص308-311، الدواداري: الدرة المضيئة ص149-156، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص276، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص196-201، العاضيدي: الحياة السياسية ص39-41، مصطفى غالب: الدعوة الإسماعيلية ص145-155، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص31-35.

(2) الدواداري: الدرة المضيئة ص56، (نقلاً عن السميساطي)، وانظر ابن الأثير: الكامل جـ7، ص54، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص297، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص35.

(3) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص230، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص7-8، الدواداري: الدرة المضيئة ص160، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص276، محمد سرور: مصر في عهد الدولة الفاطمية ص121، سياسة الفاطميين ص132، صادق جودة: مدينة الرملة ص109، العاضيدي: الحياة السياسية ص42-43. Bianquis: Damas, vol l, p108.

(4) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص54، الدواداري: الدرة المضيئة ص160-161، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص210، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية ص213، وانظر Bianquis: Damas, vol l, p101-140.

الفاطميون بذلك نفوذهم على بلاد الشام.

ولم يكن القرامطة بأحسن من الفاطميين عند قدومهم إلى دمشق، فقد أفسدوا أحوال البلاد، إذ قطعوا الطريق، وقاموا بأعمال السلب والنهب، ولم تسلم من شرّهم مدينة ولا قرية من القرى التي مرّوا بها، فأكثروا السطو وهتك الأعراض[1]، ولم يُراعوا للإسلام حرمة، فكان ذلك سبباً لكراهية الناس لهم، وسرعة تخلي حلفائهم عنهم.

كما لم تنعم دمشق طويلاً بالهدوء بعد عودة الفاطميين إليها، فالجنود الفاطميون الذين بعث بهم المعز لمساعدة ظالم بن موهوب في المحافظة على الأمن انصرفوا إلى العبث والفساد، واحتكوا بأهل المدينة فوقعت بينهم بعض المعارك التي انتهت بعزل ظالم بن موهوب سنة (364هـ/974م) وخلفه جيش بن محمد بن الصمصامة[2].

وعاد الاضطراب إلى المدينة من جديد فكلّف المعز لدين الله واليه على طرابلس (ريّان الخادم) بتهدئة الأوضاع وقمع الفتن التي تجدّدت بين الجيش الفاطمي وأهل المدينة[3].

وبذل ريّان الخادم جهوداً كبيرة لإعادة الأمن إلى المدينة، إلا أن الظروف آنذاك كانت تسير في غير صالح الفاطميين، فقد ظهر على مسرح الأحداث قائد تركي مشهور استطاع الوصول إلى دمشق، وأعاد الخطبة فيها للخلافة العباسية في بغداد وهو أفتكين التركي[4].

---

(1) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص230، التنوخي: نشوار المحاضرة جـ4، ص170، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، 4.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10-18، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص54، الدواداري: الدرة المضيئة ص160-162، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص37، 38.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص19-20، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص55، الدواداري: الدرة المضيئة ص166، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص38.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص63، الدواداري: الدرة المضيئة ص169.

حركة أفتكين

أفتكين هو أبو منصور التركي الشرابي، كان أحد موالي معز الدولة أحمد بن بويه في بغداد، وأخذ يترقّى في المناصب حتى تولى قيادة جند الأتراك[1] في أيام عز الدولة بختيار بن بويه (سنة 356-367هـ/966-977م).

وقد استندت قوّة البويهيين الذين سيطروا على الحكم في بغداد فيما بين (334-447هـ/945-1055م) إلى الجيش الذي كان يتكوّن من الديالمة والترك بالإضافة إلى جماعات من العرب والمرتزقة من أقليات مختلفة[2]، وكانت للديالمة في الجيش البويهي أهمية كبيرة، ويشكّلون فرقاً من المشاة كانت كل فرقة منها تُسمّى باسم قائدها.

كما كان للديالمة منزلة خاصة عند الحكام البويهيين، فكانوا يحرصون على دفع مرتّباتهم بانتظام، ويمنحونهم الإقطاعات العسكرية، كما لم يسمح الديالمة لغيرهم بالاختلاط بهم[3].

أما الأتراك وهم موالي كانوا في خدمة الخلافة العباسية قبل الديلم، فأكثرهم فرسان، لكنهم لم يتمتعوا بما تمتع به الديالمة من امتيازات، فأدى ذلك إلى توالد العداوات وقيام الفتنة بينهم، واجتهد الأمير البويهي بختيار في تسكينها، لكنه فشل، فانحاز إلى الديلم، وأطلق لهم التصرف مع الأتراك،

---

(1) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص334، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص21، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص307، العبر جـ2، ص349، المقريزي: الخطط جـ1، ص9، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص134، علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي ص45.

(2) مسكويه: تجارب الأمم ص316-343، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص52-53، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص275، صالح العلي: العراق في التاريخ ص441، فاروق عمر: النظم الإسلامية ص184.

(3) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص52، فاروق عمر: النظم الإسلامية ص184، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دمشق 1982، ص192-193.

فأخذوا ينهبون أموالهم ودوابهم وقتلوا عدداً منهم[1].

وقد انضم أفتكين إلى جانب الخليفة العباسي المطيع لله (334-363هـ/946-974م)، ثم الطائع (363-381هـ/974-991م) من بعده أثناء الحروب والمنازعات التي قامت ضد عز الدولة بختيار بن بويه، أي أنه وقف مع الأتراك ضد الديالمة[2].

وكان أفتكين يتصف بالشجاعة والإقدام والثبات في الحروب، فالتفّ حوله جماعة من الجنود الأتراك، واستمرّ يحارب الديلم إلى أن هُزم أمامهم، وتفرّق معظم جنده من حوله[3].

وسار أفتكين فيمَنْ بقي معه من الأتراك إلى الرحبة قاصداً بلاد الشام سنة (364هـ/974م)[4]، فخشيه العرب وخرج إليه ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك ليحول دون تقدمه في بلاد الشام، وأرسل إلى القائد الفاطمي أبي محمود إبراهيم بن جعفر أمير دمشق يخبره بقدوم أفتكين التركي وأنه عازم السير إلى دمشق لإقامة الخطبة للخليفة العباسي، وحذّره من التباطؤ، فأرسل إليه جيشاً ليساعده في محاربته[5].

واستنجد أفتكين بالحمدانيين في حلب، فأمدّه أبو المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة (356-371هـ/966-981م) بالجيش واستقبله في حمص بالحفاوة والتكريم، فلما علم ظالم بن موهوب بوقوف بني حمدان مع أفتكين ومَنْ معه من الأتراك تيقّن أنه لا يستطيع محاربته، فعاد دون أن ينازله[6].

---

(1) مسكويه: تجارب الأمم جـ2، ص324-334، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص52-53، الدواداري: الدرة المضيئة ص167، صالح العلي: العراق في التاريخ ص441، فاروق عمر فوزي: النظم الإسلامية ص184، محمد الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ص381، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية ص192.

(2) الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص435، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص53، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص280، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية ص192.

(3) مسكويه: تجارب الأمم جـ2، ص334، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص307، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص280، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص219، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص108، المعاضيدي: الحياة السياسية ص45، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص39، عارف تامر: العزيز بالله ص16-17، علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر ص45.

(4) مسكويه: تجارب الأمم ص216-343، الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص444، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص22، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص222.

(5) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، الدواداري: الدرة المضيئة ص168، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص219، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص134-135، النفوذ الفاطمي ص39، علي إبراهيم: تاريخ جوهر ص45-46، عارف تامر: العزيز بالله ص17.

(6) الدواداري: الدرة المضيئة ص168-169، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص219، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص135، النفوذ الفاطمي ص39، علي إبراهيم: تاريخ جوهر ص46.

ولما علم أهل دمشق بوصول أفتكين إلى حمص رأى بعضهم أن يطلبوا مساعدته لإخراج الفاطميين من دمشق، وأن يتولى حكم مدينتهم[1]، فلقي ذلك قبولاً عند أفتكين فتوجه إليها ونزل خارج المدينة[2]، فاستبشر أهلها ورحّب به شيوخ المدينة وأشرافها وخرجوا لمقابلته، وتعهّدوا بمساعدته وأن يكونوا في طاعته، كما تعهّد هو بحمايتهم وكفّ الأذى عنهم، ثم دخل دمشق في شعبان سنة (364هـ/ نيسان 975م)[3]، فطرد واليها ريّان الخادم، وقطع خطبة المعز لدين الله الفاطمي، وأقامها للخليفة العباسي الطائع، وقمع أهل العيث والفساد[4].

وسار أفتكين إلى بعلبك في طلب ظالم العقيلي بهدف السيطرة على المدينة وليتمكن من مواجهة الروم، ففرّ ظالم من المدينة وملكها أفتكين، غير أن أفتكين لم ينعم طويلاً بهذا النجاح بسبب استيلاء الروم على بعض الثغور بقيادة ملكهم الدمستق (ابن الشمشقيق)[5]، ثم توجه الدمستق بعد ذلك إلى حمص فاستولى عليها ثم سار منها إلى بعلبك، وكان يريد التوجه إلى دمشق، فعمل أفتكين على مهادنة الروم وتقديم الأموال لهم ليكفوا عن دخول المدينة[6]، وخرج في جماعة من أهل دمشق إلى الروم، واجتمع بالدمستق، فأحسن مخاطبته، وأخبره أن دمشق صارت خراباً لكثرة الحروب وما فعله الفاطميون فيها[7].

---

(1) انظر الدواداري: الدرة المضيئة ص169، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص219، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص39، Biamquis: Damas, vol l, p 115.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص22، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص220، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص135، النفوذ الفاطمي ص39، علي إبراهيم: تاريخ جوهر ص46.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص22، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، الدواداري: الدرة المضيئة ص170، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص280، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص40.

(4) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص233–234، الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص444، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص22، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص280، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر جـ2، ص115، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص96، علي إبراهيم: تاريخ جوهر ص46، محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي ص77، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي جـ6، ص179، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص46.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص23، الدواداري: الدرة المضيئة ص169.

(6) الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص444، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص24، الدواداري: الدرة المضيئة ص170، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص220، حسن نصر الله: تاريخ بعلبك ص118.

(7) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص116–117، الدواداري: الدرة المضيئة ص170–171، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص228، حسن نصر الله: تاريخ بعلبك ص118.

وقام أفتكين بجمع الأموال وقدّمها للروم، وعقد معهم صلحاً تركوا بموجبه مدينة دمشق[1]، فاستطاع بذلك أفتكين إنقاذ المدينة من خطر الروم، ولاقى تصرفه استحسان أهل دمشق ورضاهم.

وبعد أن استقرت أموره في دمشق، قرّر أفتكين أن يستفيد من التناقض والخلاف بين العباسيين والفاطميين، ليضمن مركزه في المدينة، فرغم أنه خطب باسم الخليفة العباسي في مساجد دمشق[2]، إلا أنه أراد الإبقاء على الروابط والعلاقة الحسنة بينه وبين الفاطميين، فكتب إلى المعز رسالة أعلن له فيها الانقياد والطاعة لأمره، فردَّ عليه المعز، ودعاه للحضور إليه ليخلع عليه ويقرَّه على ولايته، فلم يثق به أفتكين، خوفاً من تعرّضه لمكيدة قد يدبرها له الخليفة[3]، خصوصاً وأنه حارب ولاة الفاطميين وطرد ريّان الخادم من دمشق.

وتوفي المعز لدين الله قبل أن يتخذ أي إجراء ضد أفتكين، فتولى ابنه العزيز بالله الخلافة سنة 365هـ/975م، وبعد أن فرغ من توطيد سلطته بمصر وجّه اهتمامه لاسترداد بلاد الشام فكتب إلى أفتكين يستميله إليه ويَعِدُه حُسْنَ المكافأة إذا جلا عن دمشق، فردَّ عليه أفتكين "هذا بلدٌ أخذته بالسيف وما أدين فيه لأحد بطاعة ولا أقبل منه أمراً"[4]. واستشار العزيز وزيره يعقوب بن كلس في ذلك، فأشار عليه أن يعهد إلى جوهر الصقلّي بقيادة جيش يتوجه إلى دمشق لاستعادتها، فأخذ برأيه[5]، وفي شهر رمضان سنة (365هـ/ أيار سنة 976م) توجّه جوهر الصقلي من مصر إلى الشام لمحاربة أفتكين، وما أن علم أفتكين بذلك حتى جمع من أهل دمشق وُجوهَهَا وأشرافَها وشيوخَها وأشار عليهم بأنه يريد أن يترك دمشق ويتوجّه إلى بلاد الروم لطلب العون منهم[6]، غير أن أهل دمشق رفضوا ذلك وأصروا على بقائه معهم،

---

(1) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص116–117، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص24–25، الدواداري: الدرة المضيئة ص170–171، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص220–221، علي إبراهيم: تاريخ جوهر ص46–47، عارف تامر: العزيز بالله ص17–18، حسن نصر الله: تاريخ بعلبك ص118.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص22، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص22، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، المقريزي: الخطط جـ3، ص13، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص135، النفوذ الفاطمي ص40، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص47، علي إبراهيم: مصر في العصور الوسطى ص271، Bianquis: Damas, vol I, p101 .

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص29، Bianquis: Damas, vol I, p103 .

(5) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص234، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص29، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص136، النفوذ الفاطمي ص41، Bianquis: Damas, vol I, p103 .

(6) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص30.

فعدل عن سياسته، وجدّد الدماشقة تضامنهم معه في وجه أي قوة تهدد وجودهم[1]، وأعلنوا استعدادهم للدفاع عن دمشق حتى الموت.

وأخذ أفتكين يستعدّ للمواجهة المقبلة بعد أن اطمأن على متانة الوضع الداخلي في دمشق، حيث جدّد له أهل المدينة العهد والطاعة والمؤازرة ضد الفاطميين[2]. وبدأت الحرب بين أفتكين وبين جوهر في منطقة دمشق وخاض الطرفان اثنتا عشرة معركة منها وقعة الشاغور التي تعرّض فيها جوهر لخطر كبير، غير أنه جمع جنده وواصل القتال، فهزم أفتكين هزيمة قاسية كادت أن تقضي عليه ويفقد دمشق[3]، وحاصره الفاطميون، فأشار أهل دمشق على أفتكين بأن يكتب إلى الحسن بن أحمد زعيم القرامطة في بلاد البحرين يستنجده ضد الفاطميين، فلبّى الحسن الدعوة وسار من الإحساء إلى دمشق[4]، فوصل بعد شهرين.

علم جوهر بقدوم القرامطة، فرأى أنه لا قِبَلَ له بمواجهة عدوين، فاضطر إلى رفع الحصار عن دمشق وقصد الرملة، أما الحسن بن أحمد فوصل إلى دمشق واستقبله أفتكين بالترحيب وأقام بدمشق عدّة أيام ليستريح، ثم ساروا جميعاً في أثر جوهر الذي رحل إلى عسقلان وتحصّن فيها، فلحق به أفتكين ومعه الحسن ونشب القتال بينهما وبين قوّات الفاطميين، وحوصر جوهر في عسقلان لمدة سنة وثلاثة أشهر تعرّض جيشه خلالها لصعوبات كثيرة فَقَلَّت الأقوات واضطر الناس إلى أكل الميتة من الجوع[5]، فكان

---

(1) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص234، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص30، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص136، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص48.
Bianquis: Damas, vol I, p104

(2) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص234، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص157، علي إبراهيم: تاريخ جوهر ص105، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص136، المعاضيدي: الحياة السياسية ص48.

(3) النويري: نهاية الأرب جـ25، ص314، ابن خلدون: التاريخ جـ4، ص108، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص238، علي إبراهيم: مصر في العصور الوسطى ص269-271.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص31، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص261، 268، النويري: نهاية الأرب جـ25، ص314، ابن خلدون: التاريخ جـ4، ص108، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص238، مصطفى غالب: الدعوة الإسماعيلية ص231.
Bianquis: Damas, vol I, p104 Made lung: Karmati- El Leiden 1978, vol IV, p663.

(5) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص133، ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص235، ابن القلانسي تاريخ دمشق ص31-32، الدواداري: الدرة المضيئة ص179-180، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص160، خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي والغزو الصليبي ص14.

على جوهر أن يلجأ إلى التدبير للخروج من مأزق الحصار الذي كان يهدد بالقضاء على جيشه، وأرسل إلى أفتكين يطلب المهادنة ويعلن عن رغبته في مقابلته، فرحَّب أفتكين بلقائه.

واجتمع جوهر بأفتكين غير أنه فشل في التوصل إلى اتفاق معه على إنهاء الحرب[1]، ومع هذا فلم ييأس جوهر، وما زال يتردد على أفتكين حتى انتزع منه عهداً بالصلح، فحاول الحسن بن أحمد أن يثنيه عن ذلك لعلمه أن الفاطميين سيعودون لمهاجمة دمشق إلاّ أن أفتكين لم يقبل بذلك[2].

وتمت المصالحة بينهما في عسقلان على أن ينصب أفتكين سيفه، ورمح الحسن بن أحمد على باب المدينة فيخرج جوهر وأصحابه من تحته مع تقديم أموال كثيرة[3]، وبهذا تفادى جوهر هلاك جيشه، وعاد إلى مصر ليخبر العزيز باستفحال أمر أفتكين واحتمال قيامه بالهجوم على مصر[4].

لقد أشار جوهر على العزيز أن يستعد ويخرج بنفسه لملاقاة أفتكين لأن الأمر لا يحتمل الانتظار، فأخذ العزيز بمشورته، وأعدَّ جيشه إعداداً جيداً، وخرج بجيش كبير على مقدمته جوهر[5]. ولما سمع أفتكين والحسن بن أحمد عادا إلى الرملة، وجمعا العرب، وأخذا في التأهب والاستعداد من جديد لخوض الحرب، ثم قدم العزيز بعساكره ونزل بظاهر الرملة على مقربة من جيش أفتكين والحسن بن أحمد[6].

وفي المحرم سنة (367هـ/ آب 977م) التقى العزيز بجيوش أفتكين والقرامطة بالقرب من الرملة، حيث أثبت فيها أفتكين قدرة قتالية عالية، وشجاعة متميزة، لدرجة أنه أعجب خصمه العزيز بالله، فأرسل إليه يستميله ويعرض عليه الصلح، ويَعِدُه بالمناصب والأموال إن هو قَبِلَ

---

(1) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص133، ثابت بن سنان: أخبار القرامطة جـ2، ص235، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص31-32، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64، النويري: نهاية الأرب جـ25، ص315، الدواداري: الدرة المضيئة ص179-180، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص281، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص238، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص137، Bianquis: Damas, vol I, p106 .

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص32-33، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص281، الذهبي: أعلام النبلاء جـ16، ص307، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص241، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص137، Bianquis: Damas, vol I, p109

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص33، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص42.

(4) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64، ابن كثير: البداية والنهاية جـ1، ص281، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص242، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص51، حسن إبراهيم: الدولة الفاطمية ص161.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص33، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص43.

(6) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص33، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64.

عرضه وأوقف القتال، لكنه رفض ذلك[1].

واستمر يحارب الفاطميين ويحرّض جنده على القتال، إلاّ أن تفوّق القوات الفاطمية، وعدم تماسك الجبهة المعادية للفاطميين والمكونة من قوات دمشق بقيادة أفتكين وقوات القرامطة بالإضافة إلى وقوف آل الجراح من قبيلة طيء بقيادة المفرج بن الجراح إلى جانب الفاطميين، كلُّ هذا شجّع الفاطميين على القتال وتحقيق النصر، فقاتلوا قتالاً مستميتاً انتهى بتعرّض جيش أفتكين وحلفائه القرامطة للهزيمة[2]، فكانت أقسى هزيمة يتعرض لها خلال فترة حكمه لدمشق (364-368هـ/974-978م)، فهرب أفتكين بعد هذه الهزيمة[3].

قرر العزيز با لله تقديم هدية ثمينة قدرها مائة ألف دينار لمن يأتيه بأفتكين[4]، وكان أفتكين قد تعرّض لعطش شديد خلال هربه، والتقى بصديقه القديم المفرج بن دغفل الطائي فسقاه وحمله معه إلى بيته، وأكرمه، إلاّ أنه كان يستعدُّ لتسليمه إلى العزيز، حيث بعث يخبره بوجود أفتكين عنده، فأرسل إليه العزيز بمائة ألف دينار ورجال تسلّموا أفتكين وحملوه إلى العزيز[5].

وبالرغم من أن أفتكين كان يتوقع من العزيز قتله إلاّ أنه أكرمه غاية الاكرام، وردّ إليه أمواله دون أن يفقد منها شيئاً وجعله من أخصّ أصحابه وأمرائه، ورجع إلى مصر معزّزاً مكرماً وأقطعه إقطاعات جزيلة، وخصَّص له داراً لإقامته بقي فيها حتى مات سنة (372هـ/982م)[6].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص34، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص268-269، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص161، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص205، المعاضيدي: الحياة السياسية ص51، Bianquis: Damas, vol l, p110 .

(2) يحيى بن سعيد الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا ص181، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص291، صادق جودة: مدينة الرملة ص117، Bianquis: Damas, vol l, p113 .

(3) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص34، محمد سرور: النفوذ القاطمي ص43.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص33-34، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64، الدواداري: الدرة المضيئة ص187، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص281، المعاضيدي: الحياة السياسية ص51.

(5) مسكويه: تجارب الأمم جـ2، ص385، الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ص227، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص34-35، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص64، الدواداري: الدرة المضيئة ص187، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص282، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص243، Bianquis: Damas, vol l, p11 .

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص36، الذهبي: العبر جـ2، ص130، الدواداري: الدرة المضيئة ص189، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص162، صادق جودة: مدينة الرملة ص118-119.
Bianquis: Damas, vol l, p117.

أما القرامطة[1] فقد ولّوا منهزمين إلى طبرية، فأرسل العزيز بالله من يلحق بهم، ويعدهم بالعفو، وجرت المفاوضات بين رسول الخليفة والقرامطة، وانتهت إلى الاتفاق على أن يدفع الفاطميون للقرامطة (30) ألف دينار، على أن يكونوا في طاعة العزيز بالله ويعودوا إلى الإحساء[2].

وبهذا تمكّن العزيز بمهارته السياسية وقوته العسكرية أن يفشل حركة أفتكين التركي في بلاد الشام، فاستعاد الفاطميون نفوذهم عليها، واستعادوا حكم مدينة دمشق، كما أوقفوا هجمات القرامطة على المنطقة، وتمّ القضاء على التحالف الذي كان يربط ما بين القرامطة وأهل دمشق، عن طريق اجتذاب العزيز للقرامطة، وعقد الصلح معهم على الطاعة والموادعة، غير أن حكم الفاطميين لبلاد الشام بقي غير مستقر خاصة في مدينة دمشق بسبب استمرار الشغب بين أحداث المدينة والجيش الفاطمي.

---

(1) يذكر المقريزي أن الحسن بن أحمد القرمطي توفي بعد وصوله إلى الرملة وهو يلاحق جوهر الصقلي وذلك سنة 366هـ/976م، فقام بأمر القرامطة من بعده ابن عمه جعفر بن أبي سعيد الجنابي، وحمل معه الحسن عند عودته إلى الإحساء، ودفنه هناك (انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص298).

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص36، 37، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص64-65، ابن خلدون: التاريخ جـ4، ص91، الدواداري: الدرة المضيئة ص179، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص282، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص128، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص44، المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي والغزو الصليبي ص15.

الأحداث في دمشق

الأحداثُ جمعُ حَدَثٍ ومعناها الشبانُ الصغارُ، وهي حركة شعبية أو ثورات اجتماعية تقوم بها فئات معينة من فقراء الناس[1] لقمع وإرهاب السلطة السياسية إذا كانت خارجية، وغالباً ما تظهر مثل هذه الحركات عندما تفشل المؤسسات الرسمية في توفير الأمن والاستقرار في البلاد، فتقوم بالثورات الاجتماعية ضد المتسببين في الفوضى، وكان لها دور بارز في بعض المدن الشامية خلال الفترة الواقعة ما بين القرنين (4-6هـ/10-12م) خاصةً في مدينتي حلب ودمشق[2].

وكانت هذه الحركة تقوم أحياناً بوظيفة تشبه وظيفة الشرطة كحفظ الأمن والنظام، ومكافحة الحرائق، وقد يشكّل رجالها قوة عسكرية تقتصر وظيفتها على الأعمال الداخلية في المدينة، وقد يشاركون في القيام ببعض الأعمال الدفاعية عند الحاجة[3].

وقد سبقت بغداد مدينة دمشق في معرفة مثل هذه التنظيمات، حيث ظهرت فيها منظمات العيّارين والشطّار، وكانت تُعرف باسم حركة الفتوة[4].

---

(1) عبد الكريم اليافي: معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ص178، محمد رجب النجار: حكاية الشطار والعيارين في التراث العربي/ مجلة العلوم الاجتماعية/ جامعة الكويت، العدد الثاني 1983م، ص243-245، يوسف العش: الخلافة العباسية ص196-197.

Cahen.cl: Ahdath/El, London 1960, vol l, p256, Axel Havemann: Non-urban Rebels in uraban society. The case of fatimid Damascus, p 1.

(2) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص239، الهامش، بيانكي: ثلاث شخصيات انتقالية في سورية/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، ص4، 58. Cahen,cl : Ahdathm El, vol l, p256.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص239، شاكر مصطفى: دخول الترك ص316، كلود كاهن: دمشق في دوائر المعارف الإسلامية جـ2، ص247، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص215-216.

(4) الدوري: تاريخ العراق ص93، صباح الشيخلي: الأصناف في العصر العباسي ص171، يوسف العش: الخلافة العباسية ص196-197، محمد النجار: حكاية الشطار والعيارين ص246.

ويأتي ظهور الأحداث بين الرجال المسلّحين والوطنيين بالمولد، لهذا كانوا يؤلفون عنصر المعارضة في المدينة ضد السلطات السياسية التي غالباً ما تكون غريبة عن المدينة[1]، وكانت تتولى قيادتهم عناصر محلّية من أبناء المدينة، ويتمتع قائدهم الذي يلقب بالمقدّم أو الرئيس بنفوذ واسع[2].

ويعود ظهور الأحداث إلى وجود نوع من التنظيمات الاجتماعية القائمة على أساس تجمُّع أصحاب كل مهنة أو حرفة في حيّ من الأحياء ويكون له رئيس خاص به ومسجد وشرطة وجيش يتألف من الأحداث الذين يقومون بحمايته[3].

وقد أُسيء استخدام هذا التنظيم فدخلت فيه مجموعات من الغوغاء والمنحرفين الذين وصلوا بفضل قوتهم إلى سلطة المدينة على مستوى الحي أو المدينة ومارسوا بعض الأعمال التخريبية[4].

ودفع هذا الأمر إلى ظهور مؤسسات لتأهيل الأحداث ورعايتهم بتمويل من التجّار الذين أرادوا أن يتم توجيه هذه المؤسسات لحماية ممتلكاتهم وأعراضهم وحياتهم من الأخطار التي كان يُسَبِّبُهَا الأحداث[5].

وظهر نشاط الأحداث في دمشق عندما تحوَّلَ الجيش الفاطمي إلى عنصر شغب وساهم في الفوضى بإقدام رجاله على الاعتداء على أهل المدينة، فَنَظَّم أحداثها أمور الدفاع عن المدينة واشترك معهم جميع فئات الشعب لردّ الأخطار الفاطمية[6].

ولم يتوقف نشاط الأحداث بسقوط دمشق بيد الفاطميين، بل استمر يشكّل مصدر قلق دائم لولاة

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص211، جـ2، ص31، ابن طولون: القلائد الجوهرية ص9، عبد الودود برغوث: أحداث اجتماعية من تاريخ دمشق/ المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ص407، عبد الكريم اليافي: معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ص178.

(2) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص229، الدواداري: الدرة المضيئة ص196، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص292–293، شاكر مصطفى: دخول الترك الغز إلى بلاد الشام ص316.

(3) انظر صفوح خير: مدينة دمشق ص158، كارل ولتسينجر: الآثار الإسلامية ص60، سليم عبد الحق وخالد معاذ: مشاهد دمشق ص19، عبد القادر الريحاوي: تاريخ دمشق ص37، صباح الشيخلي: الأصناف ص172.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص20، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص257، عبد الودود برغوث: حوادث اجتماعية من تاريخ دمشق ص407–408، صباح الشيخلي: الأصناف ص172.

(5) انظر بيانكي: ثلاث شخصيات انتقالية ص4.

(6) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124، المقفى ص223، سهيل زكار: تاريخ الحروب الصليبية ص84، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص215–216.

الفاطميين الذين أطلقوا العنان لجنودهم في التعدي على أهل المدينة، فتعاون الأحداث مع السكان لرد اعتداءات الجنود المغاربة، وكثرت الفتن بينهم، فهدّد القائد الفاطمي أبو محمود مشايخ البلد، وعادت الفتنة على أثر مقتل جندي مغربي، فتزعم ابن المارود الحرب ضد المغاربة الذين ألقوا النار في دور المدينة[1].

وجّه الفاطميون نقمتهم ضد الرعية دون تمييز بين أهل دمشق وأحداثها فقتلوا عدداً من السكان[2]، واستمرت الفتنة قائمة بين الجيش الفاطمي وسكان المدينة الذين منحوا زعامتهم للأحداث، وتكررت الفتنة لعدة مرات واتسع نطاقها، وامتدت أيدي الجنود المغاربة للاعتداء على أموال الناس وأقواتهم، وقُطعت المياه عن المدينة، فتعرّض الناس للجوع والحرمان وارتفاع الأسعار، ومات عدد من سكان المدينة[3]، وبقيت الفوضى قائمة في المدينة إلى أن قدم أفتكين التركي، وحكم المدينة سنة (364هـ/974م).

ولم تكد دمشق تدخل تحت طاعة العزيز بعد هزيمة أفتكين حتى تغلّبَ عليها رجل من بني الحارث اسمه قسّام التراب[4]، فقد صحب قسّام رجلاً من رؤساء الأحداث بدمشق يقال له ابن الجسطار، كما استخدمه أفتكين في ولايته على دمشق وقرّبه إليه، واعتمد عليه في كثير من الأمور، وتنقلت به الأحوال وكثر أعوانه حتى غلب على دمشق[5].

وبعد هزيمة أفتكين خَلَت دمشق من أكابر الولاة فبعث العزيز بالله إلى دمشق والياً من العرب يقال له حميدان بن جوّاس العقيلي وساءت العلاقة بينه وبين قسّام، فغُلب حميدان على أمره، وصار لا يحكم إلاّ بأمر قسّام الذي تقوّى بأحداث دمشق، فشدّوا أزره واستولى على

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10–18، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص211–212، المقفى الكبير جـ3، ص53–54.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص18، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص212

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص18–20، الدواداري: الدرة المضيئة ص166–167، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص277، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص213، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص44.

(4) هو قسّام الحارثي الجبلي التلفيتي، أصله من تلفيتا إحدى قرى جبل سنير، سكن دمشق وكان أول أمره يعمل ترّاباً ينقل التراب على الدواب، وقيل كان يعمل حفاراً للقبور (انظر الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص596، سير أعلام النبلاء جـ16، ص363، الدواداري: الدرة المضيئة ص195، الصفدي: أمراء دمشق ص68، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص292، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص114، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص206، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص97).

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص38، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص96، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص239.

المدينة[1]، وطرد حميدان ونُهبت داره[2].

وتجمَّعَ الأحداث حول قسّام حتى صار رئيسهم[3] بدمشق فقويت شوكته، وزادت عدّته وعدده حتى لم يعد لولاة المدينة الفاطميين أمر بوجوده[4]، وصار صاحب الأمر والنهي.

وعندما نزل ناصر الدولة الحمداني في المزّة على مقربة من دمشق على أثر هروبه من جند عضد الدولة البويهي، منعه قسّام من دخول دمشق حتى لا ينافسه في ولايتها[5].

وفي سنة (369هـ/979م) أرسل الخليفة العزيز بالله سليمان بن جعفر بن فلاح والياً إلى دمشق، وطلب من قسّام وأعوانه التخلي عن حمل السلاح في المدينة، فرفضوا[6]، وعندها أمر سليمان جنوده أن يطوفوا أنحاء المدينة بهدف السيطرة عليها، وأن يمنعوا حمل السلاح لغير الجنود الفاطميين، ولجأ قسّام إلى الإيقاع بسليمان عند العزيز يخبره باعتداء سليمان وجنوده على أهل المدينة، ونشوب القتال بين الطرفين، فبعث العزيز إلى سليمان يأمره بترك المدينة لقسّام[7].

وحكم قسّام الحارثي مدينة دمشق حكماً مستقلاً باسم الفاطميين واستقر حكمه للمدينة حتى أنه ورد على بلاطه بعض الشعراء الشاميين ومدحوه، ومنهم عبد المحسن الصوري الذي مدحه بإحدى قصائده[8].

غير أن قسّاماً وأصحابه من الأحداث أصابهم الغرور في حكمهم للمدينة، فتمادوا في جمع الأموال من الأهالي بدون وجه مشروع، وأساؤوا السيرة في أهل دمشق فكرههم أهلها.

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمش ص38، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص249، المقفى الكبير ص219، الحصيني: منتخبات التواريخ جـ1، ص133.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص38، 41.

(3) انظر Axel. Havemann : Non-urban Rebels / p 6-7.

(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص41، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية ص238-239.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص38-40، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص96، الحصيني: منتخبات التواريخ جـ1، ص133-134.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص41، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص253.

(7) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص96، الدواداري: الدرة المضيئة ص196، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص253-254، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص207.

(8) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص479.

وأهمل قسّام أمر الغوطة حتى أصبحت معسكراً للجيوش التي تصل إلى دمشق يتطاولون على مزروعاتها حتى صارت بحالة سيئة، وطمع فيها الأعراب فأدى ذلك إلى توقف التجارة عن المدينة وارتفاع الأسعار فيها[1].

وفي هذه الأثناء تولى بكجور أمر حلب، وعندما اضطربت أمور دمشق أخذ في تعمير الطرق بينها وبين حمص، وحماها من اللصوص وأعمال الشغب، وتبادل المراسلات مع الخليفة العزيز الذي وعده بولاية دمشق[2].

رأى الخليفة العزيز ضرورة التخلص من المتاعب التي تعترض طريق حكمه لدمشق، فأرسل جيشاً لمحاربة قسّام بقيادة بلتكين التركي سنة (372هـ/982م)[3].

حاول بلتكين إقناع قسّام بتسليم المدينة دون قتال لكنه رفض ذلك واستعد للقتال[4]، فحاصر الفاطميون دمشق، وطال الحصار حتى بدأ القتال في محرم سنة (373هـ/ حزيران 983م)، فتنادى أهل المدينة للوقوف إلى جانب قسّام لمواجهة الجيش الفاطمي، غير أنه لم يخرج معه غير أحداث المدينة وعدد قليل من السكان[5].

وثبت أصحاب قسّام أول الأمر وقتلوا عدداً من جند الفاطميين، غير أنهم عجزوا عن مواصلة الثبات أمام جيش الفاطميين بسبب تخلي أكثر الرعية عن نصرتهم، كما أن عدداً من جنود بلتكين قاموا بنهب ضواحي المدينة لإرهاب أهلها وإجبارهم على الاستسلام[6].

اجتمع شيوخ المدينة واتفقوا على إجبار قسّام على التفاوض مع الفاطميين، بعد أن ساءت أحوالهم نتيجة الحصار الفاطمي، وخرجوا إلى بلتكين فطلبوا منه الأمان، وأجابهم إلى ذلك شريطة أن يسلموا المدينة، فدخل بجيشه دون أن يتعرض لهم أو لأحداث المدينة[7].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص39-42، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص112.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص42، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص112.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص44، حسين محمد سليمان: الدولة الإسلامية ص244.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص44-45، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص105، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص256.

(5) انظر الدواداري: الدرة المضيئة ص209، سهيل زكار: تاريخ الحروب الصليبية ص86، حسين سليمان: الدولة الإسلامية 245، Bianquis: Damas, vol I, p179-181.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص45-46، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص105.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص45-46، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص105، الدواداري: الدرة المضيئة ص209، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص257، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص245.

واختفى قسّام بعد يومين من استسلام دمشق، فنهبوا داره ودور أصحابه، ثم خرج بنفسه وقصد حاجب بلتكين الذي أوصله إلى سيده، وبعث به بلتكين إلى مصر، فعفا عنه العزيز وأطلق سراحه[1]، فتخلص الناس من تحكّمه بهم وتغلبه عليهم بمن تبعه من أحداث المدينة، وبهذا ارتاح الفاطميون من واحدة من أهم العقبات التي اعترضت طريق حكمهم لدمشق، ليبدأ بعدها حكم الفاطميين لدمشق بالاستقرار، رغم وجود بعض الأحداث التي ضايقت حكمهم فيها.

وكانت الفوضى التي سادت مدينة دمشق عقب طرد سليمان بن جعفر بن فلاح سنة (387هـ/997م) سبباً في قيام جماعة الأحداث بالاستيلاء على السلطة في المدينة بقيادة رجل منهم يُعرف بالدهيقين، فحكم المدينة بمن معه من الأحداث[2].

أما جيش بن محمد بن الصمصامة الذي ولي دمشق سنة (390هـ/999م)، فكانت له مع الأحداث ومع أهل دمشق قصة مشهورة ساقها أبو شجاع الروذراوري (ت488هـ/1095م)، فذكر أنه عندما وصل جيش إلى دمشق تلقاه أهلها يتقدمهم الأشراف ووجوه الأحداث مذعنين له بالطاعة والولاء، والرغبة في مرافقته للجهاد ضد الروم[3]، فأقبل جيش على رؤساء الأحداث وأظهر لهم الجميل، ونادى بتوزيع المؤن على أهالي المدينة، وأباح دم المغاربة الذين يتعرضون للسكان أو الأحداث، ووزع عليهم الهدايا والهبات قبل أن يتوجه لمواجهة جيوش الروم في حمص[4].

وبعد عودة جيش من محاربة الروم استقبله أهل دمشق مهنئين وداعين له، فأكرمهم كما فعل معهم من قبل[5]، ونزل مع جيشه خارج المدينة، وسألوه أن يدخل المدينة ويطوف في الأسواق التي زيّنوها ابتهاجاً بالنصر الذي حققه ضد جموع الروم وفرحاً بعودته فرفض ذلك

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص46-47، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص105، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص258، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص363-364، الصفدي: أمراء دمشق ص68، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص115، المناوي: الوزارة والوزراء ص194.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص82، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص213، المناوي: الوزارة والوزراء ص197، Bianquis: Damas, vol l, p225.

(3) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص227، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص84، Bianquis: Damas, vol l, p240.

(4) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص227، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص84-85، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178-179، المناوي: الوزارة والوزراء ص198، سهيل زكار: الحروب الصليبية ص308. Bianquis: Damas, vol l, p241.

(5) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص228، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص86.

متظاهراً بأنه لا يأمن أن تثقل وطأة الجند إذا دخلوا المدينة، وطلب منهم أن يخلوا له قرية بيت لهيا ليقيم فيها، فأجابوه إلى ذلك، وقرّب إليه رؤساء الأحداث، واستحجب جماعة منهم[1].

وقد أخفت سياسة جيش خلفها كثيراً مما يخبئه للأحداث، فأراد أن ينشر الطمأنينة بين الناس حتى يتمكن من تنفيذ مخططه بدقة وإتقان، وما أن مضت مدّة على عودته إلى دمشق، واطمأن إليه رؤساء الأحداث الذين بالغ في إكرامهم واعتاد أن يدعوهم إلى قصره لتناول الطعام حتى أحضر مجموعة من قوّاده الأوفياء، ورتّب لكل قائد أن يتولى السيطرة على قسم من أقسام المدينة عندما يصدر أوامره بدخول المدينة[2]، ثم رتّب في حمام داره قوماً من المغاربة مهمتهم الفتك برؤساء الأحداث إذا حضروا إلى طعامه، وكلّف أحد خواصه بتنفيذ المهمة بعد أن يأكل الأحداث طعامهم كالعادة[3].

وتمّ تنفيذ الخطة بدقة متناهية كما أراد جيش، فما أن فرغ رؤساء الأحداث من طعامهم وتوجهوا لغسل أيديهم حتى أغلق عليهم الفرّاش بابه، وخرج إليهم جنود من المغاربة، فأوقعوا بهم وقتلوهم، وركب قادة الجند كما قسّمهم جيش فدخلوا المدينة ولاحقوا أهلها بالقتل، ودخلوا بيوتها وانتهكوا حرماتها[4]، كما ركب جيش ودخل المدينة وطاف بها، ورأى الناس يستغيثون به، فكفّ جنده عنهم واستدعى الأشراف، فما أن حضروا إليه حتى أخرج إليهم رؤساء الأحداث وأمر بضرب رقابهم وصلبهم ثم قبض على الأشراف وحملهم إلى مصر واستولى على أموالهم وفرض على المدينة نصف مليون دينار[5]، جمعها من السكان بمنتهى القسوة والظلم.

لقد كانت هذه الحادثة أكبر كارثة يتعرض لها أحداث المدينة، وأخذ نشاطهم يقل بالتدريج حيث افتقروا بعدها إلى الزعامة السياسية والعسكرية التي كانت تخطط لهم وتعلن التنفيذ، إذ مات أكثرهم في هذه الحادثة.

---

(1) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص228-229، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص179، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص55، المناوي: الوزارة والوزراء ص198.

(2) انظر أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص229، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص88.

(3) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص229، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص88.

(4) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص229، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص88، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص274-275.

(5) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص229، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص88، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص179، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص55، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص31-32، المقفى الكبير جـ3، ص120، المناوي: الوزارة والوزراء ص198، Bianquis: Damas, vol I P246.

الحكم الفاطمي لدمشق

بدأ حكم الفاطميين لدمشق بالاستقرار النسبي بعد أن تمكّن بلتكين من إنهاء سيطرة قسّام على المدينة سنة (372هـ/982م)، وأخضع دمشق للسيطرة الفاطمية، وفي هذه الأثناء تعرّضت مدينة دمشق وضواحيها لأزمة اقتصادية نتج عنها ارتفاع في الأسعار ونقص في الطعام[1]، ولعل مردّ ذلك إلى الاضطراب السياسي وكثرة الحروب خلال الفترة التي سيطر فيها قسّام على المدينة (368-372هـ/978-982م).

وأثناء ذلك ظهرت شخصية جديدة في مدينة حمص هو بكجور، وهو مولى لقرعويه أحد غلمان سيف الدولة الحمداني، وكان قد ولّاه سعد الدولة الحمداني مدينة حمص[2]، فأخذ يتقرب من الخليفة الفاطمي العزيز با لله، وقام بتأمين الطرق الموصلة إلى دمشق، وحماها من اللصوص وقطّاع الطرق، وسمح للتّجار بنقل الغلال والطعام إليها حتى صلحت أحوال المدينة[3]، وأخذ يكاتب الخليفة الفاطمي ويعلن له الولاء والطاعة، ورغبته في خدمته[4].

وفي سنة (372هـ/982م) حدث خلاف بين سعد الدولة الحمداني صاحب حلب وبين بكجور فعزله عن ولاية حمص[5]، فكتب بكجور إلى العزيز با لله يطلب منه أن يوليه دمشق،

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص49، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام ص71، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص246.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص48-49، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص245، تهذيب تاريخ دمشق جـ3، ص287-288، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص85، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص29-30، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص286، اليواقيت والضرب ص134، الدواداري: الدرة المضيئة ص200.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص49-50، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص112، ابن كثير: اليواقيت والضرب ص137، منير الخوري: تاريخ حمص ص176.

(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص49-50، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص112.

(5) ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص176-177، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص50، ابن كثير: اليواقيت والضرب ص137، منير الخوري: تاريخ حمص ص176.

وكان قد وعده بها من قبل خلال مراسلاتهما السابقة فأجابه إلى طلبه، ودخل بكجور دمشق والياً عليها في رجب سنة (372هـ/ كانون الأول سنة 982م)[1].

وحكم بكجور دمشق فيما بين عامي (372-378هـ/982-988م)، ولما لم يحسن السياسة فيها بسبب سوء معاملته لأهل المدينة وفتكه بأحداثها[2]، أمر العزيز بعزله، فحاول أن يتمرد مما حدا بالعزيز أن يُوجِّه القائد منير الخادم على رأس جيش كبير لقتاله[3]، فاستعدّ بكجور للمواجهة، وجمع حلفاءه من بني كلب، غير أن قواته تعرضت للهزيمة، واضطر إلى مفاوضة الفاطميين، وسلَّم لهم المدينة مقابل العفو عنه، وغادر دمشق سنة (378هـ/988م)[4].

ولم تمض غير فترة قصيرة حتى دبّ الخلاف بين الوالي الجديد منير الخادم وبين الخليفة الفاطمي العزيز بتدبير من ابن أبي العود الصغير صاحب المال في دمشق حيث اتهم الوالي بأنه يراسل الخليفة العباسي ووالي حلب الحمداني، فعهد العزيز لغلامه التركي منجوتكين بولاية دمشق وكلّفه بإخراج منير منها[5]، وما أن ورد الخبر إلى منير حتى جمع جنده من أهل دمشق وأحداثها واستعد لملاقاة منجوتكين وعسكره، وسار منجوتكين فوصل الرملة وانضم إليه والي طبرية بجنوده، وجمع النفاطين من الرملة فقد قرّر أن يحرق دمشق لوقوف أهلها مع منير الخادم، وصدرت الأوامر إلى نزال والي طرابلس بالتوجُّه إلى دمشق لمساعدة منجوتكين[6].

اجتمعت الجيوش الفاطمية على مدينة دمشق سنة (381هـ/991م)، واشتبكت مع قوات منير، فلحقت به هزيمة قاسية وفشل في الهرب حيث أُلقي القبض عليه وسُلِّم إلى منجوتكين الذي دخل بدوره مدينة دمشق، فشهّره على جمل وقَرَنَ به قرداً، وكان معه عدد كبير من أصحابه[7]،

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص50، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص113.

(2) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص209، يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص151، ابن كثير: اليواقيت والضرب ص138، منير الخوري: تاريخ حمص ص176.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص52-53، ابن عساكر: تهذيب جـ3، ص288.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص52-53، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص245، جـ17، ص252، تهذيب جـ3، ص288، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص135، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص104،

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68، الدواداري: الدرة المضيئة ص232.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص257.

(7) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص217، يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص168، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص69، ابن ميسر: المنتقى ص170، الدواداري: الدرة المضيئة ص232، الصفدي: أمراء دمشق ص89.

وطلب العزيز بالله من منجوتكين التوجّه إلى حلب للاستيلاء عليها بعد موت سعد الدولة الحمداني سنة (381هـ/991م)[1]، فأعدّ جيشاً قوامه ثلاثون ألف جندي من أقوى الرجال وأشجعهم، واتجه إلى حلب سنة (384هـ/994م) فاستعان حاكمها لؤلؤ[2] بامبراطور الروم باسيل الثاني (352-416هـ/963-1025م)[3] فأجابه إلى ذلك وأرسل جيوشه إلى حلب.

استشار منجوتكين أهل الرأي عنده فأشاروا عليه أن يبدأ بالروم حتى لا يُحصَر بين عدوين وانضمت إليه جماعات من أبناء القبائل العربية، والتقوا بالروم عند إعزاز على نهر العاصي بالقرب من حمص واستمروا يحاربونهم إلى أن انهزم الروم فلاحقتهم جيوش الفاطميين والعرب قتلاً وأسراً وتشريداً، وغنموا أموالهم وسلاحهم، ولحق بهم منجوتكين إلى أنطاكية، فأحرق ضياعها ونَهَبَ بساتينها[4]، ثم عاد إلى حلب ليحاصرها، غير أنه آثر العودة إلى دمشق لنقص الطعام وطول المدّة التي أمضاها في الحرب، فأراد أن يستريح بعض الوقت[5] قبل أن يتابع أعماله ضد الروم.

عَدَّ العزيز هذا العمل تهاوناً من منجوتكين، فأرسل صالح بن علي على رأس جيش من مصر، واجتمعت إليه قوات منجوتكين، واتجه لحصار مدينة حلب من جديد واستمرَّ حصارها 13 شهراً فساءت أحوالها[6] واضطر حاكمها إلى الاستعانة بالروم ثانية، وقد تخوّف الامبراطور البيزنطي على أملاكه فبعث جيشاً ضخماً لمساعدة حلب فأخذ الجيش على غفلة منهم، فانهزم منجوتكين وعاد إلى دمشق[7].

ولم يتوقف امبراطور الروم عند حلب، بل تابع سيره إلى حصن شيزر فسيطر عليه، ثم على حمص وسبى من بلاد المسلمين وغنم أموالاً كثيرة، ثم حاصر مدينة طرابلس أكثر من أربعين يوماً ولكنه فشل في دخولها فعاد إلى بلاده[8].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص69، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص154، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام ص73، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص145.

(2) لؤلؤ هو أحد قادة الحمدانيين في حلب وتولّى الوصاية على أبي الفضائل بن سعد الدولة بعد وفاة أبيه لأنه كان صغير السن (انظر ابن الأثير: الكامل جـ7، ص154، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص145).

(3) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص217، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص70، منير الخوري: تاريخ حمص ص177.

(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص70-71، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص154، الدواداري: الدرة المضيئة ص235، ابن كثير: اليواقيت والضرب ص144، أحمد العبادي: التاريخ الفاطمي ص330.

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص71، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص145.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص72، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص154، الدواداري: الدرة المضيئة ص237، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص329.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص73، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص154، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص52.

(8) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص73، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص154.

ولعل هذا كان أول اصطدام يحدث بين الفاطميين والدولة البيزنطية، فكان الفاطميون إثر دخولهم دمشق سنة (359هـ/969م) قد اتخذوا سياسة لم تسمح بالاصطدام مع البيزنطيين، ربما لوجود قوة الحمدانيين التي تشكل قوة دفاعية كبيرة تفصلهم عن الدولة البيزنطية[1].

ومع هذا فإن البيزنطيين قاموا باحتلال أنطاكية سنة (359هـ/969م) ووصلت غاراتهم إلى أرباض بيت المقدس[2].

وعندما اتخذ العزيز بالله سياسة مغايرة لسياسة أبيه تجاه البيزنطيين وطلب من ولاته على دمشق التوغل باتجاه شمال سوريا إلى حلب، أحسّ البيزنطيون بالخطر يهدّد دولتهم في حال نجاح الفاطميين بالسيطرة على حلب، فما أن وصلتهم دعوة أمير حلب بطلب المساعدة حتى أوقفوا كافة عملياتهم العسكرية مع البلغار وأسرعوا لردّ الفاطميين[3].

وأقام منجوتكين والياً بدمشق، بينما تعرّض العزيز الذي أعدّ العدّة لحرب الروم للمرض وتُوفي سنة (386هـ/996م)[4] فتولى ابنه الحاكم بأمر الله وكان صغيراً فسيطر على الأمر الحسن بن عمار[5]، وأخذ يعدّ لقتال منجوتكين، واتهمه بالعصيان[6]، وكلّف سليمان بن جعفر بن فلاح بالمسير إلى دمشق، وقدّم له الأموال والسلاح والرجال، وما أن علم منجوتكين بذلك حتى سار إلى الرملة فملكها، وأخذ أموالها وكان يساعده المفرج بن دغفل بن الجراح، وسنان بن عليان أمير قبائل كلب[7]، ثم توجّه بمَنْ معه إلى عسقلان، والتقى الجيشان هناك، فانهزم منجوتكين وأُسر وحُمل إلى مصر، ثم أطلق بن عمار سراحه بقصد استمالة أعوانه من الجند بينما نزل سليمان بن فلاح على مدينة طبرية[8].

---

(1) انظر أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي 329.

(2) انظر ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية ص47-48، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص329.

(3) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص217، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص70، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص120، منير الخوري: تاريخ حمص ص177، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص329.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص74، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص176، الدواداري: الدرة المضيئة ص238، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص174.

(5) هو أحد شيوخ كتامة تغلّب على الحكم في خلافة الحاكم بأمر الله سنة (386هـ/996م) حيث كان الحاكم صغير السن (انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص76، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178-179).

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص77، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص78، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178، صادق جودة: مدينة الرملة ص129.

(8) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص78، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178، المناوي: الوزارة والوزراء ص197.

وساءت أحوال دمشق من جديد، فبعث إليها سليمان بن فلاح أخاه علياً، فمنعه أهلها من دخول المدينة واستأذن علي أخاه في محاربتهم، فـأذن لـه[1]، فزحـف إلى دمشـق يحـارب أهلهـا ومعه النفّاطون يرمونها بالنار، فهزمهم ودخلها، وأحرق بعض أحيائها[2].

ولما قدم سليمان ساءه ذلك الفعل، فَأَمَّنَ أهلَ المدينة وكفّ عنهم تعديات الجنـود المغاربـة، وحاول استمالة قلوب الرعية وتقريبهم إليه بإصلاح أحوال المدينة وإعادة الاستقرار والنظام إليهـا، فأطلق المحبوسين وفرّق الصدقات على أهل الحاجة[3].

وبعد أن تخلص الحاكم بأمر الله من الحسن بن عمار وبمساعدة برجـوان[4] كتـب الأخـير إلى وجوه دمشق وقادتها للإيقاع بسليمان بن جعفر، فهجموا على قصره ونهبـوا أموالـه وخزائنـه، فخرج هارباً من المدينة[5].

ثم قام برجوان بتجهيز القائد جيش بن محمد بن الصمصامـة بـالجيش ووجّهـه إلى دمشـق يتولّى أمرها، فيقضي على الفوضى، ويعيد إليها الأمن والاستقرار[6].

وفي العقد الأخير من القرن (4هـ/10م)، كان حكم دمشق مرتبطاً إلى حَدٍّ كبير بمـا يحـدث في القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية، ففي سنة (390هـ/1000م)، ولّى الحاكم بأمر الله علي بـن جعفر بن فلاح ولاية دمشق، فدبّر أحوالها دون أن يتعرض لشيء مـن الاسـتغلال أو الاعتـداء[7]، ويبدو أن الحاكم أراد اختبار علي بن جعفـر، فبقـي يحكمهـا علـى هـذه الصـورة حتـى اسـتبدل بختكين الداعي سنة (392هـ/1001م)[8].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص78، ابن الأثير: الكـامل جـ7، ص178، حسـين سـليمان: الدولـة الإسـلامية ص266، Bianquis : Damas, Vol I, P232.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص79، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178.

(3) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشـق: ص79، ابـن الأثـير: الكـامل جـ7، ص178، المنـاوي: الـوزارة والـوزراء ص197، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص266، Bianquis : Damas, Vol I, P233.

(4) هو أبو الفتوح برجوان كان أحد غلمان العزيز بالله، ثم تولى عدة مناصب في أيـام الحـاكم بـأمر الله الفـاطمي (انظر ابـن الأثير: الكامل جـ7، ص201، الدواداري: الدرة المضيئة ص265، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص327).

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص82، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178، صادق جودة: مدينة الرملة ص130.

(6) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص83، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص178، صادق جودة: مدينة الرملة ص130.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص93، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ34، ص495-496.

(8) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص94.

وكان الحاكم بأمر ا لله قد أبقى فهد بن إبراهيم النصراني الذي كان وزيراً لبرجوان الخادم يوم تسلّم برجوان السلطة، فرفع من شأن النصارى في دمشق وعيّن ابن عبدون النصراني على خراج دمشق وصار له تدبير الأموال والأرزاق، واستعان ابن عبدون في عمله بالكتّاب النصارى، فتحكّموا في شؤون المال أثناء ولاية ختكين الداعي، وأُنقصت أُعطيات الجند وأرزاقهم[1].

تعاون الجيش الفاطمي في دمشق، وكان يتكون من مجموعة من الجند المشارقة أتباع الوالي ختكين الداعي، والجند المغاربة، وثاروا ضد ابن عبدون فقتلوه ونهبوا دور الكتّاب النصارى، ونهبوا ما كان في الكنائس أيضاً، ثم عين تموصلت (طزملت) بن بكار والياً على دمشق[2] سنة (392هـ/1001م)، وكان أكثر قدرة على ضبط الأمور وإعادة الأمن إلى المدينة.

وفي سنة (394هـ/1003م) ولّى الحاكم بأمر ا لله أبا صالح مفلح اللحياني مدينة دمشق فحكم المدينة حتى استقامت أحوالها، ونشر الأمن فيها، فاستقرت أحوالها حتى أن الحاكم عندما تعرّض لحركة أبي ركوة[3] على حدود مصر الغربية استدعى جيشاً من دمشق للإسهام في القضاء على هذه الحركة.

تعرّضت دمشق فيما تبقى من فترة حكم الحاكم بأمر ا لله من (399-411هـ/1008-1020م) إلى تبدّل مستمر في الولاة، فتوالى على حكمها أكثر من خمسة وعشرين والياً[4]، فاضطربت أحوالها.

وكان لسياسة الحاكم بأمر ا لله أثر كبير في ذلك، فكانت سياسته متقلبة بين تقريب النصارى أو إبعادهم، وبين سبّ السلف أو تحريم ذلك، والاعتماد على شخصيات إسماعيلية أو سُنّية وربما كان هذا الإجراء بسبب شكاوى المواطنين فأرادت الدولة إرضاء الناس.

اتجه الاهتمام في خلافة الظاهر لإعزاز دين ا لله (411-427هـ/1020-1035م) إلى إعادة

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص94، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص46، Bianqauis : Damas Vol I, P259.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص94، الدواداري: الدرة المضيئة ص271، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص46.

(3) أبو ركوة هو الوليد بن هشام من نسل عبد الرحمن الداخل الأموي: قام بثورة ضد الحاكم بأمر ا لله واستولى على برقة غير أنه تعرض للهزيمة أمام الفاطميين سنة 397هـ/1006م (انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص104، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص234-235، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص288).

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص107، 112-114، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص284، 286، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص287-288.

الاستقرار لمدينة دمشق، وهذا ما شغل كُلاً من وجيه الدولة أبي المطاع بن حمدان (412هـ/1021م) الذي أعاد لها الاستقرار رغم أنه لم يقم بها أكثر من شهر، وشهاب الدولة سحتكين (412-414هـ/1021-1023م) الذي أعاد النظام إلى المدينة[1].

وفي سنة (415هـ/1024م) اجتمع أمراء القبائل العربية في الشام وهم حسان بن الجراح وأخوه محمود أميرا قبيلة طيء، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب، وسنان بن عليان أمير بني كلب، واتفقوا على التعاون لإخراج الفاطميين من بلاد الشام وتقسيمها فيما بينهم[2] على أن يكون لحسان من الرملة إلى مصر، ولأخيه محمود طبرية وما يتصل بها من الساحل، ولسنان بن عليّان دمشق وسوادها، ولصالح بن مرداس ما بقي من الشام حتى الفرات[3].

وقد أثار هذا التحالف مخاوف الخليفة الفاطمي الظاهر (411-427هـ/1020-1035م)، فقد شكّل قوة تهدّد وجود الفاطميين في بلاد الشام بأسرها فأعدَّ الخليفة جيشاً قوياً أسند قيادته لأنوشتكين الدزبري، واتجه به القائد أنوشتكين إلى بلاد الشام، فالتقى جيش حسان بن مفرّج وصالح بن مرداس وجموع العرب في الأقحوانة قرب طبرية، وتمكّن من إلحاق الهزيمة بالجيوش العربية سنة (420هـ/1029م)[4]، وقُتل صالح بن مرداس وفرَّ حسان بن الجراح الطائي إلى بلاد الروم، فاستعاد الفاطميون سيطرتهم على بلاد الشام وعاد الدزبري إلى دمشق، واستمرَّ يحكمها إلى سنة (433هـ/1041م)[5].

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص114.

(2) المسبحي: أخبار مصر في سنتين ص247، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص155-156، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص141، صادق جودة: مدينة الرملة ص158، محمد أحمد عبد المولى: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام ص24.

(3) المسبحي: أخبار مصر ص247، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص156، محمد سرور: سياسة الفاطميين ص141، محمد أحمد عبد المولى: بنو مرداس ص24، Elisseeff : Dimashk/EI , vol II, p854.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص119، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص261، ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص231، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص178، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية ص51، سليمان خرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي ص48.

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص120-121، 134، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ3، ص155، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص261، ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص231، الدواداري: الدرة المضيئة ص326، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص178.

وتُعَدُّ ولاية الدزبري لمدينة دمشق (419-433هـ/1028-1041م) من أكثر الفترات استقراراً خلال حكم الفاطميين للمدينة، فقد عادت سيادة دمشق على غالبية الشام، ويعود ذلك إلى حُسْن تدبير أنوشتكين الدزبري وقدرته على إعادة الأمن والنظام، وتودّده إلى أهالي المدينة وحسن السيرة فيهم[1].

وأسهم الفاطميون في إعادة الفوضى إلى دمشق مما عرّض سيادتهم على المدينة إلى الاختلال والانحسار، فقد شجّعوا أهالي دمشق وجنودها على الثورة ضد الدزبري[2]، فتعرّضت المدينة لعبث القبائل العربية ولحق بالمدينة أضرار متعددة، وأمضى ناصر الدولة الحمداني فترة ولايته (433-440هـ/1041-1048م) في محاربة الأعراب الطامعين بمدينة دمشق[3].

وفي سنة (440هـ/1048م) قام أمير دمشق ناصر الدولة الحمداني وأمير حمص جعفر بن كليد (أبو شجاع) بإعداد الجيوش وحشد أبناء القبائل العربية لقتال أمير حلب ثمال بن صالح بن مرداس لتوقفه عن إرسال الأموال المتفق عليها إلى الفاطميين[4]، وتوجّه ناصر الدولة إلى حلب فنزل على حماه وفتحها، ثم أخذ المعرَّة وواصل سيره إلى حلب فجرت بينه وبين ثمال حروب كثيرة دون نتيجة، فتركها وعاد إلى دمشق[5].

وفي سنة (441هـ/1049م) تولى أمير الأمراء رفق المستنصري دمشق وكلّفه الخليفة المستنصر بالله (427-487هـ/1035-1094م) بالتوجه إلى حلب وانتزاعها من المرداسيين[6]، فتعرّض للهزيمة وجُرح، ثم وقع في الأسر ومات متأثراً بجراحه[7].

وتفرّغ حيدرة بن الحسين بن مفلح (441-450هـ/1048-1058م) خلال حكمه لدمشق للحكم والجيش فساد الاستقرار في المدينة[8].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص116-117، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص296-297، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص56.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص122، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص32.

(3) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص134، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص32.

(4) انظر ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص263، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص201، محمد أحمد عبد المولى: بنو مرداس ص97.

(5) ابن الأثير: الكامل جـ8، ص49، ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص264، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص201، محمد أحمد عبد المولى: بنو مرداس ص98.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص139، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص209.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص139، ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص265-267، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص209، محمد أحمد عبد المولى: بنو مرداس ص99.

(8) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص140.

غير أن دمشق لم تهنأ طويلاً بهذا الاستقرار فقد عادت الفوضى والاضطرابات إلى المدينة خلال الفترة المتبقية من حكم الفاطميين فيها (450-468هـ/1058-1075م) ومن تبدّل ولاة المدينة[1]، ولعل ذلك عائد إلى الاضطراب الذي أصاب مصر، والناتج عن عوامل اقتصادية متمثلة بنقص مياه النيل مما أدى إلى القحط وارتفاع الأسعار وانتشار المجاعات والأوبئة وعوامل سياسية أساسها ضعف الحكومة وعدم قدرتها على ضبط الأمور[2].

وثار أهل دمشق سنة (456هـ/1063م) على أميرهم الفاطمي بدر الجمالي، ووقف الجند معهم، ولم يتمكّن بدر من البقاء بينهم فترك المدينة[3]، فتولى مكانه حيدرة بن منزو الكتامي، كما ثاروا على بدر في ولايته الثانية سنة (458هـ/1065م)[4]، ثم بلغت الفوضى ذروتها في دمشق بعد رحيل بدر الجمالي، فسرعان ما دَبَّت الخلافات الداخلية وتنازع الجيش مع أحداث البلد، فنهب الجيش بعض أحياء المدينة وانتشرت الفوضى إلى أن غلب معلّى بن حيدرة الكتامي على ولاية دمشق قهراً من غير تقليد سنة (461هـ/1068م)، فكان حكمه قاسياً، فعانى أهل المدينة من ظلمه وكثرة مصادراته، وقد سمح لأعوانه بالتعدي على السكان مما دفع ببعضهم إلى مغادرة المدينة[5].

أدّى الاضطراب السياسي في المدينة إلى تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتعرضت دمشق للحرق، فأُلقيت النار في جانب من المدينة وامتدّ حتى وصل الجامع الأموي، فتعرض قسم كبير منه للحريق[6]، فكان ذلك من أسوأ الحوادث التي تعرّضت لها دمشق، واستمرت أحوالها في التردي، فتعرّضت لأطماع السلاجقة وما هي إلاّ سنوات حتى تمكّنوا من دخولها والقضاء على النفوذ الفاطمي فيها.

لقد عانت دمشق خلال حكم الفاطميين لها، وتعرّضت لمصاعب جمة، ورغم أن الفاطميين سعوا بكل إمكاناتهم لتثبيت سلطانهم فيها، إلاّ أن حكمهم فيها كان ينقصه الاستقرار.

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص142، 152، 153، 154، 155، 157.

(2) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص299، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص304-305، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص300-301.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص96، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص270.

(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص155.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161، ابن ميسر: المنتقى ص35.

(6) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص162، الذهبي: دول الإسلام ص234، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص300-301.

وقد عجز الفاطميون عن كسب أهل دمشق لقبول السيادة الفاطمية على المدينة بسبب الخلافات المذهبية بين الفاطميين الإسماعيلية وبين أهل دمشق السُّنَّة مما جعل من الصعب إيجاد نوع من التفاهم والاتفاق بين أتباع المذهبين.

وأسهم بعض الولاة الفاطميين في دمشق بسوء سيرتهم[1] على ازدياد الهوة واتساع الخلاف بين الطرفين، ناهيك عن سوء سلوك الجنود المغاربة واعتداءاتهم المتكررة على أهل المدينة، نتيجة سوء الإدارة الفاطمية أحياناً، أو بتحريض منها أحياناً أخرى.

كل هذه الأمور لم تفسح المجال لتحقيق الاستقرار وضمان استمرار السيادة الفاطمية على المدينة، ولهذا بقي الوجود الفاطمي مهدداً في دمشق حتى عندما كان الفاطميون يلجؤون إلى تأكيد سيادتهم بالقوة، فقد رفض أهل دمشق الحكم الفاطمي للمدينة، وكانوا على استعداد للتعاون مع الأحداث ضد أية جماعة تلجأ إلى العنف في معاملة أهالي المدينة.

حتى الجماعات التي استمالها الفاطميون كأبناء قبيلة كلب، فقدوا ثقتهم بالفاطميين، فانقلبوا عليهم، ووقفوا إلى جانب عرب الشام ضد الفاطميين[2].

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص162–163، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر جـ2، ص186، سليمان خرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي على بلاد الشام ص57.

(2) انظر المسبحي: أخبار مصر ص44، 47–50، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص210، سليمان خرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي على بلاد الشام ص46، Elisseeff: Dimashk/EI, vol II, p854.

سقوط دمشق بيد الأتراك

بدأت الفوضى والاضطرابات في مدينة دمشق في ولاية بدر الجمالي الأولى سنة (455هـ/1063م) على أثر النزاع الذي قام بينه وبين جند دمشق وأحداثها وأهلها، وتحول النزاع إلى حروب داخلية عجز بدر الجمالي عن وضع نهاية لها، فترك المدينة وفرّ هارباً بعد اعتداء الجند والأهالي على قصر السلطنة ونهبه سنة (456هـ/1064م)[1].

وساءت أحوال المدينة بعد ذلك في ولاية حيدرة بن منزو الذي تولّى أمرها بعد خروج بدر الجمالي، واستُبدل، في العام نفسه، بالأمير دري المستنصري،ثم عُزل وبقيت دمشق خالية من الولاة إلى أن عاد إليها بدر الجمالي ثانية سنة (458هـ/1066م)[2].

استعدّ بدر هذه المرة لأهل دمشق وخرج على رأس جيش أنفق عليه مليون دينار رغم الأزمة الاقتصادية التي كانت تمرُّ بها مصر آنذاك، وأخذ بدر في تأديب القبائل العربية من طيء وكلب، وحكم المدينة بقوة السيف وأخرج منها الشريف أبا طاهر حيدرة بن الحسن بن أبي الجن الحسيني، فتوجّه إلى مصر[3].

ثار أهل دمشق على بدر، وتجدّدت الحروب بينهما سنة (460هـ/1068م). فساعدهم حيدرة ابن منزو وأغاروا على قصر الولاية فأحرقوه ونقضوا أخشابه حتى صار خراباً وأجبروا بدراً على الرحيل من دمشق، فتولى الحكم فيها الأمير قطب الدولة بارز طغان[4].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص270، المقفى الكبير جـ2، ص394-395.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص155، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص394، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص306.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص157، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص272، 296.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص157- 158، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص277.

وبلغت الفوضى ذروتها بعد رحيل بدر الجمالي، فسرعان ما نشبت الخلافات الداخلية وتنازع العسكر مع أحداث البلد، ونهب العسكر بعض أحياء المدينة، واستمرت الفوضى إلى أن غلب معلّى بن حيدرة الكتامي على ولايتها قسراً من غير تقليد سنة (461هـ/1068م)، وأطلق لنفسه العنان في حكمها، وإدارة شؤونها، فبالغ في المصادرات، وارتكب من الظلم والجور ضد أهلها الكثير، فلجأ كثير من سكانها إلى الرحيل[1]، وكان لذلك أسوأ الأثر على أحوالها الاقتصادية خاصة وأن أكثر مزارعي الغوطة هجروا أراضيهم ورحلوا عنها.

وفي مثل هذه الظروف قدم الأتراك السلاجقة إلى بلاد الشام، حيث كلّف السلطان السلجوقي ملكشاه القائد التركماني آتسز الخوارزمي[2]، بالسيطرة على بلاد الشام فجمع حوله التركمان وتوجَّه إلى فلسطين سنة (463هـ/1071م) ففتحها[3]، وتوجّه إلى دمشق فحاصرها، ونهب القرى المجاورة لها وقطع عنها الميرة وضيّق على أهلها، ورعى زرعها لعدة سنين حتى يفرض عليها الاستسلام[4].

اضطربت أحوال المدينة فخربت المنازل، وارتفعت الأسعار، واشتدَّ الخلاف بين الجند المغاربة وأهل المدينة، فأضعف ذلك من القوة التي كانت تدفع عنها الأخطار[5].

لقد ضرب آتسز على المدينة حصاراً اقتصادياً حرم المدينة من أهم مواردها، وما كان يُزرع في أراضي المدينة كان يتعرض للتلف[6] لأن آتسز كان يتركه إلى أن يأتي الربيع فيرعاه قبل موعد نضجه، فدفع هذا الأمر بعدد من الفلاحين إلى التخلي عن أعمالهم، وتوقفت حركة التجارة التي كان يعوّل

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161، ابن ميسر: المنتقى ص35.

(2) هو آتسز بن آوق الخوارزمي مقدم الأتراك وأحد أمراء السلطان السلجوقي ملكشاه، وكان يلقب نفسه الملك المعظم، انظر الصفدي: الوافي بالوفيات جـ6، ص195، الذهبي: العبر جـ3، ص274-275، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص315، سهيل زكار: الحروب الصليبية ص265.
Cl. Cahen: Atsiz / El, London 1960, Vol I, P750-751.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص167، الفارقي: التاريخ ص192، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص122، صلاح الدين المنجد: ولاة دمشق في العهد السلجوقي ص4.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص167، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص22، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص221، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص60.

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص167، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص22، صلاح المنجد: ولاة دمشق ص4، محمد سالم العوفي: العلاقات السياسية ص139.

(6) انظر سبط الجوزي: مرآة الزمان/ القسم الخاص بتاريخ السلاجقة طبعة أنقرة 1968، ص157، صلاح الدين المنجد: ولاة دمشق ص4، سليمان الخرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي ص254.

عليها في سدّ حاجات المدينة، ففقد الناس القدرة على مواجهة الحصار لقلّة الطعام والشراب[1].

وهكذا تعرضت مدينة دمشق للاضطراب السياسي والاقتصادي، وصارت تتنازعها العداوات والفتن والشيع والأحزاب والحصار التركي، ولما يئس معلّى بن حيدرة من استمرار حكمه لها خرج هارباً، فاتفق الناس على تولية الأمير رزين الدولة انتصار بن يحيى المصمودي ليملك زمام المدينة، فتولى أمرها سنة (468هـ/1075م)[2].

إلاّ أن الأحوال الاقتصادية في المدينة كانت تسير من سيىء إلى أسوأ أمام استمرار حصار آتسز لها، فانقطعت الأقوات ونفدت الغلاّت، واضطر الناس بسبب ضيق الحال إلى أكل الجيف، بل أكل بعضهم بعضاً[3].

ولما رأى أهل دمشق وعسكرها ما وصلت إليه المدينة من سوء الحال دعت الضرورة إلى الاتفاق مع الأمير الفاطمي رزين الدولة انتصار بن يحيى المصمودي على تسليم المدينة بالأمان إلى آتسز، فدخلها وتسلمها من واليها سنة (468هـ/1075م)[4].

ولم يكن آتسز بأفضل من غيره في معاملة أهل دمشق. فما أن دخلها حتى حلّ بأهلها منه مثلما عانوه من أسوأ ولاتها، فاشتدّ البلاء ونزل التركمان دور المدينة وأخرجوا أهلها، واغتصبوا أملاكهم، فكره الناس الأمير الجديد مثلما كرهوا جيش بن الصمصامة من قبل، فلعنوه وابتهلوا إلى الله بهلاكه[5].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص602، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص180، ابن ميسر: أخبار مصر ص42–43، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص317، سهيل زكار: الحروب الصليبية ص267، سليمان الخرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي ص254.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص122، انظر سبط الجوزي: مرآة الزمان/ القسم الخاص بتاريخ السلاجقة ص180، Bianquis : Damas, Vol l, P617- 628.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174، ابن ميسر: المنتقى ص42–43، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص317، الفارقي: التاريخ ص192، 193، 199، الصفدي: أمراء دمشق ص4، زامبارو: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص46، المنجد: ولاة دمشق ص4، العوفي: العلاقات السياسية ص140.
Bianquis: Damas, Vol l, P617- 628, Hitti : History of Syria, P588-589 cahen : ATSIZ / El, London 1960, Vol l, P570.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174–175، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان/ القسم الخاص بتاريخ السلاجقة ص180، Cahen : ATSIZ / El, London 1960, Vol l, P571.

وأخذ آتسز يعمل على إحكام سيطرته على المدينة وتوسيع دائرة نفوذه خارجها، كما لجأ إلى الانتقام من أهلها بعدما أعطاهم الأمان، واستمرَّ يعاملهم بمنتهى القسوة والظلم حتى أحسَّ بنقمتهم عليه، ولكي ينسى أهل دمشق ما فعله معهم لجأ إلى القيام بعمل يشغل الناس، ففكّر بغزو مصر.

وبما أن الدولة الفاطمية فقدت بعض ولاياتها وكانت خارجة لتوِّها من أصعب أزمة سياسية واجتماعية واقتصادية فقد ظنّ آتسز أن قدرتها على المقاومة أصبحت ضعيفة وأن بإمكانه ضمَّ مصر، وأعدَّ نفسه لغزوها سنة (469هـ/1076م)[1]، فتصدّى له أمير الجيوش بدر الجمالي، وجمع حوله أبناء القبائل العربية، كما استغل انقسام جيش السلاجقة الذي يقوده آتسز واستمال إلى جانبه فريقاً منهم، فتعرض آتسز لهزيمة قاسية وقُتِلَ أخوه المأمون، فعاد إلى دمشق[2]، ولاحقته الجيوش الفاطمية إلى دمشق وفرضت عليه الحصار.

عندما عجز آتسز عن ردّ الجيوش الفاطمية راسلَ تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان يستنجده ضد الفاطميين، فسار تتش إلى دمشق سنة (471هـ/1078م)، وخرج آتسز لاستقباله خارج المدينة وسلّمها إليه[3]، غير أنه استوحش من آتسز فقبض عليه وقتله[4] إرضاء لأهل دمشق الذين تحمّلوا من قسوته وظلمه في حصار المدينة عناءً كبيراً، كما عانوا من القسوة والظلم بعد تسليمها لكي يمحو الصورة التي رسمها آتسز عن السلاجقة في نفوس أهل المدينة بظلمه وتعسفه[5].

بهذه الصورة انتهى الحكم الفاطمي لمدينة دمشق وكانت قد عانت من تبدّل الولاة والحكّام وظلمهم ما غيّر أحوالها وقد كانت ذات يوم حاضرة كبرى ذات مجد وعظمة إلى مدينة قليلة الأهمية قليلة السكان مأسوف على وجودها الذي مضى.

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص176، ابن الأثير: الكامل جـ8، ص123، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص317، سليمان خرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي ص261-263.

(2) انظر ابن الأثير: الكامل جـ8، ص123، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص317-318، المقفى الكبير جـ2، ص221، محمد سرور: النفوذ الفاطمي ص62.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص182، ابن العديم: زبدة الحلب جـ2، ص429، الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص72، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر جـ2، ص193-194، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص320، المقفى الكبير جـ2، ص223.

(4) ابن الأثير: الكامل جـ8، ص126، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان القسم الخاص بتاريخ السلاجقة ص200، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر جـ2، ص194، Cahen : ATSIZ / El, London 1960, Vol I, p571.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص183، الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص72، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص320.

الفصل الثالث

الإدارة الفاطمية في دمشق

أ ـ لمحة موجزة عن الإدارة في العهد الإخشيدي.

ب ـ الإدارة الفاطمية في دمشق:

1 – ولاة دمشق.

2 – الدواوين.

3 – الجيش.

4 – القضاء.

5 – الشرطة.

6 – الحسبة.

7 – البريد.

لمحة موجزة عن
الإدارة في العهد الإخشيدي

كانت دمشق تابعة لحكم الدولة العباسية في العهد الإخشيدي، فحكمها الإخشيديون باسم الخليفة العباسي، وكان يُخطَب على منابرها للخليفة العباسي عندما تولاها محمد بن طغج الإخشيد سنة (318هـ/929م)[1]. والخليفة العباسي هو الذي منح محمد بن طغج لقب الإخشيد[2] سنة (324هـ/935م) إثر تصديه للهجوم الفاطمي على مصر وردّهم خاسرين[3].

وقلّد الخليفة العباسي محمد بن طغج الإخشيد ولاية مصر إضافة إلى ولاية الشام سنة (333هـ/944م)، فقام الإخشيد بالدعوة للخليفة المستكفي على منابر مصر والشام[4]، وأصبحت دمشق وبلادها بعد ذلك تابعة لمصر حيث نقل الإخشيد مقره إلى هناك، وفي جميع الأحوال فإن هذه الولاية كانت تدين بولائها للخلافة العباسية في بغداد.

أما من حيث الإدارة فقد استقلّ الإخشيديون بالحكم في ولايتهم رغم أن تعيين كبار الموظفين كالقضاة وجباة الخراج بقي في أيدي خلفاء بغداد.

على أن سيادة الإخشيديين على دمشق تعرّضت للخطر خاصةً بعد تولي محمد بن رائق[5] أمير

---

(1) المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص746.

(2) حول هذا الموضوع انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص745، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص140-141.

(3) المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص746-747، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص140-141، محمد أحمد الزيود: العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والإخشيدي ص284-285.

(4) الكندي: الولاة والقضاة ص292، المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص750، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص55.

(5) الأمير أبو بكر محمد بن رائق تولى شرطة بغداد للمقتدر بالله سنة 317هـ/929م، ثم تولى واسط والبصرة في خلافة الراضي إلى أن ندبه الراضي ليكون أميراً للأمراء ببغداد سنة 324هـ/935م (انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص654-658).

الأمراء[1] في بغداد، فقدم إلى دمشق وطرد الإخشيد منهـا سـنة (328هـ/939م)، كمـا تعرضـت لخطـر سيف الدولة الحمداني، الذي فصلها عن حكم الإخشـيد سـنة (333هـ/944م)[2]، غـير أن نفـوذه لم يطل بها بسبب كراهية أهل دمشق لسيف الدولة وإصرار الإخشيد على استعادتها، فردّها إلى حكمـه في أواخر سنة (333هـ/944م)، وأوكل أمرها إلى أحد خواصه ويُعرف بيانس المؤنسي[3].

وبعد وفاة الإخشيد في دمشق سنة (334هـ/945م) خلفه ابنه أنوجور وكان عمره 15 سنة فقـام كافور الإخشيدي بتدبير الأمور بعد أن أقرّ الخليفة العباسي أنوجور على ولاية مصر والشام[4].

أصبح كافور صاحب سلطة مطلقة في إدارة الدولة الإخشيدية[5]، بوصايتـه علـى أبنـاء الإخشـيد وسيطرته على أمور الدولة الإخشيدية في ولاية علي بن الإخشيد.

وبعد وفاة علي بن الإخشيد جاء بعده ابنه أحمد وكان طفـلاً صغـيراً فاسـتمر كـافور يقـوم بـالأمر، وأظهر حصوله على خلع وتقليد من الخليفة العباسي بولاية مصـر[6] فَدُعـي لـه علـى المنـابر بعـد الخليفـة العباسي سنة (355هـ/966م)، غير أن كافور لم يطل به المقام بعد ذلك فتُوفي سنة (357هـ/968م)[7].

واستطاع كافور بسياسته الاحتفاظ بسيادة الإخشيديين على دمشق، وكانت علاقته حســنة مع كُلٍّ من الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في المغرب[8].

---

(1) منصب تم استحداثه في بغداد في خلافة القاهر بالله كان لصاحبه النظر في شؤون الدواوين والأعمال وتعيين الولاة والعمال وعزلهم، ثم شارك الخليفة في كثير من الامتيازات وصار اسمه يذكر في خطبة الجمعة والأعياد (انظر ابـن كثـير: البدايـة والنهاية جـ11، ص196، المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص655، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ3، ص27-28، خليل السامرائي وآخرون: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ص130).

(2) ابن العديم: زبدة الحلب جـ1، ص114، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص185.

(3) يُنسب يانس المؤنسي إلى الأستاذ مؤنس الخادم، وتولى إمرة دمشق من قبل الإخشيد (انظـر ابـن عسـاكر: تـاريخ دمشق جـ18، ص14).

(4) انظر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ3، ص291، محمد جمال سرور: الدولة الفاطمية ص56.

(5) مسكويه: تجارب الأمم جـ1، ص154، ابن سعيد: المغرب في حلى المغـرب ص145، حسـن إبراهيـم: تـاريخ الإسلام جـ3، ص139.

(6) انظر ابـن سعيد: المغرب ص46، 49، الذهـبي: تـاريخ الإسـلام (وفيـات 351-380هــ) ص150، حســن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ3، ص140.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ1، ص547، الذهـبي: تـاريخ الإسـلام (وفيـات 351-380هــ) ص166، محمـد سـرور: الدولة الفاطمية ص57-58، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص307، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ3، ص140.

(8) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص6.

وبعد وفاة كافور تعرّضت الدولة الإخشيدية للاضطراب، وكانت دمشق من الولايات التي امتدّ إليها هذا الاضطراب، فعمل ولاتها على خدمة مصالحهم الشخصية، وصار هَمُّ الولاة الحصول على الثروة والمال فأرهقوا الأهالي بالضرائب[1].

غلب حكم الخدم والغلمان على دمشق أمثال فاتك وفنك وشمول[2] آخر نواب الإخشيديين فيها، وحكموا المدينة بما يناسب أهواءهم ومصالحهم، وأسهم آخر هؤلاء الولاة وهو شمول الإخشيدي، بعد خروجه على سيّده الحسن بن عبيد الله بن طغج، وتعاونه مع القائد الفاطمي جعفر بن فلاح، في إنهاء حكم الإخشيديين للمدينة سنة (359هـ/969م)[3].

كانت دمشق في العصر الإخشيدي تُدار من قبل مجموعة من المؤسسات الإدارية كان أهمها الولاية، فقد قُسِّمَت الدولة الإخشيدية إلى عدة ولايات، وكان حاكم الولاية يُعرف أحياناً باسم والي الحرب، وكانت دمشق وبلادها إحدى الولايات الإخشيدية وعُرفت منذ عصر الخلفاء الراشدين باسم جند دمشق[4].

وتولّى إدارة دمشق في العهد الإخشيدي الأمراء الإخشيديون أنفسهم أحياناً فكان محمد بن طغج أول أمرائها في هذه الفترة[5]، كما تولّى إدارتها نوابهم أحياناً أخرى حيث كان لهم دور بارز في اضطراب أمورها خاصةً وأن أكثرهم كانوا عبيداً وقد أحسّوا بضعف الدولة الإخشيدية.

وكان من بين ولاة دمشق في هذه الفترة محمد بن يزداد الشهرزوري الذي تولاها نيابة عن محمد بن رائق، ثم نيابة عن محمد بن طغج الإخشيد[6]، ثم خلَفَهُ في ولايتها بدر الخرشني نائباً عن محمد بن طغج[7]، ثم نائباً لابنه أنوجور سنة (336هـ/947م)[8].

---

(1) انظر سوفاجيه: دمشق الشام ص27-28، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص191.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص166، 191.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ11، ص266، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص191.

(4) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص109، اليعقوبي: البلدان ص20، الإصطخري: مسالك الممالك ص59، ابن حوقل: صورة الأرض ص160، عبد الجبار ناجي: نظرة في الأحوال الحضرية لبلاد الشام في العصر العباسي/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص7.

(5) الكندي: الولاة والقضاة ص292، المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص746.

(6) الصفدي: أمراء دمشق ص65، والأرجوزة ص135، المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص462، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام ص61.

(7) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص484، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص405.

(8) المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص316.

أدى اضطراب أحوال المدينة في أواخر الفترة الإخشيدية إلى كثرة تبدّل الولاة والنواب على دمشق فتولاها خلال السنوات الأربع الأخيرة التي سبقت فتح الفاطميين لها كُلٌّ من فاتك الإخشيدي وفنك الخادم مولى كافور[1]، وصالح بن عمير العقيلي[2]، وشمول الإخشيدي وهو آخر نوابها للإخشيديين[3].

كان يساعد نواب دمشق في إدارتها عدد من الكتّاب هم كتّاب ديوان الإنشاء،ويقومون بالأعمال الكتابية التي يكلّفهم بها الوالي أو نائبه[4].

كما كان يساعده متولي ديوان الخراج أو صاحب الخراج، حيث كان الخليفة العباسي يعيّن من يقوم بجباية أموال الخراج والضرائب الأخرى، فندب الخليفة الراضي الفضل بن جعفر ابن الفرات[5] ليكون مسؤولاً عن جمع أموال الخراج في مصر والشام في ولاية محمد بن طغج الإخشيد على هذه البلاد[6]، وفي عهد أنوجور كُلِّفَ أبو بكر محمد بن علي الماذرائي[7]، بالإشراف على جباية أموال الخراج إضافة إلى قيامه بأعمال الوزارة لأنوجور[8].

وكان يتم الإنفاق من موارد الخراج على حاجة الولاية، فَيُدفع منها رواتب الجنود والموظفين، ثم يُرسَل ما تبقى إلى خزينة الدولة المركزية في بغداد.

أما قضاة دمشق في العهد الإخشيدي فكان يتمُّ تعيينهم من قبل قاضي قضاة بغداد الذي

---

(1) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص166، الصفدي: أمراء دمشق ص66 والأرجوزة ص135.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص192، الصفدي: أمراء دمشق ص43.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص191، الصفدي: أمراء دمشق ص41، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص345.

(4) انظر سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ص167، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص139، محمد الزيود: العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والإخشيدي ص290.

(5) هو الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة، عمل وزيراً للخليفة العباسي المقتدر سنة 320هـ/932م (انظر ابن الأثير: الكامل جـ6، ص220، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص41، جـ6، ص238).

(6) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ6، ص256، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص37، محمد أحمد الزيود: العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والإخشيدي ص279.

(7) هو الوزير أبو بكر محمد بن علي البغدادي الماذرائي، عمل كاتباً لمحمد بن طغج الإخشيد ثم لابنه أنوجور (انظر الذهبي: العبر جـ2، ص268-269، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص231، المقريزي: المقفى الكبير جـ6، ص234-247).

(8) المقريزي: خطط جـ1، ص329، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص37، سيدة كاشف: مصر في عهد الإخشيديين ص155-158، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي جـ3، ص304.

كان عليه تعيين القضاة في مصر ودمشق وجميع الولايات التابعة للخلافة العباسية، وممن تولّى هذه الصلاحيات في بغداد القاضي أبو الحسن محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي بن أبي الشوارب المتوفى سنة (347هـ/958م)[1].

وتولّى قضاء دمشق في هذه الفترة أبو علي محمد بن محمد بن عبد الحميد الفزاري الدمشقي المتوفى سنة (357هـ/958م)[2]، وأبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي المتوفى سنة (367هـ/977م)، الذي تولى قضاء دمشق للخليفة العباسي المطيع واستناب عليها أبا الحسن ابن حذلم وأبا علي بن هارون[3].

كما تولّى قضاءها سنة (348هـ/958م) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن راشد البغدادي المتوفى سنة (369هـ/979م)[4] ثم تولاها الحسين بن عيسى بن هارون وكان يُلَقّب بالأمين[5].

وكان القضاة في العصر الإخشيدي يهتمون بتعيين الشهود العدول، وغالباً ما كان يتمّ اختيارهم من أهل العلم وممّنْ تميزوا بالعدل والكفاءة[6]، وكان القضاة يجلسون للحكم والشهود عن يمينهم وعن شمالهم، كما كانوا يتخذون الكتّاب لتسجيل الأحكام، والحجّاب لتنظيم دخول الناس إلى مجالس القضاء[7].

اهتم الإخشيديون بالبريد واعتمدوا عليه في إدارة شؤون دولتهم لأنه كان يزوّد الوالي ونائبه بالأخبار المتعلقة بالدولة، وينقل مراسلاتها إلى المناطق المختلفة[8].

واهتم الإخشيديون بالشرطة، فكان صاحب الشرطة ينوب عن الوالي في حكم البلاد ويحلّ محله إذا تغيب، وربما حَلَّ محله إذا مات أو عُزِلَ، ثم صارت أهمّ وظائفه المحافظة على الأمن والمساعدة في تنفيذ أحكام القضاء.

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص233–234، ابن طولون: الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ص32.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص169، ابن طولون: الثغر البسام ص34.

(3) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص376، ابن طولون: الثغر البسام ص34.

(4) الكندي: قضاة مصر ص158–160، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص283، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص416، ابن طولون: الثغر البسام ص35–36.

(5) ابن طولون: الثغر البسام ص37.

(6) الكندي: الولاة والقضاة ص563، 584، 540، 570، سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ص222–223.

(7) الكندي: الولاة والقضاة ص563، 569، سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ص224–225.

(8) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ص26، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص38.

الإدارة الفاطمية في دمشق

أحاط الخلفاء الفاطميون أنفسهم بهالة من التقديس والاحترام[1]، فكان الخليفة يجمع في يده جميع السلطات[2]، ويشرف على جوانب النشاط المختلفة في دولته[3] من خلال وزرائه، فقد اعتمد الفاطميون كثيراً على الوزراء الذين بدأ اتخاذهم في خلافة العزيز با لله سنة (368هـ/978م)[4]، وحرصوا على اختيارهم من المختصين في تدبير الأموال وكانوا يمنحونهم صلاحيات واسعة في تعيين الولاة والعمال والقضاة في جميع ولايات الدولة[5]، وكثيراً ما كانوا يختارون وزراءهم من بين حكّام الولايات إذا توفرت لديهم الكفاءة اللازمة[6]، واطمأن الخلفاء إلى ولائهم للدولة الفاطمية.

جعل العزيز با لله لوزيره يعقوب بن كلس تدبير أمور مصر والشام والحرمين وبلاد المغرب وما يتصل بإدارتها من شؤون الأموال والقضاء، ودوّن اسمه على الطراز[7]، كما تمتع اليازوري في خلافة المستنصر با لله بسلطات واسعة[8].

---

(1) هبة الله بن الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ص85-86، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص140.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص62، 86، 102، خطط جـ1، ص426، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص180، حسن إبراهيم: المعز لدين الله ص135، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم جـ1، ص95.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص93، 94، 101، 107، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص7، 20.
Bianquis: Damas, vol 1, p54،3

(4) السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص129، عطية مشرفة: نظم الحكم ص98.

(5) المقريزي: الخطط جـ1، ص44، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص143.

(6) انظر عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص92، 93، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص141،

(7) ابن منجب: الإشارة إلى من نال الوزارة ص19-23، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص29، ابن الجوزي: المنتظم جـ7، ص155-156، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص668-670، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص308، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص158، المناوي: الوزارة والوزراء ص241.

(8) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص137، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص236.

ولجأ بعض الخلفاء إلى مراقبة عمّالهم بأنفسهم، فالحاكم بأمر الله كان يراقب كل شيء بنفسه، وجعل بابه مفتوحاً للجميع، وسمح بأن يلتجئ إليه أي شخص، ولم يسمح لرجال دولته أن يكونوا حاجزاً بينه وبين الرعية[1].

وفي دمشق كانت الإدارة الفاطمية تبدأ بالوالي باعتباره أكبر موظفي الدولة الفاطمية في الولاية فهو رأس السلطة الإدارية، ويتبعه عدد من الموظفين يشكّلون الجهاز الإداري[2] الذي يتكون من عدد من الدواوين منها ديوان الرسائل وديوان النظر وديوان المجلس وديوان الجيش وديوان القضاء، كما كان هناك ديوان للشرطة وردت إليه الإشارة بين الحين والآخر يقوم على حفظ الأمن والاستقرار في الولاية، وديوان للمحتسب يراقب ما يجري في الأسواق، وديوان للبريد يقوم بتنظيم وتأمين وصول المراسلات الرسمية ما بين القاهرة ودمشق.

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص74-75، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص3-7.
Bianquis: Damas, vol I, p384

(2) القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص560، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص96.

ولاة دمشق

تمتَّعَ والي دمشق بسلطة عسكرية محدودة باعتباره قائداً للجيش الفاطمي في الولاية[1]. وكان الوالي يتبع الوزير الفاطمي في القاهرة حتى خلافة المستنصر بالله، ثم أصبح والي دمشق مفوّضاً بعد ذلك يتمتع بسلطات مطلقة في ولايته[2].

وكان الفاطميون يختارون ولاتهم وقادتهم العسكريين في دمشق من أبناء العائلات الكبيرة والمعروفة بموالاتها لهم[3]، مثل جعفر بن فلاح الكتامي وأبنائه إبراهيم وسليمان وعلي وهم من وجوه قبيلة كتامة، كما راعوا أن يكون ولاتهم من المخلصين لهم[4]، وبعضهم كان يهتمّ بتعيين الولاة الأكفاء وأصحاب المقدرة العالية.

وتعوّد الفاطميون أن يمنحوا ولاتهم عند التعيين الخلع والهدايا والأموال[5]، فكان الخليفة يعطي الوالي بغلة يركبها، ويصحبه مجموعة من الجند، فإذا وصل أمير دمشق إلى المدينة توجّه إلى الجامع الأموي وقرأ سجل ولايته على المنبر[6]، وكان هذا الإجراء تقليداً يهدف إلى إخبار الناس بالوالي الجديد، وإيذاناً بانتهاء ولاية الأمير السابق وأن هذا التقليد جاء من العاصمة بعهد من الخليفة.

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص107، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص45، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص390. Bianquis: Damas, vol l, p 384.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص150، 154، 157، Bianquis: Damas, vol l, p384

(3) انظر Bianquis: Damas, vol l, p384

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، 82، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، 54، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص50-51.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص7، 73، 93، المقفى الكبير جـ2، ص303.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص107، 112، 139، 140، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص207.

وكان بعض الخلفاء الفاطميين يُكلِّفُون أشخاصاً للقيام بمساعدة والي دمشق وكان هؤلاء المساعدون يُعدّون من الشخصيات المهمة لدرجة أن أحدهم حمل لقب وزير لصلته الوثيقة بالفاطميين هو يوسف بن علي الفلاحي[1]، وقد تعوّد بنو الفلاحي على خدمة الفاطميين فتولّوا مناصب هامة في دولتهم، وكان صدقة بن يوسف وهو ابن يوسف بن علي الفلاحي ناظراً في الأموال بدمشق في ولاية أنوشتكين الدزبري[2].

ومع أن الخلفاء الفاطميين منحوا ولاتهم صلاحيات واسعة، إلاّ أنهم أبقوا لأنفسهم الحق في مراقبة تصرفات الولاة، فكانوا يختارون عيوناً لهم توافيهم بأخبار الولاية وكل ما يحدث فيها، فكان الخليفة العزيز با لله يكلّف صاحب البريد ليقوم بمراقبة تصرف ولاته[3]، وأبقى ولاة دمشق تحت المساءلة في أي وقت ليضمن استمرار قيام الوالي بعمله على أحسن حال.

وأمر الظاهر لإعزاز دين ا لله وزيره أبا القاسم علي بن أحمد الجرجرائي بعد أن ولاّه الوزارة سنة (418هـ/1027م)، ورَدّ إليه تدبير الأموال والنظر في شؤون الولاة والعمال، أن يختار أكفأ الولاة، ويصرف من رأى منه ظلماً أو جوراً على الرعية بمن هو أحسن منه وأنصف للرعية[4].

واتّبع المستنصر با لله الأسلوب نفسه خصوصاً في الفترة الواقعة ما بين (440-460 هـ/ 1048-1067م)، وكان يُكثر من عزل الولاة وتعيينهم على دمشق[5]، وذلك ليأمن خطر المؤامرات والفتن الداخلية والخارجية التي شهدتها هذه الفترة، وكان يوجّه نصائحه للولاة عند تعيينهم أو نقلهم إلى ولايات أخرى[6].

وبهذا فإن الخلفاء الفاطميين لم يغفلوا أمر ولاة دمشق، وظلّوا على اتصال دائم معهم يمدّونهم بكل ما يلزمهم من الجنود أو الأموال إذا دعى الأمر، فالوالي مسؤول عن حماية المدينة من الأخطار الخارجية، كما هو مسؤول عن شؤون الإدارة المحلية وتوفير الأمن والاستقرار في الولاية.

---

(1) المقريزي. المقفى الكبير جـ2، ص306.

(2) المقريزي. المقفى الكبير جـ2، ص302.

(3) انظر الخربوطلي: العزيز با لله ص 83- 254- 257 Bianquis: Damas, vol I p178,

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص132،مجموعة الوثائق الفاطمية جـ1، ص319.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص136، 140، 150، 152، 153، 154، سليمان الخرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي على بلاد الشام ص58.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص122، 123، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص304، 305.

ويمكن تقسيم فترة حكم الفاطميين لدمشق إلى عدة أدوار هي:

1 - الدور الأول (359-372هـ/969-982م) وهي فترة الفتح الفاطمي لدمشق وتتميز بعدم استقرار النفوذ الفاطمي في المدينة، إذ شهدت تطورات وتغيرات كثيرة لم تسمح للفاطميين بإقرار الأمن والسيطرة على إدارة البلاد[1]، كما شهدت هذه الفترة صراعات عسكرية، وتغيرات مستمرة في تعيين الولاة بسبب الاختلاف المذهبي بين الفاطميين وأهل دمشق وعجز ولاة الفاطميين في السيطرة على المدينة وإقرار الأمن فيها[2].

وشكّل الجيش الفاطمي عنصراً من عناصر الشغب في دمشق نتيجة قيامه بأعمال السلب والنهب والاعتداء على السكان[3] مما جعل جَوَّ المدينة مشحوناً بالفوضى والاضطراب.

لم تخضع دمشق للإدارة الفاطمية طوال هذه الفترة، وإنما كانت تتأرجح بين الخضوع للحكم الفاطمي، أو قيام إدارة محلية مستقلة فيها مثل إدارة أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي[4] وإن كانت قصيرة لم تدم غير أيام، وإدارة أفتكين التركي فيما بين عامي (364-368هـ/974-978م) الذي أعاد الدعوة فيها للخليفة العباسي في بغداد[5].

2 - الدور الثاني (372-433هـ/982-1041م)، وهي فترة الاستقرار النسبي للنفوذ الفاطمي في دمشق حيث تمكّن الفاطميون من استعادة سيطرتهم على المدينة بعد انتهاء حكم قسّام التراب.

وبذل الفاطميون جهوداً كبيرة في محاولة لاستمالة أهل المدينة، ولجؤوا أحياناً إلى استخدام القوة والعنف لتأكيد سيادتهم على الولاية كما فعل جيش بن محمد بن الصمصامة الذي استخدم القوة والحيلة في القضاء على أحداث المدينة، وصَادَرَ أموال وجوه المدينة وأعيانها[6] لوقوفهم إلى جانب الأحداث ومؤازرتهم.

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، الدواداري: الدرة المضيئة ص127، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة ص95.
Bianquis: Damas, vol l, p104-106.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، 9، 19، 21، 38، 48، 51، سليمان الخرابشة: الصراع الفاطمي السلجوقي ص56.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص220-221.

(4) انظر ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص22، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص63.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص88، Bianquis: Damas, vol l, p246.

غير أن الحاكم تحوّل إلى اتباع سياسة أكثر مرونة ضد أهل السُّنَّة في دمشق منذ مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فأبطل السياسة القائمة على محاربتهم وسَبِّ السلف[1]، واستعان برجال من أتباع المذهب الشافعي أو المالكي لشغل بعض الوظائف كالحسبة والقضاء[2].

وكانت أكثر الفترات استقراراً وأمناً هي فترة ولاية أنوشتكين الدزبري لدمشق فيما بين (419 – 429 هـ/1028–1037م) الذي حكم بالعدل والإنصاف ونشر الأمن والاستقرار في الولاية[3].

3 – الدور الثالث (433 –468 هـ/1041–1075م)، وهو يُمَثِّلُ تراجعَ النفوذ الفاطمي عن المدينة، إذ كانت سنة (433هـ/1041م) نقطة تحوّل هامة في تاريخ السيادة الفاطمية على دمشق، فقد تعرضت دمشق لظروف صعبة أدّت إلى ضعف النفوذ الفاطمي وانهياره في النهاية منها:

1) تعرّض بلاد الشام ومنها دمشق للأزمات الاقتصادية والقحط الشديد الذي أصاب دمشق سنة (448هـ/1056م)[4]، وكان للشدّة العظمى التي أصابت مصر بسبب القحط في العام نفسه والتي صاحبها فتن وحروب كثيرة أثر كبير في ذلك[5].

2) النزاع بين القوى السياسية المختلفة على دمشق منها القبائل العربية المحيطة بدمشق خاصة بنو كلب، والفاطميون، وأهالي دمشق، وجماعات الأحداث[6].

3) ظهور حركات التمرد بين الجيش الفاطمي في دمشق خاصة ما حدث في ولاية أمير الجيوش بدر الجمالي سنة (456هـ/1065م)[7].

4) تجدُّدُ النزاع المذهبي بين الفاطميين وأهل الشام بعدما تعرض أهل دمشق في ولاية معلى

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص78.

(2) انظر ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ4، ص69، ابن حجر: رفع الأصر جـ2، ص101، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص108، 119، المقفى الكبير جـ1، ص603، المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب جـ2، ص602.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص116، 120، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص176 ومابعدها.

(4) الدواداري: الدرة المضيئة ص369، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام ص82.

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص142، الذهبي: العبر جـ3، ص215، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص265 ومابعدها.

(6) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص94–97، أمينة البيطار: الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ص127 ومابعدها.

(7) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، 155.

ابن حيدرة لأشكال من الظلم والسلب والقتل والتدمير، والاعتداء على الجامع الأموي الذي تعرض للحريق من جراء هذه الفتن[1]، والتي كانت متأثرة بما حدث في بغداد عندما أقدم أبو الحارث البساسيري على الدعوة للخليفة الفاطمي المستنصر با لله بدلاً من الخليفة العباسي[2].

وتميز هذا الدور بكثرة تبدّل الولاة وتغيرهم في دمشق، فقد كانت هذه الفترة فترة مؤامرات وفتن داخلية وخارجية[3]، وتعرضت دمشق لهجوم السلاجقة الذي قاده آتسز بن أوق الخوارزمي منذ سنة (463هـ/1071م)، فحاصرها لعدة سنين حتى تمكّن من دخولها سنة (468هـ/1075م)[4].

وبهذا فإن الفاطميين لم يتمكنوا من بسط سيادتهم الكاملة على مدينة دمشق وبلادها، فكان وجودهم فيها يضعف بمرور الوقت حتى كانت نهاية حكمهم لها في خلافة المستنصر با لله سنة (468هـ/1075م).

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161-162، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص299-301.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص146، الذهبي: العبر جـ3، ص221، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص252 .

(3) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص162، 165، 166-167، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص265 – 267.

(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174-175، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ8، ص110، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص220 –223.

الدواوين

كانت الدولة الفاطمية تقوم بتصريف شؤون البلاد عن طريق مجموعة من الدواوين التي يختصُّ كُلٌّ منها بعمل معين، ويتولاها رجال من أصحاب الخبرة والمقدرة، وكانت دواوين الدولة الفاطمية عند قدوم المعز لدين ا لله إلى القاهرة سنة (362هـ/972م) في دار الإمارة بجوار الجامع الطولوني، ثم نقلها الوزير يعقوب بن كلس إلى داره في خلافة العزيز با لله، ثم أعادها العزيز إلى القصر وبقيت فيه حتى خلافة المستنصر با لله[1].

وكانت أهم الدواوين الفاطمية ديوان الإنشاء ودواوين الإدارة المالية التي تقوم بجباية الأموال وإنفاقها، ودواوين الإدارة المحلية التي تحكم الولايات وديوان الجيش والرواتب[2].

اهتمَّ الفاطميون بديوان الإنشاء فكان من أهمِّ دواوين الإدارة المركزية وأُطلق عليه اسم (ديوان الإنشاء والمكاتبات)، ولا يتولاه إلا رجل من أصحاب البلاغة والمشهود لهم بالأمانة والورع من المسلمين[3]، ويجعل هذا الكاتب في ديوانه دفتراً يحتوي على ألقاب الولاة والموظفين وأسمائهم وترتيب مخاطباتهم، ويُلقَّبُ صاحب الديوان بالشيخ الأجل[4]، ومهمته تسلّم المكاتبات الواردة، ثم عرضها على الخليفة لبحثها والردِّ عليها إن كانت بحاجة إلى رد[5].

---

(1) ابن منجب: قانون ديوان الرسائل ص94-95، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص74، المقريزي: خطط جـ1، ص397، عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر ص124-125.

(2) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص77، 82، 87-88، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص563-568، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص144-145.

(3) ابن الصيرفي: قانون ديوان الرسائل ص94-95، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص87، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص563، المقريزي: خطط جـ1، ص402، خطاب عطية علي: التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ص183-184.

(4) ابن منجب: قانون ديوان الرسائل ص138، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص563، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص104.

(5) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص87، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص563.

وأدار الفاطميون دمشق باعتبارها ولاية فاطمية بصورة مشابهة، فكانت في دمشق مجموعة من الدواوين منها ديوان الإنشاء، ودواوين الإدارة المالية وديوان الجيش والرواتب.

كان ديوان الإنشاء من الدواوين الهامة في دمشق ويتولاه كاتبٌ من أَجَلِّ الكتّاب من أهل العلم والبلاغة ويحمل لقب كاتب أحياناً أو كاتب الوالي[1] ومتولي ديوان الشام، وكان صاحبه يختص بتسلّم المكاتبات الواردة من العاصمة والردّ عليها.

ومن المعلومات القليلة المتوفرة عن هذا الديوان وردت إشارات إلى أشخاص تولّوا أمر هذا الديوان للفاطميين في دمشق، فقد عيّن العزيز بالله أحمد بن محمد القشوري كاتباً لمنجوتكين على ديوان الشام[2] سنة (381هـ/991م)، ثم استُبدل بأبي محمد الحسن بن صالح الروذباري[3]، كما عمل كاتباً لمنجوتكين في ديوان الشام أيضاً يوسف بن علي بن الحسين بن محمد المغربي[4].

وتولاه في خلافة الحاكم بأمر الله كلاً من أبي عبد الله الموصلي[5] وعلي بن صالح بن علي الروذباري[6].

واشتملت دواوين الإدارة المالية على مجموعة من الدواوين الهامة منها ديوان الخراج وديوان النظر وديوان الشام.

وكان ديوان الخراج من أهمّ هذه الدواوين في دمشق، وجرت عادة خلفاء بني أمية وبني العباس والخلفاء الفاطميين على جباية أموال الخراج وتوزيعها من الديوان على الأمراء والعمال والأجناد على قدر رتبهم وحسب مقاديرهم[7].

واستمرّ الخراج يشكّل أهمّ الموارد المالية في المدينة، وكان له في العصر الفاطمي ديوان خاص

---

(1) ابن منجب: الإشارة إلى من نال الوزارة ص35، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص69، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص87، ابن مماتي: قوانين الدواوين ص297.

(2) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص217، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص69.

(3) ابن منجب: الإشارة إلى من نال الوزارة ص35.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص59-60.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص72، الخطط جـ2، ص286، المناوي: الوزارة والوزراء ص242

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص99.

(7) المقريزي: الخطط طبعة بولاق جـ1، ص175.

يتولى جباية الأموال وإنفاقها في الوجوه المختلفة والمحاسبة عليها وتدقيقها[1].

وكانت جباية أموال الخراج وتحديد الوجوه التي تُنفَقُ عليها وإرسال ما يزيد منها إلى الخزينة المركزية في القاهرة مسؤولية متولي الديوان الذي كان يسمّى صاحب الخراج أو عامل أو متولي الخراج، ويلحق به متولي الترتيب في دمشق وهو المسؤول عن صرف الرواتب للموظفين والجنود في الولاية[2].

وكان خراج دمشق يشكّل مورداً هاماً من موارد الدولة الفاطمية، لهذا فقد أولاها الفاطميون عنايتهم ووظفوا لها من يشرف على شؤون المال والخراج ففي سنة (363هـ/973م) اختلف أبو المنجى القرمطي (عبد الله بن علي) مع ظالم بن موهوب العقيلي على خراجها، فأراد كُلٌّ منهما أن يأخذه لينفقه على رجاله[3].

وفي سنة (364هـ/974م) ولّى المعز لدين الله إبراهيم بن يوسف بن كلس أخا الوزير يعقوب بن كلس على خراج الشام[4]، فورد في هذه السنة إلى مصر ما زاد عن حاجة الشام من أموال الخراج، وأشار إليه المقريزي بأنه كان أحمالاً من المال دون أن يحدد كمية المال أو عدد الأحمال[5].

وتولّى الآمدي عاملاً على خراج دمشق في خلافة العزيز بالله[6]، وعمل على خراجها منذ سنة (368هـ/978م) رجل يهودي بعثه الوزير يعقوب بن كلس اسمه الفضل ابن أبي الفضل[7]، فكان يجمع الخراج ويوزع منه رواتب الجند والموظفين، وقد زاد في عطاء الجند والموظفين سنة (369هـ/979م)[8].

وفي سنة (378هـ/988م) أشرف ابن أبي العود الصغير على خراج دمشق[9] وورد ما زاد من

---

(1) ابن مماتي: قوانين الدواوين ص303، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص79–81، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص566–567، المقريزي: الخطط جـ1، ص400–401.

(2) انظر ابن منجب: قانون ديوان الرسائل ص143، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ18، ص112، ابن مماتي: قوانين الدواوين ص298، المسبحي: أخبار مصر ص13، 15، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص349.

(3) المقريزي: المقفى الكبير جـ4، ص617.

(4) ن . م ، جـ1، ص237.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1 ، ص223.

(6) الدواداري: الدرة المضيئة ص191.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص39، الدواداري: الدرة المضيئة ص191–193.

(8) انظر الدواداري: الدرة المضيئة ص193.

(9) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص269.

خراجها بعد توزيع الرواتب على الجنود والموظفين وحاجات الولاية إلى القاهرة فكان ستين حملاً من الحبوب[1].

وممَّن تولى الإشراف على شؤون المال والخراج في دمشق منشا بن إبراهيم الفرار[2]، فخصَّ اليهود والنصارى بوظائف الديوان، وفي سنة (392هـ/1002م) أشرف على وجوه الأموال بدمشق رجل نصراني يُعرف بابن عبدون وأنقص أعطيات الجند، ثم أوقفها بالاتفاق مع ختكين الداعي مما أثار عليه الجند، وقاموا بنهب دواوين الدولة خاصة بيت المال، وعندما علم الحاكم بذلك عـزل والي المدينة ومَنْ معه من الموظفين[3].

وعمل العميد محسن بن بدواس سنة (415هـ/1024م) صاحباً لبيت المال في دمشق[4]، ومسؤولاً عن جباية أموال الخراج.

وأوكل المستنصر بالله الفاطمي إلى أبي محمد الحسين بن الحسن الماشكي مسؤولية جباية الخراج في دمشق[5] سنة (441هـ/1049م)، ثم تولاها من بعده أبو عبد الله الحسين بن محمد الماشكي[6] إلى سنة (455هـ/1063م) فاستُبدل بالشريف أبي الحسن يحيى بن زيد الحسيني الزيدي[7].

وفي سنة (447هـ/1055م) أراد الوزير الحسن بن علي اليازوري تقدير الخراج في كُلٍّ من مصر والشام، فوجد خراج الشام يُقدَّرُ بمليون دينار (ألف ألف دينار)، وهو مساوٍ لنفقات الولاية[8]، فكانت الولاية تكفي نفسها من مواردها المالية.

ويعدُّ ديوان النظر من أهمّ الدواوين المالية حيث يتولى صاحبه النظر في وجوه الأموال المختلفة، وله الحق في تعيين أو عزل من يريد من الموظفين المسؤولين عن شؤون الأموال[9]، وعُرف صاحب هذا

(1) الأنطاكي: التاريخ المجموع ص173، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص267.
(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص56.
(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص94، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص46.
(4) المسبحي: أخبار مصر ص31، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص141–142.
(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص209.
(6) ابن منجب: الإشارة إلى من نال الوزارة ص49.
(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ18، ص112، ابن ميسر: المنتقى ص28، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص349، ابن حجر: رفع الأصر جـ1، ص130.
(8) المقريزي: خطط طبعة بولاق جـ1، ص184، المقفى الكبير جـ3، ص397.
(9) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص79.

الديوان باسم ناظر الديوان، والناظر هو المشرف أو الرئيس المسؤول عن كل ما يجري في الديوان وعن جميع الموظفين وعن ميزانية الولاية[1]، فيقوم بمراجعة وتدقيق الحسابات المالية المتعلقة بالولاية، فهو بذلك يشبه دواوين الأزمة في الدولة العباسية، وقد وردت وظيفة الناظر عند ابن القلانسي بمعنى الإشراف على الشؤون المتعلقة بالحرب وشؤون المال وفي طليعتها الخراج[2]، وسمّاه الأنطاكي متولي ديوان الشام[3].

وكان ناظر ديوان الشام يرافق والي دمشق ويكون مقره في مدينة دمشق وله مسؤولية الإشراف على جميع الدواوين المالية في الشام والتي كانت تابعة للدولة الفاطمية وتدقيق حساباتها[4].

ويبدو أن ديوان النظر هو ديوان الشام، فقد ورد مرّة باسم ديوان النظر وصاحبه ناظر الشام، ومرّة باسم ديوان الشام وصاحبه متولي الديوان أو متولي ديوان الشام[5].

وكان متولي الديوان يحتفظ في ديوانه بسجل يشتمل على أسماء كافة الموظفين والكتّاب العاملين في دواوين الولاية التابعين له وألقابهم ورتبهم ورواتبهم[6].

وقد تولى هذا الديوان عدد من الأشخاص من أصحاب الخبرة في شؤون المال، فتولاه منشا ابن إبراهيم الفرار في خلافة العزيز بالله سنة (380هـ/990م)[7]، فأثار هذا الإجراء بعض الساخطين عليه خاصةً وأنه آثر اليهود على المسلمين للعمل في الدواوين، فدبّر جماعةٌ شكايةً ضده قدّموها إلى العزيز بالله دفعته إلى عزل منشا بن إبراهيم عن منصبه[8].

---

(1) مجموعة الوثائق الفاطمية ص319، ابن مماتي: قوانين الدواوين ص298، مختصر قوانين الدواوين ص82، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص566، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص131.
Bazmee.Ansari: Diwan/ El, London 1965,vol ll, p326.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص140، Bazmee. Ansari: Diwan/El, vol ll, p326.

(3) انظر يحيى بن سعيد الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا ص277.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص97، 140، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص11.

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص140، 154، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص28، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص209.

(6) ابن منجب: قانون ديوان الرسائل ص138.

(7) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص186، ابن منجب: الإشارة إلى من نال الوزارة ص35، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص56..

(8) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص186، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص56، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص106، ابن الجوزي: المنتظم جـ7، ص190. Mann: The Jews In Egypt, p19-20

وتولاه أبو طاهر محمود بن النحوي مرتين: الأولى في خلافة العزيز بالله حيث أُوكلت إليه مهمة إبلاغ شكاوي الرعية إلى الخليفة فقام بدور صاحب البريد، والثانية في خلافة الحاكم بأمر الله سنة (392هـ/1001م)[1]، وكانت معه مجموعة من الموظفين بعث بهم إلى مدن الشام وكلّفهم بمصادرة الموظفين السابقين حتى لحق جورهم بأهل الشام، فشكاه رجل إلى ست الملك أخت الحاكم وما وصل إليه حال أهل الشام من ظلمه وتعسفه، وعرضت الشكوى على الحاكم، فأمر بالقبض عليه وقتله[2].

وتولّى علي بن أحمد الضيف نظر الشام في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله[3]، ثم عُزِلَ وتولى مكانه ابن الخطيب سنة (414هـ/1023م)، واتُّهم بالرشوة فقبض عليه وعزل[4]، فتولّى بعده محمد بن أحمد الجرجائي سنة (415هـ/1024م) وبقي فيه إلى سنة (418هـ/1027م) فتولاه أبو طالب الغرابيلي[5].

أما صدقة بن يوسف الفلاحي فقد تولى هذا الديوان في خلافة المستنصر بالله سنة (419هـ/1028م)، وهو يهودي هداه الله إلى الإسلام وعمل في خدمة الفاطميين[6]، كما تولاه أبو عبد الله محمد بن الحسن المشاكي سنة (452هـ/1060م)[7]، وأبو طاهر حيدرة بن مختص الدولة، وبقي فيه إلى أن قُتل سنة (461هـ/1068م)[8].

واستحدث الفاطميون وظيفة الزمام في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله سنة (415هـ/1024م) حيث يتولى صاحبها تسجيل الحسابات المالية وتدقيقها من خلال ضبط موارد بيت المال، وبيان الوجوه التي ينفق عليها منه[9]، وكُلِّفَ بهذا العمل الشيخ العميد محسن بن

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص96، 97، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص292، الفاطميون في مصر 204.

(2) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص186، ابن منجب: الإشارة ص35، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص56.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص131.

(4) المسبحي: أخبار مصر ص35.

(5) ن . م ، ص182.

(6) انظر ابن منجب: الإشارة ص37، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص118.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص150.

(8) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص33-34.

(9) انظر ابن مماتي: قوانين الدواوين ص298، المسبحي: أخبار مصر ص31، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص141 الهامش: خطط طبعة بولاق جـ1، ص184.

بدواس على أن يكون زماماً على أبي عبد ا لله محمد بن أحمد الجرجرائي[1] صاحب ديوان الشام، ليساعده في أعماله التي اتسعت لتشمل الإشراف على كل ما يتعلق بالديوان وتدقيق الحسابات من واردات ونفقات، وأُعفي صاحب الديوان من التصرف فيها والإشراف عليها[2].

اختار الفاطميون لدواوينهم موظفين مدربين من أصحاب الخبرة ومَنْ يتقنون ثقافة العصر، ثم زاد اهتمامهم بالموظفين فكانوا يدربونهم على الأعمال الكتابية ويعقدون لهم دورات خاصة بذلك[3].

وجعلت الدولة الفاطمية لموظفيها مراتب ودرجات تميزهم على غيرهم، وتكفّلت بجميع مطالبهم وسَدِّ احتياجاتهم المادية، فكانت تغدق عليهم المرتبات العالية[4]، إضافة إلى الهبات والخلع في المواسم والأعياد، كما كانت تقدم لهم الكساء والغذاء والعلاج[5] والركوب في حال تنقلهم[6].

وكثيراً ما كان تعيين صاحب ديوان الشام أو متولي الخراج يصاحب تعيين الوالي لأهمية هذه الوظائف، فيذكر ابن القلانسي أن والي دمشق كان يصطحب معه ناظر الشام[7].

وأُنيطت مسؤولية الدواوين بأشخاص من أتباع المذهب الإسماعيلي أو من الموالين له ممَّن كان يثق بهم الخليفة الفاطمي[8] خصوصاً مَنْ كانوا من أصل ذمي[9]، ومع هذا فقد احتفظ الخليفة الفاطمي بحق مراقبة الموظفين والعمال، فإذا أحسَّ منهم التقصير أو اشتكى منهم الناس فإن

---

(1) المسبحي: أخبار مصر ص31، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص141.

(2) المسبحي: أخبار مصر ص31، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص141.

(3) انظر ابن منجب: قانون ديوان الرسائل ص108، 112، 115، مجموعة الوثائق الفاطمية ص319، المقريزي: الخطط جـ1، ص469، الخربوطلي: الإسلام والخلافة ص205، العزيز با لله ص86، عطية مشرفة: نظم الحكم ص125.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص132، مجموعة الوثائق الفاطمية ص319، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص565، محمد كامل: الحياة الفكرية والأدبية ص172، الخربوطلي: الإسلام والخلافة ص205، Bazmee Ansari: Diwan/ El, London 1965, vol ll, p326.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص137، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص567،عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص48، 57، الخربوطلي: الإسلام والخلافة ص205.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص137.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص140، 150، 154، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص59–60، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص303، 349، جـ3، ص358.

(8) ابن منجب: الإشارة ص35، 37، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص56، 32، 140، 150، 154، المسبحي: أخبار مصر ص53، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص291.

(9) ابن منجب: الإشارة إلى من نال الوزارة ص37، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص99، المناوي: الوزارة والوزراء ص247.

الخليفة يعمل على محاسبتهم أو مصادرة أموالهم إن أحسوا منهم جمع الأموال أو الاعتداء على المال العام[1].

وبهذا فإن دمشق كانت ولاية تحتوي على جهاز إداري مناسب يعمل بشكل منظّمٍ، ويخضع لرقابة الدولة الفاطمية، سواءً أكان ذلك في شؤون الإدارة السياسية أو المالية.

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص48، 54-55.

الجيش

اعتمد الفاطميون في الجيش منذ بداية أمرهم على قبائل بربرية من المغرب خصوصاً قبيلة كتامة، وأبناء بعض القبائل الأخرى الموالية لهم[1].

ودخلت في الجيش الفاطمي جماعات من عناصر مختلفة إضافة إلى البربر، فاستخدم العزيز الأتراك والديلم، ثم أكثرَ من الأتراك واستخدمهم في بعض المناصب القيادية خاصة بعد المعارك التي خاضها لإنهاء حكم أفتكين لدمشق سنة (364-368هـ/974-978م)[2]، واستخدم الحاكم بأمر الله جماعاتٍ من السودان في الجيش الفاطمي أيضاً، فكان السودان يشكّلون فِرق المشاة (الرجالة) وسلاحهم السيوف والدروع، بينما شكّل الأتراك فِرق الفرسان، واستخدموا جميع آلات الحرب التي كان يستخدمها الفرسان.

كما استُخدمت جماعات أخرى في خلافة المستنصر بالله[3]، فأشرك الأرمن الذين أحضرهم بدر الجمالي أثناء ولايته على بلاد الشام سنة (455هـ/1062م) حيث استنجد بهم المستنصر بالله عندما تجدَّدَتِ الفتن بين الأتراك والسودان في مصر[4].

---

(1) انظر المقريزي: خطط جـ2، ص8، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص147، حسن إبراهيم: المعز لدين الله ص176، الخربوطلي: العزيز بالله ص92.

(2) ابن منجب: قانون ديوان الرسائل ص32 المقدمة، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص123، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص252، 268، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص235، 268، عطية مشرفة: نظم الحكم ص144.

(3) ابن ميسر: أخبار مصر ص17، النويري: نهاية الأرب جـ26، ص49، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص19، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص147، عطية مشرفة: نظم الحكم ص144.

(4) انظر محمد سرور: الدولة الفاطمية ص147.

وكان الجيش الفاطمي يتألف من عدة أقسام أهمها الفرسان (الأتراك) والمشاة (السودان)[1]، ولجأ الفاطميون إلى اتباع تقسيم عشري في توزيع المسؤوليات بين الجند[2]، فجعلوا لكل عشرة أفراد عريفاً، ولكل عشرة عرفاء نقيب، ولكل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد أمير، وأُطلق على القائد الأعلى للجيش اسم (الإسفهسلار)[3]، وفي الشام كان القائد يسمى أمير جيوش الشام[4]، ولُقِّبَ أحدهم وهو أنوشتكين الدزبري أمير الأمراء[5].

كان والي المدينة يتولى قيادة الجيش الفاطمي في الولاية، فكان جعفر بن فلاح الكتامي قائداً للجيش الذي تولى فتح دمشق، وهو أول أمير لها من قِبَل الفاطميين[6]، وأبو محمود إبراهيم بن جعفر ابن فلاح الذي قدم إلى دمشق سنة (363هـ/973م) قائداً على رأس قوات عسكرية جاءت من مصر[7]، وولّى العزيز إمرة جيوش الشام لمنجوتكين سنة (381هـ/991م)[8]، وولّى الظاهر لإعزاز دين ا لله القائد أنوشتكين الدزبري أميراً على جيوش الشام سنة (415هـ/1024م)[9].

وكان جيش الفاطميين في دمشق يتكون من قسمين:

1 – الجيش الثابت: وهو الذي يتمركز في دمشق ليشكّل الحامية العسكرية، وغالباً ما كان يأتي مرافقاً الوالي عند تعيينه[10]، وعدد هذا الجيش محدود يتراوح ما بين (3–5 آلاف) جندي، ويكون من بينهم عدد غير قليل من الفرسان كان يختلف حسب أهمية الوالي ومنزلته عند الخليفة

---

(1) ابن منجب: قانون ديوان الرسائل المقدمة ص32،عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص193.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص551، عطية مشرفة: نظم الحكم ص145.
(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص34، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص551، 554، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص193،عطية مشرفة: نظم الحكم ص145.
(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص116، 118، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص59، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص303.
(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص160.
(6) ابن الأثير: الكامل جـ2، ص32، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص276، الدواداري: الدرة المضيئة ص128، المقريزي: اتعاظ الحنفا ص125.
(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص20.
(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص59.
(9) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص118، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص160، المقفى الكبير جـ2، ص303.
(10) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68، 94، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص8، 43، 83.

الفاطمي، أو حسب أهمية الموقف الذي سيقابله في دمشق[1]، ويصل أحياناً إلى ألفي فارس.

2 – الجيش غير الثابت: وهو الجيش الذي يُستعان به لمواجهة المشاكل والأزمات الطارئة، ويتكوَّن – إضافة إلى الحامية العسكرية – من جيوش الولايات الشامية، وربما يُستعان بعدد آخر من القاهرة عند الضرورة[2].

واعتاد الفاطميون تجهيز جيوشهم بكل ما تحتاج إليه من الأسلحة ووسائل الهجوم والدفاع، فكانت أسلحتهم من السيوف والرماح والسهام والأقواس والدروع، ومن دروعهم الزرد والجوشن[3]، وقد أظهر الفاطميون مهارة في استخدام الأسلحة التي شاع استعمالها آنذاك.

امتلك الجيش الفاطمي أسلحة وآلات حرب متعددة كان أهمها المجانيق، وكانت لديهم آلات لرمي النار تعرف بالنفَّاطات[4]، وكان في جيشهم فرقة عرفت بالنفَّاطين كانت مهمتها إعداد قوارير النفط بهدف إلقائها على العدو لتحول دون تقدمه أو تجبره على الاستسلام، وقد استخدمها الفاطميون ضد أهل دمشق في ولاية منجوتكين سنة (378هـ/988م)[5].

واهتمَّ الفاطميون بتوفير أسباب العيش المناسب لجنودهم، فقاموا برعاية أُسَرهم أثناء غيابهم، وكانت الدولة تمنح الجنود إقطاعاتٍ من الأرض مختلفة المساحة لقاء خدماتهم العسكرية وحسب درجاتهم ومراتبهم[6]، فقد أقطع الخليفة العزيز بالله ووزيره يعقوب بن كلس للجنود الفاطميين في مصر وبلاد الشام أراض لاستغلالها والانتفاع بها في حياتهم[7]، وعندما تبعث جيشاً في مهمات عسكرية إلى الشام كانت تقدم لكل جندي عشرين ديناراً ليتجهز بها وينفق على نفسه خلال رحلته، كما كانت

---

(1) انظر أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص226، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص77، 69، 119، القريزي: المقفى الكبير جـ1، ص127، جـ2، ص303، عارف تامر: المستنصر بالله ص129.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص9، 31، 41، 68، 118، ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص166، القريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص249، 269، جـ2، ص161، 176، 178. Bianquis: Damas, vol l, p111.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص33، 70، 85، 119، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص133، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص547، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص148.

(4) المقريزي: خطط جـ2، ص3، الخربوطلي: العزيز بالله ص92، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص149.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68.

(6) انظر المقريزي: خطط جـ1، ص85، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم جـ1، ص114، 192-193.

(7) المقريزي: الخطط جـ2، ص6، عطية مشرفة: نظم الحكم ص158.

تقدم لهم الأرزاق والكسوة في الصيف وفي الشتاء.

كان المعز لدين ا لله يلجأ إلى إثارة حماس جنوده عن طريق إغرائهم بالمال والمناصب أو بتخويفهم من ا لله سبحانه وتعالى[1]، وكان العزيز با لله يُنفق الكثير من الأموال لإعداد الجيوش وتدريبها وتسليحها، ومنحها الأعطيات والأرزاق والمكافآت، فأنفق على الجيش المتوجه إلى الشام سنة (381هـ/991م) أكثر من مليون دينار[2].

وبالرغم من عدم توفر معلومات كافية عن أعداد الجنود الفاطميين إلا أن هناك ما يشير إلى حجم القوات الفاطمية التي كانت تتوجه إلى دمشق بين الحين والآخر، ففي سنة (363هـ/973م) بلغ عدد الجيش الذي قاده أبو محمود إبراهيم بن جعفر إلى دمشق (20) ألف جندي[3].

وفي حربه لأفتكين التركي والي دمشق سنة (365-367هـ/975-977م) جمع جوهر الصقلّي جيشاً بلغ تعداده (20) ألف جندي[4]، وبلغ عدد الجيش الفاطمي الموجود في دمشق سنة (381هـ/991م) (13 ألف جندي)[5]، وبلغ عدد الجيش الذي قاده سليمان بن جعفر بن فلاح إلى دمشق سنة (386هـ/996م) (16 ألف جندي)[6]، فكانت هذه الجيوش تأتي للقيام بمهمات عسكرية، ثم تغادر عائدة إلى مصر بعد انتهاء المهمة، وتبقى الحامية العسكرية في دمشق لحماية المدينة، ومساعدة الشرطة في إقرار الأمن.

اتخذت الحامية العسكرية في دمشق مكاناً خاصاً بها، فنزل جعفر بن فلاح الكتامي مع جنده في الدكّة منذ وصوله إلى دمشق سنة (359هـ/969م) وبنى قصره فيها كما بنى الجنود مساكنهم من حوله وتحوّلت منطقة الدكّة إلى معسكر خاص بالجيش الفاطمي المقيم في دمشق[7].

وطلب جيش بن محمد بن الصمصامة بعد أن عاد من محاربة الروم أن يخلي له أهل

---

(1) حسن إبراهيم وطه شرف: المعز لدين ا لله ص177، الخربوطلي: العزيز با لله ص93.

(2) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص170.

(3) ن. م، ص166. .

(4) المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص109، وانظر . Bianquis: Damas, vol l, p 111

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص69.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص77، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص7.

(7) الدواداري: الدرة المضيئة ص129، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125، المقفى الكبير جـ3، ص55، عبد القادر الريحاوي: قصور الحكام بدمشق ص40.

دمشق قرية بيت لهيا لإقامة الجيش الفاطمي الذي كان يصحبه، فأُخليت له المنطقة وأقام فيها مع الجيش فترة من الوقت[1].

وأفرد الفاطميون للجيش ديواناً خاصاً يهتمُّ بتسجيل أسماء الجنود وترتيب أعطياتهم وأرزاقهم وملابسهم، وتحديد وظائفهم وأعمالهم، وإسقاط أسماء الموتى وتجهيز الخيول للفرسان[2]، وكان يُطلق على هذا الديوان اسم (ديوان الجيش والرواتب)[3].

وأُنيطت مهمة ديوان الجيش في مدينة دمشق بأشخاص أصحاب خبرة ودراية، فتولاها بعض أهل الذمة، إذ تولاها في دمشق سنة (372هـ/982م) منشا بن إبراهيم الفرار، وهو من أصل يهودي[4].

لم يتمكن الفاطميون من وضع حَدٍّ لاعتداءات الجيش الفاطمي عند قدومه إلى دمشق، أو منعه من الاعتداء على أهل المدينة[5]، فكثرة العناصر التي تشكّل منها الجيش الفاطمي، والحرية التي منحها قادة العساكر الفاطمية لجنودهم كانت من أهمّ الأسباب في ذلك، وأدى ذلك إلى نشوب الخلاف بين أهل دمشق وبين الجيش الفاطمي أغلب فترات حكمهم للمدينة، مما جعل حكم الفاطميين لدمشق ينقصه الاستقرار أغلب الأوقات.

---

(1) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص228- 229،ابن الأثير: الكامل جـ7، ص179، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص55، المناوي: الوزارة والوزراء ص198.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص565، المقريزي: خطط جـ1، ص401..

(3) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص82، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص563، المقريزي: خطط جـ1، ص401 – 402، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص192.
Bazmee Ansari: Diwan/ El, London 1965, vol ll, p326.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص45، 50.

(5) المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص134.

القضاء

القضاءُ لغةً هو الحكم، والقاضي القاطع للأمور المحكّم لها[1]، والقضاء اصطلاحاً هو الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي، وقطعاً للتنازع[2]، أو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام[3].

واستقرّ منصب القضاء في العصر العباسي على الفصل بين الخصوم واستيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين كالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السّفه، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيامى عند فقد الأولياء، والنظر في الأوقاف[4].

وزادت اختصاصات القاضي فكانت تضاف إليه أحياناً المظالم والحسبة والصلاة والخطابة في الجوامع والإشراف على الأماكن الدينية والمكاييل ودار الضرب ودار العيار وبيت المال وولاية الحج، ومصاحبة الجيش في الحروب[5]، وفي هذه الحالة لا يلزم وجود مَنْ يقومون بالأعمال الأخرى، إذ القاضي ينوب عن الخطيب وعن المحتسب والإمام في وظائفهم باعتبارها وظائف دينية[6].

وكان يُشترط فيمن يتولى قضاء المسلمين عدة شروط كالإسلام والذكورة والحرية والعقل والعدالة

---

(1) انظر ابن منظور: لسان العرب جـ15، ص186–188، القلقشندي: صبح الأعشى جـ5، ص451، محمود محمد هاشم: النظام القضائي في الإسلام ص18.

(2) ابن خلدون: المقدمة ص220، جمال المرصفاوي: نظام القضاء في الإسلام ص8.

(3) ابن فرحون: تبصرة الحكام جـ1، ص8، محمود محمد هاشم: النظام القضائي ص20.

(4) ابن خلدون: المقدمة ص221.

(5) ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر جـ2، ص310، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص557، المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص347.

(6) انظر: Bazmee. Ansari: Hisba/ El, London 1979, vol lll, p488.

وسلامة الحواس والأعضاء[1]، وقد تأثر القضاء بالسياسة، فكثيراً ما كان الخلفاء يتدخلون في أعمال القضاة، لهذا اعتذر بعض الفقهاء عن قبول هذا المنصب[2].

وكان الفاطميون يُحمِّلون مسؤولية القضاء في جميع أنحاء الدولة لقاضي القضاة، وله ديوان مركزي في القاهرة، ويكون مسؤولاً عن تعيين قضاة يكونون نواباً له في الولايات[3].

كان للفاطميين طريقة في تعيين القضاة، حيث يقدم الخليفة للقاضي بغلة شهباء يركبها تمييزاً له على باقي الموظفين، وتُقدَّم له الخلع والهدايا في الأعياد والمناسبات[4]، ويُقلَّد سيفاً محلّى بالذهب، ويُقرأ سجله في المسجد الجامع[5].

وكانت توكل إلى قاضي القضاة، بالإضافة إلى قضاء مصر، قضاء الولايات في الشام والحجاز والمغرب[6]، فكان ينظر في القضاء والمظالم والأوقاف والدعوة الفاطمية ودار الضرب ودار العيار[7]، وفي القرن الرابع الهجري دخل في اختصاصه النظر في المواريث[8]، وكانت له منزلة عالية عند الفاطميين ويعدُّ من كبار المستشارين عند الخليفة.

لجأ قاضي القضاة الفاطمي إلى إنابة قضاة عنه في العاصمة والولايات، فكان له نائب

---

(1) انظر الماوردي: الأحكام السلطانية ص65 – 66، أبو يعلى: الأحكام السلطانية ص60 – 61، ممدوح القطّان: القضاة والولاة ص37 – 38، المرصفاوي: نظام القضاء ص11.

(2) وكيع: أخبار القضاة جـ1، ص36، ممدوح القطّان: القضاة والولاة ص36، محمد إسماعيل العمراني: نظام القضاء في الإسلام ص178.

(3) انظر القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص557، المقريزي: خطط جـ1، ص463.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص557، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص50، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص143.

(5) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص68، 107، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381 – 400هـ) ص189، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص50، المقفى الكبير جـ1، ص604، جـ7، ص347.

(6) ابن حجر: رفع الأصر جـ2، ص360، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص557، المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص347، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله ص65، محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله ص337، محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية للعهد الفاطمي ص135.

(7) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص106، 108، 109، المقفى الكبير جـ7، ص347، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص52.

(8) آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ1، ص412، محمد إسماعيل العمراني: نظام القضاء ص181، محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية ص135.

بدمشق يتولى مهام القضاء، وقد يتم إرساله مع الوالي في بعض الأحيان.

وعند وصوله إلى دمشق كان يتوجّه إلى الجامع الأموي حيث يقرأ سجل تقليده القضاء فيها نيابة عن قاضي القضاة الفاطمي[1].

واهتمّ الفاطميون بالتشريع الذي يخدم المصلحة الفاطمية، لهذا أسندوا مهام القضاء في أكثر الأحيان إلى رجال من أتباع المذهب الإسماعيلي الشيعي[2].

وقليلاً ما كانوا يُسندون منصب القضاء إلى فقهاء على المذاهب الأخرى كالأحناف والمالكية، فأسند الحاكم بأمر ا لله منصب القضاء في دولته سنة (405هـ/1014م) إلى الفقيه المالكي أحمد بن محمد بن عبد ا لله بن أبي العوام[3].

وغالباً ما كان يُكلّف بهذه المهام رجال من أسرة واحدة، فكان أكثر قضاة الفاطميين في مصر من بيت النعمان[4]، وآل الفارقي[5]، أما في دمشق فكان أكثر القضاة فيها من آل الدبس[6]، وآل النصيبي[7]، وهم من أتباع المذهب الإسماعيلي، وقليل منهم كانوا من السُّنَّة[8]، فاضطر الفاطميون

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص551، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص261، حسن إبراهيم: المعز لدين ا لله ص190.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص153، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص255، ابن حجر: رفع الأصر جـ1، ص99، 100، 101، جـ2، ص359، 400، السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص147، 148، ابن طولون: الثغر البسام ص38، 39، انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين ص71 المقدمة.

(3) ابن حجر: رفع الأصر جـ2، ص101، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص108، المقفى الكبير جـ1، ص603.

(4) ابن حجر: رفع الأصر جـ1، ص99، جـ2، ص207، 359، السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص147، 148، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص50، 106، ابن طولون: الثغر البسام ص38، حسن إبراهيم: المعز لدين ا لله ص197.

(5) انظر ابن حجر: رفع الأصر جـ1، ص78، 83، جـ2، ص308، 366، ، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص23، 106، 251، السيوطي: حسن المحاضرة: جـ2، ص 148- 149.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص551، جـ38، ص79، 80، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص260، ابن طولون: الثغر البسام ص40-41.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص255، جـ16، ص244، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ7، ص218، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص315، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص259، ابن طولون: الثغر البسام ص40، 42.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ17، ص105، ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص238، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص361، 362، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص148، ابن طولون: الثغر البسام ص37، السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص297.

أحياناً إلى تعيين قضاة للمذاهب الأخرى كالشافعية[1]، والمالكية، والأحناف[2] والحنابلة[3]، خصوصاً بعد المعارضة الشديدة التي واجه بها أهل دمشق الفاطميين.

وكان منصب القضاء (ولاية القضاء) في دمشق تتخذ شكلين إبان حكم الفاطميين للمدينة هما:

الأول: أن يُعَيَّنَ القاضي على المدينة فيباشر عمله بنفسه فيها كولاية أبي عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبي الدبس سنة (396هـ/1005م)، وولاية الشريف فخر الدولة حمزة بن الحسن ابن العباس في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله[4]، وولاية أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الدبس سنة (396هـ/1005م)[5].

الثاني: أن يقوم القاضي بمهامه فيها نيابة عن قاض آخر ويكون غالباً قاضي القضاة الفاطمي، كولاية عبد العزيز بن محمد بن النعمان الذي ناب عن أبيه في قضاء دمشق في خلافة العزيز بالله[6]، وولاية المحسن بن محمد بن العباس بن أبي الجن الذي ناب عن قاضي مصر الفاطمي القاسم بن النعمان[7]، وقد ينيب قاضي دمشق عنه مَنْ يقوم بمهام القضاء في المدن والقرى المجاورة[8].

لقد وَفَّر الفاطميون لقضاتهم كل ما يصون كرامتهم، ويوفر لهم حياة كريمة ويبعدهم عن التأثر بالأهواء أو قبول الرشوة، فصرفوا لهم المرتبات العالية، وأغدقوا عليهم من الأموال والثياب

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص414، الأسنوي: طبقات الشافعية جـ2، ص46، 141-142، الخربوطلي: الإسلام والخلافة ص205.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ17، ص105، الخربوطلي: الإسلام والخلافة ص205، حسن إبراهيم: المعز لدين الله ص198، علي إبراهيم: مصر في العصور الوسطى ص371.

(3) محمد سليم الجندي: تاريخ معرة النعمان جـ3، ص77.

(4) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص156، المقفى الكبير جـ3، ص664، ابن طولون: الثغر البسام ص40.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص551.

(6) ابن حجر: رفع الأصر جـ2، ص359- 361، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص35، المقفى ص361، السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص147.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص283، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص39، ابن طولون: الثغر البسام ص41.

(8) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ5، ص125، ياقوت: معجم البلدان جـ4، ص177، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص134.

ما يفوق حاجتهم، وتمتع القضاة باحترام الخلفاء وتقديرهم[1].

وكان يرتبط بالقاضي مجموعة من الموظفين لمساعدته في عمله هم:

1 – **الفقهاء والعلماء**: ليسترشد بهم عند الحاجة أو عندما تَشكُل عليه مسألة من المسائل الشرعية.

2 – **الحجّاب**: وكانوا يقفون على باب القاضي لتنظيم دخول المتخاصمين إلى مجلسه.

3 – **الأعوان**: وهم من الشرطة لمساعدة القاضي في جلب المتهمين وتنفيذ أحكام القضاء[2].

4 – **الكتّاب**: لتدوين ما يحدث في جلسات القضاء من أقوال الخصوم وحفظه إلى حين النظر في القضايا، وكان لقضاة دمشق في العصر الفاطمي كتّاب مشهورون، فقد عمل الإمام أبو أحمد حسين بن محمد بن الوزير الدمشقي المتوفى سنة (400هـ/1009م) كاتباً وشاهداً للقاضي يوسف بن القاسم الميانجي[3]، كما كان يكتب له أيضاً مكي بن محمد بن الغمر الدمشقي المتوفى سنة (418هـ/1027م)[4].

5 – **الشهود**: وهم أعوان القاضي وكانوا يجلسون عن يمينه وشماله، وقد اهتمّ القضاة باختيار الشهود العدول بعد أن تفشّت شهادة الزور، وكان القاضي أيام الفاطميين يختار الشهود ويعدّلهم بنفسه، وكان يُشترط لتعديل الشاهد أن يكون عادلاً نزيهاً مُلِمّاً بأحكام الفقه، وأن يقوم بتزكيته عشرون شخصاً من الثقات ويوافق الخليفة على ذلك[5].

وكانت للشهود وظائف هامة تشتمل على:

---

(1) ابن منجب: الإشارة ص26، أبو المهلب: أدب القاضي ص20 – 21، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص558، المقريزي: خطط جـ1، ص401، السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص9، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص53.

(2) الكندي: ولاة مصر ص593، 596، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم ص150، عطية مشرفة: نظم الحكم ص270.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ5، ص125، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص63.

(4) ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص92.

(5) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ5، ص125، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص107، 108، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ2، ص61، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص558، عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم ص207، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم جـ1، ص147.

أ) مراجعة السجلات والعقود للوقوف على مبلغ دقتها ومطابقتها للشريعة الإسلامية.

ب) تزكية الشهود الذين يشهدون عند القاضي.

جـ) الشهادة على ما يصدره القاضي من الأحكام، وأنه غير مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية.

وكان الشهود يُعزَلُون بعزل القاضي أو بموته لأنهم أعوانه ومحل ثقته، وكان من أعيان الشهود بدمشق أبو علي بن سعيد العطار[1]، وأبو القاسم عبد الواحد بن أحمد بن إسماعيل المزني الدمشقي[2]، والإمام أبو علي الحسين بن إبراهيم بن جابر الدمشقي[3].

ولم يقتصر انعقاد مجلس القضاء على مدينة دمشق وحدها، وإنما كان القاضي يختار نواباً من أعيان الفقهاء لعقد جلسات القضاء في المدن المجاورة لدمشق، ويراعي أن يكونوا من أصحاب العلم والكفاءة والمشهود لهم بالأمانة والصدق، فكان يعقد مجلساً للقضاء في مدينة عين ثرما[4]، وتولى قضاءها للفاطميين عبد الواحد بن محمد بن عمرو أبو المقدم المعيوفي المتوفى سنة (409هـ/1018م)[5].

وكان القضاة يجلسون للقضاء في المسجد الجامع أو في دورهم، ففي دمشق كان الجامع الأموي هو المقر الرئيسي لجلسات القضاء، حيث يجلس القاضي في أروقة باب البريد[6]، وكان القاضي يجلس للحكم مرتين أو أربع مرات في الأسبوع[7]، وذلك حسب الحاجة، وكان القاضي يجلس في وسط المجلس وقد تزيًا باللون الأبيض وهو شعار الشيعة، ووضع على منكبيه الطيلسان زي القضاء كما كان يفعل القضاة في مصر[8]، وفيما يلي أشهر قضاة دمشق في العصر الفاطمي:

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص171.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381 – 400هـ) ص376.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص140.

(4) إحدى قرى غوطة دمشق (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ4، ص177).

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ5، ص125، ياقوت: معجم البلدان جـ4، ص177، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص134.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158.

(7) انظر الكندي: ولاة مصر ص589، 594، 604، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص551، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص558، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص148 – 149.

(8) انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين ص107، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص558، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص49، عطية مشرفة: نظم الحكم ص270.

1 – أبو بكر يوسف بن القاسم بن يوسف بن فارس بن سوار الميانجي[1]، شافعي المذهب، وُلد سنة (290هـ/902م)[2]، واستوطن مدينة دمشق، وهو من أصحاب الرحلة والتأليف، حيث تنقل بين الشام والجزيرة وخراسان والعراق، ومُحَدِّثٌ مشهور حَدَّث عن أبي خليفة الجمحي وعبدان الأهوازي وطبقتهما، وحدَّث عنه تمام بن محمد الرازي وطبقته[3]، وكان مسند الشام في زمانه، وله كتاب في الحديث هو (الأمالي) صنّفه بدمشق سنة (363هـ/973م)[4].

اشتغل الميانجي بالقضاء فكان قاضياً مشهوراً، وهو أول قاضٍ ناب عن الفاطميين بالقضاء في مدينة دمشق، فتولى قضاءها نيابةً عن قاضي قضاة مصر أبي الحسن علي بن النعمان المغربي[5]، ومال الميانجي إلى الفاطميين بعد دخولهم مدينة دمشق، وكان يساعده في أعمال القضاء ويكتب له كلٌّ من مكي بن محمد بن الغمر الدمشقي المؤدب المتوفى سنة (418هـ/1027م)[6]، والإمام أبو أحمد حسين ابن محمد بن الوزير الدمشقي الشاهد المتوفى سنة (400هـ/1009م)[7]، وتُوفي الميانجي بدمشق سنة (375هـ/985م)[8].

2 – أبو القاسم عبد الله بن محمد بن رجا، تولى القضاء في مدينة دمشق في خلافة العزيز بالله الفاطمي[9]، واستخلف على قضائها أبا بكر محمد بن أصبغ المصري، فقدم إلى المدينة وجلس للقضاء سنة (373هـ/983م)[10]، ويبدو أن ابن عساكر انفرد بالإشارة إلى هذا القاضي دون

---

(1) نسبة إلى ميانج وهي إحدى القرى التابعة لمدينة دمشق.

(2) ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص238، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 – 380هـ) ص584 – 585، سير أعلام النبلاء جـ16، ص361 – 362، ابن طولون: الثغر البسام ص37.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص361 – 362، ابن طولون: الثغر البسام ص37، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص403.

(4) الزركلي: الأعلام جـ8، ص245.

(5) انظر الذهبي: سير جـ16، ص 363، العبر جـ2، ص371، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص148، ابن طولون: الثغر البسام ص37.

(6) ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص92.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ5، ص125، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص63.

(8) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص148، ابن طولون: الثغر البسام ص37، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص403.

(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص127.

(10) ن. م، جـ15، ص127.

غيره، فلا تتوفر أية معلومات أخرى عنه في كتب التراجم سوى إشارة أوردها المقريزي في كتابه (المقفى الكبير) يذكر فيها أنه كان يتولى قضاء دمشق قبل ولاية محمد بن النعمان لها[1].

3 – أبو عبد الله محمد بن النعمان بن محمد بن منصور القاضي الفاطمي المشهور، إسماعيلي المذهب، وهو من أسرة عملت في خدمة الفاطميين واشتهرت بالقضاء، وكان من المهتمين بالعلم والفقه على المذهب الإسماعيلي، وحظي بمنزلة عالية عند العزيز بالله[2].

ولاّه المعز أول الأمر قضاء مصر والولايات الفاطمية، وعيار الذهب، والفضة والموازين والمكاييل[3]، وبعد وفاة عبد الله بن محمد بن رجا ولاّه العزيز قضاء دمشق، وسمح له أن يستخلف عليها ابنه عبد العزيز[4]، فاستخلفه على دمشق وبقي قاضياً فيها نائباً عن أبيه إلى سنة (379هـ/989م)[5]، فاستُبدل بأبي محمد الحسن بن محمد العلوي، وتُوفي القاضي محمد بن الحسن ابن محمد العلوي، وتُوفي القاضي محمد بن النعمان سنة (389هـ998م)[6].

4 – الشريف أبو محمد الحسن بن العباس بن أبي الحسن الحسيني، أحد أعيان الشيعة ولاّه الحاكم بأمر الله قضاء دمشق سنة (387هـ/997م)[7]، وهو مجهول تاريخ الوفاة.

5 – أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي الدبس، وهو شيعي المذهب، تولى قضاء دمشق بعد عبد العزيز بن محمد بن النعمان سنة (389هـ/998م) في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي[8]، وبقي في القضاء إلى سنة (394هـ/1003م)، وكانت وفاته سنة (396هـ/1005م)[9].

---

(1) انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص348.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381 – 400هـ) ص189 – 190، العبر جـ3، ص45، المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص348، ابن حجر: رفع الأصر ص592، السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص147.

(3) انظر الذهبي: العبر جـ3، ص45، المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص349.

(4) عبد العزيز بن محمد بن النعمان إسماعيلي المذهب تولى قضاء مصر للفاطميين سنة 394هـ (انظر السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص147، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص35، خطط جـ2، ص286، ابن حجر: رفع الأصر جـ2، ص359 – 361).

(5) المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص348.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381 – 400هـ) ص190، العبر جـ3، ص45، المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص351.

(7) المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص337.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ38، ص79، ابن طولون: الثغر البسام ص38.

(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ38، ص80.

6 – أبو عبد ا لله محمد بن عبد ا لله بن محمد بن أبـي الدبس، خلف أباه على قضاء دمشق وهو صغير حيث كان عمره 18 سنة وذلك سنة (394هـ/1003م) عندما استُدعي أبوه إلى مصر ولمدة قصيرة[1]، وفي سنة (396هـ/1005م) وبعد وفاة أبيه قلّده الحاكم قضاء دمشق والصلاة فيها والخطابة والمظالم، فكان لأتباع المذهب الإسماعيلي حظوة عند الخلفاء وكانوا يمنحونهم صلاحيات واسعة أكثر من أتباع المذاهب الأخرى.

قدم محمد بن عبد ا لله بن أبي الدبس إلى دمشق وقُرئ سجلُّه في الجامع الأموي، وكان يجلس فيه ليحكم بين الناس، وبقي في عمله حتى سنة (398هـ/1007م)[2]، ونال عند الخلفاء الفاطميين احتراماً ومنزلة عالية.

7 – أبو محمد الحسن بن العباس بن الحسن بن الحسين بن أبي الجن الحسيني القمي، شيعي المذهب، أصله من بلدة قم بإيران[3]، قدم أبوه إلى الشام وسكن حلب، ثم انتقل الحسن وإخوته إلى دمشق، فتولى قضاءها نيابة عن القاضي الفاطمي محمد بن النعمان[4]، وبقي يعمل في خدمة الفاطميين إلى أن تُوفي في حلب سنة (400هـ/1009م)، فحُمل إلى دمشق ودُفن فيها[5].

8 – أبو محمد الحسن بن محمد بن الأصبغ، تولى قضاء دمشق في خلافة الحاكم بأمر ا لله الفاطمي، وبقي حتى عُزِل وتولى مكانه القاضي محمد بن الحسين النصيبي، فقبض على ابن الأصبغ وحبسه بسبب دين استهلكه لجامع دمشق قدره عشرون ديناراً، وبقي في سجنه حتى تُوفي سنة (401هـ/1010م)[6].

9 – أبو عبد ا لله محمد بن الحسين بن عبيد ا لله بن الحسين الشريف العلوي النصيبي[7]، شيعي المذهب، تولى قضاء دمشق نيابة عن قاضي قضاة مصر مالك بن سعيد

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص551، ابن طولون: الثغر البسام ص39.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص551.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ12، ص61 – 62، ابن طولون: الثغر البسام ص38.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص189، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ12، ص 62، ابن حجر: رفع الأصر ص162، ابن طولون: الثغر البسام ص39.

(5) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ12، ص62، ابن طولون: الثغر البسام ص38.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص581.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص255، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص260، ابن طولون: الثغر البسام ص39، بسام الجابي: معجم الأعلام ص699.

الفارقي[1]، ثم ولاّه الحاكم القضاء ونقابة الأشراف العلويين والخطابة في دمشق سنة (398هـ/1007م)[2]، فأناب عنه في قضائها أبو الحسين محمد بن عمر الحمصي[3]، وكان أديباً اشتُهر بنظم الشعر، وله ديوان شعر، واتصف بالعفة والنزاهة[4]، وبقي على اتصال بالفاطميين ويعمل لهم إلى أن تُوفي سنة (408هـ/1017م) بدمشق ودُفن بالباب الصغير[5].

10- أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن موسى بن عبدان الغسّاني الدمشقي المعروف بابن الجندي، مالكي المذهب، وُلد سنة (338هـ/949م)، وتُوفي سنة (417هـ/1026م)، وكان محدّثاً مشهوراً عُرف بالثقة والأمانة، وتولى إمامة جامع دمشق[6]، ثم تولى القضاء في مدينة دمشق نيابة عن قاضي الفاطميين[7] أحمد بن محمد بن عبد الله بن العوام[8].

11- أبو الحسن المبارك بن سعيد بن إبراهيم النصيبي، كان محدِّثاً مشهوراً حدّث بكتاب شرح الأبهري، وبكتاب القراءات عن ابن جالويه[9]، وهو شيعي المذهب تولى القضاء بدمشق، وكان يخطب لهم ويدعو للمذهب الإسماعيلي، تُوفي سنة (422هـ/1031م)، ودُفن بمقبرة الباب الصغير[10].

12- أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الشريف العلوي الشيعي، وُلد سنة

---

(1) تولى قضاء مصر للخليفة الحاكم بأمر الله، ثم عُزِل عنه وقُتل سنة 405هـ/ 1014م (انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص106).

(2) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص244، ابن طولون: الثغر البسام ص39، بسام الجابي: معجم الأعلام ص699.

(3) مُحَدِّثٌ إسماعيلي المذهب عمل في خدمة الفاطميين وتولى قضاء دمشق، تُوفي سنة 414هـ/1023م (انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص290 – 291، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص259).

(4) القفطي: المحمّدون من الشعراء ص261، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص255، ابن طولون: الثغر البسام ص39، الزركلي: الأعلام جـ6، ص99.

(5) انظر القفطي: المحمّدون ص261، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص244، ابن طولون: الثغر البسام ص39.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص739، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص400، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ2، ص61، ابن طولون: الثغر البسام ص39، ابن العماد: شذرات الذهب جـ3، ص209.

(7) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص739، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص400، ابن طولون: الثغر البسام ص39.

(8) ولاه الحاكم قضاء مصر بعد مقتل مالك بن سعيد الفارقي سنة 405هـ/1014م (انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص108، المقفى الكبير جـ1، ص604، ابن حجر: رفع الأصر جـ1، ص101).

(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص244، ابن طولون: الثغر البسام ص40.

(10) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص244، ابن طولون: الثغر البسام ص40.

(369هـ/979م)، وتُوفي سنة (434هـ/1042م)[1]، تولى نقابة الأشراف في مصر، كما تولى قضاء دمشق للفاطميين في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله سنة (415هـ/1024م)[2]، وأُعطي صلاحيات واسعة، فقام بأعمال عمرانية في دمشق حيث جدّد مجموعة من المنائر والأقنية، وأصلح الفوّارة التي في الجامع الأموي، وبنى قيسارية الأشراف المعروفة بالفخرية[3]، وحاول التقرب من أهل دمشق بما كان ينفقه من الأموال على وجوه الخير والإحسان[4].

13- أبو تراب المحسن بن محمد بن العباس بن الحسن بن أبي الجن، شيعي المذهب، كان نقيب الأشراف العلويين بدمشق[5]، وتولى القضاء فيها بعد أخيه لأمه فخر الدولة حمزة بن الحسن العلوي، ونيابة عن قاضي مصر محمد بن النعمان، وتُوفي أبو تراب سنة (436هـ/1044م)[6].

14- أبو الحسين إبراهيم بن العباس بن الحسن الحسيني، شيعي المذهب، وُلد سنة (394هـ/1003م)، وتُوفي سنة (454هـ/1062م)[7]، وتولى القضاء والخطابة بدمشق بعد عمه المحسن بن محمد في خلافة المستنصر بالله نيابة عن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان[8]، قرأ القرآن بقراءة أبي عمرو بن العلاء، فكان يُقرئ ويُحدّث بدمشق[9].

15- أبو الحسن يحيى بن زيد بن علي بن محمد بن أحمد الحسيني الزيدي، تولى القضاء

---

(1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص665، ابن طولون: الثغر البسام ص40.

(2) انظر سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص156، ابن طولون: الثغر البسام ص40.

(3) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص664، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص35، كرد علي: خطط جـ5، ص267.

(4) المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص664، ابن طولون: الثغر البسام ص40، كرد علي: خطط جـ5، ص267.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص283،المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص665، ابن طولون: الثغر البسام ص41.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص283،أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص39، ابن طولون: الثغر البسام ص40 – 41.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص153، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص449، المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص209، ابن طولون: الثغر البسام ص41.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص449، المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص209.

(9) المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص209– 210.

بدمشق في أيام الخليفة المستنصر بالله، كما تولى القضاء في حلب أيضاً، ثم تولى شؤون المال في دمشق إلى أن تُوفي سنة (455هـ/1063م)[1].

16- إسماعيل بن يحيى بن زيد الحسيني، شيعي المذهب، وتولى القضاء بدمشق بعد أبيه في خلافة المستنصر بالله[2].

17- الشريف أبو الحسن أحمد بن علي بن محمد بن الحسين الحسيني النصيبي المتوفى سنة (468هـ/1075م)، ولاّه المستنصر بالله قضاء دمشق، وبقي على قضائها إلى أن تُوفي، فكان آخر قضاة الفاطميين في دمشق[3].

---

1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ18، ص112، ابن طولون: الثغر البسام ص41.

2) ابن طولون: الثغر البسام ص42.

3) المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص541، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص102.

الشرطة

سُمّي الشرطة كذلك لأنهم كانت لهم علامات خاصة يتميزون بها[1]، كما كان لهم زيٌّ خاصٌّ يميزهم عن بقية أفراد المجتمع[2]، والشرطة إحدى الوظائف الهامة التي كثيراً ما كانت تُضاف إلى القضاء أو ترتبط به لأهميتها بالنسبة للقاضي وذلك لأنها تساعد القاضي في تنفيذ أحكام القضاء وإقامة الحدود[3].

وكان الخلفاء يستخدمون الشرطة للنيابة عنهم في حفظ الأمن، فكان صاحب الشرطة يراقب الجناة والمفسدين، ويلاحق المتهمين بالجرائم وتقديمهم للقضاء[4].

اهتمَّ الفاطميون بنظام الشرطة اهتماماً كبيراً، وكان في العاصمة مركزان هامّان للشرطة هما الشرطة السفلى وكان مركزها الفسطاط، والشرطة العُليا التي جعلوا مقرها القاهرة[5]. وقام بعض الخلفاء الفاطميين بأنفسهم بمهام الشرطة في بعض الأحيان، فالحاكم بأمر الله كان أحياناً يقوم

---

(1) انظر ابن منظور: لسان العرب جـ7، ص329، يحيى المعلمي: الشرطة في الإسلام ص1، أحمد عبد السلام ناصف: الشرطة في مصر الإسلامية ص100، توفيق اليوزبكي: دراسات في النظم الإسلامية ص171.

(2) الكتاني: التراتيب الإدارية ص14، القلقشندي: صبح الأعشى جـ10، ص202، 215، سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ص72، أحمد عبد السلام: الشرطة ص99، فاروق عبد السلام: الشرطة ومهامها ص12، يحيى المعلمي: الشرطة ص3.

(3) ابن خلدون: المقدمة ص400 – 401، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص173، الخربوطلي: العزيز بالله ص88.

(4) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص188، حسن إبراهيم وطه شرف: المعز لدين الله ص168، عطية مشرفة: نظم الحكم ص138، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص173 – 175.

(5) ابن منجب: الإشارة ص24، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص17، 89، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص146، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ1، ص174.

بالإشراف على أمن العاصمة، ويدعو ولاته في ولاياتهم لتفقد أحوال الناس، وقد يُكَلِّفوا بذلك رجالاً موثوقين، كما كانوا يطلبون من أصحاب المتاجر توفير الإضاءة الكافية ليلاً في متاجرهم لمنع انتشار اللصوص[1].

ولأن دمشق من أهم الولايات التابعة للفاطميين استدعى الأمر أن يقوم فيها صاحب الشرطة بحفظ الأمن وملاحقة الجناة والمفسدين وأصحاب التهم، وكان مقر الشرطة في مدينة دمشق أيام الفاطميين في القصر المعروف بخضراء معاوية، وكانت تُسمَّى مجلس الشرطة[2]، واختير ذلك المكان لأنه يتوسط المدينة وقريب من مركز الثقل السكاني، والأسواق العامرة بالنشاط.

اهتم ولاة دمشق الفاطميون بالشرطة وعينوا أصحاب الشرطة ليقوموا بدورهم في مساعدة والي المدينة على ضبط الأمور وإقرار الأمن والنظام فيها خاصّة وأن المدينة تعرّضت لأحداث كثيرة خاصة في السنوات الأولى من دخول الفاطميين لدمشق.

لم يكتف بعض ولاة دمشق بتعيين صاحب شرطة واحد، وإنما ساروا على ما كان معمولاً به في القاهرة، فعينوا صاحبي شرطة، كما فعل أبو محمود إبراهيم بن جعفر الذي ولّى الشرطة في المدينة لاثنين من الرجال أحدهما مغربي هو حمزة المغربي، والآخر ابن كشمرد من الإخشيدية[3].

وكان أصحاب الشرطة في دمشق يتخذون مجموعة من الرجال ليكونوا أعواناً لهم ويكلفوهم بالطواف في أسواق المدينة وأحيائها ليلاً لمنع الاعتداءات وضبط أمور المدينة. وحتى يتمكنوا من تحقيق ذلك كان لابد أن يكون عدد أفراد الشرطة كثيراً، ليسهل عليهم القيام بأعمالهم بصورة مناسبة، وليتناوبوا العمل ليلاً، وكان رجال الشرطة يحملون معهم المشاعل وهم يطوفون المدينة[4] لأن ذلك يساعد في إضاءة المدينة واكتشاف العابثين واللصوص.

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص96، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص37.

(2) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك/ في كتاب مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ص85، وانظر المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص130.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص15، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص211، المقفى الكبير جـ1، ص130، حسن إبراهيم وطه شرف: المعز لدين الله ص164.

(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص15، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص130.

واجه رجال الشرطة في دمشق أول الأمر صعوبة كبيرة في ضبط أمورها وإشاعة الأمن والنظام[1] بسبب ظروف الحرب ورفض أهل دمشق تقبّل الحكم الفاطمي الجديد الذي جعلهم تابعين لدولة شيعية.

لعبت جماعات الأحداث دوراً كبيراً في إعاقة عمل رجال الشرطة، واصطدم بهم رجال الشرطة وقتلوا صبياً اعترضهم بالسلاح وهم يطوفون أحياء المدينة ليلاً، فقامت الفتنة بين رجال الشرطة الفاطميين وبين أهل دمشق الذين لاحقوا رجال الشرطة إلى قصر الخضراء مقر الشرطة في المدينة[2].

لجأ أبو محمود إبراهيم بن جعفر إلى المهادنة وعقد الصلح مع أهل دمشق على أن يعزل عنها صاحبي شرطته، فعزلهما وولّى مكانهما رجلاً من بانياس هو أبو الثريا وكان أميراً على التركمان، فدخل البلد غير أنه تعرّض عند دخوله لاعتداء أحداث المدينة، فقتلوا أكثر رجاله قبل أن يتولى مهام منصبه[3].

ثم وّلى أبو محمودالشرطة لابن أخته جيش بن محمد بن الصمصامة، غير أنه حدث له ما حدث لسابقه فتعرّض أعوانه من رجال الشرطة لاعتداء أهالي المدينة[4].

وفي ولاية سليمان بن جعفر بن فلاح وعندما بعث أخاه علياً إلى دمشق سنة (387هـ/997م) ولّى شرطتها لرجل مغربي فظ لم يتمكن من ضبط الأمور لتعامله مع السكان بقسوة وعنف[5].

وفي عهد الحاكم بأمر الله مالت أحوال المدينة إلى الاستقرار، فكانت الشرطة تقوم بمهامها على أحسن حال، ولجأ الخلفاء بعد ذلك إلى السيطرة على مظاهر الشغب والتعامل مع السكان بصورة أفضل، فغلب الأمن على حياة المدينة[6].

قامت جماعات من الشرطة بدور الدفاع المدني في الوقت الحاضر كالمساعدة في إطفاء الحريق، ولتسهيل قيامهم بهذه المهمة طُلب من أصحاب الحوانيت وَضْعُ القناديل أمام

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص16، المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص130.

(2) المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص132.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص212، المقفى الكبير جـ1، ص33.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص18، المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص33.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص11.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص94، 96، 97، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص50، 78، 82.

حوانيتهم، وأوعية مليئة بالماء[1]، فأدّت هذه الإجراءات إلى الحدّ من بعض الأخطار التي كان يُشكّلها الحريق في المدينة.

لقد كان بعض ولاة دمشق يباشرون أمر الشرطة بأنفسهم كما في ولاية بدر العطار سنة (401هـ/1010م)[2] الذي كان يعيّن رجال شرطته في المدينة فيكلّفهم بالمهام والمسؤوليات المختلفة، ثم يقوم بالإشراف عليهم ليكون على اطلاع بأحوال الولاية وما يحدث فيها، وأصبح هذا الإجراء تقليداً معروفاً بعد ذلك.

لعب رجال الشرطة دوراً مميزاً في ولاية أنوشتكين الدزبري (419–429هـ/1028–1037م)، فكانوا يراقبون الأسواق ليلاً ونهاراً لمنع الاعتداء، وقطع الطريق على اللصوص وعَبَثِ المفسدين، فَنَعِمَ سكان المدينة في هذه الفترة بالأمن والاستقرار[3].

أما الفترة الأخيرة من الحكم الفاطمي لدمشق فكان دور الشرطة فيها ضعيفاً وطغى دور الجيش نتيجة الأحداث والفتن التي مرّت بها المدينة كالفتنة التي حدثت في ولاية الأمير بدر الجمالي سنة (456هـ/1064م)[4]، وفي ولاية معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي سنة (461هـ/1068م)[5]، ولم ترد إشارات إلى وجود الشرطة أو قيامهم بأية أعمال من شأنها وضع حَدٍّ للأخطار التي هدّدت سكان المدينة.

كان دور الشرطة مرتبطاً بالوالي ورغبته في نشر الأمن وقدرته على تحقيق ذلك، فإذا تولى الأمير القادر على ضبط الأمور ساد الأمن وعمّ الاستقرار ربوع المدينة وقام رجال الشرطة بواجباتهم خير قيام، وإذا تولى أمير ضعيف عجز عن ضبط الأمور واختفى دور الشرطة من المدينة.

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص37، 39، 48، ناصر الأنصاري: تاريخ أنظمة الشرطة ص60 – 61، الأصيبعي: الشرطة ص60، يحيى المعلمي: الشرطة ص12.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص112، كرد علي: غوطة دمشق ص147، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص147.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص127.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص270.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161– 162، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص300– 301.

الحسبة

الحسبةُ حُسْنُ التدبير والمسارعةُ إلى طلبِ الأجر[1]، وهي اصطلاحاً تعني الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[2]، وكان يتولاها شخص يسمى المحتسب تكون وظيفته مراقبة الأسواق وكل ما يجري فيها بما في ذلك سلوك الناس ومعاملاتهم[3].

وكان نظام الحسبة معروفاً من أيام الإغريق، وكان المحتسب آنذاك مراقباً للسوق[4]، وهو يشبه ما وُجد في العصر الإسلامي بعد ذلك.

كان تعيين المحتسب في الإسلام يتم بسجل من الخليفة، ويُقرأ سجله في المسجد الجامع[5]، ويقدم له الخليفة الهدايا والخلع مع التعيين، وغالباً ما كانت وظيفته تضاف إلى وظيفة القضاء وصاحب الشرطة[6]، وأحياناً كانت تسند إلى رجال من وجوه المسلمين أو إلى أعيان التجار الذين لهم خبرة بالأسواق[7].

كان من مهام المحتسب أن يقوم بضبط الأسعار للمحافظة على الاستقرار[8]، ويُطلب منه

---

(1) انظر الجوهري: الصحاح جـ1، ص110، ابن منظور: لسان العرب جـ1، ص314، السنامي: نصاب الاحتساب ص81، رشاد معتوق: نظام الحسبة ص27.

(2) الماوردي: الأحكام السلطانية ص240، أبو يعلى: الأحكام السلطانية ص284، ابن يتيمة: الحسبة ص14، الشيزري: نهاية الرتبة ص6، الخربوطلي: الإسلام والخلافة ص204.

(3) ابن الأخوة: معالم القربة ص7، وانظر أحمد عبد القادر: معالم الحضارة العربية ص37.

(4) Bazmee. Ansari : Hisba / El, London 1979, Vol lll, p 487.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص558، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص163.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص559، المقريزي: خطط جـ1، ص463 – 464.

(7) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص43، خطط جـ1، ص463، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص54.

(8) الشيزري: نهاية الرتبة ص7–8.

توفير المواد الضرورية، كما توجب عليه ضبط السوق وفحص الموازين والمقاييس المتعددة ومراقبة أي خلل فيها، كما كان يراقب عمليات الغش والتزوير التي تحدث في الأسواق[1]، كما كان عليه أيضاً مراقبة المدارس والأطباء[2].

وأشرف المحتسب على إصلاح البيوت وبنائها وتنظيف الشوارع وتوزيع المياه[3]، ومنع الأحمال الزائدة رأفة بالحيوان، ومنع المعلمين من ضرب الصبيان ضرباً مبرّحاً، ومنع الاعتداء على الطرقات والإضرار بالناس[4].

وتحمّل المحتسب وظيفة دينية كان يراقب من خلالها إقامة الشعائر والعبادات كالصلاة والصيام، ويتعاهد الأئمة والمؤذنين[5]، ووظيفة أخلاقية تهدف إلى إبعاد الناس عن مواقف الريب ومظنات التهم[6]، وبهذا امتدت صلاحيات المحتسب إلى كافة النشاطات التي كان يمارسها الناس في الأسواق.

كما أراد المسؤولون عن الحسبة في الدولة الفاطمية أن تكون مجالاً لنشاط المذهب الإسماعيلي، وبث الدعوة الفاطمية، فكان أكثر موظفيها فاطميين، كما كان محتسبو دمشق على الأغلب من أتباع المذهب الإسماعيلي الفاطمي[7]، وقليل منهم كانوا من أتباع المذهب المالكي[8] خاصة في عهد الحاكم بأمر الله الذي مال في أواخر عهده لاتباع المذهب المالكي بسبب الجفوة التي حدثت بينه وبين أنصار المذهب الإسماعيلي.

---

(1) انظر يحيى بن عمر الأندلسي: النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ص32، 108، ابن الأخوة: معالم القربة ص80، ابن تيمية: الحسبة ص15، ابن خلدون: المقدمة ص225، المجيلدي: التيسير في أحكام التسعير ص45، Bazmee. Ansari : Hisba / El, London 1979, Vol lll, p 487.

(2) الشيزري: نهاية الرتبة ص7–8. Bazmee. Ansari : Hisba / El, Vol lll, p 488

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2 ص56، Bazmee. Ansari : Hisba / El, Vol lll, p 488

(4) الماوردي: الأحكام السلطانية ص258، ابن خلدون: المقدمة ص225، المقريزي: خطط جـ1، ص463–464، عبد الكريم حتاملة: البنية الإدارية في الدولة العباسية ص168، محمد عمارة: عندما أصبحت مصر عربية ص66.

(5) الماوردي: الأحكام السلطانية ص244، ابن تيمية: الحسبة ص14–15.

(6) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص53، حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية ص323، Bazmee. Ansari : Hisba / El, , Vol lll, p 488.

(7) انظر الذهبي: العبر جـ3، ص45، المقريزي: قطعة من كتاب المقفى ص360.

(8) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ4، ص69، المقريزي: اتعاظ الحنفا: جـ2، ص119، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص236، المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب جـ2، ص602.

أُقيمت للمحتسب دار في سوق المدنيـة عُرفت بـدار العيـار بهـدف فحـص الموازيـن والمكـاييل، والتأكد من سلامتها، فكان المحتسب يطلب مَنْ يريـد مـن التجـار والباعـة، ويكلّفـه بإحضـار موازينـه ومكاييله ليتم فحصها، فإذا وجد فيهـا خلـلاً ألـزم صاحبهـا باسـتبدالها، ثـم سمـح للتجـار في العصـر الفاطمي أن يقوموا بإصلاح موازينهم في دار العيار على أن يتحملـوا نفقـة إصلاحهـا ومقابلتهـا بـالموازين والمكاييل الصحيحة الموجودة في الدار[1]. وبعد عام (383هـ/993م) منع الفاطميون المحتسب أن يـأخذ أجراً على إصلاح الموازين ومعايرتها في دار العيار[2]، وكان يُلزِمُ التجار باتخاذ الأرطال والأواقي وأدوات الوزن الأخرى من الحديد حتى لا يكون من السهل تغييرها أو التلاعب بها[3].

تولّى بعض ولاة دمشق الحسبة بأنفسهم، وتولاّها القضاة أحياناً، ومن أوائـل مـن تولّـى حسـبة دمشق في الفترة الفاطمية أبو القاسم علي بن الحسن بن رجا بن طعان المتوفّى سنة (376هــ/986م)[4]، ثم تولاّها القاضي محمد بن النعمان بن محمـد بـن منصـور بـن حبـون الفـاطمي (340-389هــ/951-999م) الذي تولّى قضاء دمشق في خلافة العزيز با لله، ثم أُضيف إليه النظر في أمور الحسبة ومنها عيار الذهب والفضة والموازين والمكاييل[5]، كما تولاها في خلافة العزيز با لله شخص يُعرف بالأنصاري وبقـي فيها إلى سنة (395هـ/1004م)[6].

وكـان أبـو إسـحاق إبراهيـم بـن عبـد ا لله بـن حصـن الغـافقي أشـهر محتسـبي دمشـق أيـام الفاطميين[7]، وهو من الأندلس، درس بمصر والشام والعراق وسكن مدينة دمشـق وكـان مـالكيّ المذهـب تقرّب من الفاطميين خاصة بعد أن قرّب الحاكم بأمر ا لله فقهاء المالكية، وقيل بأن الغـافقي كـان يميـل إلى الاعتزال[8].

---

(1) انظر ابـن ممـاتي: قوانـين الدواويـن ص334، مختصـر قوانـين الدواويـن ص160، المقريـزي: خطـط جــ1، ص464، سهام أبو زيد: الحسبة في مصر ص76.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص277.

(3) انظر الشيزري: نهاية الرتبة ص19، ابن الأخوة: معالم القربة ص85، حمدان الكبيسي: أصالة الحسبة ص26.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص11.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381-400هـ) ص190، العبر جـ3، ص45، المقريزي: المقفى الكبير جـ7، ص347.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص453، ابـن منظـور: مختصـر تـاريخ دمشـق جــ2، ص70، المقـري: نفـح الطيب جـ2، ص605.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص452، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص236، المقري: نفح الطيب جـ2، ص604.

(8) ابن منظور مختصر تاريخ دمشق جـ2، ص70، المقري: نفح الطيب جـ2، ص605.

ولاّه الحاكم بأمر ا لله الحسبة في مدينة دمشق سنة (395هـ/1004م)[1]، وكان الغافقي صارماً في عمله يؤديه على أحسن وجه، ولا يتأخر عن معاقبة المخالفين أشد العقاب[2]، فبعد أن أصدر الحاكم بأمر ا لله سجلاً يمنع فيه سَبَّ السلف، عاقب إبراهيم بن حصن رجلاً سَبَّ أبا بكر وعمر وعثمان وظلّ يضربه حتى الموت، فلما علم الحاكم بذلك أرسل إلى إبراهيم يشكره على تنفيذ العقوبة ليمتنع غيره عن سَبِّهم[3].

بقي إبراهيم بن حصن متولياً لحسبة دمشق إلى أن تُوفي سنة (404هـ/1013م)[4]، فصارت الحسبة في دمشق مسؤولية قاضي المدينة، فالشريف أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني المتوفى سنة (434هـ/1042م) الذي تولى قضاء دمشق في خلافة الظاهر لإعزاز دين ا لله سنة (415هـ/1024م) أُضيفت إليه مع ولاية القضاء صلاحيات واسعة كان من بينها الإشراف على الحسبة[5]، ثم أُعطيت هذه الصلاحيات لأخيه أبي تراب المحسن بن محمد بن العباس بن أبي الجن الذي تولى قضاء المدينة وخطاباتها بعد أخيه[6]، كما تولاّها أبو الحسين إبراهيم بن العباس الحسيني المتوفى سنة (454هـ/1062م) الذي تولى قضاء دمشق وما أُضيف إلى ذلك نيابة عن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان في خلافة المستنصر با لله[7].

امتلك المحتسب في العصر الفاطمي صلاحيات واسعة تضمّنت نوعاً من العقاب يبدأ بالتوبيخ والضرب بالسوط أو بالدرّة، ويختلف نوع العقوبة حسب كِبَر الذنب أو صغره[8]، كما امتلك عقوبة التعزير أو التشهير[9]، وذلك بأن يركب المذنب حماراً، ويُطافَ به في الأسواق وهو مُجلّل بلباس خاص ومُكلّل بالأجراس وأذناب الثعالب[10]، ليكون عبرة لمن يفكّر بارتكاب المخالفات بعد ذلك.

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص453، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ2، ص70، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص236، المقري: نفح الطيب جـ2، ص605.

(2) انظر تفاصيل ذلك في ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص453، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص236..

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص453،المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص231، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص236،

(4) المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص231.

(5) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص664.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص283، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص665.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص449،المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص209.

(8) انظر ابن تيمية: الحسبة ص53، الكبيسي: أصالة الحسبة ص32.

(9) الماوردي: الأحكام السلطانية ص236، أبو يعلى: الأحكام السلطانية: ص279، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص49، 69، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص33.

(10) ابن تيمية: الحسبة ص53، ابن الأخوة: معالم القربة ص184، 185، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص414.

البريد

البريدُ كلمةٌ عربيةٌ من بَرَدَ أو أَبْرَدَ، بمعنى أرسل[1]، وقيـل فارسـية معرّبـة تعـني الخيـل مقصوصة الذنب، وذلك لأن الفُرْسَ كانوا يقصُّون أذناب البغال المستخدمة لنقل الأخبار تمييزاً لهـا على غيرها من الدواب الأخرى[2]، والبريد هو الدابة التي يركبها العامل، ثم نُقلت لتعني المسـافة التي يقطعها بين منطقتين، وقُدِّرت في بلاد الشام خلال القرن الرابع الهجري بستة أميال[3].

وخُصِّصَت مجموعة من الخيول السريعة لتوضع في محطات على الطريق بين الولايـات والمدن، فإذا وصل حامل الأخبار، الذي عُرِف باسم صاحب البريد، أحد هذه الأماكن وقد تَعِبَ فرسُـه، ركـب فرساً غيره مستريحاً، وتابع سيره حتى يصل بسرعة[4].

وكانت وظيفة البريد هي نقل الأخبار الرسمية بين العاصمة والولايـات، فينقـل أخبـار الخلفاء إلى ولاتهم وأخبار الولاة إلى الخلفاء[5]، ثم اتسعت مهمته وصارت تشبه وظيفة المخابرات اليوم بعد أن أُسندت

---

(1) الجوهري: الصحاح جـ2، ص447، الزبيدي: تاج العروس جـ2، ص298، ابن منظور: لسان العـرب جـ3، ص86، نظير سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية ص19.
Hartmann: Barid/El London 1960, vol l, p 1045.

(2) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص42، آدم متز: الحضـارة الإسـلامية جـ2، ص411، حسـن باشـا: دراسـات في الحضارة ص64.

(3) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص66، الكتـاني: الـتراتيب الإداريـة ص291، آدم مـتز: الحضـارة الإسـلامية جـ2، ص411، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية ص18.
Hartmann: Barid/El London 1960, vol l, p 1045.

(4) انظر ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السـلطانية ص78، صبحـي الصـالح: النظـم الإسـلامية ص331، نظـير سعداوي: نظام البريد ص19.

(5) ابن مماتي: مختصر قوانين الدواوين/ تحقيق عدنان الصمادي ص71.

إليه مهمات التجسس على ولاة الأقاليم وكبار الموظفين ومراقبة شؤون الحكومة في الولايات المختلفة[1]، فكان للمعزّ الفاطمي في مدينة دمشق صاحب بريد يوافيه بأخبار المدينة وولاتها وقام بتزويده بأخبار ما جرى لأهل دمشق في أحداث سنة (363هـ/973م) من الحروب وإحراق المنازل وأعمال السلب والنهب[2].

وكان للحسن بن عمار – الذي استولى على الأمر سنة (386هـ/996م) بعد وفاة العزيز با لله في مصر بسبب صغر سن الحاكم[3]– جواسيس في مدينة دمشق يوافونه بأخبار المدينة وولاتها، فأرسلوا يخبرونه عزم منجوتكين على تجهيز جيش والقدوم به إلى مصر لمساعدة الحاكم بأمر ا لله ضده[4].

وأكّد الحاكم بأمر ا لله على أهمية وجود أشخاص ينقلون له أخبار ولاة الشام، فعهد إلى ختكين الداعي للقيام بهذه السفارة، فكان يكلّفه بحمل الرسائل التي يريد نقلها إلى هؤلاء الولاة.

وكان الفاطميون يختارون موظفي البريد من الموثوق بهم ومَنْ يوالون الخلفاء لأنهم يأتون إليهم بأسرار الولاة والأمراء، ويُكلّفون بالمهمات السرية التي تحتاج الأمناء على حملها، الأوفياء لمن يحملون إليهم هذه الأخبار، فكلّف الحاكم بأمر ا لله أبا عبد ا لله الحسين بن جوهر بأمر البريد سنة (386هـ/996م)[5]، أما الخليفة الظاهر لإعزاز دين ا لله، فقد كلّف بذلك أبا طالب الغرابيلي سنة (415هـ/1024م)[6].

وعُرف في العصر الفاطمي نوعان من البريد استُخدما للاتصال بمدينة دمشق هما:

1 – البريد البري: ووسيلة النقل فيه هي الدواب والخيول على وجه الخصوص لسرعتها، وكانوا يقسمون الطريق بين المدن إلى محطات بريدية، بين كل محطة والثانية أربعة فراسخ، وتزوّد كل محطة بعدد من الخيول السريعة لتكون على أهبة الاستعداد للحركة عند الحاجة، وكانت هذه المحطات تُزوَّد بالماء والطعام والعلف، وتقام فيها المباني لتقي مَنْ يقيمون فيها بردَ الشتاء وحرَّ الصيف[7].

---

(1) انظر:
Hartmann:Barid/ El, London 1960, vol l, p1046, Kremer: Orient under the calephs, p233.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص20.

(3) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص75 – 76، الدواداري: الدرة المضيئة ص256 – 257.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص76 – 77.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص6، الخطط جـ2، ص14، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص146.

(6) المسبحي: أخبار مصر جـ40، ص31، 63، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص141.

(7) انظر الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص42، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص411، صبحي الصالح: النظم الإسلامية ص332، عطية مشرفة: نظم الحكم ص132.

لقد قام البريد بدوره في العصر الفاطمي وكانت الطريق الموصلة بين دمشق والقاهرة مقسّمة إلى محطات يُشرف عليها موظفون تابعون للدولة الفاطمية.

كان الخلفاء يختارون موظفي البريد مِمَّنْ عُرفوا بإخلاصهم وأمانتهم، لأنه كانت تُوكل إليهم أحياناً مهمات أو رسائل شفويّة[1]، وروعي في موظف البريد معرفته بالطرق والبلاد التي يعمل فيها حتى يتمكن من سلوك أسهل الطرق وأقربها[2].

ففي سنة (363هـ/973م) كانت تصل أخبار دمشق وأحداثها وما يجري على أهل المدينة من الحروب والفتن إلى المعزّ لدين الله عن طريق صاحب البريد[3]، وكان قسّام التراب يراسل العزيز بالله فيكتب له بالأخبار وسلوك بعض القادة الفاطميين ويبعثها إليه مع رسل البريد أيضاً[4].

وفي سنة (369هـ/979م) أنفذ العزيز رسله وكتابه إلى سليمان بن فلاح يأمره بالرحيل عن دمشق، وبعث ذلك بالبريد البري مع موظفي البريد[5]، وفعل مثل ذلك عندما كتب إلى بلتكين سنة (372هـ/982م) يأمره أن يرحل عن دمشق هو ومنشا بن إبراهيم كاتب الجيش[6]، كما ورد كتاب المستنصر بالله المتضمن عزل أنوشتكين الدزبري من القاهرة سنة (429هـ/1038م) مع صاحب البريد[7].

2 – البريد الجوي: ووسيلة النقل والمراسلات فيه هي الحمام الزاجل، وقد اهتمّ الفاطميون به اهتماماً كبيراً، واعتمدوا عليه كثيراً، فأفردوا له ديواناً خاصاً وجرائد بأنساب الحمام، وأقاموا له أبراجاً خاصة فيها عمال يراقبون قدوم الحمام وسفره، وكان عليه أن يراعي عدم السماح للحمام بالمغادرة إلاّ في ظروف مناسبة[8].

---

(1) انظر قدامة بن جعفر: الخراج ص277، القلقشندي: صبح الأعشى جـ1، ص115، الخربوطلي: العزيز بالله ص90-91، عطية مشرفة: نظم الحكم ص132، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص146.

(2) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص185، عطية مشرفة: نظم الحكم ص133.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص20.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص39.

(5) ن. م، ص41.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص50.

(7) ن. م، ص122.

(8) المقريزي: خطط جـ2، ص375، نظير سعداوي: نظام البريد ص141، أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية ص144، الخربوطلي: العزيز بالله ص89.

كان حمام البريد يحمل برقبته وأقدامه علامات مميزة، وتُكتَبُ الرسائل التي تحملها الحمائم بعبارات مختصرة على ورق رقيق وخفيف حتى لا تعيق الطائر، وتُشَدُّ تحت جناح الحمامة أو ذيلها، ولزيادة الاطمئنان كان تُكتب نسختان من الرسالة، وتُرسلان على دفعتين بينهما فترة من الزمن حتى إذا ضلّت إحداهما أو تعرّضت للخطر وصلت الأخرى[1].

وكانت في مدينة دمشق في العصر الفاطمي أبراج خاصة بالحمام الزاجل من حمام مصر، وفي مصر حمام من دمشق لحمل الرسائل[2].

واستُخدم الحمام الزاجل في خلافة الحاكم بأمر ا لله لنقل الأخبار بين دمشق والقاهرة[3]، وغالباً ما كانت وظيفة الحمام نقل الأخبار الهامة جداً والتي تستدعي سرعة كبيرة، وسِرّيّة متناهية، واستُخدم الحمام لنقل أخبار الحروب وبعض شؤون السياسة والتجارة، كما استُخدم لنقل رسائل في مناسبات متعددة بين دمشق والقاهرة سنة (382هـ/992م)[4].

استخدم جواسيس الحسن بن عمار الحمام لإيصال بعض أخبار منجوتكين والي دمشق إلى سيدهم في القاهرة بعد وفاة العزيز با لله سنة (386هـ/996م)[5].

وبهذا كان الخلفاء الفاطميون يضمنون وصول أخبار الولاية إلى القاهرة سواءً كان ذلك براً عن طريق أصحاب البريد، أو جواً عن طريق الحمام الزاجل، فموظفو البريد هناك مستعدون لإرسال الأخبار وكل ما يحدث في المدينة أو المناطق المجاورة لها، فيكون الخلفاء على علم بكل ما يحدث في الولاية أو ما تحتاج إليه.

---

(1) المقريزي: خطط جـ2، ص231، عطية مشرفة: نظم الحكم ص134، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص37، نظير سعداوي: نظام البريد ص141.

(2) انظر عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم ص134، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص295، نظير سعداوي: نظام البريد ص141.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص77.

(4) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص275، 276.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص77.

الفصل الرابع

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في دمشق

1 ـ مقدمة

2 ـ الزراعة

3 ـ الصناعة:

1 – الصناعات والحِرَف.

2 – أنواع الصناعات.

4 ـ التجارة:

1 – الأسواق.

2 – الطرق التجارية.

3 – التجارة الداخلية.

4 – التجارة الخارجية.

5 – النقود.

5 ـ الأحوال الاجتماعية:

1 – فئات المجتمع.

2 – الأسعار.

3 – الملابس.

4 – الطعام.

5 – المناسبات والأعياد.

مقدمة

كان لموقع دمشق تأثير كبير في الحياة الاقتصادية للمدينة، فقد كانت ملتقى للطرق التجارية القادمة من بلاد متعددة؛ من الحجاز واليمن جنوباً، ومن آسيا الصغرى شمالاً، ومن العراق وبلاد فارس شرقاً، ومن مصر وسواحل البحر المتوسط غرباً، فكان يؤمُّها التجّار يحملون إليها منتجات البلاد التي يَفِدون منها، ويعودون عنها محمّلين بمنتجات الشام الزراعية والصناعية.

واشتملت دمشق على أراضٍ واسعة خصبة كثيرة المياه في المنطقة المعروفة بالغوطة، وهي من أخصب البلاد وأجودها للزراعة بوجود نهر بردى الذي يروي بفروعه جميع أراضي الغوطة.

ومن الطبيعي أن تتأثر الحياة الاقتصادية بالأحوال السياسية التي مَرَّت بها بلاد الشام؛ فقد تعرضت المنطقة للخطر البيزنطي الذي كان يضغط على الحدود الشمالية. وتعرضت البلاد لهجوم القرامطة في أواخر العهد الإخشيدي[1]، وكان لقدومهم أثر سيئ على الزراعة لما قاموا به من أعمال السلب والنهب والتخريب في دمشق والغوطة[2]، كما أصبحت الطرق الموصلة إلى دمشق غير آمنة فتعطلت الحركة التجارية بعض الوقت.

وكان للأوضاع الداخلية في دمشق أثر كبير خاصةً وأن أمور المدينة لم تشهد استقراراً تاماً خلال فترة الحكم الفاطمي لها، مما جعل ظروف الحياة الاقتصادية عرضةً للتقلب.

---

(1) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص132، التنوخي: نشوار المحاضرة جـ4، ص170، محمد شعبان: الفاطميون ص232، خاشع المعاضيدي: الحياة السياسية ص21.

(2) انظر التنوخي: نشوار المحاضرة جـ4، ص170، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، سهيل زكار الجامع في أخبار القرامطة جـ1، ص95، Bianquis : Damas, Vol I, P65 - 101.

وعلى الرغم من ذلك فقد تحدَّث بعض الجغرافيين عن نشاط في بعض الجوانب الاقتصادية: فيقول المقدسي (ت 380 هـ/990 م) في وصف دمشق: "وهو بلد خرقته الأنهار وأحدقت به الأشجار وكثرت به الثمار مع رخص أسعار"[1].

وذكر ابن حوقل (ت 367 هـ/977 م) بأن دمشق كانت أَجَلّ مدينة بالشام، وهي في أرض واسطة بين جبال، تحفُّ بها مياه كثيرة، وأشجار وزروع متصلة، وتُعرف تلك البقعة بالغوطة[2].

أما المهلبي (ت 380 هـ/990 م) فقال في وصفها: "ولا تكاد الشمس تصل إلى أكثر أرضها لكثرة الشجر، والمياه تتخرَّف في جميع هذه الغوطة، فإنها مقسومة للضياع متوزعة للشرب"[3].

وكذلك تأثرت الأحوال الاجتماعية في دمشق بالأحوال السياسية المتردِّية خلال العصر الفاطمي، فنتج عن ذلك اضطراب الأوضاع الاجتماعية وانقسام الناس إلى فئات وطوائف مختلفة من سُنَّة وشيعة وأتراك (مشارقة) ومغاربة ومصريين، كما تأثرت الحياة الاجتماعية أيضاً بالسياسة التي اتبعها الفاطميون الشيعة ومحاولتهم فرض مذهبهم على أهل دمشق مما أوجد سبباً لاستمرار الخلاف بين الحكام والمحكومين لم ينته إلاّ بخروج الفاطميين من دمشق وانتهاء حكمهم لها سنة 468 هـ/1075م.

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص157.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض ص160، وانظر الإصطخري: المسالك والممالك ص63.

(3) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص82.

الزراعة

شكّلت الزراعة عنصراً أساسياً من عناصر الحياة الاقتصادية في دمشق، وعليها يتوقف غذاء الإنسان، فقد اشتهرت دمشق بجودة أرضها لوجود الغوطة التي تُعدُّ من أخصب البلاد وأكثرها ملاءمة للزراعة.

لقد قرر المسلمون بعد فتح الشام اعتبار أرضها أرض فيء[1] بما فيها أراضي دمشق، وذلك سنة 15 هـ/637م، فقد تركوا أهل الشام بأرضهم يدفعون عنها الخراج[2]. وطُبِّقَ هذا الإجراء على كافة الأراضي المفتوحة التي عُدَّتْ وقفاً على الأمة يعمل بها أهلها ويدفعون الخراج لقاء استغلالها بغض النظر عن صفة فتحها، وبقيت أرض الشام أرضاً خراجية طوال العهد الإسلامي[3].

إلاّ أن ذلك لم يمنع من وجود أراض عشرية امتلكها المسلمون في دمشق بعد الفتح، أو ممّن أسلموا وبقوا على أرضهم فصارت أرضهم أرضاً عشرية تدفع الزكاة[4]، كما أقطع بعض خلفاء بني أمية من أراضي الصوافي، أو من أراضٍ قد باد أهلها ولم يتركوا عقباً لأناس من المسلمين ورفعوا ما كان عليها من الخراج، فأصبحت أراضٍ عشرية[5]، وبقيت أرض الشام على حالها طوال العصر الإسلامي.

وتعرضت دمشق في العصر الفاطمي لأحداث كثيرة نتج عنها انعدام الاستقرار فكثرة

---

(1) الفيء هو ما رَدَّه الله تعالى على المسلمين أي ما صولحوا عليه من الجزية أو الخراج (انظر الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ص178، أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي ص347-348.

(2) انظر خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، دمشق 1968 م، جـ1، ص124، البلاذري: فتوح البلدان ص129، وما بعدها، قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ص293- 294، ابن رجب: الاستخراج لأحكام الخراج ص42.

(3) (انظر فالح حسين. الحياة الزراعية في بلاد الشام ص45، نقلاً عن قانون نامة العثماني لولاية الشام).

(4) قدامة بن جعفر: الخراج ص204، فالح حسين: الحياة الزراعية ص46.

(5) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص595، تهذيب جـ1، ص183، فالح حسين: الحياة الزراعية ص46

الحروب والفتن وظهور قطاع الطرق والاعتداءات الكثيرة جعلت الفلاحين في بعض الأحيان غير آمنين على أنفسهم، فترك بعضهم العمل في الزراعة[1].

وعندما سيطر قسّام التراب على حكم دمشق (368–372 هـ/978–982 م) أهمل قسّام أمر الغوطة وجبل سنير[2] فأصبحا مسرحاً للجيوش التي قدمت إلى دمشق واعتدى عليها الجنود الفاطميون، فأفسدوها، وهجر عدد كبير من المزارعين العمل بالزراعة، كما طمع فيها الأعراب وحوّلوها إلى مراعٍ لأغنامهم ودوابهم[3].

وفي سنة 415 هـ/1024 م تحالف أمراء القبائل العربية في بلاد الشام، واتفقوا على تسليم دمشق وبلادها لسنان بن عليان الكلبي، فجمع جيشه وحشوداً من أبناء القبائل العربية وحصروا دمشق ونهبوا الغوطة وسائر السواد، وقتلوا عدداً كبيراً من الفلاحين، ونهبوا أموالهم[4].

غير أن الاضطراب لم يدم طوال الحكم الفاطمي في بلاد الشام، فما أن عاد الاستقرار النسبي حتى عاد الفلاحون لممارسة نشاطهم الزراعي كالمعتاد.

وضعف الاهتمام بنظام الري في دمشق[5] بسبب الانشغال بالأحداث السياسية، إلاّ أن تظافر الجهود المحلية ونشاط فلاحي الغوطة واستمرارهم بالعمل في الزراعة أبقى الغوطة تمدُّ دمشق وتموِّن أهلها بمنتجاتها الزراعية[6]، بل وتُصدِّرُ شيئاً من إنتاجها إلى جهات مختلفة.

وقد استُثمر الإنتاج الزراعي في غوطة دمشق لمواجهة الظروف الصعبة التي تعرض لها أهل المدينة، فعندما علم أفتكين بقدوم جوهر الصقلي على رأس جيش فاطمي، طلب من الفلاحين أن يتعجلوا جمع محاصيل الحبوب ونقله إلى مخازن الغلال ليكون مؤونة في حال تعرُّض المدينة للحصار[7].

وكان الإنتاج الزراعي في الغوطة يشكل مصدراً مهماً بالنسبة لمدينة دمشق، ولهذا كان

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10، 20، 42، المسبحي: أخبار مصر 219.
(2) هو الجبل المعروف اليوم بجبل القلمون وهو فرع من فروع جبال لبنان الشرقية (انظر كرد علي: غوطة دمشق ص13).
(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص42، 49.
(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص118.
(5) لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص327، محمد عبد الحي شعبان: الفاطميون ص246.
(6) انظر نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات ص82.
(7) Bianquis: Damas, Vol I, P105

بعض القادة يستغل هذه الناحية للضغط على السكان بهدف استمالتهم أو إلزامهم بما يريد، كما حدث عندما قام آتسز التركماني بحصار المدينة بهدف إجبارها على الاستسلام، فلجأ للضغط على أهلها بأن حرمهم من ناتج أرضهم، فكان يأخذ ثمرها ويرعى زرعها قبيل موسم الحصاد[1]، واستمرَّ على هذه الحال حتى أجبرها على الاستسلام سنة 468 هـ/1075 م.

وكانت غوطة دمشق تُروى بواسطة نهر بردى وفروعه والقنوات المتصلة به، فمنطقة بيت لهيا[2] كانت تُروى من نهر ثورا، ومنطقة بيت الآبار تُسقى من نهر القنوات، وتُروى منطقة داعية[3] بماء الداعياني، وهو أحد فروع نهر بردى، ومنطقة داريا بمياه نهر الداراني، وبانياس بمياه نهر بانياس، أما القابون[4] وحرستا ودُمَّر فكانت تُروى بماء نهر يزيد الذي يحتاج إلى الآلات لإيصال الماء إلى الأراضي الزراعية بسبب انخفاض مجراه عن مستوى الأراضي المجاورة[5]، فاستُخدمت الدواليب لهذه الغاية، بينما كانت مناطق الزبداني وحديثة[6]، وبيت نايم[7] تحصل على حاجتها من المياه من مجرى بردى الرئيسي.

وقد ساعد اعتدال مناخ دمشق وخصوبة أرضها ووفرة مياهها وموقعها بين البادية في الشرق والجبال في الشمال والغرب على إنتاجها لأصناف مختلفة وكثيرة من المنتوجات الزراعية، فتنمو فيها بعض الأشجار التي تحتاج إلى الجو الحار، وكثير من الأشجار التي تتحمل ظروف البرد، إضافة إلى الأصناف التي لا يلائمها إلا الجو المعتدل، كما تنتج أصناف الحبوب والخضراوات المختلفة[8]، ومن مزروعاتها ما يعيش على مياه الأمطار، ومنها ما يُسقى بماء الأنهار[9].

---

(1) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص167.

(2) قرية على طريق بغداد القديمة (انظر كرد علي: غوطة دمشق ص164).

(3) داعية قرية مشهورة نُسب إليها نهر الداعياني، وهي اليوم غير مسكونة، وتقع ضمن منطقة حمورية (انظر كرد علي: غوطة دمشق ص169، الخارطة ص204).

(4) القابون: أرض مزرعة العمادية، وهو اليوم أحد الأحياء الشعبية المشهورة بدمشق وموقعه بين جوبر وبرزة (انظر كرد علي: غوطة دمشق ص176، الخارطة ص204).

(5) أبو البقاء: نزهة الأنام ص85، فالح حسين: الحياة الزراعية ص84.

(6) الحديثة من قرى غوطة دمشق، ويُقال لها حديثة جرش (انظر ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص 232، كرد علي: غوطة دمشق الخارطة ص204).

(7) بيت نايم: إحدى قرى المرج شرقي دمشق (انظر كرد علي: غوطة دمشق الخارطة ص204).

(8) انظر الصيادي: الروضة البهية ص27، محمد أحمد دهمان: في رحاب دمشق ص73، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص 38، دمشق مدينة السحر والشعر ص140.

(9) القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90.

وبسبب قِلّة المعلومات المتوفرة عن الزراعة في دمشق وبلادها خلال الفترة الفاطمية فإن الضرورة تدعو للتعرف على حال الزراعة فيها خلال الفترات القريبة من الفترة الفاطمية:

قال الإصطخري (ت 346 هـ/957 م) في معرض حديثه عن دمشق: "وهي أجَلُّ مدينة بالشام كلها وهي في أرض واسعة بين جبال، تحيط بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متصلة، وتُسمى تلك البقعة بالغوطة"[1].

وقال عنها المقدسي (ت 380 هـ/990 م): "وهو بلد خرقته الأنهار، وأحدقت به الأشجار، وكثرت به الثمار"[2].

وذكرها الإدريسي (ت 560 هـ/1164 م) بقوله: "ومدينة دمشق من أجَلِّ بلاد الشام وأحسنها مكاناً، وأعدلها هواءً، وأطيبها ثرىً، وأكثرها مياهاً، وأغزرها فواكه، وأعَمِّها خصباً، وأوفرها مالاً، ولها مزارع تُعرف بالغوطة. وبها ضياع كالمدن مثل المزة وداريا وبرزة وحرستا وكوكبا وبلاس وكفر سوسة وبيت الأهواء. ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج وطوله اثنا عشر ميلاً وعرضه ثلاثة أميال، وكله مغروس بأجناس الثمار تشقُّه خمسة أنهار، وأكثر الغوطة أيضاً هي أشجار وأنهار ومياهها محدقة تشقُّ البساتين والديارات، وبها من أنواع الفواكه ما لا يحيط به تحصيل ولا يأتي به تمثيل"[3].

أما ابن جبير (ت 614 هـ/1217م) فقال عنها عند زيارته لها في أوائل القرن (7هـ/13م): "جنة المشرق ومطلع حسنه المؤنق المشرق... قد تحلَّت بأزاهير الرياحين، وتجلَّت في حُلل سندسية من البساتين... وقد أحدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر، واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر، وامتدت بشرقي غوطتها الخضراء امتداد البصر"[4].

كما وصفها ابن شداد (ت 632هـ/1234م) وقال عنها: "فإنها أحسن بلاد الشام مكاناً، وأعدلها هواءً، وأطيبها نشراً، وأكثرها مياهاً، وأغزرها فواكه، ولها ناحية تُعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة. وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة

---

(1) الإصطخري: مسالك الممالك ص59، وانظر ابن حوقل: صورة الأرض ص160.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم ص157.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص366.

(4) ابن جبير: الرحلة/ طبعة بيروت1988، ص234– 235.

وأربعين بستاناً، وعلى خمسمائة وخمسين كرماً"[1].

فالجغرافيون والرحالة المسلمون الذين كتبوا عن دمشق سواء قبيل خضوعها للحكم الفاطمي، أو في الفترات التي جاءت متأخرة عن الفترة الفاطمية، أشاروا في كتاباتهم إلى أن دمشق وغوطتها كانت وفيرة المياه خصبة الأرض كثيرة الأشجار والإنتاج.

فأشار الإصطخري إلى تشابك أشجار الفاكهة وامتلاء الغوطة بأشكالها المختلفة في القرن (4هـ/10م)[2]، كما ذكر المقدسي أيضاً كثرة المياه من أنهارها وخصوبة أرضها، وما ترتب على ذلك من زراعة الأشجار وزيادة الإنتاج[3] وتحدث الإدريسي في القرن (6 هـ/12م) عن كثرة الفواكه التي كانت تُنتجها مزارع الغوطة والقرى المجاورة لدمشق[4]، ثم أكّد على ذلك ابن شداد في القرن (7 هـ/13م)، وأشار إلى اشتمالها على آلاف البساتين والكروم[5].

ولعلَّ هذه الإشارات تدلُّ على استمرارية الزراعة والإنتاج في دمشق وبلادها، وأنَّ ما كان يُزرع فيها في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، يشبه إلى حَدٍّ كبير ما كان يُزرع قبل ذلك، ثم استمرت زراعته في العصور التالية أيضاً.

فاشتهرت غوطة دمشق ببساتينها وكرومها على مرِّ العصور، وذكر بعض الجغرافيين أنه كان في دمشق في القرن 7 هـ/13م أكثر من (130) ألف بستان[6]، وحوالي (550) كرماً[7]، وهذا يدل على سعة مساحة الأراضي التي كانت تُزرع بالفواكه و الكروم.

وكان الفلاح الذي يمتلك أرضاً يقوم باستثمار أرضه، فيحرثها ويزرعها ويتعهدها بالعناية إلى أن يحين موسم جني المحصول ويدفع العشر، أما الأراضي التي كانت تمتلكها الدولة وهي

---

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة ص13، وانظر ابن طولون: ضرب الحوطة على جميع الغوطة/مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الأول 1946 ص152.

(2) الإصطخري: مسالك الممالك ص59، ابن حوقل: صورة الأرض ص160.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم ص157، وانظر المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك/مجلة معهد المخطوطات العربية 1958م، ص63–65.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق جـ4، ص366.

(5) انظر ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص13.

(6) انظر سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ1، ص74، شيخ الربوة: نخبة الدهر ص194.

(7) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص13، ابن طولون: ضرب الحوطة ص152.

في تقليب التراب وتسويته[1].

وشاع استعمال المنجل في الحصاد، وهو عبارة عن قطعة حديدية مقوسة له يد خشبية ملساء، أما درس الحبوب فكان يتم بواسطة لوح خشبي من أسفله حجارة ذات نتوءات كثيرة تجرُّه الدواب وتدور به على القش بعد فرشه على الأرض، وتستمر العملية حتى يتم الدرس[2]، وهو فصل الحَبِّ عن القش.

كانت دمشق وغوطتها من أخصب البلاد وأكثرها ملاءمة للزراعة، فكانت تجود في أرضها زراعة أشكال مختلفة من الزروع والثمار، وفيما يلي أهم منتوجاتها الزراعية خلال العصر الفاطمي:

1- الزيتون: وتعود زراعته في غوطة دمشق إلى عهد بعيد، ولم تنقطع زراعته فيها إلى اليوم، وانتشرت زراعته في جميع بلاد الشام التي يصفها الثعالبي على أنها من أكثر بلاد الله زيتوناً[3]، فكان يُزرع في الغوطة والمرج والمزة [4] والقرى المجاورة لدمشق في برزة والقابون وحرستا ودوما وكفر سوسية ويلدا وحوش الريحانية[5].

وزيتون دمشق أنواع كثيرة منها الدّان والأخضر (المصعبي) والجلط والتفاحي والبستاني والبري وهو أسود اللون[6].

2- التفاح: كان تفاحُ دمشق مضربَ المثل في القرن 4 هـ/10م، وله رائحة طيبة[7] وأجود أنواع التفاح بدمشق هو التفاح الشامي الذي كان يُصَدَّر منه إلى العراق ثلاثون ألف تفاحة كل

---

(1) صفوح خير: غوطة دمشق ص351- 352، مصطفى الشهابي: الزراعة العلمية الحديثة ص66.

(2) انظر عادل عبد السلام: جغرافية سوريا جـ1، ص649، صفوح خير: غوطة دمشق ص352، فالح حسين: الحياة الزراعية ص80-81.

(3) انظر الثعالبي: لطائف المعارف ص157، فالح حسين: الحياة الزراعية ص110.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، ابن طولون: القلائد الجوهرية ص34، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص179.

(5) كرد علي: غوطة دمشق جـ108.

(6) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص538، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص179.

(7) الثعالبي: لطائف المعارف ص95، ابن الوردي: خريدة العجائب ص571، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص309، أحمد أمين: ظهر الإسلام جـ2، ص246.

أراضٍ خراجية فكانت بيد مَنْ يسكنها من الفلاحين الذين يتعهدونها بالزراعة والرعاية مقابل الخراج أو مقابل حصة من الناتج.

وقد عَرفت دمشق منذ صدر الإسلام عدّة طرق لاستثمار الأرض منها المزارعة، وذلك بأن تُعطى الأرض إلى فلاح يزرعها على أن يأخذ حصة معلومة من ناتج الأرض كالنصف أو الثلث أو الربع[1]، والمساقاة وهي أن تُدفع الأرض المغروسة بالأشجار إلى رجل يقوم بسقايتها ورعايتها وحمايتها من اللصوص إلى وقت قطاف الثمر لقاء جزء معلوم من الثمر[2]. أما المغارسة فتكون بأن تُعطى الأرض لفلاح يزرعها بالأشجار ويتعهدها لعدة سنوات، ثم يأخذ نصف الأرض المغروسة بعد انتهاء مدة العقد الذي تختلف مدته بحسب نوع الأشجار والمدة التي تحتاجها لكي تبدأ الإنتاج[3].

ومن طرق الاستثمار الزراعي أيضاً الضمان أو التضمين، وذلك بأن تُعطى الأرض المزروعة بالأشجار لبستاني يستغل محصولها حتى نهاية الموسم لقاء مبلغ من المال[4]، وقد شاع استعمال هذه الأساليب والوسائل الزراعية في بلاد الشام منذ العصر الأموي واستمر حتى العصر الفاطمي.

وحتى تعطي الأرض ناتجاً زراعياً جيداً، لجأ الفلاحون إلى اتباع نظام الدورة الزراعية، فكانوا يزرعون قسماً من الأرض ويتركون القسم الآخر دون زراعة ليرتاح، فإذا جاء الموسم التالي أراحوا القسم المزروع وزرعوا القسم الذي ارتاح أولاً[5].

واستخدم الفلاحون في العصر الفاطمي الأدوات الزراعية التي كانت معروفة من قبل والتي تَيَسَّرَ استخدامها في أكثر مناطق بلاد الشام كالمحراث البلدي الذي تجرُّه الدواب من الثيران أو الحمير أو البغال، ويتألف من قطع خشبية تتصل ببعضها، واستُخدم المرّ والجاروف والمسحاة[6]

---

(1) انظر أبو يوسف: الخراج ص88-91، الشافعي: الأم جـ4، ص12، يحيى بن آدم القرشي: الخراج ص170، فالح حسين: الحياة الزراعية ص64، محمد محاسنة: الأحوال الاقتصادية ص88، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص85.

(2) الشافعي: الأم جـ4، ص11، فالح حسين: الحياة الزراعية ص65.

(3) عبد الوهاب السماوي: التعامل في الإسلام ص212، ديمومبين: النظم ص243، صفوح خير: غوطة دمشق ص342.

(4) انظر أبو البقاء: نزهة الأنام ص312، فالح حسين: الحياة الزراعية ص72، صفوح خير: غوطة دمشق ص341.

(5) الماوردي: الأحكام السلطانية ص150.

(6) المرّ: قطعة حديدية مثلثة الشكل حادة من الأسفل وفوقها نصاب خشبي يرتكز عليه، والمسحاة قطعة حديدية في وسطها عصا خشبية تستعمل لجرّ التراب وتسويته، والجاروف يشبه المسحاة (انظر مصطفى الشهابي: الزراعة العلمية الحديثة ص66، فالح حسين: الحياة الزراعية 79-80).

دمشق زراعة أصناف كثيرة من التين، فإضافة إلى ما ذُكر كان يُزرع فيها التين البرزي والعسيلي[1].

5- الأجاص والخوخ: فاشتهرت دمشق بزراعة أصناف كثيرة من الأجاص كالزجاجي والأسود والأغبر، وبرزة وله نوار أصغر من نوار الكمثرى، كما انتشرت زراعة الخوخ في الغوطة على نطاق واسع ومن أصنافه فيها عين البقرة والجانرك السكري الشامي والعجمي والتفاحي والخوخ ذو الورق الأحمر[2].

6- الدرّاق: وتكثر زراعته في منطقة الصالحية[3]، ويُزرع منه في دمشق أصناف كثيرة منها الختمي واللوزي والزهري والصالحي وغيرها[4].

7- المشمش: وهو من المنتوجات ذات الشهرة الفائقة بدمشق، وتنتشر زراعته في الغوطة والمرج[5]، وتُزرع منه أصناف كثيرة منها الكلابي وهو نوع رديء، والحموي وهو ذو طعم لذيذ ونكهة طيبة، ومن أصنافه الأخرى بدمشق الوزيري والمستكاوي والتدمري[6].

8- الكمثرى: وتُسمّى باليونانية الانجاص، وهو الاسم الحالي المتعارف عليه بين أهل الشام، وتنتشر زراعته في الغوطة، ومن أصنافه بدمشق الملكي والمغاربي واليبرودي والسكري[7].

9- الرمّان: وشجره معروف له نوار أحمر، يُزرع في الغوطة والمزة والصالحية[8]، ويقسم الرمّان إلى ثلاثة أصناف منها الرمّان الحلو والحامض الذي يُستخدم كثيراً في الطعام، واللفّان الكاكي، ويمتاز بقابليته للخزن مدة طويلة[9].

---

(1) كرد علي: خطط الشام جـ4، ص148.

(2) انظر أبو البقاء: نزهة الأنام ص210، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، كرد علي: غوطة دمشق ص111، صفوح خير: غوطة دمشق ص499.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، كرد علي: غوطة دمشق ص84.

(4) أبو البقاء: نزهة الأنام ص206-207، صفوح خير: غرطة دمشق ص499.

(5) أبو البقاء: نزهة الأنام ص187، ابن طولون: تاريخ المزة ص34، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص182، صفوح خير: غوطة دمشق ص461.

(6) انظر أبو البقاء: نزهة الأنام ص188، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص182، غوطة دمشق ص111، صفوح خير: غوطة دمشق ص467.

(7) أبو البقاء: نزهة الأنام ص195، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية ص49.

(8) أبو البقاء: نزهة الأنام ص214، ابن طولون: تاريخ المزة ص34، كرد علي: غوطة دمشق ص111، صفوح خير: غوطة دمشق ص511.

(9) أبو البقاء: نزهة الأنام ص214، صفوح خير: غوطة دمشق ص511.

عام[1]، ومنه التفاح السكري ويُنسب إلى النيرب فَيُنادى عليه بدمشق: سكر وادي النيرب[2]، وإضافة إلى هذه الأصناف فقد عَدَّ أبو البقاء (ت 847 هـ/1443 م) أصنافاً كثيرة بدمشق منها البلدي والقاسمي والفاطمي والحرستاني[3].

3- الكروم: وهي أشجار العنب وكانت تُزرع في دمشق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[4]، وكانت تنتشر زراعته في القرى المجاورة لدمشق كقرية عربيل شرقي دمشق وفي داريا، والغوطة والمرج، وكان يُصنَعُ منه الزبيب الذي عَدَّهُ المقدسي ضمن صادرات دمشق في القرن (4هـ/10م)[5]، كما كان يُصنع منه الدبس والخل.

والعنب بدمشق أصناف كثيرة عَدَّ منها أبو البقاء خمسين صنفاً أشهرها العاصمي[6] والبلدي والدربلي والعبيدي[7]، واشتهرت داريا بعنبها الزينبي وعنبها الأحمر الداراني وهو من أجود الأصناف.

4- التين: وهو أيضاً من الأشجار التي كانت تُزرع في دمشق[8]، فقد عَدَّ المقدسي القطين وهو التين المجفف على أنه من صادرات دمشق[9] في أوائل الفترة الفاطمية، وكان يُزرع في المزة والصالحية التي اشتهرت بزراعة التين الماسوني[10]، وكانت يُبنى موطن زراعة التين الدمشقي[11]، وانتشرت في

(1) الثعالبي: لطائف المعارف ص95، ابن الوردي: خريدة العجائب ص542، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص309، أحمد أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص363.

(2) ابن طولون: القلائد الجوهرية ص376.

(3) أبو البقاء: نزهة الأنام ص201.

(4) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص181، كرد علي: خطط الشام جـ4 ص155، 180، صفوح خير: غوطة دمشق ص485، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية ص49.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181، أبو البقاء: نزهة الأنام ص223.

(6) المقدسي. أحسن التقاسيم ص181، ، ابن عساكر. تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص54.

(7) أبو البقاء: نزهة الأنام ص223- 224، كرد علي. خطط جـ2، ص155، غوطة دمشق ص108. المقدسي: أحسن التقاسيم ص176.

(8) المقدسي: أحسن التقاسيم ص176.

(9) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181.

(10) انظر الحميري: الروض المعطار ص431، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، أبو البقاء: نزهة الأنام ص261، ابن طولون: تاريخ المزة ص34، القلائد الجوهرية جـ2، ص376.

(11) المقدسي: أحسن التقاسيم ص176.

10- الجوز واللوز: كان الجوز يُزرع في دمشق في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[1]، وانتشرت زراعته في أطراف البساتين وجوانب الطرق والممرات لأن ظل شجرة الجوز يعيق نمو المحاصيل الزراعية، فهي تنمو بسرعة كبيرة وتعيش مدة طويلة[2].

والجوز من الأشجار المفيدة حيث يُستخرج منه بعض أنواع الزيوت، وتُستخدم قشوره الخضراء وثماره الخضراء الصغيرة في صنع المربيات، كما يُستخرج من قشره أصباغ يستعملها النجّارون، وتُستخدم أخشابه في صناعة الأثاث المنزلي[3].

وتتركّز زراعته في قرية منين، ومنه أصناف كثيرة بدمشق كالمنيني والفرك والبستاني وهو رقيق القشرة وذو لب أبيض[4].

أما اللوز فكان يُزرع في البساتين وبين كروم العنب، وتجود زراعته في الأراضي البعلية، وتنتشر على نطاق واسع أيضاً في الغوطة وعربيل والمزة، وتُنتج منه دمشق أصنافاً كثيرة أهمها العربيلي والعقابي والبندقي والشحمي[5].

11- فواكه وثمار مختلفة: فتُزرع في دمشق إضافة إلى الأصناف السابقة أصناف أخرى كثيرة منها السفرجل والقراصيا[6]، كما يُزرع التوت في أراضي دمشق على نطاق واسع، وفي منطقة الصالحية[7].

وكان يُزرع بدمشق من الفواكه الخشخاش والعناب[8] والفستق والخرنوب[9] والكرز

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181.

(2) أبو البقاء: نزهة الأنام ص78، ابن طولون: تاريخ المزة ص34.

(3) صفوح خير: غوطة دمشق ص506.

(4) أبو البقاء: نزهة الأنام ص345.

(5) انظر أبوالبقاء: نزهة الأنام ص235، ابن طولون: تاريخ المزة ص34، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص140، غوطة دمشق ص110.

(6) أبو البقاء: نزهة الأنام ص249-251، 192، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، ابن طولون: القلائد الجوهرية جـ2، ص376، كرد علي: غوطة دمشق ص111.

(7) انظر أبوالبقاء: نزهة الأنام ص318، ابن طولون: تاريخ المزة ص34، القلائد الجوهرية جـ2، ص376، كرد علي: خطط جـ4، ص140، علي أحمد: الأندلسيون والمغاربة ص75.

(8) انظر القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص87، 90، أبوالبقاء: نزهة الأنام ص248، 270.

(9) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183.

والكستنه والبندق، والنارنج الذي كان يُزرع علــى سفوح جبل قاسيون[1]، كما كانت تُزرع في ضواحي دمشق شجيرة القطن خصوصاً في منطقة داريا[2]، أما السمّاق فكان يُزرع بجبل قاسيون، واستعمله أهل الشام في الطعام وفي دباغة الجلود[3].

12- الخضروات: وكانت من منتجات دمشق الزراعية في العصر الفاطمي، فقد كان لها في دمشق سوق خاصة تُباع فيه أصناف الخضار المختلفة عُرف بسوق البطيخ[4].

وتُعَدُّ التربة الطينية في غوطة دمشق من أصلح أنواع التربة لزراعة محاصيل الخضر[5]، التي كثرت زراعتها في حرستا والصالحية والمزة[6]، وفي كفر سوسية والقابون[7].

ومن أصناف الخضروات التي عُرفت زراعتها في غوطة دمشق على نطاق واسع البطيخ، والقثاء، والباذنجان، واللفت، والقلقاس، والملوخيا، والهليون، والقرنبيط، والكوسا، والبندورة، والفاصوليا، والقرع، واللوبيا[8]، والخس، والخيار ويُنسب إلى قرية القابون بنواحي دمشق، وتُصنع منه أنواع من المخللات[9].

أما البطيخ فأصناف كثيرة منها البستاني وهو ثلاثة أصناف: هندي وهو أخضر، وخراساني وهو العبدلي، وصيني، ومنه بري[10]، ومنه البطيخ الأصفر والأخضر، ومنه الداراني، والمرجي (نسبة إلى المرج)، والدومي (نسبة إلى قرية دوما)، والحبيشي، والقبلي، والعواميدي وهو

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، أبو البقاء: نزهة الأنام ص337، ابن الوردي: خريدة العجائب ص550، ابن طولون: القلائد الجوهرية جـ2، ص376، أحمد أمين: ظهر الإسلام جـ2، ص246.

(2) كرد علي: خطط الشام جـ4، ص139، صفوح خير: غوطة دمشق ص434.

(3) أبو البقاء: نزهة الأنام ص340- 341.

(4) الثعالبي: خاص الخاص ص150، يتيمة الدهر جـ1، ص288، الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة قسم4، جـ2، ص574، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص745، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص54.

(5) صفوح خير: غوطة دمشق ص409.

(6) ابن طولون: القلائد الجوهرية جـ2، ص376، تاريخ المزة ص34، كرد علي: غوطة دمشق ص109.

(7) انظر أبو البقاء: نزهة الأنام ص265، كرد علي: غوطة دمشق109.

(8) ابن الوردي: خريدة العجائب ص553، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، أبو البقاء: نزهة الأنام ص298، 303، ابن طولون: تاريخ المزة ص34، كرد علي: غوطة دمشق ص110.

(9) أبو البقاء: نزهة الأنام ص265- 266.

(10) ابن الوردي: خريدة العجائب ص553.

المسمّى بالنموس، والضميري الأصفر (نسبة إلى قرية ضمير)، والسمرقندي، والسلطاني[1].

ومن الخضروات أيضاً الفول، والكزبرة، والبقدونس، والكراويا، والماش، والأنيسون، والكمون، والشونير (حبةالبركة)، والكراث، والسلق، والحرشف (الخرشوف)، والهليون، والأسباناخ (السبانخ)، والأرضي شوكي، والهندباء والملفوف والنعنع والسعتر والرجلة (البقلة الحمقاء) والفرفحين، والكرنب والشمندر والفجل والبصل والثوم[2].

وقد نُقلت زراعة بعض الخضروات من الشام إلى الأندلس كالسبانخ والخرشوف والهندباء والطرخون والباذنجان والزعفران والبصل، والأرضي شوكي[3].

13- الحبوب: وتُزرع في الغوطة أنواع مختلفة من الحبوب منها القمح[4] والشعير والأرز والسمسم والعدس والحُمُّص والحلبة والقرطم والترمس والذرة[5]، وأكثرها انتشاراً القمح بسبب حاجة الناس إليه في الطعام بشكل رئيسي.

وأكثر أنواع القمح زراعة في الغوطة قمح عين غرة، ويُزرع القمح الدوشاني بدرجة أقل في الغوطة أيضاً[6].

وكثرت زراعة الشعير الرومي الذي استُخدم علفاً للحيوانات، وكان يُزرع في أكثر القرى الواقعة شرقي الغوطة[7].

ومن زروع الغوطة المهمة القنب الذي كان يُزرع في الغوطة الوسطى، وكان من أنجح زراعات الغوطة لأنه لا يتطلب عناية كبيرة، كما أن الماشية لا تأكل ورقه، ولا يتعرض للأمراض والحشرات[8].

---

(1) أبو البقاء: نزهة الأنام ص223-256، كرد علي: غوطة دمشق ص110.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، أبو البقاء: نزهة الأنام ص287-297، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص156، غوطة دمشق ص110-111.

(3) انظر علي أحمد: الأندلسيون والمغاربة ص75، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية ص50.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369-370.

(5) أبو البقاء: نزهة الأنام ص303- 309، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص90، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص176، Bianquis: Damas, Vol I, P105.

(6) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص177، صفوح خير: غوطة دمشق ص388.

(7) انظر أبو البقاء: نزهة الأنام ص255، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص177.

(8) كرد علي: غوطة دمشق ص109، 178.

14– الورود والرياحين: فقد عُني أهل دمشق عناية فائقة بزراعة الورود، وذكر المهلبي (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) "أنه كان يُزرع بدمشق عدة ألوان من الورد، فمنه أصفر إبريز، وأسود، وسمّاقي. وورد موجه للورقة لونان من خارجها وداخلها، وإن دمشق أكثر البلاد عناية بالورد"[1]، ووصف شيخ الربوة (ت 727 هـ/1326م) ورود دمشق فقال: "إن العطر وغيره كان يُستخرج في المزة من ضواحي دمشق من زهورها وورودها، حتى أن حراقته تُلقى على الطرقات، وفي دروبها وأزقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير، ويكون ألذُّ من المسك إلى مدة انقضاء الورد"[2].

وَزُرعت في دمشق أنواع الورد الجوري والمنثور والسوسن والبهار (الأقحوان)[3]، كما كانت تعيش فيها رياحين كثيرة كالآس، والنرجس، والبنفسج، والياسمين، والنسرين[4]، وشقائق النعمان وهو صنفان بري وبستاني ذو زهر أحمر أو أبيض، والزنبق والأذريون، والريحان والنيلوفر بألوان مختلفة منها الأصفر والأزرق والأحمر والبنفسجي[5]، والطرخون وهو ضرب من الريحان له نوار أصفر[6]، وهو من النباتات طيبة الرائحة فتؤكل أوراقها، وقد تُضاف إلى الأطعمة[7].

ويصف ابن جبير دمشق عند زيارته لها في القرن 7 هـ/13 م، يقول: "ودمشق تحلّت بأزاهير الرياحين، وتجلّت في حلل سندسية من البساتين"[8].

واشتهرت دمشق منذ زمن بعيد باشتمالها على ألوان من الورد وضروب من الأزهار قَلَّ أن توجد في غيرها، حتى أن زائر دمشق كان يجد رائحة الأزهار والرياحين تعبق كالعطر، فتغنّى الشعراء بجمالها، وذكر أزهارها وورودها، وما يبعثه ذلك عليها من الحسن والجمال وطيب الإقامة لقاصديها. فأنشد أبو بكر الصنوبري (ت 334 هـ/945 م) الذي سبق العصر الفاطمي بقليل يصف دمشق ويذكر ورودها[9]:

---

(1) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص86.

(2) شيخ الربوة: نخبة الدهرص195، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص156.

(3) أبو البقاء: نزهة الأنام ص105، 121، 138، 143، 147.

(4) انظر المهلبي: المسالك والممالك ص86، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص91، القاياتي: نفحة البشام ص60.

(5) أبو البقاء: نزهة الأنام ص146، 150، 156، 171–172، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص156.

(6) العسكري: التلخيص جـ2، ص467.

(7) الشهابي: المعجم الزراعي ص722.

(8) ابن جبير: الرحلة ص234.

(9) الصنوبري: الديوان ص42– 43، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص348.

فـــالأرض ياقوتـــة والجـــو لؤلـــؤة	والنبـــت فـــيروزج والمـــاء بلـــور
مـا يعـدم النبـت كأساً مـن سـحائبه	فـالنبت ضربـان سـكران ومخمـور
فيـــه لنـــا منضـــود مـــؤزر	بـين المجـالس والمنثـور منثـور
ونرجـس سـاحر الأبصـار ليـس كمـا	كأنـه مـن عمـى الأبصـار مسـحور
هـذا البنفسـج هـذا اليـاسمين	وذا النسرين مذ قرنا بالحسن مشهور
يظـل ينـير السـحب لؤلؤهـا	فـالأرض ضاحكـة والطـير مسـرور
مـن شـم ريـح تحيـات الربيـع يقـل	لا المسك مسـك ولا الكـافور كـافور

15- مزروعات أخرى: وتنتشر زراعة الصفصاف والحور على جانبي نهر بردى[1]، وشجر الخلاف وهو يشبه الصفصاف حيث تُصبغ جميع أغصانه بالأحمر، وشجر الإزدرخت (الزنزلخت)، وله زهر طيب الرائحة حيث يُزرع على جوانب الطرقات العامة[2]، والزيزفون، وهو شجر سياج له زهر أصفر برائحة عطرية طيبة[3]، ويُعَدُّ وادي البنفسج موطناً لزراعة السرو[4]، وكان يُزرع الزعفران في السفح الغربي لجبل قاسيون، وفي أرض النيرب، كما كان يُزرع السوس والكمأة في الغوطة والمرج[5]، وللسوس فوائد كثيرة حيث يُضاف إلى عدد من الأدوية، ويُصنع منه شراب يُستخدم لزيادة الإدرار.

على ضوء ما تقدم وبالرغم من غياب الأمن والاستقرار عن فلاحي الغوطة والمرج والمزارع المحيطة بدمشق في بعض الأحيان، إلا أن الزراعة كانت تحتلُّ مكانة هامة في الحياة الاقتصادية نتيجة استمرار العمل بالزراعة في هذه البلاد.

وكانت أراضي دمشق في الغوطة والمرج أراضٍ خصبة وتُروى بمياه نهر بردى وفروعه المختلفة عبر الأقنية التي ترتبط بالمزارع والمساكن والحمّامات والمساجد.

---

(1) أبو البقاء: نزهة الأنام ص78، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص140.

(2) كرد علي: غوطة دمشق، ص112.

(3) أبو البقاء: نزهة الأنام ص343-344.

(4) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص86، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص152.

(5) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص151-179.

فكان الإنتاج الزراعي يقدم الغذاء الذي يمثل الحاجة الأولى لسكان المدينة، كما يقدم للصناعات الغذائية مستلزماتها من المواد الأولية، ويغطي بعض حاجات الإنسان الأخرى مثل الكساء من الحرير والقطن حيث اشتهرت دمشق بإنتاج أصناف جيدة من المنسوجات الحريرية والقطنية.

واحتلت منتجات دمشق من الورود والرياحين المادة الرئيسية لصناعة العطور وماء الورد الذي تميزت به دمشق، فكان يُنقل منها إلى جهات واسعة من العالم ويُوصف لكثير من المرضى كعقارٍ طبي.

الصناعة

1- الصناعات والحِرَف:

عرفت دمشق الصناعة منذ القديم نتيجة لتوفر المواد الأولية المستخرجة من أرضها سواء أكانت معادن تلزم للصناعات المعدنية كالحديد والفولاذ والزجاج، أو منتوجات زراعية تلزم لكثير من الصناعات التي عرفتها دمشق كالصناعات الغذائية.

وتشير المصادر إلى وجود معدن الحديد في جبل لبنان بالقرب من بيروت[1]، وفي ضواحي دمشق خاصة في داريا[2]، وكان النحاس الموجود في لبنان أساساً لصناعات دمشق النحاسية[3].

وكانت تتوفر معادن الذهب والفضة في قرية يعفور من قرى دمشق[4]، ومعدن الزجاج في مغارات جبل عذراء[5] من قرى دمشق أيضاً[6]، وأشار الإدريسي إلى وجود معدن الرخام في بعض جهات بلاد الشام[7].

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص160، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص371، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص323، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص111.

(2) انظر أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص366.

(3) نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام الخارجية ص112.

(4) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص141.

(5) بالقرب من دمشق على يسار القادم من ثنية العقاب باتجاه الغوطة (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ4، ص91).

(6) انظر شيخ الربوة: نخبة الدهر ص145، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص163، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ص126.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص46، محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ1، ص163، كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر ص118.

وكان يُزرع في دمشق التوت الذي يساهم في إنتاج الحرير، والكتان والقنب[1] وكلها تدخل في الصناعات النسيجية التي صارت من أجود صناعات دمشق في العصر الفاطمي، وكانت الخامات الزراعية مواد ضرورية لقيام بعض الصناعات، وكانت دمشق تنتج الزيتون والعنب وقصب السكر والأزهار والورود والأخشاب.

إن توفر المواد الأولية بهذه الصورة في مدينة مثل دمشق – تعوَّد أهلها على ممارسة ألوان مختلفة من النشاط، وأتقنوا صناعات كثيرة شهد لها القاصي والداني– جعل من اليسير على أهلها أن يكونوا صناعاً وحرفيين متميزين، فامتلأت المدينة بالصنّاع والحرفيين.

وتكونت في العصور الإسلامية السابقة للفترة الفاطمية النقابات العمالية والطوائف المهنية[2]، وشكّل أصحاب كل حرفة سوقاً خاصة بهم، فكان لصناعة النسيج مستودع كبير اختصَّ بها، وكانوا يتجمعون فيه بالقرب من المسجد الجامع، وبإزائه كانت المهن التي يتعاطاها أصحاب الأعمال والصيارفة والصاغة، واستقرت أعمال التبادل التجاري مع المناطق الخارجية على أبواب المدينة أو في ضواحيها[3].

وكان لكل حرفة رئيس أو شيخ أكبر (شيخ المشايخ)، ورؤساء أقل مرتبة منه هم مشايخ الحِرَف، يليهم المعلمون والصّناع والمبتدئون، وكان لكل واحد من هؤلاء حقوق وواجبات، وصفات يجب أن يتحلى بها، فلشيخ المشايخ وظيفته وراتبه وله سلطة فرض العقوبات ويجب أن يتصف بالأخلاق الحسنة وحسن الطوية ومعرفة أصول الحِرْفَة[4].

ولشيخ الحِرفَة مرتبة أقل، فهو يعقد المجالس لصالح الحِرفَة ويسهر على حفظ سمعتها، ويقاصِصُ من أخَلَّ بحق من حقوقها، وله الحق في تعيين المبتدئين في هذه الحِرفَة[5].

---

(1) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص199، دمشق مدينة السحر والشعر ص117، نقولا زيادة: لمحات من تاريخ العرب ص143.

(2) انظر منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص205.

(3) كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ص201– 202، جوايتاين: دراسات في التاريخ الإسلامي ص163، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ص176، إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ص121.

(4) انظر إلياس عبدو القدسي: نبذة تاريخية عن الحرف الدمشقية ص9–10، 18، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ص176، منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص205.

(5) انظر إلياس عبدو القدسي: نبذة تاريخية عن الحرف الدمشقية ص10، منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص205، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص176. حسان علي الحلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ص93.

وكان المعلم رئيسَ حِرفَةٍ في مصنعه، ومُتقناً لها، ويعمل تحت يديه الصّناع والأُجَراء، وهو مسؤول عن الأُجَراء الذي يعملون معه، والصانع هو العامل الذي يشتغل عند المعلم في حِرفَةٍ يُحسِن العمل فيها، وعليه أن يحفظ أسرار الصنعة[1].

ولكل حِرفَةٍ أساليب خاصة في حل المشاكل بين أبناء الحِرفَةِ الواحدة حيث يُطرَدُ الخائن والسارق، ويُعاقَبُ من غَشَّ بإغلاق دكانه ولا تُفتَح إلا بموافقة شيخ الحِرفَةِ بعد ذلك[2].

واشتهرت دمشق بأسواقها المتخصصة، وانفرد أصحاب كل حرفة بسوق من الأسواق متجاورين[3]، وحملت الأسواق أسماء المهن والصناعات المنتشرة فيها، فكانت هناك أسواق السرّاجين والخوّاصين[4] والحبّالين[5]، والصفّارين[6]، وأسواق الأكافين والصياقلة[7]، وسوق الغزل العتيق[8]، وسوق الورّاقين[9].

أنواع الصناعات الدمشقية:

احتلت الصناعات الدمشقية مكانة هامة في العصر الفاطمي، وهي لا تختلف كثيراً عما وُجِدَ في العصور التالية، وقد أشاد بعض الجغرافيين بصناعات دمشق وأثنوا على ما كانت تنتجه مصانعها، فأشار الإدريسي (ت560 هـ/1164 م) إلى ما وصلت إليه الصناعات الدمشقية في تقدّمها وجودة منتوجاتها التي فاقت ما كانت تنتجه غيرها من البلاد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بقوله: "ومدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات وأنواع من الثياب الحرير كالخز والديباج النفيس الثمين، العجيب الصنعة، العديم المثال، الذي يُحمل منها إلى كل بلد، ويتجهز منها به إلى كل

---

(1) إلياس عبدو القدسي: نبذة تاريخية عن الحرف الدمشقية ص18، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص177، حسان علي الحلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ص93.

(2) إلياس عبدو القدسي: نبذة تاريخية عن الحرف ص33، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص177، أحمد صادق سعيد: تاريخ مصر ص279.

(3) انظر اليعقوبي: البلدان، طبعة بريل 1892، ص71، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص227–230.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص57، ابن المبرد: نزهة الرفاق ص80.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص61.

(6) ن. م، جـ2، ص71، ابن المبرد: نزهة الرفاق ص81.

(7) الحميري: الروض المعطار ص268.

(8) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ص112.

(9) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158.

الآفاق والأمصار المصاقبة لها والمتباعدة منها، ومصانعها في كل ذلك عجيبة يضاهي ديباجها بديع ديباج الروم، ويقارن ثياب تستر وينافس أعمال أصبهان ويشفُّ على أعمال طرز نيسابور من جليل ثياب الحرير المصمتة وبدائع ثياب تنيس، وقد احتوت طرزها على أفانين من أعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال"[1].

وكانت أهم الصناعات الدمشقية في العصر الفاطمي تشتمل على:

1- **الصناعات النسيجية**: فاشتهرت دمشق بصناعاتها النسيجية منذ أقدم العصور، وأخذت هذه الصناعات تتطور مع مرور الزمن، واشتملت على الصناعات القطنية والحريرية والصوفية، وكانت دمشق تستورد الحرير الطبيعي والكتان من الدولة البيزنطية[2]، لتقوم بصناعته وإنتاج الثياب الفاخرة منه في مصانعها، فكانت دمشق تنتج أنواعاً دقيقة وأنيقة من المنسوجات الحريرية والصوفية والكتانية في العصر الفاطمي، ويُصدَّر قسم منه إلى الأسواق الخارجية[3].

كان الدماشقة يصبغون الجيد من الثياب بمادة (البرفيراي) وهي من أجود أنواع الأصباغ التي كانت تنتجها بلاد الشام[4]. وكان بعض صَبَّاغي الحرير والثياب يصبغونها في حوانيتهم بالحناء والفوة[5]، وهما من الأصباغ الجيدة أنذاك.

وارتبطت صناعة المنسوجات الحريرية بصناعة الأرجوان منذ العهد البيزنطي، واشتهرت به دمشق حتى صار من أجود مصنوعات الشام في أوائل العصر الفاطمي[6].

كما كانت دمشقُ أكبرَ مركز لصناعة الأقمشة والنسيج التي أُطلق عليها اسم الدمقس، ولازم هذا

---

(1) الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق جـ4، ص369، وانظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ص240، محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشاميةجـ1 ، ص31، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص124.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ9، ص493، لويس: القوى البحرية والتجارية ص213، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص259.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، منير الخوري: صيداء عبر حقب التاريخ ص150، لويس. القوى البحرية ص327، طه الطراونة: حركة التجارة ص5.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، يوسف الدبس: تاريخ سورياجـ1، ص 342- 343، علي أحمد: الأندلسيون والمغاربة ص77. Hitti: History of Syria, P275.

(5) انظر الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص72.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص366.

الاسم المنسوجات الشرقية والأقمشة الرقيقة والمخمل والأنسجة الناعمة المطرزة أو المصنوعة من الحرير الخالص[1]، وصُنعت في دمشق أقمشة مشجَّرة سُمِّيت الدمشقيات، وأُنتجت طرز مختلفة من القماش زُينت برسومات وصور نباتية وحيوانية[2]، أجملها ما كان يعود للفترة الفاطمية.

وعرفت دمشق صناعة الوشي وأُطلق عليه اسم (دامسكو) وهو قماش من الحرير موشى بالرسوم ومنقوش على الوجهين[3]، وقد يُصنع منه بعض أنواع السجاد الذي يُعلّق على الجدران للزينة، وظهرت منه أنواع عديدة منه الأطلس والثابوري والهرمزي والمنير والمعين والمسبر والمفوف والمسهم والمعمّد والمعرج والمهلهل والمكعب والمطير والمخيل[4]، وكانت دمشق تُصدِّرُ كثيراً من منسوجاتها الفاخرة إلى أوروبا طوال العصر الإسلامي، واستمرّ الأوروبيون يحرصون على شراء هذه المنتوجات الصناعية لقرون عديدة[5].

2- الصناعات الخشبية: استخدم الدماشقة الأخشاب في كثير من الصناعات، فكان النجّارون يصنعون أدواتهم من أخشاب الصندل والصنوبر والسرو والأرز، واستُخدمت الأخشاب في بعض الصناعات مع مواد أخرى كالعاج، واستخدم أهل دمشق التطعيم بين القصديروالأبنوس والخشب الأحمر على شكل فسيفساء منذ القرن الثاني الهجري، ونُقلت هذه الصناعة في العصر الفاطمي من دمشق إلى مصر[6]، كما استُخدمت في الصناعة أيضاً أخشاب الجوز والحور والزيتون والميس والعرعر والدردار[7].

وعَرفت دمشق في الفترة الفاطمية صناعة الأبواب والدعائم والنوافذ، واستُخدمت في القصور والقاعات[8]، كما استُخدمت الأخشاب في صناعة منابر المساجد وبعض المآذن، فيذكر ابن عساكر أنه

---

(1) أبو البقاء: نزهة الأنام ص362، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص201، دمشق مدينة السحر والشعر ص118، صلاح العبيدي: الملابس العربية ص69.

(2) الحصيني: منتخبات التواريخ جـ3، ص1144. ريسلر: الحضارة الإسلامية ص125، عمر كحالة: العلوم العملية ص251.

(3) انظر محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشاميةجـ1، ص31، جـ2، ص292، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص201.

(4) انظر كرد علي: خطط الشام جـ1، ص201، منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص109، أحمد غسان سبانو: دمشق في دوائر المعارف ص163.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، الحميري: الروض المعطار ص240، محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ1، ص31.

(6) الحصيني: منتخبات التواريخ جـ3، ص1129، 1117.

(7) منير كيال: فنون وصناعات دمشقية 67.

(8) أحمد أمين: ظهر الإسلام جـ2، ص21، كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر ص120، منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص67.

كان في دمشق مسجد عند رأس النقاشة كانت له منارة من خشب[1].

وتميزت دمشق بصناديقها التي كانت تُصنع من خشب الجوز لمتانته وبقائه مدة أطول، وأُفردت في دمشق أحياء خاصة لصناعة الأدوات الخشبية أُطلق عليها اسم سوق الخشّابين[2].

3- **صناعة الزجاج:** وعُرفت من أيام الفينيقيين الذين كانوا يصنعون الزجاج الشفّاف[3]، ثم راجت صناعته أيام حكم الرومان فورث العرب هذه الصناعة في دمشق، وأتقنوها حتى صارت أجود ما يُصنع في العالم من الزجاج[4]، وكانت تنتجه مصانع دمشق في العصر الفاطمي وبلغت شهرته درجة عالية فصار زجاجها مضرب المثل في صفائه ورقّته[5].

انتشرت مصانع الزجاج في دمشق، وعُرف إنتاجها منه بالزجاج الدمشقي، ونُقلت هذه الصناعة إلى الأندلس مع الدماشقة الذين رحلوا إلى تلك البلاد[6].

طرأت عدة تطورات على صناعة الزجاج في دمشق، فزادت الصناعة دقةً وإتقاناً، فصار يُصنع منه نوع رقيق شفاف خال من الشوائب، وصُنعت أنواع مختلفة من الزجاج المذهّب وبأشكال مختلفة مزخرفة بالألوان، وأنتجت مصانع دمشق من الزجاج قوارير ومزهريات وكؤوس وزبادي للاستعمال المنزلي[7].

4- **الصناعات المعدنية:** ساعد وجود بعض المواد الخام في بلاد الشام كالحديد والرصاص على قيام الصناعات المعدنية وتطورها، وعند الحاجة كان يتم استيراد المعادن اللازمة للصناعة، كالنحاس من

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص69.

(2) الحميري: الروض المعطار ص268.

(3) يوسف الدبس: تاريخ سورية جـ1، ص343.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ1، ص36، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص217، محمد الزيود: النشاط التجاري والصناعي لبلاد الشام ص8.

(5) الثعالبي: لطائف المعارف ص157، ابن الوردي: خريدة العجائب ص571، الصيادي: الروضة البهية ص14، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية ص129.

(6) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص62، الحصيني: منتخبات التواريخ جـ3، ص1138-1139.

(7) الثعالبي: لطائف المعارف ص157، محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ1، ص163-164، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص273، منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص115، 134.

لبنان، وكان الفولاذ المستورد من الهند وأرمينية وأذربيجان أساساً لإقامة مصانع الفولاذ الدمشقي[1].

صُنعت في دمشق في العصر الفاطمي كافة أنواع الأسلحة كالسيوف والسهام والرماح والخناجر والنصال الدمشقية، وكانت تُصدَّر إلى خارج بلاد الشام إضافة إلى أنه كان يُصنع فيها من الأدوات الزراعية كالفأس والمنجل بسبب الحاجة الماسة إليها لاستعمال فلاحي الغوطة، وكانت تُصنع فيها الأقفال والمسامير والأدوات النحاسية المختلفة[2].

واشتملت الصناعات المعدنية في دمشق على جميع الأواني والأدوات التي تدخل المعادن في صناعاتها من الحديد أو النحاس أو القصدير أو الألمنيوم، فكانت تُصنع فيها الأبواب والشبابيك من الحديد والنحاس، واستُخدمت في الجامع الأموي، فكانت أبوابه في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من الصفر المذهَّب[3]، كما كانت تُصنع القدور في دمشق من النحاس أيضاً، وكانت من أجود الصناعات النحاسية، فقد شاهد ناصر خسرو القدور النحاسية المصنوعة في دمشق كثيرة في أسواق القاهرة عند زيارته لها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[4].

وكان الدماشقة يصنعون من الحديد والنحاس كل ما يلزم المجتمع من الكؤوس والصحون والآنية والأدوات القاطعة والمصابيح والفوانيس والتعاليق والمباخر والملاعق والمزهريات[5].

واشتهرت دمشق بصناعة الفولاذ الدمشقي، فالسيوف التي كانت من أهم الصناعات المعدنية في دمشق كانت تُصنع من الفولاذ وتُطلى حتى لا تصدأ[6]، وتميزت صناعة السيوف الدمشقية فكانت صناعتها تتم وفق أسلوب خاص أُطلق عليه اسم الدمشقة[7]، وكانت دمشق تفاخر بماتصنع من السيوف

---

(1) آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص324، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص113، رفاعة الطهطاوي: رسالة في جغرافية بلاد الشام ص313، كلود كاهن: تاريخ العرب ص198، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص288.

(2) انظر جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص243، ياسين الحموي: دمشق في العصر الأيوبي ص42، عفيف البهنسي: الآثار السورية ص380، لويس: القوى البحرية والتجارية ص327، عيسى المعلوف: حقائق تاريخية عن دمشق ص21.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية ص125.

(4) ناصر خسرو: سفر نامة ص104، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص113.

(5) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص236–237، منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص36.

(6) الكندي: رسالة في عمل السيوف ص28–42، أحمد إسماعيل علي: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ص95.

(7) انظر الكندي: رسالة في عمل السيوف ص45، جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص243، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص278.

المحلاة المنقوشة بماء الذهب، وكان الصياقلة يزينونها بما يكتبون عليها من الأشعار[1]، وكان في دمشق سوق خاصة كانت تتم فيها عملية صقل السيوف هي سوق الصياقلة[2].

5- **الصناعات الكيماوية:** فقد عرفت دمشق صناعة العطور لكثرة ما كانت تُنتج من أنواع الورود والرياحين وأزهار النباتات[3]، وأصبحت هذه الصناعة رائجة في العصور الإسلامية المختلفة، وزاد الاهتمام بها لأن الإسلام يدعو إلى التطيب خصوصاً عند الذهاب إلى المسجد لأداء فريضة الجمعة[4].

وكانت العطور في دمشق تُستخرَجُ من أزهار الآس والنيلوفر والبنفسج والياسمين، وكان يُخصَّصُ للعطّارين في دمشق سوق بالقرب من الجامع الأموي عُرف بسوق العطّارين[5]، وكان ماء الورد يُستخرج من أزهار الورود والنباتات في دمشق، وذكر شيخ الربوة الطريقة التي يتم بها استخراجه عن طريق وقود الحطب[6]، فكانت دمشق من أكثر البلاد شهرة في هذه الصناعة.

أما صناعة الصابون فهي من أقدم الصناعات الدمشقية[7]، وتحتاج إلى توفُّر الزيوت التي تدخل في صناعته، وكانت دمشق مشهورة بإنتاج الزيوت من الزيتون والسمسم والذرة والنباتات المختلفة[8]، لهذا ازدهرت فيها صناعة الصابون.

أما الأصباغ فكانوا يصنعونها من العصفر والمغرة والفوة وقشور الرمان والحناء والورس[9]، وجميعها من منتجات مدينة دمشق، وكان أكثر صباغي الحرير والثياب يصبغون في حوانيتهم، فيخرج الصبغ حسناً مشرقاً، فإذا أصابته الشمس تغير لونه وزال إشراقه[10]، وكان أكثر الصبّاغين

---

(1) عيسى المعلوف: حقائق تاريخية ص21. Hitti: History of Syria, P346.

(2) الحميري: الروض المعطارص268.

(3) أبو البقاء: نزهة الأنام ص105، 121، 138، 143، 146، 147، 179، 181.

(4) انظر البخاري: الصحيح جـ2، ص4.

(5) الحميري: الروض المعطار ص268، أمين الصالح: النظم الاقتصادية ص241.

(6) انظر شيخ الربوة: نخبة الدهر ص19-197، ابن طولون: تاريخ المزة ص35، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص156، غوطة دمشق ص65، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص174.

(7) ابن بطوطة: الرحلة ص63، كرد علي: خطط الشام جـ1، ص159، رفاعة الطهطاوي: رسالة في جغرافية الشام ص313.

(8) انظر جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص456.

(9) العسكري: التلخيص ص695-696.

(10) الشيزري: نهاية الرتبة ص72، جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشاميةجـ2، ص267.

في دمشق أيام الفاطميين من اليهود[1].

6- الصناعات الخزفية: وكانت صناعة الخزف في دمشق معروفة منذ عهود قديمة[2] ثم شاعت صناعته فيها خلال العصر الإسلامي، فصار يُطلى بطبقة زجاجية ذات لمعان، وأُطلق عليه اسم الخزف الزجاجي أو الخزف الأسود ذي البريق المعدني، ثم حَلَّ مكانه نوع آخر هو الخزف الأحمر ذو البريق المعدني[3]، وكان يُصنع من تربة ناعمة متماسكة، ثم يُشوى ويُطلى بطبقة من الجص، ثم يُزخرف ويُطلى بطبقة زجاجية تُسمى المينا[4].

وظهرت في دمشق أنواع من الخزف ذي أشكال متعددة، ومزخرف بأشرطة أفقية أو حلزونية من النباتات والكتابات الدعائية أو رسوم الطيور، وقد نشطت صناعة هذا النوع من الخزف خلال العصر الفاطمي.

وصُنعت في دمشق أيام الفاطميين أدوات كثيرة من الفخار كانت تُستخدم في الحياة اليومية كالصحون والأباريق والجرار والمزهريات والقناني استُخدم بعضها للطبخ وحفظ الطعام وبعضها للخزن[5].

7- الصناعات الغذائية: وكانت تقوم على ما يتوفر من منتوجات زراعية، فعرفت دمشق صناعة الدبس الذي كان يصنع من ثمار بعض الأشجار كالعنب والتين والمشمش والخوخ[6]، فكانت في دمشق معاصر للعنب ورد ذكرها في شعر الببغاء في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فقد أُعجب بطريقة صناعة العنب وراح يتغنى بها في شعره[7].

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.

(2) يوسف الدبس: تاريخ سورية جـ1، ص345.

(3) محمد أبو الفرج العش: الزجاج السوري ص40، منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص35، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية ص51. Hitti: History of Syria, P276.

(4) انظر منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ص151.

(5) الحصيني: منتخبات التواريخ جـ3، ص1144، المعلوف: حقائق تاريخية عن دمشق ص22، عفيف البهنسي: الشام والحضارة ص267-268، 209.

(6) أبو البقاء: نزهة الأنام ص235، جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص257، فريال بدوي: الحياة الاجتماعية في دمشق ص75، أحمد أبوسعد: أدب الرحلات ص224.

(7) انظر الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص276.

وكان الزيت يُستخرج من ثمار شجرة الزيتون التي انتشرت زراعتها في قرى الغوطة على نطاق واسع، فأُقيمت معاصر له في مناطق كثيرة كان قسم منها في دمشق[1]، وانتشرت أكثر هذه المعاصر خارج المدينة في المناطق القريبة من مزارع الزيتون[2]. واعتاد أصحاب الزيتون في دمشق أن يتركوه مدة طويلة في المعصرة فيختمر ويتعفن، لأن الاعتقاد الذي كان سائداً هو أنه كلما زادت المدة ما بين فترة قطف الزيتون وعصره زاد ناتج الزيت، كما كانت في دمشق على مجاري الأنهار الموجودة فيها مصانع متعددة منها معاصر لاستخراج السكر، ومطاحن للحبوب[3].

واستُخرجت أنواع من الزيوت الأخرى فمن أشجار السدر كان يُستخرج زيت للجروح، ومن بذرة السمسم استُخرج زيت السليط (السيرج)، وكان يستخدمه اليهود في طعامهم[4]، وكانت في دمشق معاصر لاستخراج زيت السيرج[5]، كما استُخرجت من بذور الخس والفجل زيوت استُعملت في الإضاءة، خاصة في مصابيح الجامع الأموي[6]. أما الزيوت الطبية فكانوا يحصلون عليها من بعض النباتات كدهن البلسان وماء الورد الذي كانت تنتجه دمشق بكميات كبيرة ويُصدَّر إلى معظم البلاد[7]، كما استُخرجت زيوت من دهن البنفسج ودهن الياسمين والأنيسون والطرخون[8].

وكانت تُصنع أنواع مختلفة من مربيات الثمار الدمشقية وأنواع من الحلوى منها حلوى الخروب الذي يُسمى (القبيط)، ويصنعون الزلابية ويكثرون منها في فصل الشتاء[9]، وهي نوع من الحلوى يدخل في صناعتها العسل واللوز والزيت، كما كانت تُصنع الحلاوة الجوزية وحلاوة الأرز مع الزيت والملبن[10].

(1) أبو البقاء: نزهة الأنام ص212، فريال بدوي: الحياة الاجتماعية في دمشق ص75.

(2) جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص456.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ1، ص 33، كرد علي: خطط جـ4، ص.190، إبراهيم شوكة: تحقيق سورية ولبنان وفلسطين والأردن من كتاب نزهة المشتاق ص14.

(4) جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص456.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص63.

(6) المنيني: الإعلام بفضائل الشام ص78.

(7) ابن حوقل: صورة الأرض ص165-166، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، شيخ الربوة: نخبة الدهر ص198، ابن طولون: تاريخ المزة ص35، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص157.

(8) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص195، ابن طولون: تاريخ المزة ص35، الشهابي: المعجم الزراعي ص234، كرد علي: غوطة دمشق ص46.

(9) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم ص180-181، أبو البقاء: نزهة الأنام ص235، محمد سعيد القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ1، ص106.

8- **الصناعات الأخرى**: فاشتهرت دمشق بصياغة الذهب والفضة، وتفنّنَ الدماشقة في إتقان هذه الصناعة، وصاغوا أَكِلّة الجواهر، وأقرطة الذهب المزينة بالدرّ والياقوت، والخواتم والقلائد والأطواق والخلاخيل، وكانوا يزينون الحلي بفصوص من الماس أو الياقوت أو الزمرد أو الفيروزدج[1]، وكانت فيها أسواق لبيع المجوهرات سُميت أسواق الصاغة، وكان أكثر العاملين بالصياغة في دمشق أيام الفاطميين من اليهود والنصارى[2].

وتُعَدُّ صناعة الورق من الصناعات التي كانت رائجة أيام الفاطميين في دمشق، وقد نُقلت هذه الصناعة من الصين، حيث نُقلت أولاً إلى سمرقند في مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ثم إلى بغداد في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى دمشق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ونُسب ورق القرطاس إلى الشام، وكانت مصانعه في دمشق[3]، ومنها انتقلت صناعته إلى الأندلس وأوروبا[4]، وانتشرت أسواق الورّاقين في دمشق، وكان تَجَمُّعهم قرب الجامع الأموي، وكانوا يبيعون فيها الورق والحبر والأقلام[5].

واشتهرت دمشق بدباغة الجلود، فكان الدماشقة في العصر الفاطمي يصنعون الأحذية والسروج والمطارح والمقاعد والقُرَبَ والروايا من جلود الحيوانات، وكانت تدبغ الجلود الخاصة بهذه الصناعة في معمل يُسمَّى في دمشق طاحونة الدباغة[6]، ولهذه الصناعة ومنتجاتها سوق تعرف بسوق الأدميين، وكان أكثر العاملين فيها من اليهود[7]، فيصنعون الأحذية والنعال بأنواع وأشكال مختلفة[8].

---

(1) انظر جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص264، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص224-225.

(2) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص183، جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية جـ2، ص264.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم ص 180، ناصر خسرو: سفر نامة ص48، أحمد أمين: ظهر الإسلام جـ2، ص246، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص366، محمد الزيود: النشاط التجاري والصناعي ص10 .

(4) الحصيني: منتخبات التواريخ جـ3، ص1139.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158، ابن بطوطة: الرحلة ص107، زريف المعايطة: الأسواق في بلاد الشام ص3، أحمد إسماعيل علي: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ص95.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص84، كرد علي: خطط جـ4، ص206.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183.

(8) جوايتاين: دراسات في التاريخ الإسلامي جـ4، ص163، ابتسام فرهود وبدري محمد فهد: الأحذية والنعال ص17، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص165.

وكانت تُصنع من الجلود السروج الخاصة بالخيل، والنطاقات الجلدية، ولها سوق خاص كانت تُسمّى سوق السّراجين، ثم تحوّلت هذه إلى سوق للحَبِّ[1].

وعليه فإن الظروف الصعبة التي كانت تعيشها دمشق في الفترةالفاطمية لم توقف أهل المدينة عن العمل، بل دفعتهم وزادت من نشاطهم لتوفير حاجة أهل المدينة، وزيادة الدخل لسدِّ الكثير من الحاجات، فبقيت الصناعة فيها نشيطة في أغلب الأحيان.

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص57.

التجارة

احتلت دمشق موقعاً هاماً على طريق التجارة العالمية بين الشرق وأوروبا وبين الجزيرة العربية وآسيا الصغرى، وكانت لها علاقات تجارية مع مصر والعراق والحجاز واليمن والهندوالصين وأوروبا[1].

كما كانت على اتصال بالمدن البحرية الواقعة على ساحل البحر المتوسط مثل طرابلس وبيروت وصيداء وعكا، حيث ينقل التجار الشاميون إلى هذه المدن ما تحتاج إليه من أسواق دمشق[2]، أو تُحمل عبرها البضائع لتنقلها إلى أوروبا.

وكانت دمشق في العصر الفاطمي مركزاً لاستقبال قوافل الحجّاج من بلاد فارس والعراق وآسيا الصغرى وهي متجهة إلى الديار المقدسة في الحجاز، فأكسبها ذلك أهمية كبيرة.

لقد أولى الفاطميون التجارة عناية خاصة لما لها من فائدة، فقد كانوا يأخذون عشر التجارة على البضائع التي تدخل بلادهم أو تمرُّ فيها[3]، قد صبَّ ذلك في صالح الحركة التجارية في مدينة دمشق فساعد على نشاطها.

---

(1) نبيه عاقل: بعض ملامح الأوضاع المالية والتجارية في فلسطين في العصر العباسي/ المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص18.

(2) انظر آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص412، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ2، ص313، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص191، فيليب حتي: تاريخ سورية جـ2، ص278.

(3) انظر ابن مماتي: قوانين الدواوين ص226، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص538، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص117 – 118، عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم ص184.

الأسـواق

اشتهرت مدينة دمشق بأسواقها منذ القدم، وكانت هذه الأسـواق خـلال القـرن 4 هـ/10م مغطاة بسقوف من الخشب والطين، أو معقودة بالحجارة[1]، فتمنع عَمَّنْ يقصدها حَرَّ الصيف وبردَ الشتاء والأمطار، كما كانت هذه الأسواق مزودة بأرصفـة للمشـاة، وأرضيـة للركبـان، وبهـا حـرس يطوفون بالليل لحمايتها من اللصوص[2].

كانت الأسواق في دمشق هي المركز الحيـوي للنشـاط التجـاري والاقتصـادي، وتقـع أسـواق دمشـق بجوار المسجد الجامع[3]، وكثير منها كانت تتصل مباشرة بالجامع الأموي باعتباره مركز المدينة، ويتجمع الناس فيه بشكل كبير، فيسهل ذلك المعاملات التجارية.

وكان يوجد في المدينة سوق رئيسي للبلد على جانبي الشارع العام الـذي يخـترق المدينـة[4] وتتصل به أسواق فرعية متعددة، وهو يتصل بمركز المدينة أيضاً.

غلب طابع التخصص على أسواق دمشق، فَوُضِعَت الحرف والمهن المتشابهة متقاربة من بعضها في أسواق دمشق[5]، وكان لكل طائفة من التجار سوق يختص بهم، وحملت بعض الأسواق أسماء السلع الـتي تبيعها فهناك سوق بيع الفاكهة والخضار التي سُميت (دار البطيخ)، وكـان هـذا السـوق بجـوار المسـجد

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156، الحميري: الروض المعطار ص238، أكرم العلبي: خطط دمشق ص446، الفارس دارفيو: وصف دمشق ص29.

(2) انظر أكرم العلبي: خطط دمشق 446.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص227 – 230، ابن جبير: الرحلة ص178.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156 – 157.

(5) عفيف البهنسي: المدينة العربية ص 20–21، سوفاجيه: دمشق الشام ص66 – 68.

الأموي من الجهة الغربية[1]، وسوق للصّاغة وسوق للسرّاجين وسوق للزجّاجين[2] إلى الشرق من الجامع الأموي يتم الوصول إليه من دهليز الباب الشرقي[3]، كما كانت بدمشق في العصر الفاطمي سوق خاصة ببيع البقوليات تُسمى (سوق البقل) وآخر لبيع الدواب وهي قسمان: الأولى لبيع الخيول والأخرى لبيع الأغنام وتُعرف بسوق الغنم[4].

ويُعدُّ سوق القمح من أقدم أسواق دمشق، وكان مغطى بسقف من الحجارة والطين[5]، وكان في المدينة أسواق للخوّاصين والدقّاقين والسرّاجين وسوق للقناديل وسوق اللؤلؤ وسوق المطرّزين والكتّانين[6].

ومن أسواقها المتخصصة سوق الشمّاعين بجوار المسجد الأموي من الجهة الغربية[7]، وسوق الفرّائين[8]، وسوق الحريريين وسوق الخلعيين وأسواق الخشّابين والحدّادين[9] والنحّاسين[10]، وسوق الورّاقين الذي كان مكانه في باب البريد[11].

أما تخطيط الأسواق فكان عبارة عن مجموعة من الشوارع المتوازية تُقفَلُ عند انتهاء البيع بأبواب موجودة على مداخلها، وفيها الفنادق التي يأوي إليها الغرباء، فذكر ابن عساكر بعض الفنادق التي كانت موجودة في دمشق في العصر الفاطمي، واستمرَّتْ قائمةً بعد ذلك لفترة طويلة، منها فندق بني عبد المطلب

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص227، ابن جبير: الرحلة ص190، ابن بطوطة: الرحلة ص107، زريف معايطة: الأسواق ص3.

(2) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص288، خاص الخاص ص150، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص54، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص68، جـ14، ص745، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص371.

(3) انظر ابن بطوطة: الرحلة ص 107، زريف المعايطة: الأسواق ص3.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص16 – 17.

(5) الأصفهاني: الأغاني جـ7، ص76، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص216، ابن المبرد: نزهة الرفاق ص78، أكرم العلبي: خطط دمشق ص285.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص215 – 218، ابن المبرد: نزهة الرفاق ص74 – 81، أكرم العلبي: خطط دمشق ص450، زريف المعايطة: الأسواق ص3، عفيف البهنسي: المدينة العربية ص21.

(7) ابن جبير: الرحلة ص190، ابن بطوطة: الرحلة ص107.

(8) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156.

(9) ابن طولون: مفاكهة الخلان جـ1، ص141، فريال بدوي: الحياة الاجتماعية ص68.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156.

(11) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص68، 137، البصروي: صفحات مجهولة ص199، ابن طولون: مفاكهة الخلان جـ1، ص141، ابن المبرد: نزهة الرفاق ص81.

عند سوق الدواب، وفندق سوق البزوريين[1] وفندق أبي طاهر بن عفيف الفارقي، وفندق ابن دحية في سوق القمح وفندق بالقرب من دار الحرير في منتصف الشارع الكبير[2].

وكان لأسواق دمشق في العصر الفاطمي موظفون يتولون الإشراف عليها، واختيار الموازين والمكاييل ومعاقبة المخالفين فيها[3]، وغالباً ما كان يقوم المحتسب بهذا الدور أو يُضاف إلى اختصاصات قاضي المدينة.

ويذكر سوفاجيه أن أسواق دمشق في العصر الفاطمي كانت ضيقة ولا يزيد عرضها عن ثلاثة أمتار، ومغطاة بالحصر ورفوف الخشب أو سقوف التراب، وأن فيها عن الجانبين حوانيت صغيرة جداً كانت تُستخدم للمبادلات التجارية أو محلات للعمل، وكانت هذه الأسواق تزدحم بالناس[4] وسبب ذلك هو ضيق الأسواق وكثرة الناس الذين يؤمون المدينة، فقد كانت الحركة التجارية فيها نشيطة.

وكانت تُعقد في دمشق في الفترة الفاطمية أسواق موسمية في مواسم أو مناسبات معينة، أو في أوقات محددة، فكانت تُقام في كانون الأول سوق تُعرف بسوق قضيب البان[5]، كما كانت تُقام فيها أسواق لبيع المنتوجات الزراعية والصناعية وفي يوم واحد من الأسبوع أهمها سوق الأحد[6].

وكان المتعيشون من هذه الأسواق ينقلون بضائعهم في يوم السبت إلى الميدان الأخضر حيث يتجمع الناس هناك للبيع والشراء في اليوم التالي[7].

وإلى جانب ما كان في المدينة من أسواق كانت هناك سويقات عديدة تشتمل كل واحدة منها على عدد من الدكاكين منها سويقة باب البريد وسويقة باب توما وسويقة الحجامين[8].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص57، 227.

(2) انظر ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ1 ص218 – 230، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص214.

(3) ابن خلدون: المقدمة ص196، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2 ص271، صفوح خير: مدينة دمشق ص160، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية ص53، أحمد الحمصي: روائع من العمارة ص113.

(4) سوفاجيه: دمشق الشام ص68.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص239.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص51، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص239.

(7) انظر القزويني: آثار البلاد ص191.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص229، زريف المعايطة: الأسواق ص6.

الطرق التجارية

ارتبطت دمشق مع مدن الشام بشبكة واسعة من المواصلات، كما كانت لها طرق تربطها مع العالم الخارجي إلى مصر والعراق والجزيرة العربية والهند والصين، وكان اتصالها بأوروبا وسواحل شمال إفريقية عن طريق مدن بلاد الشام الساحلية مثل بيروت وصور وصيداء وعكا وطرابلس[1]، فارتبطت مع العالم بنوعين من الطرق باعتبارها مركزاً لمواصلات بلاد الشام الداخلية والخارجية هما:

1- الطرق الداخلية وأهمها:

1 – من دمشق إلى بعلبك يومان[2]، واليوم يعادل تسعة عشر ميلاً أي ثمانية وثلاثون كيلومتراً[3].

2 – من دمشق إلى بيروت يومان[4].

3 – من دمشق إلى درعا أربعة أيام[5].

4 – من دمشق إلى أقصى الغوطة يوم واحد[6].

5 – من دمشق إلى طرابلس يومان[7].

---

(1) انظر نبيه عاقل: بعض ملامح الأوضاع المالية والتجارية ص14، محمد سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ص139، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص369.

(2) الإصطخري: المسالك والممالك ص67، ابن حوقل: صورة الأرض ص171، المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

(3) انظر فالتر هنتس: المكاييل والأوزان ص95، صادق جودة: مدينة الرملة ص271.

(4) الإصطخري: المسالك والممالك ص67، ابن حوقل: صورة الأرض ص170، المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

(5) الإصطخري: المسالك والممالك ص67، ابن حوقل: صورة الأرض ص171.

(6) الإصطخري: المسالك والممالك ص67، المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

(7) الإصطخري: المسالك والممالك ص67، ابن حوقل: صورة الأرض ص171.

6 – من دمشق إلى نابلس يومان[1].

7 – من دمشق إلى صيداء يومان[2].

8 – من دمشق إلى طبرية أربعة أيام[3].

9 – من دمشق إلى الكسوة بريدان [4] والبريد يعادل 24 كيلومتراً[5].

10– من دمشق إلى حماة ستة أيام، وإلى حلب عشرةأيام[6].

11– من دمشق إلى القدس ستة أيام، وإلى رفح ثمانية أيام[7].

12– من دمشق إلى صور أربعة أيام[8].

13– من دمشق إلى حمص خمسة أيام [9]، وهي من أهم الطرق الداخلية الواصلة إلى دمشق وتمر بالقطيفة والنبك وقارا وشمسين [10].

2– الطرق الخارجية:

حيث ترتبط دمشق مع عدد من البلاد بشبكة من الطرق أهمها الطريق من دمشق إلى الرصافة، وهي فرعان: الأول يمر بالمناطق العامرة، وطوله حوالي (452 كم) مروراً من دمشق إلى القطيفة والنبك وقارا وشمسين وحمص ثم إلى سلمية فالقسطل والزراعة ومنها إلى الرصافة[11]، والطريق الآخر ويمر في البرية وطولها حوالي (330 كم) [12] وكانت دمشق ترتبط بسلمية بطريق

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

(2) الإصطخري: المسالك والممالك ص67، ابن حوقل: صورة الأرض ص171.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض ص170.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

(5) انظر فالتر هنتس: النقود والمكاييل ص82.

(6) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص378، معجم البلدان جـ2، ص469.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص378، معجم البلدان جـ2، ص469.

(8) ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ2، ص469.

(9) ابن حوقل: صورة الأرض ص170، المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

(10) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص13، المقدسي: أحسن التقاسيم ص190، أحمد الأوتاني: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام/رسالة ماجستير ص98.

(11) المقدسي: أحسن التقاسيم ص190، أحمد بدر: الحضارة العربية الإسلامية ص75.

(12) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص13، المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

أخرى عُرفت بالطريق الأوسط وطولها حوالي (300 كم) [1].

واشتهرت في العصر الفاطمي الطريق الواصلة ما بين دمشق ومصر فكانت من الطرق العامرة، حيث كانت تمر عبرها معظم مراسلات الفاطميين إلى دمشق، كما تمر عبرها قوافل التجارة من دمشق إلى مصر أو بالعكس[2]، وتبدأ من دمشق إلى الكسوة وجاسم وطبرية فالرملة، ثم إلى أسدود على ساحل البحر المتوسط وبموازاة الساحل إلى غزة ورفح والعريش، ثم إلى الصالحية فبلبيس والقاهرة[3].

وكانت طريق الحج أهم الطرق الخارجية حيث تربط دمشق بالحجاز واليمن وهي طريق كانت عامرة على مرّ العصور، ومن أهم المراكز الواقعة على هذا الطريق عَمّان ومعان والمدورة وتبوك والمدينة المنورة ومكة[4].

ومن الشرق ارتبطت دمشق ببغداد عبر طريق كان يسير مع الضفة الغربية لنهر الفرات مروراً بالأنبار ثم إلى هيت على الفرات ثم عبر الصحراء إلى دمشق[5]، ومع نفس الطريق كانت القوافل تتابع سيرها شرقاً عبر إيران إلى الهند والصين[6].

وارتبطت دمشق مع الأندلس عبر الطريق الواصل إلى مصر، فكان يستمرُّ من القاهرة إلى ليبيا وتونس والجزائر فالمغرب، ومن طنجة عبر مضيق جبل طارق إلى الأندلس[7].

وكانت لهذه الطرق أهمية كبيرة بالنسبة لدمشق، فعبرها كانت تُصدِّر منتجاتها الزراعية

---

(1) انظر قدامة بن جعفر: الخراج ص118، المقدسي: أحسن التقاسيم ص190.

(2) المقريزي: المخطط جـ1، ص227، صادق جودة: مدينة الرملة ص272.

(3) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص190، أحمد بدر: الحضارة العربية الإسلامية ص75، صادق جودة: مدينة الرملة ص272، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية ص138.

(4) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص150، ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص183، قدامة بن جعفر: الخراج ص85، صالح درادكة: البريد وطرق المواصلات في العصر العباسي/المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص23، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام/المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص97، Kremer: Orient under the Caliphs, P134.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص188-190، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص412-413، صالح درادكة: البريد وطوق المواصلات ص24، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص98، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية ص138.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم ص188، 190، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص412-414.
Kremer: Orient under the Caliphs, P134.

(7) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص154-155، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص374، محمد سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق ص144، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارات العربية ص138.

والصناعية، وتستورد ما تحتاج إليه من السلع والبضائع المختلفة من أسواق العالم الخارجية، ومنها كانت تعبر الجيوش التي تغزو دمشق أو ترفدها بالعون والمساعدة.

أما طريق الحج فكانت طريقاً دينية تهدف إلى تسهيل انتقال الراغبين بأداء فريضة الحج، وقد ترافقهم بعض القوافل التجارية خاصة في فترات الاضطراب السياسي حيث تمتعت هذه الطريق باهتمام المسؤولين، وتوفرت لها الحماية الكافية طوال موسم الحج الذي قد يستمر عدة أشهر[1].

(1) انظر آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص405-406، نقولاد زيادة: تجارة بلاد الشام الخارجية ص97.

الطرق التجارية
طرق داخلية
طرق خارجية
منبج
حلب
انطاكية
حماة
حمص
طرابلس
النبك
بيروت
صيداء
دمشق
صور
عكا
طبرية
بصرى
الزرقاء
القدس
عمان
غزة
رفح
الكرك
معان
الطريق الى الحجاز واليمن
الى بغداد
الزراعة
الطريق الى بغداد
بغداد
الى الشرق الأقصى
بادية الشام
شبه الجزيرة العربية
الخليج العربي

شكل رقم "٣٠"

التجارة الداخلية

أدّت كثرة المنتوجات الزراعية من الغوطة والمرج، وما ينتجه حرفيو دمشق من سلع فريدة إلى اكتضاض أسواق المدينة وإقبال الناس عليها للبيع والشراء، فامتلأت أسواقها بالحيوية والنشاط.

وكانت دمشق سوقاً لما يحيط بها من المدن والقرى الشامية حيث أُقيمت الأسواق على أبواب المدينة، فكان تجّار هذه المدن يحملون السلع الدمشقية التي تجتمع إلى أسواق المدينة إلى مدنهم وقراهم[1]، ويحملون إلى دمشق ما تحتاج إليه من بضائع مدنهم ومنتجاتها أو ما يصل إليها من الأسواق الخارجية خصوصاً من المدن الساحلية التي كانت على اتصال مستمر بأوروبا وشمال إفريقية.

وتركّزت التجارة الداخلية في أسواق المدينة الرئيسية التي كانت مركز النشاط الاقتصادي، وأهم هذه الأسواق هو السوق الكبير[2].

ويتصل بالسوق الكبير أسواق فرعية متخصصة تركزت بجوار الجامع الأموي اشتهر منها في العصر الفاطمي أسواق الصفّارين، وكانت تُباع فيها الأواني والأدوات النحاسية التي راجت صناعتها آنذاك، وأسواق العطّارين الذي صار يُسمى سوق الريحان لكثرة الروائح العطرية التي تنبعث منه فيجلب إليه الناس، وسوق الشمّاعين[3]، وسوق الأساكفة وهو السوق المعدُّ لتصليح

---

(1) انظر فيليب حتي: تاريخ سورية جـ2، ص278، صفوح خير: مدينة دمشق ص437-439، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام/رسالة ماجستير ص193.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم ص157، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص271، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص371، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ص53.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم ص156، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص215، 216، 148، ابن جبير: الرحلة ص190، ابن بطوطة: الرحلة ص107، ابن صصري: الدرة المضيئة ص137، ابن طولون: مفاكهة الخلان جـ1، ص141، فريال بدوي: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ص67.

الأحذية وبيع النعال، وسوق الجزّارين وسوق القطّانين وسوق المطرّزين وسوق البقل[1].

ونُظِّمت أسواق المدينة على أساس الاختصاص، وصار لكل تاجر وتجارة شارعٌ معلومٌ، فلا تختلط تجارة بأخرى، ولا يُباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن بغيرهم[2].

وتَوزع باعة الطعام في دمشق على مواضع كثيرة من المدينة لأن حاجة الناس إليه قائمة في جميع المواضيع والأمكنة[3].

وخضعت الأسواق والحِرَف لإشراف المحتسب، فكان يُشرف على الأوزان والمقاييس وعلى البيع ونوعية الإنتاج، كما كان يُشرف على النقود المتداولة ويمنع الغش والتزييف والتلاعب بالنقد[4].

وسُمح للتجار بإقامة تَجَمُّعٍ يربط بينهم، يتولى الإشراف عليه رئيس التجّار الذي يتمُّ اختياره من قِبل التجّار أنفسهم[5].

وقد نشأت علاقات تجارية واسعة بين دمشق ومدن الشام، فيذكر المقدسي كثيراً من السلع والمنتجات التي كانت تتبادلها دمشق مع مدن الشام الأخرى، فكانت دمشق تُصدِّرُ إلى مدن الشام وإلى غيرها من البلدان المعصور والبلعسي والديباج ودهن البنفسج والصفريات والكاغد والجوز والقطين والزبيب[6]، كما كانت تُزوِّدُ مدن الشامَ بالأسلحة الجيدة خاصة السيوف الدمشقية[7]، وتستورد من نابلس الخروب المصنع (رب الخروب) والزيت الذي استُخدم في إضاءة الجامع الأموي[8]، ومن بعلبك الألبان، ومن بيروت الحديد الذي استُخدم في كثير من الصناعات المعدنية[9]، ومن نصيبين الرصاص،

---

(1) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص227–230، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص192.

(2) اليعقوبي: البلدان ص14.

(3) انظر زريف المعايطة: الأسواق في بلاد الشام ص5.

(4) يحيى بن عمر: النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، ص31، 32، 43، الشيرزي: نهاية الرتبة ص19، ابن الأخوة: معالم القربة ص85، زريف المعايطة: الأسواق ص8.

(5) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ2، ص411، الشيرزي: نهاية الرتبة ص12، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص224.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم ص180–181.

(7) انظر نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص112.

(8) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص200.

(9) المقدسي: أحسن التقاسيم ص160، الإدريسي: نزهة المشتاق: جـ4، ص371، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص323، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام، ص111.

ومن حَرَّان عسل النحل والقطن والموازين[1]، ومن صُوْر الثياب البيض الفريدة التي لا تُصنَع إلا بهـا[2]. ومن لبنان النحاس الذي كان يُستخدم في صناعة الأدوات النحاسية[3].

كانت حركة التبادل ونقل البضائع نشيطة بين دمشق ومدن الشام الأخرى في العصر الفاطمي خاصة مدن الساحل حيث كان التجّار ينقلون إليها من أسواق دمشق البضائع التي تلزمهم للاتجار مع أوروبا.

---

(1) محمد جاسم حمادي: الجزيرة الفراتية والموصل، ص235.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص366.

(3) انظر نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام، ص112.

التجارة الخارجية

كان للتجارة الخارجية فوائد إيجابية بما كانت تدُرّهُ مـن عوائد مـرور البضاعـة التجاريـة على أهل البلاد، وكان المسلمون منذ خلافة عمر بن الخطاب يأخذون العشور من التجّــار، حيـث كان التجّار الأجانب يدفعون عشر قيمة البضائع التجارية، ويدفع أهل الذمة نصف العشر، بينمـا كان التجّار المسلمون يدفعون ربع العشر، وتعوَّد المسلمون على تقاضي هـذه الرسـوم في حـال تنقـل التجّار خارج بلادهم ولمرة واحدة في العام[1]، واستمرَّ هذا الإجراء حتى العصر الفاطمي.

وكانت لدمشق في العصر الفاطمي علاقات تجارية نشيطة مع أوروبا عن طريق موانـئ بـلاد الشام[2] مثل طرابلس وبيروت وصور وعكا، حيث كـان التجّـار يحملـون إلى هـذه الموانـئ بضـائع أوروبا التي يذهب كثير منها إلى دمشـق كـالحديد والنحـاس والفـراء والسـمور[3]، فكـانت دمشـق تستورد ما تحتاج إليه من البضائع والسلع مما لا يتوفر في دمشق أو في المناطق القريبة منها.

استوردت دمشق من عُمان أجود أنواع العنبر واللبـان والبخـور والمصطكـي[4]، ومـن شمـال العراق مـادة النحـاس الـتي استُخدمت في الصناعـات المعدنيـة خاصـة صناعـة الأبـواب[5]، كمـا استوردت من العراق المناديل والأرزق والخـزف وبعـض التحـف الفـاخرة والتمـور[6]، وعـن طريـق الخليج العربي كانت تستورد الفولاذ من الهند.

---

(1) انظر أبو يوسف: الخراج ص132-134، الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة ص93.

(2) Bianquis: Damas, voll, P384.

(3) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص243، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ص249.

(4) انظر الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة ص220، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص246.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص158، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص113.

(6) ابن الفقيـه: مختصـر كتـاب البلـدان ص175، الـدوري: تـاريخ العـراق ص133، حمـدان الكبيسـي: التجـارة الخارجية ص346.

ومن الشمال جاء التجّار إلى دمشق بالحديد والفولاذ من أرمينيا وأذربيجان[1]، واستوردوا من الدولة البيزنطية الديباج والأكسية الرومية والذهب والفضة والأحجار الكريمة والحرير الطبيعي والكتان الموشى[2]، ومن أرمينية المسك والملح والزرنيخ والبغال[3]، والبسط[4]، التي استُخدمت لفرش المساجد والبيوت[5].

واستوردت دمشق من مصر الثياب الفاخرة والنفيسة التي اشتهرت بها مصر، وليس لها نظير في الشام[6]، والحبوب وفي طليعتها القمح خاصةً أثناء الأزمات والحروب التي تعرضت لها دمشق في العصر الفاطمي[7].

وكانت دمشق في القرن 4هـ/10م مركزاً من مراكز التجارة العالمية التي كانت تربط بين العالم الشرقي في الهند والصين، وبين أوروبا عن طريق موانئ البحر المتوسط الشامية، فقام الشاميون خاصة الدماشقة بدور الوساطة التجارية فكانوا يُنَظِّمون رحلات تجارية يحملون فيها بضائع بلادهم والبضائع التي جاؤوا بها من أوروبا والأندلس إلى الهند والصين، ويعودون من هناك محمَّلين بالسلع النفيسة التي كانت تدرُّ عليهم الأرباح الوفيرة[8].

فمن الهند جاؤوا بالتوابل والأحجار الكريمة والطيوب، وجلود النمر والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند والكافور والقرنفل والقرفة (الدار صيني) والعاج وأنواع العقاقير المختلفة[9].

---

(1) آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص324، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص111.

(2) ابن الأثير: الكامل جـ9، ص493، لويس: القوى البحرية والتجارية ص213، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص259.

(3) انظر ابن حوقل: صورة الأرض ص285–286، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص436، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص259.

(4) آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص263، عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ص54.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181، محمد الزيود: النشاط التجاري ص11.

(6) القريزي خطط جـ1، ص163–166، لومبار: الإسلام في عظمته ص212، سيد خليفة: تاريخ المنسوجات ص99.

(7) المقريزي: خطط جـ1، ص465، راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص262، محمد الزيود: النشاط التجاري والصناعي ص17.

(8) انظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص153، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص33، 325، 396، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ص118.

(9) انظر الجاحظ: التبصر بالتجارة ص33، ابن خرداذبة، المسالك والممالك ص153، شيخ الربوة، نخبة الدهر ص153، فيليب حتي: تاريخ سورية جـ1، ص330.

واستوردوا من الصين الكاغد والمداد والطواويس والبهار والرواند واللبود والعـود والمسك[1]، والخزف الصيني والسروج، كما استوردوا من خوارزم المسك والسمور والسنجاب[2].

وكان تُجَّار الشام ينقلون إلى الأندلس وأوروبا ما يزيـد علـى حاجـة بلادهـم مـن المنتجـات الشامية كالزجاج والصابون والمنسوجات والأقمشة المصنوعة من الحرير والخز والديباج[3]، وراجت في أسواق أوروبا المنسوجات الحريرية المصنوعة في دمشق والتي كان يُطلق عليها اسم البروكـار[4]، إضافة إلى الورق الذي كان يُعرف بالورق الدمشقي[5].

وأشار المقدســي إلى أن دمشـق كـانت تُصدِّر المعصـور والبلعسـي والديبـاج ودهـن البنفسـج والصفريات والكاغد والجوز والقطين والزبيب[6]، وأكثرها كان يُصدَّر إلى مصر والجزيرة العربية.

وإلى مصر كانت تُصدِّر أيضاً التفاح[7]، والقراصيا[8]، والقبقاب، والقنب وقمر الدين الذي يُصنَـع من المشمش، والقبع والقرطاس[9]، كمـا كـانت تُصـدِّر إليهـا الأصنـاف الجيـدة مـن السـلاح، والأدوات النحاسية خاصة القدور الدمشقية التي شاهدها ناصر خسرو عند زيارته لمصر في القرن 5هـ/11م[10].

ومن المنتجات الأخرى التي كانت تُصدِّرهـا دمشـق إلى مصـر في العصـر الفـاطمي الخـروب والثلج الذي كان يُستخدم للتبريد[11]، والتـداوي مـن الأمـراض[12]، والمنسـوجات الراقيـة خاصـة

---

(1) الجاحظ: التبصر بالتجارة ص33، ابـن خردذابـة: المسالك والممالك ص153، نقـولا زيـادة: جغرافيـة الشـام ص220، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص257.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم ص324-325، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص243.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، منير خوري: صيداء عبر حقب التاريخ ص150.

(4) انظر ابن بشكوال: الصلة جـ2، ص435، علي أحمد: الأندلسيون والمغاربة ص81، أمـين أبـو دمعـة: الحيـاة الاقتصادية ص245.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181، أبو البقاء: نزهة الأنام ص364، كرد علي: الإسلام والحضارة جـ1، ص215.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181.

(7) الثعالبي: لطائف المعارف ص95، ناصر خسرو: سفر نامه ص104، ابن الوردي: خريدة العجائب ص571.

(8) القلقشـندي: صبـح الأعشـى جـ14، ص391، أبـو البقـاء: نزهـة الأنـام ص364، أمـين أبـو دمعـة: الحيـاة الاقتصادية ص243.

(9) أبو البقاء: نزهة الأنام ص364، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص243.

(10) ناصر خسرو: سفر نامه ص104، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص113.

(11) المقريزي: خطط جـ2، ص36.

(12) ناصر خسرو: سفر نامه ص158، محمد الزيود: النشاط التجاري ص15.

الحرير والأخشاب[1]، إضافة إلى ماء الورد المزّي[2]، وكان يُعرف في مصر بماء الورد الشامي نظراً لجودة صناعته، وكان أطباء مصر يصفونه بكثرة لمرضاهم خلال الفترة الفاطمية[3].

ورغم تَقَدُّم مصر في صناعة الزجاج، إلا أنها كانت تستورد الزجاج من دمشق في العصر الفاطمي، ويعود ذلك إلى جودة الزجاج الشامي المصنوع في دمشق[4]، كما استوردت الورق الدمشقي بسبب ازدياد حاجة مصر للورق نتيجة التقدم العلمي في مصر أيام الفاطميين، ولجودة الورق الدمشقي الذي يفوق ما كان يُصنَعُ في مصر[5].

وكانت علاقة دمشق بالجزيرة العربية نشيطة منذ العصور السابقة للإسلام خصوصاً مع الحجاز واليمن، واستمرت القوافل التجارية تنتقل من دمشق إلى هذه البلاد مُحَمَّلَة بمنتجات بلاد الشام من الحبوب والأسلحة والزجاج والمنسوجات الحريرية والقطنية، والعطور[6].

وكانت لدمشق علاقات تجارية نشيطة مع العراق لم تنقطع بمجيء الفاطميين، فكان التجار الدماشقة يحملون إلى العراق الزيت والزيتون والحبوب والفواكه لا سيما التفاح الجيد، فقد قيل إنه كان يُحمل منه إلى خلفاء بغداد ثلاثون ألف تفاحة كل عام[7]، كما صُدِّرت إلى العراق الروائح العطرية والمنسوجات الحريرية والقطنية والديباج والخز والمآزر[8] والأصناف الجيدة من السلاح[9].

---

(1) ناصر خسرو: سفر نامه ص15–104، نقولا زيادة: تجارة بلاد الشام ص113، أحمد صادق سعيد: تاريخ مصر الاجتماعي ص259، محمد الزيود: النشاط التجاري ص7.

(2) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص198، ابن طولون: تاريخ المزة ص35، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص157. غوطة دمشق ص65.

(3) انظر المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص65، المقدسي: أحسن التقاسيم ص180–181، شيخ الربوة: نخبة الدهر ص195–196، ابن طولون: المزة ص35، كرد علي: غوطة دمشق ص46، روم لاندو: الإسلام ص280.

(4) الثعالبي: لطائف المعارف ص157، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص217، راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص165، 166، 167.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ص180–181، ناصر خسرو: سفر نامه ص48، القلقشندي: صبح الأعشى جـ2، ص487–488، محمد الزيود: الشاط التجاري ص10.

(6) انظر شيخ الربوة: نخبة الدهر ص198، ابن طولون: تاريخ المزة ص35، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص157.

(7) الثعالبي: لطائف المعارف ص95، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص309، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص372، حمدان الكبيسي: التجارة الخارجية ص346، طه الطراونة: حركة التجارة ص4-5.

(8) ابن حوقل: صورة الأرض ص165، 166، الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، حمدان الكبيسي: التجارة الخارجية ص346.

(9) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام جـ2، ص317–318، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص372.

صَدَّرت دمشق منتوجاتها من الورق والزجاج والصابون إلى بيزنطة[1]، وماء الورد إلى كل من الهند والصين[2]، بالإضافة إلى التحف النحاسية المطلية بالفضة[3] والزيوت[4].

وكانت دمشق تجني أرباحاً وفيرة من المبادلات التجارية خاصة وأن بعض الدماشقة كانوا تجّاراً نشيطين قاموا بدور الوساطة التجارية بين أوروبا والشرق، فكانوا يستوردون البضائع من الهند والصين ليقوموا بتصديرها إلى البلاد الأوروبية وبيعها بأثمان مرتفعة.

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص181، أبو الفداء: تقويم البلدان ص274، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص259، محمد الزيود: النشاط التجاري ص11.

(2) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص198، ابن طولون: تاريخ المزة ص35، كرد علي: خطط جـ4، ص157.

(3) الجاحظ: التبصر بالتجارة ص76، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص256.

(4) انظر ناصر خسرو: سفر نامه ص56، الثعالبي: لطائف المعارف ص157، أمين أبو دمعة: الحياة الاقتصادية ص257.

النقود

كانت النقود التي يتمُّ التعامل بها في العصر الإخشيدي هي النقود العباسية باعتبار الدولة الإخشيدية إحدى ولايات العباسيين، وكانوا يتعاملون بالدينار الراضي المنسوب إلى الخليفة العباسي الراضي (322-329هـ/934-941م)[1]، وكان الإخشيديون يضيفون إلى النقود التي تُسَكُّ في دولتهم سواءً في دمشق أو فلسطين أو في مصر أسماءهم إلى جانب اسم الخليفة العباسي[2].

ولما قدم الفاطميون أبقوا التعامل بهذه النقود، حيث كانت في دمشق دار لضرب النقود ومكانها في قصر الخضراء خلف الجامع الأموي[3]، وأوكل الفاطميون مهمة الإشراف على ضربها لقضاتهم لأن من عادتهم أن يضيفوا الإشراف على دار الضرب إلى القضاة[4].

لقد سَكَّ الفاطميون الدينار المعزي الذي نُسب إلى المعز لدين الله الفاطمي[5]، وحملت النقود الفاطمية على كل وجه من وجهيها ثلاثة دوائر داخل بعضها البعض ومنقوش بينها بخط كوفي وعلى وجه واحد (لا إله إلا الله)، وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة ولقبه، ومكان وتاريخ ضرب النقد[6].

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص204، المقريزي: الخطط جـ3، ص8، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ص297، وانظر محمد الصليبي: النقود في بلاد الشام ص9.

(2) انظر مجموعة المسكوكات الإسلامية التي أصدرها البنك العربي سنة 1980م، ص52.

(3) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص85.

(4) انظر القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص557، ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر جـ2، ص310،592،596، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص217، خطط جـ1، ص404،445، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية ص312، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص126.

(5) ابن ميسر: المنتقى ص45، المقريزي: خطط جـ3، ص8، محمد الصليبي: النقود في بلاد الشام، ص14، Stanley. Lane-Poole: Arbic Conis in Cairo 1984, P152-155.

(6) محمد الصليبي: النقود في بلاد الشام في العصر العباسي ص3. Lane-Poole: Arabic Coins, P158,163,164

وكانت دمشق إحدى المدن التي تُضرَبُ بها هذه الدنانير الفاطمية[1]، واستمرَّ ضربها في خلافة العزيز با لله، أما الحاكم فقد أصدرسنة 386هـ/996م دنانير تحمل على أحد وجهيها الشهادة وعلى الوجه الآخر اسمه[2]، كما أصدر الفاطميون في عهد الحاكم بأمر ا لله دراهم جديدة أيضاً[3]، لتسهيل التعامل بالنسبة للسلع قليلة الثمن، وحملت هذه الدراهم اسم (الدراهم النقرة)، وكان ثلثا الدرهم من الفضة وثلثه من النحاس، وهو الدرهم الذي شاع استعماله في بلاد الشام في القرن 5هـ/11م[4]، وقد دفعت الأزمات والشدائد وظروف الحياة الصعبة إلى سَكِّ مثل هذه النقود.

وفي سنة 425هـ/1033م ضرب الفاطميون نقوداً حملت اسم الخليفة الظاهر لإعزاز دين ا لله، وهي تشبه نقود الحاكم لكنها أكبر حجماً منها[5]. وفي عهد المستنصر با لله ضرب الفاطميون ثلاثة أنواع من النقود بتواريخ مختلفة أحدها كان سنة 428هـ/1036م[6].

طرأ تغير على نقش النقود في العصر الفاطمي، وتأثرت هذه النقوش بالطابع الديني والسياسي للدولة الفاطمية، وصارت العبارات التي تُكتب على هذه النقود تتضمن أموراً ذات علاقة بالمذهب الإسماعيلي الفاطمي، فعلى أحد الوجهين كُتب (لا إله إلا ا لله محمد رسول ا لله وعلي ولي ا لله)، وعلى الوجه الآخر كُتب اسم الخليفة الفاطمي وأحياناً اسم الوزير إلى جانبه أو اسم ولي العهد[7]، كذلك كان يظهر على هذه النقود تاريخ ضربها واسم البلد الذي ضُرِبت فيه[8].

---

(1) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص126، .Lane-Poole: Arabic Coins, P176,177,180

(2) .Lane-Poole: Arabic Coins, P158,160

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص58، أنستاس الكرملي: النقود العربية وعلم النميات ص58-59، محمد سرور: الدولة الفاطمية ص160.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم ص182، الشيزري: نهاية الرتبة ص217، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص509.

(5) محمد الصليبي: النقود في بلاد الشام ص14.

(6) .Lane-Poole: Arabic Coins, P174

(7) السيوطي: حسن المحاضرة جـ2، ص116،154، المناوي: النقود والمكاييل والأوزان ص99، مجموعة المسكوكات الإسلامية/البنك العربي ص54، محمد الصليبي: النقود في بلاد الشام ص13، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص127. .Lane-Poole: Arabic Coins, P164-169,170-172

(8) انظر مجموعة المسكوكات الإسلامية ص54، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص127.
Lane-Poole: Arabic Coins, P158,171-174.

الفاطميون كميات كبيرة من الذهب من مصر والسودان لذلك حافظوا على مستوى عال للدينار غير أن تَعَرُّضَ بعض النقود للتآكل أو الغش كان يؤدي إلى ضعف قوتها الشرائية وانخفاض سعر صرفها(1)، وقد يتدخل الخلفاء أحياناً لتغيير مقادير العملية وتحديدها(2)، فتختلف قوتها الشرائية.

وفي حال انتشار الغش والقرض في النقود، كان الصيارفة – وأكثرهم من اليهود والنصارى في بلاد الشام خلال القرن 4 هـ/10م(3)– يلجؤون إلى سحب النقود الرديئة من الأسواق واستبدالها بالعملة الأجود.

لقد ضُربت النقود في دمشق خلال الفترة الفاطمية، وكانت دار ضربها قريبةً من الجامع الأموي في الخضراء التي كانت داراً لمعاوية بن أبي سفيان(4)، وأورد لين بول إشارات لأربع قطع نقدية ضُربت في مدينة دمشق خلال حكمهم لها تحمل نفس مواصفات النقود الفاطمية المضروبة في فلسطين أو القاهرة وتعطي صورة مناسبة عن نقود دمشق الفاطمية.

الأولى ضُرِبت في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 395هـ/1004م وتحمل المواصفات التالية(5):

وجه الدينار

على الطوق:	محمد رسول الله أرسله.. إلخ.
	لا إله إلا الله وحده لا شريك له
في المركز:	محمد رسول الله
	علي ولي الله

---

(1) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص49، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ص129.

(2) المقريزي: خطط جـ2، ص193، المناوي: النقود والمكاييل والأوزان ص100.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183.

(4) المهلبي: قطعة من كتاب المسالك والممالك ص85.

(5) انظر Lane-Poole: Arabic Coins, P164.

ظهر الدينار

على الطوق: – بسم الله ضُرب هذا الدينر بدمشق سنة خمس وتسعون وثلاثمائة.

– عبد الله ووليه المنصور أبو علي الإمام الحاكم بأمر الله.

في المركز: أمير المؤمنين.

والقطعة الثانية دينار ضُرب في دمشق سنة 437هـ/1045م في خلافة المستنصر بالله ويحمل المواصفات التالية[1]:

الوجه

علي

على الطوق: لا إله إلا الله وحده

لا شريك له

محمد رسول الله

ولي الله

في المركز: محمد رسول الله.. إلخ.

الظهر

على الطوق: معد

الإمام أبو

تميم المستنصر

بالله أمير المؤمنين

في المركز: المكان والتاريخ (أي مكان وتاريخ الضرب)

(1) Lane-Poole: Arabic Coins, P176.

والقطعة الثالثة أيضاً دينـار مضروب في خلافة المستنصر بـا لله، وضُرب في دمشق سنة 439هـ/1047م ويحمل نفس المواصفات في القطعة السابقة المضروبة سنة 437هـ/1045م[1].

أما القطعة الرابعة فهي أيضاً من خلافة المستنصر بـا لله الفاطمي سنة 447هـ/1055م وكُتب عليها ما يلي[2]:

الوجه

كان كُتب عليه على شكل ثلاث دوائر:

الأولى: محمد رسول ا لله أرسله..إلخ.

الثانية: وعلي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين.

الثالثة: لا إله إلا ا لله محمد رسول ا لله.

الظهر

كان كُتب عليه أيضاً بدوائر ثلاث كما يلي:

1) بسم ا لله ضُرب هذا الدينر بدمشق سنة سبع وأربعون وأربعمائة.

2) دعا الإله معد لتوحيد الإله الصمد.

3) المستنصر با لله أمير المؤمنين.

وبهذا فإن النقود التي تعامل بها أهل دمشق طوال الفترة الفاطمية هي النقود الفاطمية وكانت تتأثر بما يحدث للنقد الفاطمي من تطور وتغيير، وما يُسَكُّ في دمشق هو نقد فاطمي لِسَدِّ حاجة أهل الشام وخصوصاً دمشق.

وكان يَرِدُ إلى دمشق كما يَرِدُ إلى باقي الولايات الفاطمية دنانير رباعية، وهي نقود تذكارية حملت اسم (الغرّة) إضافة إلى دراهم خفاف مدورة كان يتم ضربها في العشر الأخيرة من ذي الحجة في كل عام[3].

---

(1) Lane-Poole: Arabic Coins, P177.

(2) Lane-Poole: Arabic Coins, P180.

(3) ابن منجب: قانون ديوان الرسائل/المقدمة ص33، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص167، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص95.

الأحوال الاجتماعية

فئات المجتمع:

انقسم السكان في دمشق إبان العصر الفاطمي إلى خاصّة وعامّة، وكان الخاصّة هم الأغنياء من التّجار وأصحاب الأملاك والضياع الواسعة[1]، وتمتّعوا باحترام المجتمع، فكانت لهم مكانة اجتماعية ممتازة[2]، وكانوا يمتلكون البيوت ذات الأثاث الفاخر.

وتضمُّ هذه الفئة رجال الدولة الفاطمية كوالي المدينة والقاضي وصاحب الديوان وصاحب الشرطة، ومَنْ يرتبط بهم من الموظفين والكتّاب وجباة الأموال والتّجار.

وتمتّع رجال الدولة الفاطمية بامتيازات واسعة فكانت الدولة تصرف لهم الرواتب وتُقَدِّم لهم الخلع والهدايا في المناسبات والأعياد[3].

وفيما يلي أهم فئات المجتمع في دمشق في العصر الفاطمي:

1 - الجند: وهم أفراد الحامية العسكرية في دمشق، وكان أكثرهم من المغاربة والمصريين، ومنهم جماعات من السودان والأتراك والأرمن، واستخدمهم الفاطميون لحماية الولاية وتأكيد السيادة الفاطمية فيها.

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص18، 76، 79، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص11، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص74.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص110، 133، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص74، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68، 93، 132، 154، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص9، 202، أحمد شلبي: تاريخ التربية ص33.

كان الجيش الفاطمي يقيم في معسكرات خاصة قريباً من مقرّ الوالي الفاطمي، فالجيش الـذي وصـل مع جعفر بن فلاح أقام معه في الدكّة وعندما بدأ ببناء قصره هناك أخذوا في بناء منازلهم حول قصره[1].

وكان المغاربة أهمَّ فئات الجيش الفاطمي، وهم شيعة متزمتون اعتمدت عليهم الدولـة الفاطميـة، وكانوا يقومون بأعمال السلب والنهب ويعتدون على أملاك الأهالي فشـكّلوا عنصـراً مـن عنـاصر الشـغب والفوضى التي كان يقوم بها الجيش الفاطمي، وظهر ذلك واضحاً بعـد دخولهـم إلى دمشـق مـع قـائدهم جعفر بن فلاح الكتامي سنة 359 هـ/969 م[2].

وأحياناً كانت تشـترك عنـاصر الجيـش الأخـرى في أعمـال الشـغب والغـش، ففـي سـنة 461 هـ/1069 م وقع خلاف بدمشق بين الجيش الفاطمي وبين أهل المدينة فأشعلوا النار في أحيائها وشمـل الحريق جانباً كبيراً من الجامع الأموي[3].

2 – الأشراف: وهم أعيان المدينة وأصحاب الرأي والمشـورة فيهـا، وينتسـبون إلى بيـت رسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بحكم قرابتهم منه، ولم يكونوا جميعـاً مقتنعـين بصحـة الخلافـة الفاطميـة، فكان الحسنيون يشكّون بصحة النسب التي ادّعاها الفاطميون.

أما الحسينيون فكانت لهم علاقة ودّ بالفاطميين، فاسـتعمل الفـاطميون جماعـة منهـم في بعـض الوظائف الهامة بدمشق وشغل بعضهم منصب القضاء فيها ومنهم الشريف أبو محمد الحسن بن العباس ابن أبي الحسن الحسيني الذي ولاه الحاكم قضاء دمشق سنة 387 هـ/997 م[4]، وأبو عبد ا لله محمد ابن الحسين بن عبيد ا لله بن الحسين النصيبي، وتولى القضاء والخطابة ونقابة الأشراف بدمشق[5].

وفي خلافة الظاهر لإعزاز دين ا لله تولى الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بـن العباس بن الحسن بن أبي الجن الحسيني قضاء دمشـق سـنة 415 هــ/1024 م، فجـدّد منـائر،

---

(1) الدواداري: الدرة المضيئة ص129، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص55.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10، 11، 12، 14، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص32.

(3) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص162، الذهـبي: دول الإسـلام ص234، المقريـزي: اتعـاظ الحنفا جـ2، ص300–301.

(4) المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص337.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص255، القفطي: المحمّدون من الشعراء ص260، ابن طولون: الثغر البسام ص39.

وحفر أقنية وأجرى الفوارة المنحدرة من وسط جيرون، كما تولى نقابة الأشراف بمصر أيضاً[1].

وناب أبو تراب المحسن بن محمد بن العباس بن الحسن بن أبي الجن الحسيني في القضاء بدمشق عن أبي محمد القاسم بن النعمان[2]، ثم تولى بعده ابن عمه إبراهيم بن العباس[3]، ثم يحيى بن زيد الحسيني، فابنه إسماعيل بن يحيى[4] ثم الشريف أحمد بن علي بن أبي عبيد ا لله الحسيني وبقي قاضياً لدمشق إلى أن مات سنة 468 هـ/1075م[5].

تمتّع الأشراف في دمشق بالتقدير والاحترام، ولم يُسمح لأحد بالتدخل في شؤونهم، وكانت الدولة تصرف لهم الرواتب وتعيّن لهم النقباء للإشراف على شؤونهم المختلفة[6]، فتولى النقابة في دمشق أبو القاسم أحمد بن أبي هشام العقيقي سنة 363هـ/973م[7]، وأبو عبد ا لله محمد بن الحسين العلوي في خلافة الحاكم بأمر ا لله[8]، والشريف فخر الدولة حمزة بن الحسين الحسيني[9]، والشريف أبو تراب المحسن بن العباس الحسيني، وأبو طاهر حيدرة بن إبراهيم بن العباس الحسيني[10] في خلافة المستنصر با لله إلى أن قتله بدر الجمالي سنة 461 هـ/1068م[11].

---

(1) انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص664–665، اتعاظ الحنفا جـ2، ص156، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص35، ابن طولون: الثغر البسام ص40.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص283، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص665، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص39، ابن طولون: الثغر البسام ص40–41.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص153، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص449، المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص209، ابن طولون: الثغر البسام ص41.

(4) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص154، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ18، ص112، ابن طولون: الثغر البسام ص41–42.

(5) انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص541، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص102، ابن طولون: الثغر البسام ص42.

(6) انظر الماوردي: الأحكام السلطانية ص82–86، أبو يعلى: الأحكام السلطانية ص74، ابن سعيد: المغرب ص49–51، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص15، 18، 76، 79، ابن الطوير: نزهة المقلتين ص113–115، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص200.

(7) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص18.

(8) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص244.

(9) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص134، المقريزي: المقفى الكبير جـ3، ص664–665.

(10) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ16، ص283، ابن طولون: الثغر البسام ص40–41.

(11) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ5، ص24.

3 – العلماء والأدباء: فقد برز في دمشق خلال العصر الفاطمي عدد من العلماء في مجالات متعددة، فظهر أطباء مشاهير كان اليبرودي أحدهم[1]، ومهندسون وعلماء في الكيمياء والصيدلة والرياضيات[2]، وكانت لهذه العلوم أهمية لا بأس بها، وتمتّع علماء الدين الإسلامي بثقافة واسعة مع تركيزهم على العلوم التي لا تتعارض مع الفقه الإسماعيلي خوفاً من الاصطدام بالفاطميين وأقبلوا على علوم القراءات والحديث، وأكثروا من الرحلة في طلب العلم[3]، كما وفد على بلادهم كثير من العلماء لنفس الغاية[4].

وأنجبت دمشق عدداً من الأدباء والشعراء المتميزين الذي طرقوا فنوناً وأغراضاً مختلفة، ومال بعض الشعراء للسلطة الحاكمة فمدحوا الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة[5]، وبعضهم تكسّب بالشعر فكان مصدر رزق لهم[6].

وتمتّع العلماء والأدباء باحترام المجتمع وتقديره، واهتمام الخلفاء بهم وإكرامهم وكانت لهم ملابس خاصة يتميزون بها تشبه ملابس القضاة[7].

4 – الفئة العامة: وتشمل العمال وأصحاب المهن والحرف المختلفة، وكان هؤلاء يتوزعون في الأسواق كلٌّ حسب اختصاصه، وتشكل هذه الفئة غالبية المجتمع الدمشقي، ويتصف أفرادها بأنهم مَنْ يمتلكون عيش الكفاف أو قريباً من ذلك، كما تشمل هذه الفئة المعدمين من الناس.

وبرزت من بين هؤلاء جماعة الأحداث[8]، وكانت تظهر هذه الجماعة عندما تختفي السلطة

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء من 610، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص22.

(2) انظر ابن القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص74، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381–400هـ)، ص313، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ5، ص80، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص31، 32، أحمد تيمور: المهندسون في العصر الإسلامي ص38، عبد الجليل عبد المهدي، الحياة الأدبية في الشام ص11–12.

(3) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص497، الذهبي: العبر جـ3، ص166، ابن العماد: شذرات جـ5، ص194.

(4) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص29، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ3، ص191، 195.

(5) انظر الثعالبي: خاص الخاص ص151، ابن حيوس: الديوان جـ2، ص588–589، عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص197.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص232–233، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص23.

(7) انظر الصابي: رسوم دار الخلافة ص91، المقريزي: خطط جـ1، ص440، ابن حجر: رفع الأصر ص207، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص58، صلاح العبيدي: الملابس العربية ص115، 269.

(8) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص16.

القادرة على الدفاع عن المدينة ضد الأخطار الخارجية فتملأ الفراغ الناتج عن غياب السلطة المحلية، وفي كثير من الأحيان كان الأحداث يتفقون مع الأهالي ومشايخ المدينة ضد الفاطميين خاصة الجند المغاربة الذين كانوا مصدر قلق دائم لأهل المدينة نتيجة أعمالهم العدوانية[1].

كان الفاطميون يَعدّون الأحداثَ العقبة الرئيسية في طريق سيادتهم على دمشق، فأخذوا يخططون للتخلص منهم، ولم ينجحوا إلا باتباع الحيلة حينما دعاهم جيش بن محمد بن الصمصامة إلى وليمة في قصره فدبّر لهم مكيدة أطاحت بأكثرهم سنة (390 هـ/999م)[2].

5 – **الفلاحون**: وهم سكان الأرياف المحيطة بمدينة دمشق من أصحاب الأعمال الزراعية والحرث، حيث كانوا يعملون بالزراعة ويبيعون ما ينتجونه في أسواق دمشق ويحصلون منها على ما يحتاجونه من بضائع، فكانوا يعيشون على ما تنتجه أرضهم من خيرات وغلّات زراعية فقد تميزت الغوطة بخصب أرضها وكثرة أشجارها وزروعها[3].

ونظراً لوجود نهر بردى وفروعه فإن الأراضي الزراعية في دمشق والغوطة كانت تعتمد على الري[4] وقليلاً ما تعتمد على مياه الأمطار التي قد يختلف سقوطها بين موسم وآخر فتجعل الفلاح في خطر عند الجفاف ولهذا كان الفلاح الدمشقي في مأمن من خطر التقلبات الجوية بالنسبة للأمطار.

غير أن الفلاح الدمشقي عانى في العصر الفاطمي من أخطار الاعتداءات التي قامت بها جماعات متعددة منها القرامطة عند غزوهم لدمشق[5]، واعتداءات الجنود الفاطميين الذين كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب[6]، وأحياناً من الضرائب التي كانت تُفرض عليهم، واعتداءات بعض القبائل العربية[7].

6 – **أهل الذمة من اليهود والنصارى**: وكان عددهم محدوداً، وكانت لهم محاكمهم الكنسية

---

(1) ثابت بن سنان: أخبار القرامطة ص61، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص10، 12، 14، 15، 19.

(2) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص227، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص88–89، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7 ص32، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص124.

(3) انظر ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص105، الإصطخري: مسالك الممالك ص59، ابن حوقل: صورة الأرض ص160–161، أبو البقاء: نزهة الأنام في محاسن الشام ص78 وما بعدها.

(4) الإصطخري: مسالك الممالك ص59، ابن حوقل: صورة الأرض ص161، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص14.

(5) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1 .

(6) ن. م، ص10، 12، 20.

(7) ن. م، ص42.

الخاصة بهم، غير أنهم كانوا يحتكمون إلى القضاة المسلمين إذا رغبوا أو إن كان أحد أطراف القضية من المسلمين، وكانوا يدفعون الجزية كلٌّ حسب الطبقة التي ينتمي إليها اقتصادياً، فقد كانوا ثلاث طبقات منذ الفتوح الأولى للمسلمين وهي أهل اليسار ويدفعون أربعة دنانير، ومتوسطو الحال ويدفعون دينارين والفقراء ويدفعون ديناراً واحداً في العام[1].

مارس أهل الذمّة كثيراً من الصنائع الهامة، فمنهم مَنْ كان يعمل بالصيرفة أو بالصياغة أو الدباغة أو الكتابة[2].

إن ما تميز به أهل الذمة في دمشق من إتقان الصناعات والحرف الهامة جعل لهم دوراً بارزاً في حياة دمشق وأهلها خلال العصر الفاطمي، وكان بعضهم يمتلك المال والضياع، ونبغ عدد منهم في الطب فكان منهم طبيب دمشق المشهور اليبرودي[3].

سيطر أهل الذمة على مصادر المال، وعملوا بها في ظل تشجيع الخلافة الفاطمية، حيث كانوا يُعلنون ولاءهم المطلق للفاطميين فيكسبون رضاهم خاصة في عهد كلٍّ من المعز لدين الله والعزيز بالله والظاهر لإعزاز دين الله، فعوملوا معاملة حسنة، وأُسندت إليهم بعض المراكز الهامة في دمشق وعمل بعضهم في دواوين الإدارة والمال[4].

أما الحاكم بأمر الله فقد شدّد على أهل الذمة، وأراد أن تكون لهم علامات بارزة يُعرفون بها لتمييزهم عن المسلمين، فألزمهم أن يلبسوا لباساً خاصاً، وأن يشدَّ الرجل منهم الزنار في وسطه وتشدّه المرأة فوق إزارها[5].

---

(1) انظر أبو يوسف: الخراج ص69، الماوردي: الأحكام السلطانية ص128، سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عهد الإخشيديين ص239.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص108، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص53.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص610، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص67، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص32.

(4) انظر ابن الصيرفي: الإشارة ص37، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص94، 118، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص46، حسين سليمان: الدولة الإسلامية ص279.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص108، القلقشندي: صبح الأعشى جـ13، ص364.

الأسعار

أشار المقدسي إلى أن أسعار الحاجيات في دمشق في القرن 4 هـ/10 م كانت تتميز برخصها[1]، خصوصاً المواد الغذائية، ولعله يشير إلى الفترة التي سبقت قدوم الفاطميين إلى المدينة، واعتماداً على كثرة ما تنتجه الغوطة من أشكال الثمار والزروع والخضار في زمانه.

غير أن انخفاض الأسعار لم يستمر طويلاً، فقد تعرّضت المدينة في النصف الثاني من القرن 4 هـ/10 م لعوامل كان لها تأثير كبير على الأسعار وعلى حياة الرخاء التي تمتّع بها أهل دمشق، ومن هذه العوامل:

1 – غزو القرامطة لبلاد الشام وإفسادهم غوطة دمشق ومنتجاتها الزراعية[2].

2 – الغزو الفاطمي للمدينة، وما قام به الجيش الذي قاده جعفر بن فلاح من أعمال السلب والنهب والتدمير[3].

3 – الخطر البيزنطي الذي هدّد بلاد الشام من الشمال ووصولهم إلى دمشق وإجبار أهلها على دفع الجزية سنة (364 هـ/974م)[4].

4 – الفتن والاضطرابات الناجمة عن الخلاف الدائم بين أهل دمشق والفاطميين، ومحاولة الفاطميين فرض سيادتهم ومذهبهم على أهل المدينة مما دفعهم إلى الثورة والمقاومة، ففي سنة

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص157.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص1، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ7، ص42.

(3) ابن الأثير: الكامل جـ7، ص32، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص267، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص125.

(4) يحيى بن سعيد الأنطاكي: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص116–117، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص24–25.

(369هـ/979م) حدث خلاف بين أهل المدينة ورئيس الأحداث قسّام التراب وبين الجيش الفاطمي فأدى ذلك إلى نقصان المواد الغذائية، ونتج عنه ارتفاع في الأسعار وحدوث مجاعة كان يموت فيها كثير من الناس[1].

وفي سنة 373 هـ/983م ارتفعت الأسعار بسبب قلة الإنتاج حيث توقف العمل بالزراعة نتيجة فقدان الأمن[2].

5 – قيام بعض التّجار باستغلال ظروف الأزمات والمشاكل التي تعرّضت لها المدينة واحتكارهم لأطعمة الناس وإخفائها إلى حين ارتفاع الأسعار.

6 – الكوارث الطبيعية كالزلازل، وانحباس سقوط الأمطار في بعض السنين مما أدّى إلى قلّة الإنتاج وانتشار المجاعات، ومن الزلازل التي أضرّت بمدينة دمشق أضراراً كبيرة زلزال سنة 362هـ/972 م[3] وزلزال سنة 381 هـ/1 99 م[4].

لقد أدَّت هذه العوامل إلى ارتفاع أسعار الحاجيات في كثير من الأحيان وتعرّض الناس لظروف صعبة، وعجز بعضهم عن توفير أقل أسباب العيش، ففي سنة 365هـ/975م تعرضت دمشق لعدة أحداث أهمها الحروب التي قادها جوهر الصقلّي ضد أفتكين التركي والي دمشق والتي نجم عنها ارتفاع الأسعار ارتفاعاً كبيراً فبلغ سعر الخبز كل خمسة أرطال شامي بدينار معزي[5].

وفي سنة 381هـ/991م تعرضت دمشق لأحداث مشابهة نتيجة ما ارتكبه الجيش الفاطمي الذي كان يقوده منجوتكين من اعتداء على أموال الناس وممتلكاتهم[6]، إضافة إلى الزلزال الكبير الذي ضرب مدينة دمشق[7]، فارتفعت الأسعار كثيراً في المدينة. واستقرت الأسعار نسبياً في خلافة الحاكم بأمر الله، واستؤنف النشاط الاقتصادي بدرجة كبيرة، ثم عادت أوضاع بلاد الشام إلى التردّي سنة

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص42.

(2) ابن القلانسي ص49.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص132، يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام ص21–22.

(4) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص273، يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام ص22.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص32.

(6) يحيى بن سعيد: التاريخ المجموع ص168، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص68–69، ابن الاثير: الكامل جـ7، ص55، عارف تامر: العزيز بالله ص13.

(7) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص273، 275، يوسف غوانمة: الزلازل في بلاد الشام ص22.

(415هـ/1024م) ونشبت الحروب بين القبائل العربية والجيوش الفاطمية فتوقفت أعمال الزراعة والتجارة وتعرض أهل دمشق للغلاء والوباء الذي مات بسببه الألوف من الناس[1]. وفي سنة 423 هـ/1031م تعرضت دمشق للجفاف بسبب توقف سقوط الأمطار، واستسقى الناس فلم يُسقوا، وعمَّ الغلاء وانتشر الوباء بسبب الجوع[2]، ثم تكررت هذه الظاهرة مرة أخرى سنة (441 هـ/1049م)، وسنة (448 هـ/1056م) حيث عمَّ الوباء والغلاء دمشق وأكثر البلاد حتى أكل الناس الميتة من شدة الجوع، وارتفعت الأسعار فوصل سعر السفرجلة الواحدة أو الخيارة الواحدة ديناراً، كما بلغت قيمة الرمانة الواحدة ديناراً أيضاً[3]. كما حدث سنة (459هـ/1066م) غلاء شديد ترك آثاراً سيئة على أهل دمشق[4]، لأن ارتفاع أسعار الحاجيات كان يؤدي إلى حرمان العامّة والفقراء من الحصول عليها، وكثيراً ما كانوا يعجزون من الحصول على المواد الأساسية كالغذاء والملابس. وفي سنة 461 هـ/1068 م تعرض أهل دمشق للظلم بسبب أعمال المصادرة التي قام بها معلى بن حيدرة بن منزو، وساءت أحوال الناس فهجر، الفلاحون مزارعهم في الغوطة وارتفعت أسعار الحاجيات ارتفاعاً كبيراً خاصة أسعار الطعام الذي تعرض للنقص بدرجة كبيرة نتيجة خراب المزارع وأعمال الحرق والتدمير في البلاد[5].

وفي الفترة ما بين 463–468 هـ/1070– 1075م تعرضت دمشق لأسوأ حالة في تاريخها قبل ذلك نتيجة حصار التركمان، فقد جمع آتسز بن أوق مقدّم الأتراك بالشام وأحد قادة السلاجقة جيشاً فتح به مدينتي الرملة وبيت المقدس، ثم اتجه بعدها لحصار مدينة دمشق، واستعصت عليه المدينة، فأخذ يغير على مزارعها وعلى القرى التابعة لها، فأفسد أحوال المزارع والأرياف وحرم الناس إنتاج أرضهم ومزارعهم[6].

وحتى يفرض الاستسلام على أهل المدينة فرض عليها حصاراً لعدة أشهر وقطع الاتصال بينها

---

(1) المسبحي: أخبار مصر ص193.

(2) ابن الأثير: الكامل جـ8، ص3، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195.

(3) انظر سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص191.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص95، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195.

(5) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص161 –162، ابن الجوزي: المنتظم جـ8، ص241–257، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص185، ابن كثير: البداية والنهاية جـ12 ص97.

(6) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص166–167، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ8، ص110، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص152، 157، المقريزي: المقفى الكبير جـ2، ص221.

وبين البلاد الأخرى، فتعرضت المدينة لصعوبات كثيرة، ولما رأى تصميم المدينة على الصمود لجأ إلى الإغارة عليها وعلى مزارع الغوطة حولها بين الحين والآخر، فكان يترك أهلها يزرعون، ثم يعود قبيل موسم الحصاد أو قطف الثمار، فيرعى زرعها، ويأخذ ناتجها، ويعيث بمزارعها تخريباً، واستمر على هذه الحال ثلاث سنوات[1]. وزاد الأمر سوءاً بسبب تعرضها خلال هذه الفترة لأخطار الجراد الذي كان إذا مرَّ بمزرعة أكل الأخضر واليابس فأزال كل شيء[2]، مما دفع بأهل المدينة إلى التسليم بالأمان سنة 468 هـ/1075م[3].

ونتج عن هذه الظروف ارتفاع الأسعار فبلغ سعر غرارة القمح أكثر من عشرين ديناراً، ونقصت الأطعمة حتى اضطر الناس إلى أكل الميتات من الجوع[4]، وبلغ الحال أن امرأة دمشقية كانت تملك دارين كان سعر الواحدة منهن ما بين (300–400) ديناراً، فلما حدثت المجاعة باعت إحدى هاتين الدارين بـ 14 قيراطاً لتشتري بها سنوراً لتأكله[5].

لهذا كانت أسعار الحاجيات في دمشق تتأثر بعوامل كثيرة منها كثرة الإنتاج أو قلته، وكثرة العرض والطلب، كما كانت تتأثر بالأحوال السياسية والعسكرية التي تتعرض لها المدينة[6]، وبالأحوال الاجتماعية فيها، فتأتي الأسعار انعكاساً للحياة السياسية والاجتماعية في المدينة.

وفيما يلي مقارنة بين أسعار الحاجيات في فترتين: الأولى أواخر الفترة الفاطمية حتى سقوط دمشق بيد التركمان، والثانية ما بعد سقوط المدينة بيد التركمان سنة 468 هـ/1075م، ويتبين منها الفارق في الأسعار في أواخر الحكم الفاطمي للمدينة[7].

---

(1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص167، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص315، المقفى الكبير جـ2، ص221.

(2) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174–175، ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص112، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص195.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص174، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ8، ص122، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ12، ص315، المقفى الكبير جـ2، ص222.

(4) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ 12، ص179، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص192، المقريزي: المقفى الكبيرجـ2، ص222.

(5) انظر سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص185–186.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص175، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص274.

(7) انظر سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص179، 185، المقريزي: المقفى الكبيرجـ2، ص222.

المادة	السعر السابق	السعر بعد قدوم التركمان
1- كارة الطعام	-	80 ديناراً مغربياً
2- الغرارة	أقل من 20 ديناراً بكثير	200 دينار (3000 درهم)
3- الفضة	كل 13 درهماً بدينار	كل 50 درهماً بدينار
4- المنازل (بيت)	3000 دينار	10 دنانير
5- ا لدكاكين	الواحد بـ 1000 دينار	دينار واحد
6- منـزل آخر	(300-400) دينار	14 قيراطاً
7- السنور	-	14 قيراطاً وهو يعادل سعر أحد البيوت

الملابس

كانت ملابس الشخص تعكس مستواه الاقتصادي ومقدار دخله وإمكاناته المادية، واختلفت الملابس من فئة إلى أخرى، فكانت ملابس العسكريين تختلف عن ملابس المدنيين، وملابس الأمراء تختلف عن ملابس العامة، كما تختلف ملابس الأغنياء عن ملابس الفقراء، وتختلف عن ملابس العلماء والقضاة، وقد تختلف الملابس حسب المهن التي كان يمارسها الأشخاص[1].

اهتمَّ الدماشقة بمظهرهم اهتماماً كبيراً واعتنوا، بألبستهم من حيث جودة خياطتها، وإتقان صبغها بالألوان وكان الناس يرتادون الأسواق رجالاً ونساءً لشراء الملابس، مما دفع منتجي الملابس إلى التنافس من أجل إخراج أجود أنواعها، مما جعل مصانع دمشق تنتج أجودَ الثياب وأنفسَها، واعتبرها الإدريسي أجود الثياب في العالم[2].

اتسمت ملابس المترفين من الناس في العصر الفاطمي بالفخامة، وكانت تتكون من سروال فضفاض وقميص ودراعة[3]، بالإضافة إلى سترة وعباءة وقلنسوة[4].

ولبس رجال الدولة الفاطمية وموظفوها في دمشق الملابس الرسمية، فقد كانت الدولة الفاطمية

---

(1) انظر الجاحظ: البيان والتبيين جـ3، ص78، صبيحة رشدي: الملابس العربية ص18، سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص190.

(2) انظر الإدريسي: نزهة المشتاق جـ4، ص369، إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ص167–168.

(3) الدراعة: ثوب أو جبّة مشوقة من الأمام (انظر ابن منظور: لسان العرب جـ8، ص82، صبيحة رشدي: الملابس العربية ص63).

(4) انظر سيد أمير علي: تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ص389، صبيحة رشدي: الملابس العربية ص33، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام ص166.

تصرف لموظفيها في جميع الولايات الملابس الرسمية[1]، وكانت لديها خزانة خاصة بهذه الملابس عُرفت بخزانة الكسوة توزع الملابس على أصحاب الوظائف في الصيف وفي الشتاء أو في المناسبات والأعياد[2].

وتكونت ملابس الأمراء والقادة من الثياب المصنوعة من القماش المزركش (دبيقي)[3]، وكانوا يلبسون على رؤوسهم عمائم من القماش المطرز بالذهب[4].

وصُمِّمت ملابس الجيش بحيث تناسبهم وتتفق مع طبيعة عملهم بحيث تسهل عليهم الحركة والقيام بالأعمال العسكرية، فكانوا يلبسون ثياباً من الديباج المذهب، ويشدّون أوساطهم بالأحزمة، وتكون أكمام ملابسهم واسعة، وقد يحيطون سيقانهم بشرائط من القماش أحياناً[5]، وكثيراً ما كانوا يلبسون الثياب السوداء في مهماتهم العسكرية[6].

وكان للقضاة ملابس خاصة بهم تميزهم على غيرهم من الناس وهي مكونة من عدة قطع أهمها العمائم والطيلسان[7]، فكانت العمائم مظهراً اجتماعياً مميزاً في العصر الفاطمي، لهذا تميزت عمامة القاضي بكبر حجمها تكريماً له على سائر الموظفين، ولبسوا على أجسامهم الطيلسان وهو الزي الرسمي لقضاة الدولة الفاطمية، وكانت عمامة القاضي من اللون الأخضر وهو شعار الدولة الفاطمية[8]. وتكونت ملابس المحتسب في العصر الفاطمي من جبّة وعمامة مذهّبة[9]، أما خطباء

---

(1) المقريزي: الخطط جـ1، ص409، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص270-288، الأمين عوض الله: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ص101.

(2) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص128-130، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص545-546، عطية مشرفة: نظم الحكم ص83.

(3) المقريزي: الخطط جـ1، ص409، 440، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص58.

(4) انظر المقريزي: خطط جـ1، ص440، الأمين عوض الله: الحياة الاجتماعية ص103.

(5) انظر صبح الأعشى جـ3، ص507، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص59.

(6) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص76، عبد المنعم ماجد: المجتمع المصري ص270، 288.

(7) الطيلسان ثوب يحيط بالعمامة (انظر صلاح العبيدي: الملابس العربية ص269، الأمين عوض الله: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ص104).

(8) الصابي: رسوم دار الخلافة ص91، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص71، جـ3، ص56، الخطط جـ1، ص440، ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر ص207، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص58، أحمد شلبي: تاريخ التربية ص233، صلاح العبيدي: الملابس العربية ص115- 269، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص61-62.

(9) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص31.

المساجد فكان لباسهم الجبّة والبردة والطيلسان[1].

وكان لباس الشعراء يتكون من الوشي والمقطعات وهي الجباب والقمصان والسراويل، كما كانوا يلبسون الأردية السوداء[2]، والعمائم على رؤوسهم[3].

ولبس التجّار الثياب الواسعة والعمائم المدوّرة، أما أصحاب الحِرف والصناعات فكانوا يلبسون على رؤوسهم القلانس المصنوعة من الحرير أو الكتان، وقد يلبسون العمائم، أما على أجسامهم فكانوا يلبسون السراويل والقمصان التي تتصف بسعة أكمامها[4] لتساعدهم على سهولة الحركة في تأدية أعمالهم.

وكانت ملابس العامّة تشتمل على القمصان والطيالسة إضافة إلى العمائم والمآزر[5]، وتميزت ملابس الفقراء بالخشونة والغلظة خلافاً لملابس المترفين من الناس. وخُصِّص لفصل الشتاء ملابس تناسبه تكونت من المطر وهو لباس من القماش المشمع، والمطرف الذي كان يُصنع من الخز[6]، أما لباس القدم الذي كان منتشراً في العصر الفاطمي فهو الحذاء أو النعل[7].

أما ملابس النساء فتكونت من العصائب الرقيقة وهي لباس الرأس، والسروال والغلالة وهي من المنسوجات الرقيقة وتُلبس تحت الثياب، كما تلبس المرأة قميصاً مشقوقاً عند الرقبة، وفوق ثيابها كانت تلبس ملاءة واسعة فضفاضة تخفي كلَّ جسدها[8].

---

(1) المقريزي: خطط جـ1، ص441، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص62.

(2) انظر الجاحظ: البيان والتبيين جـ3، ص78، ابن سيده: المخصص مجلد 1، جـ4، ص83-84، صلاح العبيدي: الملابس العربية ص256، صبيحة رشدي: الملابس العربية ص31، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية ص72.

(3) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص312.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183، ابن سيده: المخصص مجلد1، جـ4، ص77، المقريزي: الخطط جـ1، ص464، إغاثة الأمة في كشف الغمة ص26.

(5) الإصطخري: المسالك والممالك ص91، ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص63، صلاح العبيدي: الملابس العربية ص104، أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية ص72.

(6) انظر البلاذري: أنساب الأشراف جـ2، ص168، المقدسي: أحسن التقاسيم ص182، التنوخي: الفرج بعد الشدة جـ4، ص292، عمر كحالة: دراسات اجتماعية ص169.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ1، ص214.

(8) الشيزري: نهاية الرتبة ص108، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص283، صلاح العبيدي: الملابس العربية ص200، 299، صبيحة رشدي: الملابس العربية ص49.

وكانت بعض النساء تلبس النقاب (الخمار) الذي يخفي وجهها أثناء خروجها من البيت[1]، كما تعودت المرأة على التزين بالحلي من أساور في الأيدي وخلاخل في الأرجل.

واختلفت ملابس أهل الذمة عن ملابس المسلمين في أشكالها وألوانها، فكان اللون الأصفر لليهود، واللون الأزرق للنصارى، وألزمهم الحاكم بأمر الله بشدّ الزنّار في أوساطهم، وتشدّه المرأة فوق إزارها[2].

كانت المرأة الذّمية تلبس خفين بلونين مختلفين أحدهما أبيض والآخر أسود[3]، وأمر الحاكم بأمر الله النصارى أن يلبسوا العمائم السود والطيالسة السود، وأن يُعلّقوا في أعناقهم صلباناً من الخشب[4] وذلك لتمييزهم عن المسلمين.

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق/ تراجم النساء ص505، ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ4، ص59، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ1، ص545.

(2) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص108، القلقشندي: صبح الأعشى جـ13، ص364.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى جـ13، ص364، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص110.

(4) المقريزي اتعاظ الحنفا جـ2، ص93–94، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري ص110.

الطعام

كان أهل الشام يهتمون بطعامهم، فكانت مطابخهم غنية بأنواع الأطعمة وطرق تحضيرها، وكانوا يتناولون طعامهم على ثلاث وجبات في اليوم. تبدأ أولها في الصباح وهي وجبة الإفطار وتتكون في الغالب من الحليب الممزوج بالعسل أو الحليب والسكر أو من الجبن الأبيض حيث كان يتم تقطيعه قطعاً صغيرة ويطلق عليه اسم القريشاء (القبرنيس)[1].

وعند الظهر كان يُقدَّم طعام الغداء وهو وجبة رئيسية تتكون من اللحم والخبز واللبن، حيث يُفتُّ الخبز ويُبلّ المرق، ويوضع فوقه اللحم، أو يطبخ اللحم بالماء والملح، وقد يُطبخ مع بعض الخضراوات[2]، وقد تتكون الوجبة من الخبز والسمن أو الرز والسمك[3]، وكان هذا طعام الأغنياء وميسوري الحال، أما طعام العامّة والفقراء من الناس، فكان يتكون من المضيرة أو الكشكية[4]، فالمضيرة مرقة تطبخ باللبن الحامض تشبه الشاكرية اليوم، والكشكية طعام يتكون من جريش القمح مع اللبن ويُترك ليجف في الشمس، ويُعمل منه حساء، وقد يُطبخ باللحم أو الزيت[5].

وكان أهل دمشق يصنعون العجّة، وهي دقيق يُعجن بالسمن والبيض ثم يُشوى على النار، كما عرفت دمشق أنواعاً أخرى من الطعام في العصر الفاطمي منها الفول المنبوت بالزيت، ومنها

---

(1) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص159، فريال بدوي: الحياة الاجتماعية ص75.

(2) الجاحظ: البخلاء ص206، ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ2، ص271، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص56.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص56.

(4) انظر الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص360، ياقوت: معجم الأدباء جـ1، ص246، ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ6، ص291.

(5) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ6، ص691، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص159.

الترمس فكانوا يكثرون أكله، كما كانوا يصنعون من الخروب ناطفاً يسمونه (القبيط) [1]، ويُسمون ما يتخذونه من السكر ناطفاً أيضاً، ويصنعون الزلابية في الشتاء من العجين والزيت [2].

ومن أنواع الأطعمة التي كانت معروفة أيضاً اللبن والسمن والرطب والسمك والقديد الجاف [3]، كما كان البيض يُسلَق بالخل ويوضع عليه السماق وحبُّ الرمان والملح [4]، واستُخدمت المخللات من الخيار والقثاء لفتح الشهية [5]، وما تزال هذه الأنواع تُستخدم إلى اليوم.

ووُجدت أنواع من الأطعمة الخاصة بأوقات أو مواسم معينة، فكان أهل دمشق يعدُّون للشتاء أنواعاً من الزيوت والدهون والحبوب ولحم القديد والمعسولات [6]، والأقراص المعجونة باللبن والسكر والدقيق والسميد [7]، والكعك المسمّن والفواكه اليابسة، وأخرى خاصة بالصيف كالفواكه الرطبة والتين، وكانوا يتناولون بعد الطعام التفاح والسفرجل والرمان [8].

وكانت لهم أطعمة شعبية تُقَدَّمُ في المناسبات كالوشيقة وهي طعام يتكون من اللحم المطبوخ، والبسيسة وهي السمن أو الزيت مع الدقيق والسكر، والربيكة وهي طعام من القمح والتمر حيث يُعجن بالسمن ويُصب عليه الماء ويُشرب شُرباً [9].

وأحبَّ الشاميون تناول أنواع متعددة من الحلويات كالهريسة وتُصنع من الحنطة المقشورة المدقوقة مع السكر [10]، والقطايف وهي خبز مستطيل يوضع فيه اللوز أو الفستق المدقوق مع السكر،

---

(1) ابن سيده: المخصص مجلد 1، جـ5، ص20.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم ص183-184.

(3) ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ2، ص271، أبو البقاء: نزهة الأنام ص372.

(4) انظر الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص360، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص247.

(5) محمد بن الحسن البغدادي: كتاب الطبيخ ص65-66، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص158.

(6) أبو البقاء: نزهة الأنام ص372.

(7) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص360، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص246، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص158.

(8) انظر المسعودي: مروج الذهب جـ3، ص24، الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص360، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص247.

(9) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ6، ص290-291، ابن سيده: المخصص مجلد 1، جـ4، ص144.

(10) ابن قتيبة: أدب الكاتب ص143، البغدادي: كتاب الطبيخ ص52.

والفطائر وهي عجين يُعمل رقيقاً، ثم يُقلى بالزيت على شكل أقراص ويُذر عليه السكر[1].

وهناك أطعمة المناسبات التي عُرفت في دمشق وأكثر البلاد الإسلامية فكانت الوليمة طعام العرس، والنقيعة طعام الرجوع من السفر، والعقيقة طعام سابع الولادة، والأعذار وهو طعام الختان، والخرس طعام الولادة، والمأدبة وهي طعام الدعوة[2]، والسويق وهو طعام المسافر والحزين والنفساء[3].

---

(1) البغدادي: كتاب الطبيخ ص79-81.

(2) انظر الجاحظ: البخلاء ص190-191، ابن قتيبة: أدب الكاتب ص136، ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ6، ص292، ابن طولون: فص الخواتم فيما قيل في الولائم ص39 ، 50، 63، 77.

(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ6، ص293.

المناسبات والأعياد

اهتمَّ الفاطميون اهتماماً كبيراً بالمناسبات والأعياد، وكانوا يقدِّمون فيها الهدايا والخلع، ويُنعمون بالجوائز على ولاتهم وموظَّفيهم، خصوصاً مَنْ أحسّوا منه الإخلاص والولاء لدولتهم، ومَنْ كان يعمل على الدعاية للمذهب الإسماعيلي، ويُروِّجون لذلك بإقامة الولائم الفخمة في القصور والمساجد حيث تُقدَّم فيها الأطعمة وأصناف الحلوى، ويُدعى لها القضاة وكبار الموظفين والقادة، ويُنفقون عليها الأموال الطائلة، ويلبسون في هذه المناسبات أفخر الألبسة[1].

وكان للفاطميين طريقة في الاحتفال، ففي مصر كان يتمُّ الاحتفال بحضور الخليفة الفاطمي ومعه موكب يتكون من حاشيته ورجال البلاط وطوائف الجيش، فيطوفون في شوارع العاصمة[2]، ترافقهم جماعات دَقِّ الطبول والصفافير وجماعات المبخرين[3]، لإبراز هيبة السلطة ونفوذها في البلاد ثم يعودون إلى مكان الاحتفال في القصر أو في المسجد إن كانت مناسبةً دينيةً.

وتعوّد الناس المشاركة بهذه الاحتفالات[4]، فكانوا يقومون بتحضير كميات كبيرة من الكعك والحلوى، وتُعبأ في صوانٍ نحاسية ثم تُوزَّع على الفقراء[5].

---

(1) ابن الصيرفي: قانون ديوان الرسائل ص43، 0 6، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص576، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2. ص17- 27- 160-161- 168. حسن إبراهيم. المعز لدين الله ص285. محمد سرور: الدولة الفاطمية ص167.

(2) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص148-152، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص572-577، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص46-47.

(3) المقريزي: خطط جـ1، ص447، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص48.

(4) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص20،27، فريال بدوي: الحياة الاجتماعية ص361.

(5) انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين ص144-145، 213 وما بعدها، أحمد شلبي: تاريخ التربية ص359.

وكان ولاة دمشق يقومون بالاحتفال في ولايتهم على الأسلوب نفسه الذي يحدث في القاهرة. وكانت أهم الأعياد التي يحتفل بها أهل دمشق في العصر الفاطمي:

1 – عيد رأس السنة الهجرية: وهي من الأعياد الدينية، حيث تعوّد أهل دمشق الاحتفال بهذه المناسبة، فكان بعضهم يذهب إلى قصر الوالي للتهنئة بالعام الجديد، وتعوّد الفاطميون أن يضربوا نقوداً تذكارية في بداية كل عام تُسمى (الغرة) وهي دنانير رباعية، ودراهم خفاف مدورة يوزعونها على كبار رجال الدولة، وتُرسل إلى البلاد والولايات فيصل قسم من هذه النقود إلى دمشق[1].

2 – عيدي الفطر والأضحى: وهي أعياد يحتفل بها جميع المسلمين، وكان للفاطميين مظاهر خاصة للاحتفال بهذين العيدين، حيث تخرج مواكب الأمراء والقادة إلى المسجد لأداء الصلاة، ويطوفون شوارع المدينة، كما يقيمون المآدب ويوزعون الحلوى على الناس[2]، وفي عيد الأضحى ينحرون الذبائح ويوزعون لحومها على المحتاجين[3].

وفي الفترة الفاطمية كان يُضاف لهذين العيدين احتفالات أخرى أهمها الاحتفال ببداية رمضان حيث يُقدمون فيه الحلوى[4] ابتهاجاً بمقدم الشهر، ويوزعونها على أفراد المجتمع، وكان الخليفة يأمر بإقامة هذه الاحتفالات في ولايات الدولة[5]، فيقيمها أهل دمشق، وأهل الولايات الأخرى.

3 – عيد المولد النبوي: وكان الفاطميون أول من احتفل به في القرن 4 هـ/10م[6]. وكعادة الفاطميين في الاحتفال كانت تُقَدَّمُ الجوائز والهدايا والأطعمة خاصة من الكعك والحلوى، وكان بعض الفاطميين يحتفل بموالد الأجداد ومنها مولد علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة الزهراء ومولد

---

(1) انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين ص167، 145–153، ابن منجب: قانون ديوان الرسائل ص33 المقدمة، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص577–581 فريال بدوي: الحياة الاجتماعية ص360، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص95.

(2) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص177–183، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص585–588، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص94–95، الأمين عوض الله: الحياة الاجتماعية ص44-46.

(3) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص184–185، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص589، الأمين عوض الله: الحياة الاجتماعية ص46.

(4) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص171، القلقشندي: صبح الأعشى جـ3، ص583.

(5) ابن الطوير: نزهة المقلتين ص171.

(6) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ7، ص575، ابن إياس: بدائع الزهور جـ3، ص112، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ2، ص250، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص122.

كل من الحسن والحسين والخليفة القائم[1].

4 – عيد الغدير: فكان الشيعة يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أعلن أن علياً عنده بمنزلة هارون من موسى، وذلك عندما قال: (من كنتُ مولاه فَعَلِيٌّ مولاه) عندما نزل المسلمون في غدير خم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصادف هذه المناسبة في الثامن والعشرين من ذي الحجة عقب حجة الوداع، فجرت عادة الفاطميين على الاحتفال بهذه المناسبة، فاحتفلوا بها لأول مرة سنة 362 هـ/ 972 م. وكانوا يَعُدُّونهامن أسعد الأعياد حيث كانوا يلبسون فيها كل جديد، ويكثرون من أعمال الخير ونحر الذبائح[2].

5 – يوم عاشوراء وهو العاشر من محرم، وكان العرب يجلُّونه منذ القديم، ولما كان الحسين بن علي قد قُتل بالتاريخ نفسه من سنة 61 هـ/ 682 م عَدَّ الفاطميون هذه المناسبة من أعيادهم الحزينة، فتتعطل فيه الأسواق ويجتمع الشعراء لينشدوا الرثاء في أهل البيت[3]، فيقدم لهم الفاطميون الهدايا والجوائز.

6 – احتفل الفاطميون أيضاً بعيد الغطاس وهو من أعياد النصارى وشاركهم المسلمون في الاحتفال به، فكانت توقد فيه المشاعل والشموع، وتُقدَّم فيه المأكولات والمشروبات[4].

وكان النصارى في هذه الفترة يحتفلون بعيد الفصح وقت النيروز، والنيروز من المواسم القديمة التي اتّخذها الفرس لإحياء العام الجديد وموسمه مع ابتداء فصل الربيع، ثم نقله المسلمون إليهم، وصاروا يدفعون فيه الهدايا إلى السلطان[5]، كما كان يصنع الفُرس.

ومن المناسبات التي كان يُحْتَفَلُ بها أيام الفاطميين العنصرة وهو موسم الحر، والميلاد وهو موسم البرد، وعيد بربارة وقت الأمطار، وعيد الصليب وقت قطاف العنب، وعيد لد وهو موسم الزراعة[6].

---

(1) انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين ص217، المقريزي: خطط جـ1، ص433.

(2) المقريزي: خطط جـ1، ص389، أحمد شلبي: تاريخ التربية ص357–358.

(3) انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين ص223–224، الأمين عوض الله: الحياة الاجتماعية ص25–26، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص123.

(4) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص17، خطط جـ1، ص265–266، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين جـ2، ص134.

(5) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص182، فريال بدوي: الحياة الاجتماعية ص388.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم ص182–183.

الفصل الخامس

الحياة الثقافية

1 ـ **لمحة موجزة عن الحياة الثقافية في العهد الإخشيدي.**

2 ـ **التعليم في العصر الفاطمي.**

3 ـ **المدرسون.**

4 ـ **العلوم الدينية:**

1 – القراءات.

2 – الحديث.

3 – الفقه والنحو.

4 – التصوف.

5 ـ **الآداب والعلوم:**

1 – الشعر.

2 – التاريخ.

3 – الطب والعلوم الأخرى.

لمحة موجزة عن
الحياة الثقافية في العهد الإخشيدي

كان هدف التربية العربية الإسلامية سواء أكان في الشام أم في غيرها من البلاد الإسلامية نشر الدين الإسلامي وتعليم الجماعة أحكام دينها، لهذا ركّز التعليم أول الأمر على دراسة الأمور الدينية كالقرآن والحديث وما يرتبط بهما[1].

ارتبط التعليم بالمسجد ارتباطاً وثيقاً منذ العصور الإسلامية الأولى، فكان المسجدُ المؤسسةَ التربويةَ النشيطة التي تستقبل الطلاّب والمعلمين، وكان مسجد دمشق أحد هذه المساجد التي مارس فيها المسلمون التربية والتعليم فكان مكاناً لاجتماع الطلاب إلى أساتذتهم لتلقي العلم عنهم[2].

وزاد اهتمام أهل الشام بالتربية والتعليم في العهد الإخشيدي لما اشتهر به أمراء الإخشيديين من تشجيع للعلم وتقريب لطوائف العلماء[3] ورعايتهم، فكانت طوائف العلماء تلتقي في مجالس الأمراء وعلية القوم[4]، وتسابق ولاة الإخشيديين على إكرام العلماء والأدباء وتقديم الجوائز لهم لدعمهم وتشجيعهم، فتطورت الحركة العلمية في دمشق تطوراً كبيراً باعتبارها من أهم ولايات الدولة الإخشيدية.

كان الأطفال يتعلمون أولاً في الكُتّاب لأن المساجد لم تكن تفتح أبوابها لهم مراعاة للطهارة والهدوء[5].

---

(1) ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري/المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية/مؤسسة آل البيت، عمّان 1989م، جـ1، ص107-108.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ5، ص242، ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية في الشام جـ1، ص109.

(3) ابن سعيد: المغرب ص16، 35، 47، خطاب عطية علي: التعليم في مصر ص42-43.

(4) الكندي: الولاة والقضاة ص569، سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ص303.

(5) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص346. ملكة أبيض: مؤسسات التربية ص140-141.

والكُتّاب هو المرحلة الابتدائية التي يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة والقرآن الكريم تحت إشراف المعلمين[1].

ومن معلمي الكتاتيب في دمشق في العصر الإخشيدي أبو شعيب عبد الرحمن بن محمد المكتب[2] وأبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي[3]، وعبد الرحمن المكتب[4]. وكانت هذه الكتاتيب تُعِدُّ الطفل إعداداً أوّلياً وتعلّمه القرآن لينتقل بعدها إلى الدراسة في المسجد، فكان العلماء والمُحَدِّثون في الجامع الأموي بدمشق يسمحون لمن تعلم القرآن الكريم في الكُتّاب أن يدخل المسجد لينضم إلى حلقة من حلقات الشيوخ التي كانت كثيرة في المسجد الجامع[5] ومن أشهر هذه الحلقات كانت حلقة أحمد بن سليمان ابن حذلم المتوفى سنة (347هـ/959م)[6].

وكان بعض العلماء يعقدون مجالس العلم في منازلهم في مدينة دمشق، فكان أبو عبد الله محمد ابن يوسف الهروي (ت 330 هـ/941م) يُحدِّث في منزله بسوق النحّاسين في الدار المعروفة بدار بني عوف[7]، كما كان للقاضي أحمد بن سليمان بن حذلم مجلس يوم الجمعة يجلس فيه في داره إضافة إلى حلقته التي كانت في جامع دمشق[8].

أدّى الاهتمام بشؤون التعليم في الفترة الإخشيدية إلى ظهور عدد من العلماء والأدباء في مجالات واختصاصات متعددة، فظهر الفقهاء والمحدّثون والقرّاء، وكان جامع دمشق مركزاً يلتقي فيه العلماء والتلاميذ فيتدارسون ويُملون العلوم، فكان الجامعة التي يتخرج منها أهل العلم والمعرفة.

انتشرت حركة التصوف من مصر إلى بلاد الشام عن طريق ذي النون المصري وأصحابه

---

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ9، ص37، 465، ملكة أبيض: مؤسسات التربية ص141، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين ص51-52.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ8، ص212، ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية ص143.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص456، ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية ص143.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص278، جـ13، ص390، ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية ص143.

(5) انظر السبكي: طبقات الشافعية الكبرىجـ4، ص29، ابن جبير: الرحلة ص 26،
George Makdisi: instituations, of learning in Islam and the west, p20

(6) ابن عساكر. تاريخ دمشق جـ2، ص140، ملكة أبيض: مؤسسات التربية ص 124.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص141-142، ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية ص147.

(8) ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية ص147.

فظهر في الشام طاهر المقدسي الذي كان من كبار المتصوفين[1].

أما الآداب فقد تطورت في الفترة الإخشيدية؛ إذ شهدت بلاد الشام نشاطاً أدبياً واسعاً خاصة في الشعر الذي صار فيه شعراء الشام أساتذة لغيرهم من الشعراء[2]. ومن علماء الفترة الإخشيدية أبو الحسن أحمد بن عمير بن يوسف بن جوصا الدمشقي (ت320هـ/931م)[3]، ودرس عليه عدد من علماء دمشق الذين برزوا في الفترة التالية[4]، منهم أبو الدحداح أحمد بن محمد بن إسماعيل التميمي (ت 328هـ/939م)[5]، ومحمد بن هشام النميري (ت 328هـ/939م)[6] و أبو الحسن محمد بن النضر الأخرم الربعي الدمشقي (ت 341 هـ/952م)[7]، والأديب عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر البجلي الدمشقي (ت 347هـ/958م)[8] وأبو الحسين محمد بن عبد الله الرازي (ت 348هـ/959م)[9]، والمقرئ المحدّث علي بن يعقوب بن أبي العقب الدمشقي (ت 353 هـ/964م)[10]، وأبو العباس محمد بن موسى السمسار (ت 363هـ/973م)[11] والمؤدب أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد بن إسماعيل السلمي (ت 364هـ/974م)، وكان من كبار علماء القراءة والحديث، تنقل في طلب العلم، فزار الحجاز ومصر وسمع من ثقات العلماء، ثم صار أستاذاً في جامع دمشق فحدّث عنه تمام بن محمد الرازي وعبد الوهاب الميداني وغيرهما، وصنّف عدّة كتب في القراءة والحديث[12].

---

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام جـ1، ص176.

(2) انظر الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص8-9، الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر جـ3، ص5، أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي ص389.

(3) السيوطي: طبقات الحفاظ ص334-335.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص1-2 (تراجم عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب) ص220-221، ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص177، الذهبي: سير جـ16، ص557-558، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص377.

(5) الذهبي: العبر جـ2، ص211.

(6) ن، م. جـ2، ص213.

(7) الذهبي: العبر جـ2، ص257، السيوطي: طبقات المفسرين ص102-103.

(8) الذهبي: العبر جـ2، ص276.

(9) السيوطي: طبقات المفسرين ص367.

(10) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 -380هـ) ص92، العبر جـ2، ص298.

(11) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 -380 هـ) ص 314، السيوطي: طبقات المفسرين ص391.

(12) الذهبي: سير جـ16، ص152-153، تاريخ الإسلام (وفيات 351 – 380هـ) ص325، العبر جـ2، ص118.

وكثر المشتغلون بالفقه في العصر الإخشيدي بمدينة دمشق، وقدّموا خدمات جُلّى في مجال الفقه من فتاوى وشروح وأحكام، وكان من بين فقهاء دمشق آنذاك أبو علي الحسن بن حبيب الدمشقي الحضائري (ت 338 هـ/ 949 م) [1]، وأبو سعيد أحمد بن عثمان البغدادي المعروف بابن البقال، وقد حدّث بدمشق سنة (362هـ/972م) [2]، كما كان أيضاً عبد ا لله بن محمد بن عبد ا لله بن الناصح بن شجاع الدمشقي (ت 365 هـ/975 م) من فقهاء دمشق في العهد الإخشيدي[3].

لقد كانت الحركة الثقافية نشيطة في دمشق في العهد الإخشيدي، فَكَثُرَ الشعراء والأدباء، وتطوّرت الدراسات العلمية والأدبية، وكان جامع بني أمية مركز النشاط الثقافي، فكان يتخرج منه العلماء في مختلف التخصصات والفنون وفي طليعتها علوم الدين الإسلامي من الفقه والحديث والإقراء إضافة إلى علماء اللغة والأدب.

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص341.

(2) الذهبي: العبر جـ2، ص247.

(3) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ4، ص300، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص9-10، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص287-288.

التعليم في العصر الفاطمي

كان التعليم في العصر الفاطمي يمرُّ في مرحلتين هما: الكُتّاب وتتم في الكتاتيب، وطلب العلم الذي قد يتم في الحلقة أو المدرسة أو الزاوية.

1- الكُتّاب:

هي أول مراحل التعليم، وكانت تسمى الكُتّاب أو المكتَب[1]، والمعلّم الذي يدرّس فيها (المكتّب) أو (المؤدّب)[2].

أُقيمت بعض الكتاتيب إلى جوار المساجد، وبعضها الآخر كان مفصولاً عنها، وفي الحالتين كان يراعى أن يكون طلاّب الكتاتيب بعيدين عن المصلّين تفادياً للإزعاج وما قد يسببه الأطفال لرواد المسجد[3].

بدأ إنشاء الكتاتيب منذ العصر الأموي[4]، واستمرت تقوم بدورها في العصور التالية، وكان

---

(1) انظر القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ص293، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ9، ص37، 465، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين ص51، محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام ص66.
George Makdisi: The Rise of Colleges, Institutions of Learing. In Islam and The West, P19.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ9، ص166، 180، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم ص52، خليل طوطح: التعليم عند العرب ص48، عبد المنعم ماجد: التعليم عند الفاطميين/ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية جـ4، ص45-46. George Makdisi: The Rise Of. Colleges, P19.

(3) الشيزري: نهاية الرتبة ص103، القرشي: معالم القربة ص170، أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ص57، محمد أسعد طلس: التربية والتعليم ص77.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص50، الذهبي: تاريخ الإسلام جـ3، ص216، خليل الزرو: الحياة العلمية في بلاد الشام ص20-21.

الغرض الأساسي من الكُتّاب هو تعليم الصبيان القرآن الكريم وما يتصل به من علوم اللغة والأدب، فيتعلم القراءة والكتابة والنحو والحساب[1].

لم يكن هناك سن معينة يبدأ عندها الأطفال دخول الكتاتيب وتلقي العلم، وكان الأمر متروكاً لتقدير آبائهم، فإذا وجدوا الطفل بدأ بالتمييز والإدراك دفعوا به إلى الكُتّاب لذلك كان يُرسَل الطفل إليها فيما بين (5– 7) سنوات[2].

ويبقى الصبي مع المعلّم في الكُتّاب لفترة غير محددة، لكن في الغالب كانت تستمر حتى يتم حفظ القرآن الكريم أو جزءٍ منه، وعلى الأغلب فإن الطفل الذي يريد حفظ القرآن كلّه كان يستمر مع معلم الكُتّاب حتى سن العاشرة. وقد يبقى بعضهم حتى سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة، فإذا أتم هذه المرحلة قدّم امتحاناً في الكتابة وفيما حفظ من القرآن الكريم، ومَنْ يكملون حفظ القرآن كان امتحانهم يُسمّى (الختمة) ثم يُمنح إجازة الكُتّاب[3]، وتنتهي دراسته في الكُتّاب.

كان الكبراء وأعيان الناس يُعيِّنون معلّمين خصوصيين لأولادهم، وينتقونهم من كبار الأدباء والعلماء، وأُطلق علهم اسم المؤدّبين. وتمتع هؤلاء المؤدبون بمكانة طيبة لم يتمتع بها غيرهم من معلّمي الكتاتيب[4].

وتقاضى معلّمو الكتاتيب أجوراً شهرية أو سنوية لقاء أعمالهم[5] و لكنها كانت أجوراً زهيدة قياساً بما كان يحصل عليه المؤدِّبون من أجور ومكافآت.

---

(1) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ص293، 312، ابن خلدون: المقدمة ص537، أحمد شلبي: التربية والتعليم ص49، أحمد الأهواني: التربية في الإسلام ص11، خطاب عطية علي: التعليم في مصر ص33، محمد أسعد طلس: التربية والتعليم ص67، George Makdisi: The Rise of Colleges, P19.

(2) انظر أحمد الأهواني: التربية في الإسلام ص60، خليل طوطح: التربية عند العرب ص12، خطاب عطية علي: التعليم في مصر ص73، George MAKdisi: The Rise Of Collegr, P19.

(3) القابسي: الرسالة المفصلة ص327، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص243، أحمد الأهواني: التربية في الإسلام ص65، خليل طوطح: التربية عند العرب ص75.

(4) الجاحظ: البيان والتبيين جـ1، ص139، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ3، ص133، جـ9، ص166، جـ14، ص147، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم ص52 – 53.

(5) القابسي: الرسالة المفصلة ص320، أحمد الأهواني: التربية في الإسلام ص65، حسن شميساني: مدارس دمشق ص8، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم ص53.

وكانت الكتاتيب تُعَطَّلُ أيام الجمع والأعياد الدينية كعيدي الفطر والنحر، وإذا أهمل الطفل في دراسته جاز للمعلم عقابه على أن يبدأ بالنصح، ثم بالعزل والتهديد، فإذا لم ينفع ذلك عاقبه بالضرب على ألا يكون ضرباً مبرحاً ولا في مقتل[1] وعُهد لمحتسب المدينة أن يشرف على ذلك.

وبهذا فإن الكتاتيب كانت تقوم بدور المدارس الابتدائية التي تُعِدُّ الأطفال لمرحلة دراسية أعلى حيث سيدخل مَنْ يتخرج من الكُتّاب حلقات العلم والدراسة إذا أراد التزوّد من العلم.

2 – طلب العلم:

إذا أتَّم الطفل دراسته في الكُتّاب ورغب في متابعة الدراسة كان ينتقل إلى مكان آخر ومرحلة جديدة من مراحل الدراسة في الحلقة، وجرت العادة أن تُعقدَ حلقات العلم المختلفة في المساجد[2]، ويتولّى أمرها الشيوخ كلٌّ في مجال اختصاصه.

فكان الشيخ يجلس إلى جانب أحد أعمدة الجامع، ويلتف حوله الطلبة على شكل حلقة، ثم يقوم بإعطاء الدرس للطلبة في المجال الذي يختصُّ فيه[3].

شَكّلت علوم الشريعة الإسلامية أساس مواد الدراسة في حلقات المساجد خاصة علوم القرآن كالتفسير والقراءات وعلوم الحديث والفقه والكلام، بالإضافة إلى علوم اللغة والأدب وبعض العلوم العقلية كالطب والرياضيات والمنطق والفلسفة[4].

لم يقتصر وجود الحلقات على المساجد، وإنما كان بعضها يُعقَدُ في منازل العلماء ودكاكين

---

(1) انظر القابسي: الرسالة المفصلة ص313–314، ابن خلدون: المقدمة ص225، المقريزي: خطط جـ1، ص463، عبد المنعم ماجد: التعليم عند الفاطميين ص46، محمد أسعد طلس: التربية والتعليم ص87، أحمد الأهواني: التربية في الإسلام ص65.

(2) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص179. George MAKdisi: The Rise Of Collegr, P9-17

(3) الخولاني: تاريخ داريا ص117، ابن جبير: الجامع الأموي ص26، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص181، 545–651، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص301، السيوطي: طبقات الحفاظ ص396، أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ص112، نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات ص58، عبد الله قاسم الوشلي: المسجد وأثره في تربية الأجيال ص20.

(4) ابن جبير: الجامع الأموي ص26–27، كرد علي: خطط 6، ص66، بشار عواد معروف: المؤسسات التعليمية حـ8 ص 37، خطاب عطية علي: التعليم في مصر ص123، رشاد الخطيب: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي ص 15، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم ص 54–56. George Makdisi: The Rise of Colleges, p9.

بيع الكتب، واختصّت بعض الحلقات بموضوع واحد، واشتمل بعضها علـى عـدّة موضوعـات[1]، وكانت منزلة صاحب الحلقة ومكانته تعتمد على سعة علمه وقدرته على إيصاله إلى طلابـه الذيـن يحضرون حلقته، وعلى ضوء ذلك يزداد عدد طلاب الحلقة أو يقل.

وكـانت أسـاليب التدريـس في الحلقـة متنوعـة فأحيانـاً تكـون بـالإملاء وأحيانـاً بالشـرح والمناقشة[2]، وكان أسلوب المناقشة يفيد الطالب في التعلم والاعتماد على النفس، كما تُعـوِّده علـى التفكير المستقل والاستنتاج.

وكانت مجالس الإملاء تُعقَـدُ في الغـالب أيـام الجمـع، ويكـون الإمـلاء مـن الكتـب أو مـن الذاكـرة، وعندمـا تكـون المجـالس كبـيرة يُسـتعان بالمستملين الذيـن يشـبهون اليـوم المدرِّسـين المساعدين، وتتلخَّص مهمتهم في إعادة ما يلقيه الأسـتاذ ليسـمعه البعيـدون عنـه، وربمـا اسـتعان بعض الأساتذة بطلابهم للقيام بعملية الإملاء[3].

ولم يكن لشيخ الحلقة راتبٌ مقررٌ لا من الدولة ولا من أية جهة أخرى، وإنما كانت تُقـدَّم لهـم بعض الهبات أو الجوائز من أهل الخير والإحسان، وقد يوقف بعضهم الأموال للإنفاق منها علـى هـذه الوجوه.

اشتمل جامع دمشق الكبير على مجموعة من حلقات التعليم، فكان يجلس فيـه الشـيوخ مسـتندين إلى أحد الأعمدة ويلقون دروسهم للتلاميذ[4]، كما كانوا يجلسون معهم ليُملواعليهم بعض العلوم.

فكان جامع دمشق عامراً بالناس في الليل والنهار، وفيه مـن الأئمـة والقـرّاء ومشـايخ العلـم

---

(1) انظر بشار عواد معروف: مؤسسات التعليم في العراق، بحوث الحضارة الإسلامية جـ2، ص72، أحمد شـلبي: التربية والتعليم ص 45.

(2) ابن جـبير: الجـامع الأموي ص27، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380 هـ) ص181، ابن الجــزري: غاية النهاية جـ1، ص301. السيوطي: طبقات الحفاظ ص396.
George Makdisi: The Rise of Colleges, p9.

(3) انظر السيوطي: طبقات الحفاظ ص396، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين ص63.

(4) ابن جـبير: الجـامع الأموي ص26، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جــ4، ص29، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات351-380هــ) ص545، ابـن الجـزري غايـة النهايـة جــ1، ص301، السـيوطي: طبقـات الحفـاظ ص396، نقولا زيادة: الجـغرافية والرحلات ص58، عبد الله قاسم الوشلي: المسجـد ص20، عبـد الجـليل عبد المهدي: الحياة الأدبية ص14، George Makdisi: The Rise of Colleges, p20.

وأهل الحديث ما لا يوجد في غيره من المساجد(1)، وفيه حلقات لتدريس الطلبة منها حلقة للمالكية وحلقة الشافعية، وعندما قدم الخطيب البغدادي إلى دمشق سنة (451هـ/1059 م)، ورغم قصر المدة التي أقامها فيها، فقد كان له حلقة في الجامع يُحدِّث فيها بأعلى صوته(2).

وكانت في الجامع حلقة لأبي الحسن علي بن طاهر بن جعفر النحوي يُدرِّس فيه ويُحدِّث(3)، ومقصورة للحنفية يجتمعون فيها للتدريس ويصلّون بها، وفيه زوايا للنسخ والدراسة والانفراد عن ازدحام الناس(4)، وكانت حلقات الجامع مليئة بالحيوية والنشاط طوال اليوم.

وكان الطلبة يلتحقون بحلقات الشيوخ بعد إتقان القراءة والكتابة وحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم، ولم يكن هناك قواعد للانتظام بالدراسة، وإنما يعتمد ذلك على رغبة الطالب واستعداده لذلك وظروفه، وهو الذي يختار أستاذه ودروسه، فيأتي إلى المسجد متى أراد، وينقطع عنه متى أراد أيضاً.

وعُدَّت هذه الحلقات بمنزلة صفوف دراسية دائمة، وهي حلقات تخصصية في الغالب يلتحق بها طلاب العلم مِمَّنْ يرغبون في جمع الحديث أو روايته(5)، أو تلقي أي علم آخر أو روايته.

وكانت تُعقَدُ مجالس أخرى غير تخصصية يحضرها مَنْ شاء من الناس، وغالباً تحضر لها أعداد كبيرة جداً على عكس الحلقات التخصصية التي يكون عدد الطلبة فيها قليلاً(6).

كان التعليم حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي يمرُّ في مرحلتين، وكل مرحلة من هذه المراحل مؤسسة مستقلة عن الأخرى، فالكُتَّاب وهو المؤسسة الأولى التي تُعِدُّ الطفل لإتقان أمور أساسية في القراءة والكتابة وحفظ القرآن.

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق (تراجم عبادة بن أوفي – عبد الله بن ثوب) ص360، تهذيب تاريخ دمشق جـ4، ص294، ابن جبير: الجامع الأموي ص26، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص468–469، ابن فضل الله العمري: مسجد دمشق ص 75، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص138.

(2) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص29، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ7، ص191، 195، ابن كثير: البداية والنهاية جـ2، ص101–102، عمر كحالة: معجم المؤلفين جـ1، ص3.
George Makdisi: The Rise of Colleges, p20.

(3) ياقوت: معجم الأدباء جـ13، ص258.

(4) ابن جبير: الرحلة ص239، أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ص112.

(5) George Makdisi: The Rise of Colleges, p20

(6) انظر أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ص112، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم ص54–56.

والحلقة (المجلس) وهي مرحلة تخصُّصية يدرس فيها الطالب علماً من العلوم في المسجد الجامع على يد شيخ من الشيوخ، وهي المرحلة الثانية التي يتخرج منها الطالب متقناً للعلم الذي درسه حيث يُسمح له بعد ذلك بالعمل مُدَرِّساً في مجال اختصاصه.

أما المدارس وهي مؤسسة تعليمية هامة تستدعي توفر المال للإنفاق على المدرّسين والطلاب، فقد بدأت بالظهور في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إلا أنها بدأت مدارس بسيطة وينفق عليها جماعات من أهل الخير، وربما أقامها بعض العلماء في منازلهم، ثم تحولت مع مرور الوقت إلى مدارس متطورة، وكانت دمشق من المدن التي ظهرت فيها المدارس في وقت مبكر، فأُقيمت فيها خانقاه دويرة[1] حمد التي أقامها حمد بن عبد الله الدمشقي بدرب السلسلة سنة (400هـ/1009م)[2]، فكانت مدرسة يؤمها طلاّب العلم، ويدرسون فيها علم القراءات، وكان حمد بن عبد الله الدمشقي معلماً يدرِّس فيها القراءة[3] فكانت هذه أول مدرسة في دمشق.

أقام رشا بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقي دار القرآن الرشائية في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[4]، وصارت من أهم مدارس دمشق بعد ذلك، حيث بدأت داراً لتعليم القرآن الكريم، ثم أخذت في التطور وتعليم المعارف المختلفة كالحديث والفقه والأدب وغير ذلك.

ويشير كارل ولتسينجر في كتابه (الآثار الإسلامية في مدينة دمشق) إلى مدرسة تُعرَف بالمدرسة الأمينية أسَّسها أمين الدولة سنة (412هـ/1021م)[5]، غير أنه لا تتوافر حتى الآن أية

---

(1) مكان يجتمع إليه التلاميذ للدراسة، وغالباً ما يكون منزل الشيخ أو المعلم الذي يتولى تدريسهم.

(2) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص193، النعيمي: الدارس جـ1، ص12، العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص144، أكرم العلبي: خطط دمشق ص397.

(3) انظر ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ7، ص252، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص193، العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص144، أكرم العلبي: خطط دمشق ص397.

(4) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص292، ابن جبير: الجامع الأموي ص28، الذهبي: سير جـ18، ص71، النعيمي: دور القرآن ص 42، الدارس جـ1، ص11، العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص144، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص226، ناجي معروف: نشأة المدارس المستقلة ص14، عبدالجليل عبد المهدي: المؤسسات التعليمية في بلاد الشام/المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية جـ2، ص524، رناد الخطيب: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي: ص24.

(5) كارل ولتسينجر وواتسينجر: الآثار الإسلامية في مدينة دمشق ص141.

معلومات عن هذه المدرسة ولا عن مؤسِّسها، فولتسينجر لا يشير إلى مصدر معلوماته التي اعتمدها عن هذه المدرسة، وربما كانت مدرسة أقامها أحد أعيان المدينة أو محدّثيها أو علمائها المغمورين الذين لم يَرِدْ لهم ذكر في كتب التراجم المتوفرة.

أما المدرسة الصادرية وهي أول مدرسة فقهية في دمشق، والتي كان يُظَنُّ أنها أول مدرسة في دمشق وأن صادر بن عبد الله بن علي الدمشقي أقامها سنة (391هـ/1000م)[1]، فإن هذا لم يثبت، إذ تبين أنها تعود إلى أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فالفاطميون الذين كانوا يحكمون دمشق كانوا لا يسمحون بإقامة مدرسة فقهية غير إسماعيلية لأنها تعارض حكمهم وفكر مذهبهم، ولأن صادر بن عبد الله الذي نُسبت إليه المدرسة عاش في الفترة السلجوقية وليس الفاطمية، فالأرجح أن إنشاءها كان سنة (491هـ/1097م)[2]، وعلى هذا فهي ليست من مدارس دمشق خلال الفترة الفاطمية.

---

(1) عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص179، ناجي معروف: نشأة المدارس المستقلة ص9، رناد الخطيب: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي ص24.

(2) انظر ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ص200، عبد الباسط العلموي: مختصر تنبيه الطالب ص94، أكرم العلبي: خطط دمشق ص196-197.

المُدرِّسُون

انقسم المدرِّسون في العصر الفاطمي إلى عدة أقسام، كان أولها معلِّمو الكتاتيب وحملوا اسم (المعلّمين) أو (المكتبين)، وكانوا يتقاضون الأجور على تعليم الصبيان، ودخلهم قليل لأنهم يُدرِّسون أبناء الطبقات الفقيرة، وكان كثير منهم يعاني من الحرمان ويرضى بشظف العيش[1]، وعملهم في الكُتّاب هي الحِرفَة التي يتكسّبون منها. أما المؤدِّبون، فقد كانوا يقومون بعمل المدرِّسين الخصوصيين، حيث كان الكبراء من الأمراء والأعيان يُعيِّنون لأبنائهم معلِّمين خصوصيين، ويختارونهم من كبار العلماء والأدباء[2]، وقد حظي هؤلاء المؤدبون بمكانة طيبة على خلاف معلمي الكتاتيب رغم أن مهمتهم نفس مهمة المكتبين. وحصل بعضهم على مناصب رفيعة فعُيِّنوا قضاة أو محتسبين[3].

وحظي المعلمون في المدارس والمساجد بكثير من الإجلال والتقدير، وكانوا يُعامَلون معاملة طيبة، وكان معلِّمو الحلقات في المساجد من الفقهاء أو القرّاء أو أهل الحديث، ويحملون اسم (الشيوخ)، وكان بعضهم يجلس للتدريس بدون أجر مادي خدمة للعلم، ورغبة في ثواب ا لله تعالى[4].

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض ص127، القابسي: الرسالة المفصلة ص320، أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ص 240، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم ص53، خليل طوطح: التربية عند العرب ص40.

(2) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد جـ9، ص166–180، خطاب عطية علي: التعليم في مصر ص80، أحمد شلبي: التربية والتعليم ص228، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين ص52، محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام ص69.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين جـ1، ص139، الخطيب البغدادي جـ3، ص133، جـ14، ص147–273، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص62–65، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين ص53، أحمد شلبي: تاريخ التربية ص49.

(4) انظر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ4، ص150–151، جـ5، ص10–11، أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ص244، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين ص53.

أما المدارس فقد كانت تهتم بتوفير قدر من الاستقرار المادي للمعلّمين حتى يتفرغوا للتعليم والقيام بعملهم على أحسن وجه.

وتميز المدرِّسون على غيرهم من أصحاب المهن بلباس خاص يشتمل على عمامة خضراء وكسوة مذهبة تتكون من ست قطع أهمها القلنسوة والطيلسان[1]. وكانت لهم نقابة تشبه نقابة الأشراف وهم الذين يختارون نقيبهم بأنفسهم.

ومن بين معلمي دمشق في العصر الفاطمي أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي الدمشقي المؤدِّب (ت 364هـ/ 974م)[2] والفضل بن جعفر بن محمد بن أبي عاصم التميمي الدمشقي المؤذن، فكان يجلس للتدريس في جامع دمشق ودرس عليه بعض مشاهير العلماء منهم تمام بن محمد ومكّي بن الغمر وأحمد بن الحسن الطيان وغيرهم[3].

وكان أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة (ت 379هـ/989م) يملي بجامع دمشق ويُدرِّسُ فيه. وهو أديب ومؤرخ مشهور[4].

ومن شيوخ دمشق الكبار أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن سعيد، واشتغل بالتدريس في دمشق خاصة الإقراء إلى أن تُوفي سنة (393هـ/1002م)[5].

ومن معلّمي دمشق أيضاً عبد الرحمن بن عمر بن نصر الشيباني الدمشقي المؤدِّب (ت 410هـ/1019م)[6]، وعبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سليمان المؤدِّب (ت 421هـ/1030م)[7]، وعبد الوهاب بن عبد الله بن عمر بن أيوب الأذرعي الدمشقي المعروف بابن

---

(1) ابن سيده: المخصص مجلداً جـ4، ص84، القلقشندي: صبح الأعشى جـ4، ص41-42، المقريزي: خطط جـ1، ص409، خليل طوطح: التربية عند العرب ص52.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380 هـ) ص325، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص340.

(3) انظر ابن عساكر. تاريخ دمشق جـ14، ص228، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380 هـ) ص545.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص500-501، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص650-651.

(5) ابن عساكر. تاريخ دمشق جـ7، ص161-162، ياقوت: معجم الأدباء جـ4، ص 242، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص243.

(6) الذهبي: العبر جـ2، ص218.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق (تراجم عبد الله بن أوفي - عبد الله بن ثوب) ص360.

الجبّان (ت425هـ/1034م)[1]، والحسين بن الحسن بن سبّاع الرملي المؤدّب خطيب جامع دمشق (ت428هـ/1036م)[2]، وأبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحنائي الدمشقي (ت428هـ/1036م)، وهو مقرئ ومحدِّث مشهور وأستاذ عبد العزيز الكتاني[3].

كما اشتُهر من المعلمين في دمشق أبو الحسن رشا بن نظيف بن ما شاء ا لله الدمشقي (ت444هـ/1052م) وكان يعلِّم في دار القرآن الرشائية، التي أنشأها إلى جانب السميساطية على المدخل الشمالي للجامع الأموي بحدود سنة (ت400هـ/1009م)[4]، وأبو الحسن علي بن إبراهيم (ت 446هـ/1054م)، وكان معلِّماً اشتغل بالقراءة والحديث ودرس عليه عدد من الشيوخ في جامع دمشق منهم أحمد بن علي الزينبي والفقيه نصر المقدسي وأبو طاهر الحنائي وأبو القاسم النسيب وغيرهم[5]. وكان أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الدمشقي الحنائي (ت 459هـ/1067م) أحد المعلِّمين الكبار بدمشق خلال الفترة الفاطمية أيضاً[6].

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص468-469.

(2) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ4، ص294.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص565، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص138.

(4) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ5، ص325، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص284، النعيمي: الدارس جـ1، ص11، دور القرآن ص12.

(5) ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص34، الذهبي: سير جـ18، ص14-15، المعين في طبقات الحفاظ ص129، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص221.

(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ18، ص130، المعين في طبقات الحفاظ: ص132، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص253.

العلوم الدينية

اهتمَّ المسلمون في بلاد الشام بعد الفتح بتعاليم القرآن الكريم وحضّوا على قراءته وحفظه، ثم شجّع على ذلك خلفاء بني أمية[1]، فظهرت في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي طبقة من المعلّمين الذين اشتغلوا بعلوم الشريعة الإسلامية كقراءة القرآن الكريم وتفسيره، والحديث والفقه والسير والأخبار والشعر[2].

القراءات

كان المعلمون في جامع دمشق يقسّمون تلاميذهم إلى عشرات ويجعلون على كل عشرة عريفاً يقرأ القرآن لتلاميذه سورةً سورةً، ثم يعيدون ما سمعوا منه ويحفظونه[3].

وانتشرت في الجامع قراءة الأسباع وهي أن يقرأ الجماعة سبعاً من القرآن الكريم بالتكرار خلف قارئ، وفي مجلس واحد بعد صلاة الصبح، وكان موضع السبع في جامع دمشق في الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة، واستمرَّ العمل بهذه القراءة من العصر الأموي حتى الفترة الفاطمية[4].

اشتهرت في دمشق قراءة ابن عامر منذ العصر الراشدي، وهي القراءة المنسوبة إلى عبد الله

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية جـ9، ص63، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص224.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية جـ9، ص34، 177، الشيرازي: طبقات الفقهاء ص81، حسين عطوان: القراءات القرآنية في بلاد الشام ص18.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ1، ص315، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص606.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق (تراجم عاصم -عايد) ص516، ابن جبير: الرحلة ص264، حسين عطوان: القراءات القرآنية ص27.

ابن عامر[1]، وبقي أهل دمشق يقرؤون هذه القراءة حتى نهاية القرن 5هـ/11م، ثم اشتُهرت قراءة أبي عمرو[2] جنباً إلى جنب مع قراءة ابن عامر على يد المقرئ الضرير سبيع بن المسلم[3].

ولم تقتصر اهتمامات علماء القراءة على هذه الناحية وحدها، وإنما كان المقرئ يتقن إلى جانب ذلك الحديث أو الفقه أو كتابة التاريخ أو التفسير أو الأدب، وربما أتقن علوماً متعددة في آنٍ واحد، فكان عبد الباقي بن الحسن بن أحمد الخراساني الدمشقي (ت380هـ/990م) عالماً بالعربية بصيراً بالمعاني إضافة إلى كونه من مشاهير القرّاء بدمشق[4]. وكان أبو الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي (ت388هـ/ 998م) مُقرِئاً ومحدِّثاً معاً[5]، وأبو الحسن علي بن داوود الداراني (ت402هـ/ 1011م) عالماً بالقراءة وخطيباً مفوّهاً تولى الإمامة في جامعي داريا ودمشق[6].

وكان الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم الحنائي (ت 428هـ/ 1026م) قارئاً ومحدِّثاً بارعاً في دمشق[7]، وكذلك كان رشا بن نظيف بن ما شاء الله (ت 444هـ/ 1052م)[8]، كما كان أبو القاسم عبد الوهاب بن طالب بن أحمد التميمي مُقرِئاً وفقيهاً ومحدِّثاً مشهوراً في أواخر الفترة الفاطمية[9].

وهكذا كان كثير من القرّاء، فهذه العلوم تكمل بعضها البعض، وتدعو إليها الحاجة لإتقان

---

(1) هو عبد الله بن عامر اليحصبي الحميري تَعَلَّمَ على كثير من الصحابة والتابعين، وصار من كبار القرّاء، انتشرت قراءته بين أهل الشام (انظر الذهبي: تاريخ الإسلام جـ4، ص13، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص424، كرد علي: خطط جـ4، ص22، حسين عطوان: القراءات القرآنية ص277، 278).

(2) هو أبو عمرو بن العلاء التميمي، كان علاّمة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات (ت 154 هـ/ 772م) (انظر ابن كثير: البداية والنهاية جـ1، ص112).

(3) ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص301.

(4) القاضي عياض: ترتيب المسالك وتقريب المدارك جـ4، ص612.

(5) ابن الجوزي: المنتظم جـ7، ص204.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص84، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص127، ابن الجزري: غاية النهاية جـ2، ص357.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص496 – 497، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص565، العبر جـ3 ص166، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص138.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ6، ص255 –256، تهذيب جـ5، ص325، النعيمي: الدارس جـ1، ص11، دور القرآن ص12، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص194.

(9) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد جـ15، ص336 – 337، ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص168.

القراءة، وفهم معاني الآيات الشريفة، واستنباط الأحكام الشرعية بصورة سليمة ومناسبة، فاللغة تلزم والحديث يلزم والشعر يلزم، إذ لم يكن القرّاء يكتفون بقراءة القرآن، وإنما كان لا بُدَّ من تدبُّر أحكامه وفهم معانيه.

وكان العلماء يتنقلون للسماع من الثقات والدراسة على مَنْ هو أهل لأن يؤخذ عنه، وتميّز علماء الشام على غيرهم بحبهم للرحلة في طلب العلم والالتقاء بالشيوخ، فالإمام أبو الحسن علي ابن محمد إبراهيم الحنائي (ت 428هـ/ 1036م) كان يهوى السفر من أجل العلم فزار الحجاز ومصر وحَدَّث عن شيوخ عصره[1].

وتنقل أبو الحسن رشا بن نظيف (ت 444هـ/ 1052م) بين دمشق ومصر وبغداد من أجل الرواية والسماع، وانتهت إليه الرئاسة في قراءة ابن عامر[2].

وكان أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن العجلي الرازي (ت 454هـ/1062م) محدّث دمشق كثير الأسفار، تنقّل في بلاد كثيرة طلباً للعلم، فتنقّل بين دمشق ومكة ومصر وحران وبغداد والبصرة والكوفة والري وأصبهان ونيسابور وجرجان[3].

لم تكن دمشق وحدها هي التي حظيت بجماعة القرّاء والمحدثين من العلماء، بل وُجد في غيرها من المدن والقرى المجاورة لها، فكان أبو الحسن علي بن داود الداراني (ت 402 هـ/1011م) إماماً ومقرئاً في داريّا قبل انتقاله إلى دمشق[4]، كما كان محمد بن رزق الله بن عبد الله المنيني الأسود المقرئ (ت 426 هـ/ 1034م) إماماً وخطيباً لقرية منين[5].

لم يتعرض الفاطميون للقرّاء في دمشق إذ ليس من خطر يشكّله علماء القراءة على الدعوة

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص497، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ17، ص565، العبر جـ3، ص166، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص138.

(2) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ5، ص325، الذهبي: العبر جـ2، ص285، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1ص284، النعيمي: الدارس جـ1، ص11، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص194.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ40، ص71، الذهبي: العبر جـ3، ص232.

(4) عبد الجبار الخولاني: تاريخ داريا ص116 –117، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص84، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص127.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص325 – 326، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ3، ص70.

الإسماعيلية، بل كان الفاطميون يشجّعون القراءة[1]، فنشط القرّاء ولم يخلُ مسجد دمشق من هذه الدراسة طوال الفترة الفاطمية، وكان عملهم استمراراً لما كان موجوداً في العصر الإخشيدي، وكان كثير من قرّاء دمشق في العصر الفاطمي تلاميذ لقرّاء العصر الإخشيدي مثل: أبو الحسن علي بن محمد بن القاسم الدمشقي (ت 377 هـ/ 987م)[2]، وأبو محمد عبد الله بن عطية بن عبد الله ابن حبيب الدمشقي (ت 383 هـ/ 993م)[3]، وأبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت388هـ/998م)[4]، وهذه طائفة من قرّاء دمشق خلال العصر الفاطمي:

1- أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد بن إسماعيل السّلمي المحدِّث المقرئ المؤدّب وُلد سنة (286 هـ/ 899م)، وتُوفي سنة (364هـ/ 974م)[5]، وكان من كبار علماء القراءة والحديث، وتنقّل في طلب العلم فزار الحجاز ومصر، وكان أحد قرّاء العصر الإخشيدي، واستمر في القراءة في العصر الفاطمي، وسمع من ثقات العلماء أمثال محمد بن خريم والقاسم بن عيسى العصار وحدَّثَ عنه تمام بن محمد الرازي وعبد الوهاب الميداني وغيرهما، وصنّف عدة كتب في القراءة والحديث[6].

2 – أبو الحسن علي بن محمد بن قاسم بن بلاغ الدمشقي المقرئ إمام جامع دمشق[7]، كان أحد القرّاء المجيدين بدمشق، وإماماً مشهوراً، سمع من عدد من شيوخ العصر الإخشيدي منهم محمد ابن علي المراغي وأحمد بن محمد بن سعيد، وأبو الدحداح أحمد بن محمد بن الطيان وعلي بن موسى السمسار، وتُوفي سنة (ت 377 هـ/ 987م)[8].

3 – الإمام المقرئ عبد الباقي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الخراساني

---

(1) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص105.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص532 – 533.

(3) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص109، الذهبي: تذكرة الحفاظ جـ3، ص1017، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1،ص433، السيوطي: طبقات المفسرين ص45، الداوودي: طبقات المفسرين جـ1، ص245.

(4) ابن الجوزي: المنتظم جـ7، ص204.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 –380 هـ) ص325.

(6) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 – 380 هـ) ص325، سير أعلام النبلاء جـ16، ص152–153 العبر جـ2،ص118.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص532، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380 هـ) ص613.

(8) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص532–533.

الدمشقي، أصله من خراسان وُلد بدمشق، وكان عالماً حاذقاً في علم القراءات، كما كان ثقة مأموناً عالماً بالعربية بصيراً بالمعاني، قرأ على محمد بن سليمان البعلبكي ونظيف بن عبد ا لله وعلي بن زيد الكوفي، وعلي بن محمد بن علي الجلندي[1]، حدث خلاف بينه وبين شيوخ دمشق، فتعصّب له جماعة وضدّه جماعة أخرى، وتطاول بعضهم على بعض، فرحل إلى مصر، وتُوفي في الإسكندرية بعد سنة (380 هـ/990م)[2].

4 – أبو محمد عبد ا لله بن عطية بن عبد ا لله بن حبيب المقرئ الدمشقي المفسّر، إمام مسجد عطية[3]، وهو من ثقات العلماء، اشتغل بالقراءة والتفسير، وكان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر في الاستشهاد على معاني القرآن الكريم[4].

أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن جعفر بن حمدان بن سليمان والحسن بن حبيب ومحمد بن النظر الأخرم وجعفر النيسابوري، وروى القراءة عن علي بن داوود الداراني وعبد ا لله بن سلمة[5]، وروى عنه أبو محمد بن أبي نصر وطرفة الحرستاني وعبد ا لله بن سوار العنسي، وحدّث عن ابن جوصا وعلي عبد ا لله الحمصي وأبي علي الخصائري[6]، وتُوفي سنة (383 هـ/ 993م)[7].

5 – أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم المقرئ المعروف بغلام الشنبوذي، وُلد سنة (300هـ/ 912م)، كان مقرئاً ومحدِّثاً، روى عن أبي الحسن بن شنبوذ وآخرين، ويقال: إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن، وتُوفي سنة (388 هـ/ 998م)[8].

---

(1) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك جـ4، ص612، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381–400 هـ) ص214.

(2) القاضي عياض: ترتيب المدارك جـ4، ص612، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381–400 هـ) ص214.

(3) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص109، الذهبي: تذكرة الحفاظ جـ3، ص1017، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص433، السيوطي: طبقات المفسرين ص45، النعيمي: الدارس جـ2، ص335، الداوودي: طبقات المفسرين جـ1، ص245.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381–400 هـ) ص64، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص165، السيوطي: طبقات المفسرين ص45.

(5) الداوودي: طبقات المفسرين جـ1، ص246.

(6) انظر الذهبي تاريخ الإسلام (وفيات 381–400 هـ) ص64، السيوطي: طبقات المفسرين ص45.

(7) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص109، السيوطي: طبقات المفسرين ص45، الداوودي: طبقات المفسرين جـ1، ص246.

(8) ابن الجوزي: المنتظم جـ7، ص204.

6 – أحمد بن محمد بن الحسن بن سعيد أبو علي الأصبهاني، من كبار المقرئين بدمشق ومحدِّث مشهور، سكن في دمشق، وقرأ القرآن على أبي القاسم بن زيد بن علي الكوفي وأبي بكر النقاش والحسن بن سعيد الفارسي وأبي عبد الله بن صالح المقرئ، وسمع بدمشق من عبد الله بن عطية وعبد الوهاب الكلابي والحسين بن علي بن الرهاوي وحدَّث عنهم وروى عنه تمام بن محمد الرازي وأبو القاسم بن الفرات وأبو نصر بن الجبان[1]، وكان شيخاً فاضلاً عالماً صنّف عدة كتب في القراءات، وبقي يُقرئ في دمشق إلى أن تُوفي سنة (393 هـ/ 1002م) فدُفن في مقبرة باب الفراديس[2].

7 – أبو الحسين محمد بن أحمد بن خلف بن أبي المعتمر الرقي المعروف بابن الفحّام، سكن دمشق أيام الفاطميين، وقرأ القرآن على أبي القاسم زيد بن علي أبي بلال، وحدّث بدمشق وطرابلس عن أبيه وأبي الفضل محمد بن عبد الله الشيباني ومحمد بن عمر، وروى عنه القراءة علي وإبراهيم الجنابيان، وأبو علي الأهوازي، وهو من العلماء الذين اتصفوا بالفضل والزهد والتقشف، وكان يعطف على الفقراء، اتُّهم بالتشيع وتُوفي بالرقة سنة (399 هـ/ 1008م)[3].

8 – أبو الحسن علي بن داوود بن عبد الله الداراني القطّان المقرئ، كان عالماً بالقراءة انتهت إليه الرئاسة فيها، كما كان خطيباً مفوّماً، تولّى إمامة الجامع بداريا، فلما مات خطيب الجامع الأموي بدمشق توجّه أهل دمشق إلى داريا واستأذنوا أهلها أن يكون خطيب الجامع الأموي، فلم يكن هناك من هو أقدر منه على هذه المهمة[4]، وسكن في المنارة الشرقية في الجامع الأموي، وكان لا يأخذ على الصلاة ولا على الإقراء أجراً[5]، ولا يقبل هدية من أحد، وله أرض بداريا يزرعها ويتولاها بنفسه[6]، قرأ القرآن على أبي الحسن محمد بن النضر وأبي بكر أحمد بن عثمان، وروى عن الحسن بن حبيب وخيثمة بن سليمان وأبي الفضل محمد بن جعفر الجرجاني، وتُوفي سنة (402هـ/ 1011م)[7].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص161، ياقوت: معجم الأدباء جـ4، ص241، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ7، ص307، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص235.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص162، ياقوت: معجم الأدباء جـ4، ص241.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص721–723، ابن الجزري: غاية النهاية جـ2، ص83–84.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص84، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص127، عبد الجبار الخولاني: تاريخ داريا ص 116–117.

(5) الذهبي: العبر جـ2، ص202، النعيمي: دور القرآن ص56، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص13.

(6) عبد الجبار الخولاني: تاريخ داريا ص117، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص127.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص83–84، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص127.

9 – أبو الفرج الهيثم بن أحمد بن محمد بن سلمة القرشي الدمشقي، شافعي المذهب ويُعرف بابن الصباغ، اشتهر بقراءة ابن عامر، وأخذ القراءة عن أبي الفرج الشنبوذي، وأبي الحسن علي بن محمد الأنطاكي، وروى عنه أبو علي الأهوازي، وعلي بن الحسن الربعي وعلي بن محمد بن شجاع، وكان إمام مسجد اللؤلؤ بدمشق، وَيُقرئ بالجامع الأموي، وصنّف كتاباً في قراءة حمزة، وحدّث عن علي بن أبي العقب ومحمد بن محمد بن آدم الفزاوي، وسمع منه عبيد الله بن سلمة، وتُوفي سنة (403 هـ/1012م)[1].

10– أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن هلال السلمي الجبني الأطروش شيخ القرّاء بدمشق، وُلد سنة (327 هـ/938م)[2]، وأخذ القراءة عن أبيه وعن ابن الأخرم وجعفر بن أبي داوود وأحمد بن عثمان السبّاك وغيرهم، وأخذ عنه علي بن الحسن الربعي ومحمد بن الحسن الشيرازي ورشا بن نظيف وأبو علي الأهوازي، وكان ضابطاً للرواية، قرأ على سبعة من أصحاب الأخفش، ويعرف شيئاً في التفسير، وله منزلة في الفضل والعلم والأمانة والورع والدين، وكانت وفاته سنة (407 هـ/1016م)، وَدُفن في دمشق خارج الباب الصغير[3].

11– أبو علي الحسين بن علي بن عبيد الله بن محمد الرهاوي السّلمي وهو من شيوخ القرّاء بدمشق. قرأ على أبي الصقر رحمة بن محمد بن أحمد الكفرتوثي وعلي بن الحسن بن سعيد البزاز صاحب ابن شنبوذ ونظيف بن عبد الله الكسروي وغيرهم، وقرأ عليه أبو علي الحسن بن القاسم غلام الهراس، وصنّف في القراءات كتاباً هاماً، وتُوفي بدمشق سنة (414 هـ/1023م)[4].

12– أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن مزاحم الداراني المقرئ صهر الأطروش المعروف بابن بجيلة الخراساني[5]، أحد مشاهير القرّاء، روى عن أبي علي عبد الجبار بن عبد الله الداراني، وروى عنه أبو سعد الرازي السمّان وعبد العزيز بن أبي طاهر، وتُوفي سنة (415هـ/ 1024م)[6].

---

(1) ابن الجزري: غاية النهاية جـ2، ص357.

(2) الذهبي: طبقات القراء جـ1، ص299، ابن الجزري: غاية النهاية جـ2، ص84.

(3) ابن الجزري: غاية النهاية جـ2، ص85، الداوودي: طبقات المفسرين جـ2، ص75.

(4) ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص245-246.

(5) الخولاني: تاريخ داريا ص117، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص517.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص517-518.

13- أبو بكر محمد بن رزق الله بن عبيد الله بن أبي عمرو المنيني الأسود المقرئ، كان إماماً في قرية منين، وقارئاً حسناً، وهو من ثقات المسلمين، روى عنه جماعة من الثقات منهم أبو عمرو بن فضالة، ومحمد بن محمد بن آدم الفزاري، وروى عنه عبد العزيز الكتاني وأبو الوليد الدربندي[1]، ويذكر ابن عساكر أنه صَنَّف عدداً كبيراً من الكتب غير أنها احترقت ولم يبق منها إلا القليل، وكان كاتباً مبدعاً له خط حسن، وحافظاً للقرآن الكريم[2]، وكانت وفاته سنة (426هـ/ 1034م)[3].

14- الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الحنائي الدمشقي شيخ الإسلام الزاهد[4]، كان مقرئاً ومُحَدِّثاً بارعاً، يهوى السفر من أجل العلم، فزار مصر والحجاز، وحَدَّث عن شيوخ عصره كعبد الوهاب الكلابي، وأبي بكر بن أبي الحديد، وأبي الحسين بن جميع، وحَدَّث عنه عبد العزيز الكتاني وسعد الله بن صاعد الرحبي، وصَنَّف لنفسه معجماً لأسماء شيوخه الذين سمع منهم في خمسة أجزاء، وتُوفي سنة (428 هـ/ 1036م)[5].

15- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن ميمون بن أبي زروان الربعي الدمشقي، وهو حافظ ومقرئ، كان رئيس القرّاء في الشام في عصره، ومحدِّثاً ثقة، فكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد، وألفَ حديثٍ بأسانيدها من حديث ابن جوصا، سمع من عبد الوهاب الكلابي وأحمد بن عتبة ابن مكين وغيرهما، وحَدَّث عنه أبو سعد السمّان وعبد العزيز الكتاني، ونجا بن أحمد، وتُوفي سنة (436 هـ/ 1044م)[6].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص325-326، ياقوت: معجم البلدان: جـ5، ص218، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص172، الذهبي: سير جـ17، ص452، الصفدي: الوافي جـ3، ص70، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص125.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص326.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص326، ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص218، الذهبي: سير جـ17، ص453، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ3، ص70.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص496، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص565، العبر جـ3، ص166، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص138.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص497، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص565-566، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص138.

(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ17، ص580-581.

16- أبو علي الحسن بن علي بن الحسن بن شواش الكتاني، مقرئ أصله من قرية أرياح بالقرب من حلب، ومُحَدِّث مشهور، تولى الإشراف على الأوقاف التابعة لجامع دمشق، وتُوفي سنة (437 هـ/ 1045م)[1].

17- أبو الحسن رشا بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقي، اشتغل بالحديث والقراءة، وكان من كبار العلماء، قرأ بدمشق ومصر وبغداد، وروى عن أبي مسلم الكاتب وعبد الوهاب الكلابي وطبقتهما، وكان ثقة أميناً انتهت إليه الرئاسة في قراءة ابن عامر[2].

وُلد في حدود سنة (370 هـ/ 980م)، وتُوفي سنة (444 هـ/ 1052م) بدمشق، وكانت له دار حوّلها إلىمدرسة لتعليم القرآن الكريم، إلى جانب السميساطية على الباب الشمالي للجامع الأموي تُدعى دار القرآن الرشائية[3]، ومن تصانيفه السُّنّة المأثورة للشافعي.

18- أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي المقرئ، وُلد سنة (362هـ/ 972م) وقدم دمشق سنة (391هـ/ 1000م)، فسكن بها إلى أن تُوفي سنة (446هـ/ 1054م)[4].

كان أبو علي من أهل العلم بدمشق. اشتغل بالقراءة والحديث، فقرأ على عدد من الشيوخ في عصره منهم إبراهيم بن أحمد الطبري وأحمد بن عبد الله بن الحسين وأبو بكر أحمد بن محمد ابن سويد المؤدِّب، وقرأ عليه الحسين بن القاسم غلام الهرّاس، وأحمد بن أبي الأشعث السمرقندي، وأحمد بن علي الزينبي، وحَدَّث عنه الخطيب البغدادي، والكتاني، والفقيه نصر المقدسي، وأبو طاهر الحنائي، وأبو القاسم النسيب[5].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص199.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ6، ص255، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص284، النعيمي: الدارس جـ1، ص11، دور القرآن ص12، ابن العماد: شذرات جـ5، ص194.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ6، ص255-256، تهذيب جـ5، ص325، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص284، النعيمي: دور القرآن ص12، بسام الجابي: معجم الأعلام ص269.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص475-477، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص34، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ6، ص351-352، الذهبي: المعين في طبقات الحفاظ ص129.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص475، الذهبي: سير جـ18، ص14-15، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص221.

وكان أبو علي الأهوازي شيخاً من شيوخ القرّاء في عصره، وكان يُقرِئ في دمشق بعد سنة (400 هـ/ 1009م) في حياة بعض شيوخه[1]، وصنّف مجموعة من الكتب في القراءات منها:

1) موجز في القراءات.

2) الإيجاز والوجيز في شرح أداء القرّاء الثمانية[2].

3) البيان في شرح عقود أهل الإيمان، ويقال بأنه ضَمَّنه بعض الأحاديث المنكرة[3].

وكان الأهوازي على مذهب السالمية[4]- وهي إحدى فرق المرجئة - يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي رأيه[5]، فاتّهموه من هذا الباب وسَبَّهُ علماء الكلام[6].

19- أبو القاسم علي بن الفضل بن أحمد بن طاهر بن الفرات، كان إماماً لجامع دمشق، واشتغل بالقراءة والحديث، وسمع من عبد الوهاب الكلابي وأبي نصر بن الجندي وأحمد البعلبكي، وروى عنه إبراهيم بن محمد البوسنجي والخطيب البغدادي وابنه أبو الفضل بن الفرات، وحَدَّث عنه عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد، وكانت وفاته سنة (446هـ/ 1054م)، وَدُفن بباب الصغير[7].

20- أبو علي الحسين بن مبشر الكتاني الدمشقي المقرئ، حنبلي المذهب، قرأ على أستاذه محمد بن يونس الإسكاف المقرئ، وأقام يُقرئ في جامع دمشق خمسين سنة، حدّث بكتاب الناسخ والمنسوخ[8]، وكانت وفاته سنة 453 هـ/1061م[9].

---

(1) ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص221، التميمي: دور القرآن ص55.

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ12، ص122، الزركلي: الأعلام جـ2، ص245.

(3) انظر ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ6، ص351، الذهبي: سير جـ18، ص15، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ12، ص122، الزركلي: الأعلام جـ2، ص245، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين ص26.

(4) هي فرقة المشبهة وهم الذين كانوا يروون الأحاديث ونقيضها، وسُمُّوا كذلك لروايتهما الأحاديث الكثيرة في التشبيه واحتمالهم الأخبار المنكرة عند غيرهم (انظر الرازي: كتاب الزينة ص267).

(5) انظر الصفدي: الوافي جـ12، ص122، الذهبي: سير جـ18، ص15، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص56.

(6) الذهبي: سير جـ18، ص15، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ12، ص122.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص491-492.

(8) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة جـ2، ص193، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص249.

(9) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة جـ2، ص193.

21- أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن العجلي الرازي، أحد المُحَدِّثين بدمشق، ومقرئ كثيرُ التصانيف، زاهدٌ خشنُ العيش، كثيرُ الأسفار، تنقل في بلاد كثيرة من دمشق إلى مكة والري ونيسابور ونساوجرجان وأصبهان وبغداد والبصرة والكوفة وحرّان ومصر، سمع من أبي الحسن الكلابي وابن منده الحافظ ومحمد بن زهير النسوي[1].

قرأ القرآن في دمشق بحرف ابن عامر على أبي الحسن بن داوود وأبي عبد الله المجاهدي، وحدّث في دمشق بكتاب (آداب الصحبة) للمسلّمي، وسمع من علي الحنائي وعبد العزيز الكتاني ومحمد بن علي الحداد، وروى عنه الخطيب البغدادي وهبة الله بن عبد الوارث الشيرازي وعلي بن محمد الحنائي[2]، وتُوفي سنة 454 هـ/ 1062م[3].

كان أبو الفضل العجلي من الشيوخ الثقات، وإماماً عالماً بالقراءات، نال احترام الشيوخ وتقديرهم، وكثيراً ما كان يأوي إلى مسجد خراب يخلو فيه بنفسه، فإذا عُرف مكانه انتقل إلى مكان آخر، وإذا حصل على شيء أنفقه على غيره[4].

22- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن صالح السلمي الدمشقي المطرز، وهو نحوي ومقرئ، سمع من تمام بن محمد الرازي وأبي محمد بن أبي نصر، ومكي بن محمد وعلي بن إبراهيم الحوفي، وروى عنه الخطيب البغدادي[5]، وهو صاحب المقدمة اللطيفة المعروفة بالمقدمة المطرزيّة في النحو، وكانت وفاته سنة 456 هـ/1063م[6].

23- أبو القاسم عبد الوهاب بن طالب بن أحمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المقرئ الفقيه، وهو من أهل باب الأزج[7]، سافر إلى الشام وسكن دمشق، وسمع بها الحديث، وكان يصلي إماماً في مسجد درب الريحان، حدّث عن الطناجيري وسمع منه عبد الرحمن وعبد الله ابنا أحمد بن

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ 40، ص71، الذهبي: العبر جـ3، ص232.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ40، ص71.

(3) الذهبي: العبر جـ3، ص232.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ40، ص72-73.

(5) الذهبي: العبر جـ2، ص307، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص189.

(6) انظر الذهبي: العبر جـ3، ص340، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص189، الزركلي: الأعلام: جـ6، ص276.

(7) مدينة شرقي بغداد كثيرة الأسواق (انظر ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص168).

صابر، تُوفي بدمشق سنة 487 هـ/ 1094م، وَدُفن في مقبرة باب الصغير[1].

24- أبو بكر أحمد بن عمر الأشعث السمرقندي، سكن دمشق مدّة وكان يكتب فيها المصاحف، ويُقرئ القرآن، سمع بدمشق من أبي علي بن أبي نصر، وإسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، وروى عنه كناز بن ناصر المراغي، وحَدَّث عنه ابنه أبو القاسم[2]، ولم يَطُلْ به المقام كثيراً بدمشق فترك أولاده ورحل إلى بغداد، ثم أرسل إلى دمشق من أحضر إليه أولاده، وأقام في بغداد إلى أن تُوفي سنة 489 هـ/ 1095م[3].

25- أبو بكر أحمد بن محمد بن علي بن الحسين الهروي المقرئ الضرير، سكن دمشق وسمع بها من رشا بن نظيف وأبي علي الأهوازي وعلي بن الخضر السلمي وأبي القاسم السميساطي والخطيب البغدادي، وسمع منه عمر الدهستاني وطاهر بن بركات الخشوعي وإبراهيم بن حمزة الجرجاني[4]، وصنّف كتاب (التذكرة) في القراءات الثمانية، وتُوفي بالقدس سنة (489 هـ/1095م)[5].

26- أبو البركات أحمد بن عبد الله بن علي بن طاووس المقرئ البغدادي، سمع ببغداد، وقرأ القرآن، بروايات كثيرة، وانتقل إلى دمشق سنة (451 هـ/ 1059م) فسكن بها وأقرأ فيها القرآن، وكان إماماً ثقة، صنّف في القراءات[6]، وروى عن أناس كثيرين منهم الفقيه نصر المقدسي والفقيه نصر الله المصيصي وحمزة بن أحمد بن كروس وتُوفي سنة 492 هـ/ 1098م[7].

27- أبو الوحش سبيع بن المسلم بن علي بن هارون المعروف بابن قيراط، من شيوخ دمشق، وُلد سنة (419 هـ/1028م) وتُوفي سنة (508 هـ/ 1114م)[8]، وكان ضريراً، قرأ القرآن بحرف ابن

---

(1) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد جـ15، ص336-337.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص75.

(3) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص75، ابن منظور: مختصر جـ3، ص192-193.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص360، ابن الجزري: طبقات القراء جـ1، ص125.

(5) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص360-361.

(6) ابن منظور: مختصر جـ3، ص136، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص26-27.

(7) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص27، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص74.

(8) ابن عساكر: تهذيب جـ6، ص64، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ8، ص54، الذهبي: العبر جـ2، ص392، ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص301، النعيمي: دور القرآن ص55.

عامر على رشا بن نظيف وأبي علي الأهوازي[1]، وقرأ عليه إسماعيل بن علي بن بركات الغساني، وروى القراءة عنه الخضر بن شبل الحارثي وعلي بن الحسن الكلابي، وكان يقرئ الناس تلقيناً في الجامع الأموي في حلقة الكتاني من ثلث الليل إلى قريب الظهر، وهو الذي أَشْهَرَ قراءة أبي عمرو[2]، وانتهت إليه رئاسة القراءة في دمشق، ولم يزل ملازماً للجامع إلى أن تُوفي وَدُفن بالباب الصغير[3]، فكانت له جنازة كبيرة شارك فيها أكثر أهل دمشق.

28- ومن القرّاء الذين عُرفوا بدمشق خلال العصر الفاطمي أيضاً أحمد بن يحيى بن سهل السدي الطائي، وهو مقرئ نحوي مشهور، كان وكيلاً في جامع دمشق وتُوفي سنة 415 هـ/ 1024م[4]، والحسين بن عثمان بن علي أبو عبد الله الضرير المقرئ[5]، وأسد بن القاسم بن العباس أبو الليث المقرئ الحلبي إمام مسجد سوق النحّاسين[6]، وأحمد بن عمر بن عطية المقرئ المؤدِّب[7]، وأبو منصور أحمد بن محمد بن عمر القزويني المعروف بابن المجدر[8]، وعبد الواحد ابن بديع إمام مسجد سوق الأحد (ت 451 هـ/ 1059م)[9]، والإمام الشيخ أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب القرشي الدمشقي (ت 470 هـ/1077م)[10]، وهو إمام ومُحَدِّث وخطيب، وميسر بن هبة الله بن محمد بن مسعد التنوخي (ت 478 هـ/1085م)، حيث سكن دمشق وصَنَّف بها كتاباً في معاني الشعر، وفرغ من تصنيفه سنة 450 هـ/1058م[11].

لقد كانت القراءات من أهم العلوم التي مارسها الدماشقة خلال الفترة الفاطمية، ولم

---

(1) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ8، ص54، الذهبي: العبر جـ2، ص392.

(2) ابن الجزري: غاية النهاية جـ1، ص301.

(3) ابن عساكر: تهذيب جـ6، ص66، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ8، ص54.

(4) ياقوت: معجم الأدباء جـ5، ص150، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص395.

(5) ابن الجوزي: المنتظم جـ7، ص368.

(6) ابن عساكر: تهذيب جـ2، ص466، ابن منظور: مختصر جـ4، ص325.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص77.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص370-371.

(9) انظر ن. م. جـ40، ص50.

(10) الذهبي: سير جـ18، ص375-376، المعين في طبقات الحفاظ ص134، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص107، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص301.

(11) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ17، ص463.

يتأثر علم القراءات في دمشق بما تأثر به الفقه، بل واصل القرّاء نشاطهم.

وكان أكثر قرّاء دمشق يتركـزون في الجامع الأموي، إذ كان هو مدرسة الإقـراء الكـبرى على أن بعض العلماء كانوا يُدَرِّسون هذا العلم في بيوتهم أو في مـدارس أقاموهـا خصيصاً لهـذه الغاية، فرشا بن نظيف الدمشقي أقام دار القرآن الرشائية قرب الجامع الأموي لتكـون مدرسة لتعليم القرآن الكريم سنة (400 هـ/ 1009م)، وفعـل مثـل ذلـك حمـد بـن عبـد ا لله الدمشـقي الـذي أقام في داره مدرسة مشابهة سُمِّيت دويرة حمد بحدود سنة (400 هـ/ 1009م) أيضاً.

وكانت القراءة بدمشق هي قراءة ابن عامر، رغم أن القراءات الغالبة والمنتشـرة في بقيـة بلاد الشام كانت على حرف أبي عمرو، وبذلك اختصَّت دمشـق وحدهـا بقـراءة ابـن عـامر[1]، وذلك من بين مدن بلاد الشام[2].

---

(1) هو عبد ا لله بن عامر اليحصبي ت 118 هـ/ 737م، وقد خصّص له الوليد بن عبد الملك مكاناً في جـامع دمشـق يُقرئ فيه القرآن الكريم (انظر ابن عســاكر: تـاريخ دمشـق جـــ9، ص146، ملكـة أبيـض: مؤسسـات التربيـة العربية في الشام/ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية جــ1، ص113-114).

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم ص180.

الحديث

أقبل العلماء على الاشتغال بالحديث في مدن بلاد الشام وفي طليعتها مدينة دمشق نظراً لأهمية الحديث كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، فقاموا بدراسته من حيث المتن والسند والرواية بهدف التأكد من صحة الأحاديث المروية.

كانت دمشق محطة علمية رائدة لكثير من العلماء، وملتقى لكثير من الرواة في العصور الإسلامية المتعاقبة بما في ذلك العصر الفاطمي، وكان جامع دمشق هو المدرسة النموذجية التي يلتقي فيها المحدِّثون، فيدرِّسون ويحدِّثون ويكتبون.

لعب محدِّثو دمشق في العصر الإخشيدي دوراً كبيراً في إعداد جيل المُحَدِّثين الكبار في العصر الفاطمي في المدينة، مثل الإمام الحافظ المحدِّث أحمد بن عمير بن جوصا الدمشقي (ت320هـ/932م)(1)، وأبي الدحداح أحمد بن محمد بن إسماعيل التميمي (ت328 هـ/939م)(2)، ومحمد بن هشام النميري (ت328هـ/ 939م)(3)، ومحمد بن محمد بن أبي حذيفة الدمشقي(ت333 هـ/944م)(4)، وأبي الحسن محمود بن النظر الأخرم الربعي(ت341هـ/952م)(5)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عمر البجلي الدمشقي الأديب (ت347هـ/985م)(6)، ومُحَدِّث الشام أبي الحسين محمد ابن عبد الله الرازي (ت348هـ/959م)(7)، وعلي بن يعقوب بن أبي العقب الدمشقي المحدِّث المقرئ (ت353هـ/964م)(8)، وأبي القاسم الهمذاني الدمشقي (ت353 هـ/964م)(9)، وأبي العباس محمد بن موسى السمسار (ت 363 هـ/973م)(10).

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية جـ11، ص171، السيوطي: طبقات الحفاظ ص334-335.

(2) الذهبي: العبر جـ2، ص211.

(3) انظر ن.م، جـ2، ص213.

(4) ن.م، جـ2 ، ص231.

(5) الذهبي: العبر جـ2، ص257، السيوطي: طبقات المفسرين ص102 – 103.

(6) الذهبي: العبر جـ2، ص276.

(7) السيوطي: طبقات الحفاظ ص367.

(8) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص496، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 – 380هـ) ص92، العبر جـ2، ص298.

(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ30، ص203 – 206، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 – 380هـ) ص92.

(10) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351 – 380هـ) ص314، السيوطي: طبقات الحفاظ ص391.

لم تقف اهتمامات المحدِّثين على رواية الحديث ودراسته، وإنما نبغ عدد من المحدِّثين أو جلّهم بعلم أو أكثر من العلوم الأخرى لا سيما المتعلقة بدراسة الحديث، وكان من بينهم مَنْ اشتغل بالتاريخ، فكان أبو القاسم تمام بن محمد الرازي (ت414 هـ/ 1023م) من كبار رجال الحديث، واشتهر بحفظ حديث الرواة الشاميين ومعرفة فضائل الشام ودمشق، كما كان مؤرِّخاً يترجم لرجال الحديث ورواته، وله كتاب في التاريخ اسمه (أخبار الرهبان)[1].

وكان أبو القاسم السميساطي (ت453 هـ/1060م) مؤرخاً ومهندساً، كما كان بارعاً في علم الفلك والهيئة إضافة إلى كونه من كبار المحدِّثين بدمشق[2].

وأتقن بعض المحدِّثين القراءة أو التفسير أو الفقه، أو هذه العلوم جميعها، فكان الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحنائي (ت428 هـ/1037م) مقرئاً ومحدِّثاً بارعاً[3]، كما اشتغل أبو علي الأهوازي (ت446هـ/1054م) بالقراءة والحديث[4]، وهكذا كان أكثر المحدِّثين.

كان جامع دمشق مكاناً يلتقي فيه العلماء من المُحَدِّثين والفقهاء والمفسّرين والقرّاء فيلتقون أساتذة وطلاباً، وكثير منهم كان يتلقّى تعليمه على شيخ واحد، فيجلسون للدراسة في مجلس واحد أو في حلقة واحدة، فمثلاً درس كلٌّ من تبوك بن الحسن الكلابي، وأحمد بن عتبة بن مكين الجوبري، ومحمد بن حبان بن موس الكلابي، والحسن بن درستويه الدمشقي، وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي على شيخ واحد هو محدِّث الشام الإمام الحافظ أبو الحسن أحمد بن عمير بن يوسف بن جوصا الدمشقي (ت320 هـ/932م)[5].

ودرس كُلٌّ من تمام بن محمد الرازي وعبد الوهاب الميداني ورشا بن نظيف وأبي علي الأهوازي وأبي القاسم الحنائي وأبي القاسم السميساطي على أستاذ واحد هو المحدِّث أبو الحسين عبد الوهاب

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص441، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10،ص397، الذهبي: سير جـ17، ص290، السيوطي: طبقات الحفاظ ص414، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص278.

(2) انظر الذهبي: سير جـ18، ص72، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص226، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين ص27، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص228 – 229.

(3) الذهبي: سير جـ17، ص565، ابن العماد: شذرات جـ5، ص138.

(4) الذهبي: المعين في طبقات المحدثين ص129، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص377.

(5) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص1–2 (تراجم عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب) ص220–221، ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص177، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص557–558، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص377، المقريزي: المقفى الكبير جـ1، ص550–552.

ابن الحسن بن الوليد الكلابي (ت 396 هـ/ 1005م)[1]، وكان أبو بكر محمد بن سليمان بن يوسف ابن يعقوب الربعي البندار (ت 374 هـ/ 984م) أستاذاً لتمام بن محمد وأبي نصر الجبان وعبد الوهاب الميداني[2].

ولأن دراسة الحديث لم تكن تشكل خطراً على الفاطميين في دمشق فقد كانت بديلاً للعلماء عن الاشتغال بالفقه الذي كان محظوراً على أهل دمشق معظم الفترة الفاطمية، وفيما يلي أشهر محدِّثي دمشق في العصر الفاطمي:

1 – أبو بكر محمد بن سليمان بن يوسف بن يعقوب الربعي البندار الدمشقي، أحد ثقات المحدِّثين بدمشق، ومخضرم شهد العصرين الإخشيدي والفاطمي، درس على عدد من علماء الحديث في العصر الإخشيدي كجعفر بن أحمد بن عاصم، وجماهير بن محمد الزملكاني، ودرس عليه كثير من شيوخ الحديث في العصر الفاطمي كتمام بن محمد الرازي وعبد الوهاب الميداني ومكي بن محمد الوراق، وتُوفي بدمشق سنة 374 هـ/ 984م[3].

2 – أبو بكر بن يوسف بن القاسم الميانجي، وهو محدِّث شافعي المذهب اشتُهر في العصرين الإخشيدي والفاطمي[4]، وقد مرَّت ترجمته مع القضاة.

3 – أبو بكر تبوك بن الحسن بن الوليد بن موسى الكلابي الدمشقي، من كبار المحدِّثين بدمشق[5]، روى عن سعيد بن عبد العزيز الحلبي وأحمد بن جوصا ومحمد بن يوسف الهروي، وروى عنه أخوه عبد الوهاب الكلابي وتمام بن محمد الرازي وعلي السمسار وتُوفي بدمشق سنة (378 هـ/ 988م)[6].

---

(1) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381 – 400 هـ) ص333، سير أعلام النبلاء جـ16، ص557، العبر جـ3، ص61، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص214، النعيمي: دور القرآن ص56.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص401، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380 هـ) ص565.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص401–402، الذهبي: سير جـ16، ص339، العبر: جـ2، ص144، السيوطي: طبقات الحفاظ ص391.

(4) ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص238–239، السبكي: طبقات الشافعية جـ3، ص488–489.

(5) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ3، ص341، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص377.

(6) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص377.

4 – أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة المعروف بابن زبر الربعي، محدِّث دمشق وابن قاضيها، أخذ الحديث عن البغوي وابن أبي داوود، وحَدَّثَ عنه تمام بن محمد الرازي وأملى بالجامع الأموي، وعمل بكتابة التاريخ فصنف كتاب الوفيات، وكان يعدُّ من ثقات المحدِّثين تُوفي سنة (379 هـ/ 989م)[1].

5 – أبو العباس أحمد بن عتبة بن مكين الدمشقي الجوبري[2] المطرز الأطروش[3]، أحد مشاهير المحدِّثين بدمشق روى عن أبي العباس عبد الله بن عتاب الزفتي وابن جوصا وهشام بن أحمد الغازي وعلي بن شيبان الجوهري وأبي الجهم بن طلاب ومحمد بن خريم، وروى عنه تمام الرازي وأبو الحسن بن السمسار وعلي بن زروان وعبد الوهاب بن الجبان، كما حَدَّث عن ابن فياض وابن خريم وحَدَّث عنه تمام الرازي وأبو الحسن الربعي[4] وتُوفي سنة (382هـ/992م)[5].

6 – أبو الفرج العباس بن محمد بن حبان بن موسى الكلابي، أحد المحدِّثين الثقات روى عن جَدِّه حبان بن موسى ومحمد بن خريم وأحمد بن سعيد وعبد الله بن أحمد بن زبر وأبي الحسن بن جوصا وعبد الله بن عتاب الزفتي، وروى عنه تمام بن محمد الرازي وأبو الحسن السمسار وعلي بن الحسن الربعي وإبراهيم بن الخضر وعبد الوهاب الميداني وتُوفي بعد سنة (389هـ/ 998م)[6].

7 – أبو محمد طلحة بن أسد بن عبد الله المختار الرقي، محدِّث سكن دمشق وسمع أبا بكر الآجري وحَدَّثَ بكتبه، كما سمع ابن منير التنوخي وأبا سليمان بن زبر الميانجي، وحَدَّثَ عنه علي بن محمد الحنائي[7]، ورشا بن نظيف وأبو علي الأهوازي[8]، وكان ثقة مأموناً كريماً. تُوفي سنة 394 هـ/ 1003م، ودُفن في مقابر باب كيسان بدمشق[9].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص500–501، السيوطي: طبقات الحفاظ ص396.

(2) نسبة إلى قريته جوبر (انظر ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص177).

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص1، ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص177.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص1–2، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381 – 400 هـ)

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص2، ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص177، ابن منظور: مختصر جـ3، ص164.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق/ تراجم عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب ص220 – 221.

(7) ابن عساكر: تهذيب جـ7، ص67، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان جـ12، ص119.

(8) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381 – 400 هـ) ص301.

(9) ابن عساكر: تهذيب جـ7، ص67.

8 - أبو علي الحسن بن محمد بن درستويه الدمشقي، إمام محدّث. روى عن محمد بن خريم وأبي الحسن بن جوصا، ومكحول البيروتي، وروى عنه ولده محمد وعلي بن محمد الحنائي وأبو علي الأهوازي وأبو القاسم الحناني وإبراهيم بن الخضر الصائغ، وتُوفي سنة (395هـ/ 1004م)[1].

9 - عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد بن موسى الكلابي الدمشقي، محدِّث صادق ثقة[2]، حَدَّثَ عن محمد بن خريم وطاهر بن محمد وسعيد بن عبد العزيز الحلبي وأبي الجهم بن طلاب وأبي الحسن بن جوصا، وأبي عبيدة بن ذكوان ومحمد بن بكار السكسكي، وحدّث عنه تمام الرازي وعبد الوهاب الميداني ورشا بن نظيف وأبو علي الأهوازي وأبو القاسم الحنائي وأبو القاسم السميساطي، وكانت ولادته سنة (306 هـ/918م)، ووفاته سنة (396هـ /100م)[3].

10- أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي الحافظ، سافر في طلب الحديث، فسمع وكتب ببغداد والكوفة والبصرة والأهواز وأصبهان وخراسان، روى عن محمد بن يحيى المروزي ويوسف ابن يعقوب القاضي والحسن بن لؤلؤ الورّاق وأبي بكر بن عبدان الشيرازي، وحدّث عنه أبو ذر الهروي وحمزة بن يوسف السهمي وأحمد بن محمد العتيقي وهبة ا لله بن الحسن اللالكائي[4]،وكانت له عناية بصحيحي البخاري ومسلم، وصنّف كتاباً سمّاه أطراف الصحيحين[5]، كان بمنزلة الفهرس للأحاديث يُسَهِّل على الباحثين معرفة مكان وجود الحديث الذي يبحث عنه في كتب الحديث، وتُوفي أبو مسعود سنة (400 هـ/ 1009م)[6].

---

(1) الذهبي: سير جـ16، ص558.

(2) الذهبي: العبر جـ2، ص188، المعين في طبقات الحفاظ ص119، ابن العماد: شذرات جـ4، ص507.

(3) الذهبي: سير جـ16، ص557، النعيمي: دور القرآن ص56، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص507.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ6، ص172-173، ابن عساكر: تهذيب جـ2، ص290، الذهبي: تذكرة الحفاظ جـ3، ص255، سير جـ17، ص228، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص344، ابن العماد: شذرات جـ4، ص523.

(5) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ6، ص173، الذهبي: العبر جـ2، ص197، السيوطي: طبقات الحفاظ ص417، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص116، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين جـ5، ص7، عمر كحالة: معجم المؤلفين جـ1، ص101.

(6) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ6، ص173، ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص344، الذهبي:

11– أبو بكر عبد ا لله بن محمد بن عبد ا لله بن هلال الحنائي البغدادي، أديب سكن دمشق، واشتغل بالحديث وروى عن أبي يوسف يعقوب بن أحمد وأبي عبد ا لله الحسين بن يحيى القطّان، وروى عنه أبو نصر أحمد بن علي الكفرطابي وأبو القاسم الحنائي، ورشا بن نظيف وأبو علي الأهوازي، وترك كتبه في بغداد عند رحيله إلى دمشق، فحملها له إلى دمشق رشا بن نظيف بن ما شا ا لله[1]، وتُوفي سنة (401 هـ/ 1010م)[2].

12– أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن أبي الحديد السلمي الدمشقي، أحد المُحَدِّثين الثقات[3]، وُلد سنة (309 هـ/ 921م) وسمع أبا الدحداح أحمد بن محمد ومحمد بن اليوسف الهروي ومحمد بن جعفر الخرائطي، وحدّث عنه حفيداه أحمد وعبيد ا لله ابنا عبد الواحد وعلي بن الحسن الشرابي وأبو الحسن السمسار وأبو علي الأهوازي وأبو القاسم الحنائي، وكان ثقة مأموناً، تُوفي سنة (405 هـ/ 1014 م)[4].

13– صدقة بن محمد بن أحمد بن محمد بن القاسم بن الدلم القرشي الدمشقي، مُحَدِّث دمشق ومسندها، روى عن أبي سعيد بن الأعرابي وأبي الطيب بن عبادل، وحدّث عنه عبد الرحيم البخاري وأبو علي الأهوازي وعلي بن الخضر السلمي وعبد العزيز الكتاني، وتُوفي سنة (413 هـ/ 1022 م)[5].

14– تمام بن محمد بن عبد ا لله بن جعفر بن عبد ا لله بن الجنيد البجلي الرازي، وُلد بدمشق سنة 330 هـ/ 941م[6]، وسمع الحديث من كبار رجال الحديث فسمع من أبيه ومن الحسن بن حبيب وأحمد بن محمد بن فضاله الحمصي وحمد بن حميد بن الحوراني الكلابي، وروى عنه عبد

سير جـ17، ص229، السيوطي: طبقات الحفاظ ص417، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص523.

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ1، ص140، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ38، ص130–132.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ1، ص141، ابن العماد: شذرات جـ5، ص8.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ2، ص60، المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص226.

(4) الذهبي: سير جـ17، ص184، الصفدي: الوافي جـ2، ص60، المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص226.

(5) الذهبي: العبر جـ2، ص224، سير: جـ17، ص226، ابن العماد: شذرات جـ5، ص70.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص441، الذهبي: المعين ص122، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص397، ابن العماد: شذرات جـ5، ص73، بسام الجابي: معجم الأعلام ص150، الزركلي: الأعلام جـ2، ص87، صلاح المنجد: معجم المؤرخين ص23.

الوهاب الكلابي وأبو الحسن الميداني وعبد العزيز الكتاني وأبـو القاسم الحنـائي[1]، وهـو مـؤرخ وعـالم بالحديث ومعرفة الرجال[2]، وصنّف عدة كتب منها كتاب في الحديث سَمَّاه الفوائد[3]، وكتاب أخبـار الرهبان[4]، وكانت وفاته سنة (414 هـ/ 1023م)[5].

15- أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون الغسّاني الدمشقي إمام جـامع دمشـق المُحَـدِّث المشـهور، روى عن خيثمة وعلي بن أبي العقب، وكان ثقةً، تُوفي رحمه ا لله سنة (417هـ/1016م)[6].

16- أبو الحسن عبد الوهاب بن جعفر بن علي الميداني الدمشقي من كبار رجـال الحديـث، وُلـد سنة (333 هـ/ 945م)، اشتُهر برواية الحديث، فروى عن أبي علي بن هارون وأبي عبد ا لله بـن مـروان والحسين بن أحمد بن ثابت، وروى عنه رشـا بـن نظيـف وأبـو علـي الأهـوازي وأبـو العبـاس بـن قبيـس المالكي[7]، تُوفي سنة (418 هـ/ 1027م)[8].

17- أبو محمد عبد الرحمـن بـن عثمان بـن القاسـم بـن معـروف التميمـي الدمشـقي، وُلـد سـنة 327هـ/938م[9]، اشتغل بعلوم الحديث، فحدّث عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد البغدادي، وأبي علي حبيب الحصائري وأبي الحسن بن حذلم وأحمد بن سليمان بن زبّان الكندي، وتفرّد بالرواية عن بعضهم، وحدّث عنه أبو علي الأهوازي ورشا بن نظيف وأبو سعد السّمان، وأبو الوليـد الدربنـدي[10]، وكـان إمامـاً عادلاً ومحدثاً ثقةً، لُقِّبَ بالشيخ العفيف، وتُوفي سنة 426 هـ/ 1034م فكانت لـه جنـازة كبـيرة حضرهـا جميع أهل دمشق حتى النصارى واليهود[11].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص440، الذهبي: سير جـ17، ص290.
(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، 441، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص397.
(3) الذهبي: سير جـ17، ص290، الزركلي: الأعلام جـ2، ص87.
(4) صلاح الدين المنجـد: معجـم المؤرخين الدمشقيين ص23، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص278.
(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص441، الذهبي: سير جـ17، ص290، ابن العماد: شذرات جـ5، ص73.
(6) الذهبي: العبر جـ2، ص223، ابن العماد: شذرات جـ5، ص89.
(7) الذهبي: سير جـ17، ص499.
(8) انظر سبط بن الجـوزي: مرآة الزمان جـ12، ص159، الذهبي: العبر جـ2، ص235.
(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص46-47، الذهبي: سير جـ17، ص366، المعين في طبقات المحدثين ص123، ابن العماد: شذرات جـ5، ص100.
(10) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص46-47، الذهبي: سير جـ17، ص366.
(11) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص47، الذهبي: سير جـ17، ص367، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص100.

18– أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن ياسر التميمي الجوبري الدمشقي[1]، محدّث لم يكن يُحسِن القراءة والكتابة، وكان أبوه مُحَدِّثاً فأسمعه وضبط عليه السماع، وكان يحفظ متون الحديث الذي يحدّث به، حدّث عن علي بن أبي العقب وإبراهيم بن محمد بن سنان وروى عنه أبو القاسم الحنّائي وسعد الزنجاني وأبو القاسم بن أبي العلاء[2]، وتُوفي سنة (425 هـ/ 1033م)[3].

19 – أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أحمد الحلبي الرامي المشهور بابن الطبيز، مُحَدِّثٌ سكن دمشق وحدّث عن محمد عن عيسى البغدادي ومحمد بن الحسين السبيعي، وروى عنه عبد العزيز الكتاني، وعلي بن محمد الربعي والحسن بن أبي الحديد والفقيه نصر المقدسي، وهو شيعي المذهب، كانت وفاته سنة (431 هـ / 1039م)[4].

20 – أبو الحسن علي بن موسى بن الحسين بن السمسار الدمشقي، مُحَدِّث فاضل كان مسند أهل الشام في زمانه[5]، حدّث عن أبيه وأخيه محمد بن موسى السمسار[6]، وأخيه أحمد أيضاً وعن علي بن أبي العقب وأحمد بن دجانة، وحدّث عنه عبد العزيز الكتاني وأبو نصر بن طلاب والحسن ابن أبي الحديد والفقيه نصر بن إبراهيم[7]، وروى صحيح البخاري عن أبي زيد المروزي[8]، وكانت علاقته حسنة مع السلطة الفاطمية بدمشق، وتُوفي سنه (433 هـ/1041م)[9].

21 – أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن درستويه، محدّث روى عن أبيه وعن عبد العزيز الكتاني وعلي بن الخضر ونجا بن أحمد، وحدّث عنه أبو محمد الأكفاني وأبو محمد الكتاني، وكانت وفاته سنة (438 هـ/ 1046م)[10].

---

(1) ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص176، الذهبي: سير جـ17، ص415.

(2) الذهبي: سير جـ17، ص415، العبر: جـ33، ص158.

(3) ياقوت: معجم البلدان جـ2، ص176–177، الذهبي: سير جـ17، ص415.

(4) انظر الذهبي: سير جـ17، ص497–498، ابن العماد: شذرات جـ5، ص154–155.

(5) الذهبي: المعين في طبقات المحدثين ص127، سير: جـ17، ص506.

(6) هو أيضاً محدّث مشهور توفي سنة 363 هـ/973م (انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص325).

(7) الذهبي: سير جـ17، ص506–507، العبر: جـ2، ص278.

(8) ابن العماد: شذرات الذهب: جـ5، ص161.

(9) الذهبي: المعين في طبقات المحدثين ص127، سير أعلام النبلاء جـ17، ص507، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص161.

(10) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص245–246.

22 – أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن بن أبي نصر عثمان بن القاسم التميمي الدمشقي، سمع الحديث من أبيه ومن يوسف بن القاسم الميانجي وأبي سليمان بن زبر الربعي، وحدّث عنه الخطيب البغدادي وسهل بن بشر وأبو القاسم النسيب وأبو الطاهر الحنائي، وتُوفي سنة (446هـ/ 1054م)[1].

23 – أبو القاسم علي بن محمدبن يحيى السلمي المعروف بالسميساطي[2]، نسبة إلى سميساط على نهر الفرات، وكان من أكابر الرؤساء والمُحَدِّثين وهو من تلاميذ الخطيب البغدادي، وبرع في علمي الهندسة والهيئة[3].

كان السميساطي من أصحاب الثراء الواسع، وهو الذي أوقف الخانقاه السميساطية بدمشق قُرْبَ الجامع الأموي، ووقف أكثر أمواله على وجوه البر، حدّث عن أبيه وعن عبد الوهاب الكلابي، وحدّث عنه إبراهيم بن يونس المقدسي وأبو القاسم النسيب، وتُوفي سنة (453 هـ/ 1061م)[4].

24 – أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الدمشقي الحنائي[5]، محدّث دمشق في وقته، وأحد الرؤساء الكبار، حدّث عن عبد الوهاب الكلابي والحسن بن درستويه وعبد الله بن محمد الحنائي وتمام الرازي وأبي بكر بن الحديد، وحدّث عنه أبو سعد السمّان والخطيب البغدادي ومكي الرملي و أبو القاسم النسيب وطاهر بن سهل الأسفراييني وهبة الله بن الأكفاني، وله كتاب في الحديث هو الأجزاء الحنائيات العشر، وُلد سنة (378 هـ/ 988م)، تُوفي سنة (459 هـ/ 1067م)، ودُفن في مقبرة باب كيسان[6].

25 – أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد

---

(1) الذهبي: سير جـ17، ص648–649.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص534، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ18، ص71، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص70، بسام الجابي: معجم الأعلام ص530.

(3) الذهبي: سير جـ18، ص72، ابن العماد: شذرات جـ5، ص226، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين ص27، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص228–229.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص534–535، الذهبي: سير جـ18، ص71–72، النعيمي: الدارس جـ2، ص151–152، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص228–229.

(5) الذهبي: سير جـ18، ص130، المعين في طبقات المحدثين ص132، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص253.

(6) الذهبي: سير جـ18، ص130–131، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص253.

السلمي[1]، مُحَدِّث مشهور أخذ عن جَدِّه أبي بكر، وحدّث عنه الخطيب البغدادي وعبد العزيز الكتاني وعمر الروّاسي وأبو القاسم النسيب وهبه ا لله بن الأكفاني، وكان ثقة نبيلاً وعدلاً مأموناً، يتفقد أحوال الطلبة والغرباء، وتُوفي سنة (439 هـ/ 1076م)[2].

26 – الحسن بن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد السلمي، وهو خطيب ومُحَدِّث أخذ عن أبيه وجدّه، وُلد سنة (416 هـ/ 1025م)، وتُوفي بدمشق سنة (482هـ/1089م)[3].

27 – أبو القاسم عبد الوهاب بن طالب بن أحمد بن يوسف بن عبد ا لله بن عنبسة بن كعب التميمي المقرئ الفقيه المُحَدِّث، من أهل باب الأزج[4]، سافر إلى الشام وسكن دمشق، وسمع بها الحديث، وكان يصلي إماماً في مسجد درب الريحان، وهو حنبلي المذهب، تُوفي بدمشق سنة (487 هـ/ 1095م) وَدُفن في مقبرة باب الفراديس[5].

28 – أبو الفضل أحمد بن علي بن الفضل بن طاهر بن الفرات الدمشقي[6]، أحد المُحَدِّثين بدمشق، سمع من أبيه ومن عبد الرحمن بن أبي نصر ورشا بن نظيف، وحدّث عنه أبو محمد بن طاووس وأحمد بن سلامة بن الأبّار، كان يُتَّهَمُ برقة الدين[7]، وهو الذي أوقف خزانة الكتب التي في الجامع الأموي.

29 – ومن مُحَدِّثي دمشق في العصر الفاطمي أيضاً أبو عبد ا لله محمد بن إبراهيم بن علي النسائي الدمشقي المعروف بابن البويطي وهو شافعي المذهب[8]، وأبو السرايا غنائم بن أحمد بن المسلم بن خضر السلمي[9]، وأبو القاسم الفضل بن جعفر بن محمد بن أبي عاصم التميمي المؤذن[10]، وأبو عبد ا لله

---

(1) الذهبي: سير جـ18، ص418، ابن العماد: شذرات جـ3، ص332.

(2) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ3، ص160، الذهبي: المعين في طبقات المحدثين ص134.

(3) انظر ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ6، ص314–315، الذهبي: العبر جـ2، ص344.

(4) الأزج منطقة شرقي بغداد كثيرة الأسواق (انظر ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص168).

(5) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد جـ15، ص336–337.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص52.

(7) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص52–54، الذهبي: العبر جـ3، ص339.

(8) الأسنوي: طبقات الشافعية جـ1، ص117.

(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص140.

(10) ن. م. جـ14، ص228–229.

الحسين بن محمد بن عثمان اليبرودي (ت 401 هـ/ 1010م)[1]، والحسين بن الحسن بن سباع الرملي إمام جامع دمشق وخطيبها (ت 428 هـ/ 1036م)[2].

أقبل العلماء في دمشق على الاشتغال بالحديث، فكانت حلقات الحديث نشيطة في جامع بني أمية، ولم يتوقف نشاطها طوال الفترة الفاطمية[3]، فكانت هذه الحلقات أهم مجالس التدريس في دمشق، وكان يجتمع إليها طلاب العلم وغيرهم لسماع الحديث، وتخرّج أكثر محدِّثي الفترة الفاطمية في دمشق من هذه الحلقات.

كان يترتَّب على دارس الحديث أن ينتقل في البلاد الإسلامية لسماع أهل الحديث، فتنقل بعضهم لروايته من دمشق إلى مكة والمدينة ومصر والعراق ، وغيرها[4] كما ترتَّب عليه أن يكون مُلِمًّا بعلم الجرح والتعديل حتى يتمكن من تمييز الحديث الصحيح الذي يمكن الاعتماد عليه وروايته.

وصُنِّفت بعض كتب الحديث في هذه الفترة منها (أطراف الصحيحين) لأبي مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الله الدمشقي (ت 400 هـ/ 1009م)[5]، (والفوائد) لتمام بن محمد الرازي (ت 414 هـ/ 1023م)[6]، والأجزاء الحنائيات لأبي القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم الحنائي (ت 459 هـ/ 1067م)[7].

---

(1) ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص427.

(2) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ4، ص294.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم ص180.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ6، ص172–173، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ2، ص290، الذهبي: تذكرة الحفاظ جـ3، ص255، سير جـ17، ص228، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص29، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ7، ص191، 195.

(5) الذهبي: العبر جـ2، ص197، السيوطي: طبقات الحفاظ ص417، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص116، البغدادي: هدية العارفين جـ5، ص7.

(6) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص441، الذهبي: سير جـ17، 290، الزركلي: الأعلام جـ2، ص87.

(7) الذهبي: سير جـ18، ص130، المعين في طبقات المحدثين ص132، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص253.

الفقه والنحو

كان الفقه من الدراسات التي اهتمَّ بها المسلمون وصاروا يلتزمون المذهب الذي ينتمون إليه منذ ظهرت المذاهب الفقهية ، وكان علماء الفقه يستنبطون الأحكام على أساس مذاهبهم.

وارتبط الفقه بعلوم اللغة والنحو حتى يتمكن الفقيه من استنباط الأحكام الشرعية من أصولها بطريقة سليمة وصحيحة، لهذا بدأ الفقهاء لغويين ونحاة قبل أن يصبحوا فقهاء.

وكثر الفقهاء في دمشق في العصر الإخشيدي، وقدموا خدمات جُلّى من فتاوى وشروح وأحكام، ومنهم أبو علي الحسن بن حبيب الدمشقي الحضائري المتوفى سنة (338هـ/949م)[1]، وأبو سعيد أحمد بن عثمان البغدادي المعروف بابن البقّال الذي حدّث بدمشق سنة (362هـ/972م)[2]، وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح بن شجاع الدمشقي المتوفى سنة (365هـ/975م)[3].

وبعد قدوم الفاطميين إلى دمشق رأوا أن استمرار نشاط الفقهاء يشكّل خطراً عليهم لاختلاف مذهبهم عن المذاهب الفقهية في دمشق وتعارضه معها، فحظر الفاطميون المذاهب غير الشيعية، فسياستهم تقوم على أساس خدمة المذهب الإسماعيلي، والتشريعات التي يجب العمل بها يجب أن تُبنى على أساس هذا المذهب، فكان أكثر قضاتهم من الشيعة الإسماعيلية، والقضاء هو الجهة الرئيسية التي يمارس الفقهاء نشاطهم من خلالها، لهذا اختفى نشاط المذاهب الفقهية غير الإسماعيلية في أوائل الحكم الفاطمي لدمشق.

وتحوَّل الدارسون من الاشتغال بالفقه إلى دراسة أمور لا تعارضها السلطة الفاطمية كالقراءات والحديث، وقليلاً ما درس علماء المسلمين الفقه تحاشياً لاصطدامهم بالسلطة الفاطمية.

وفي الفترة الأخيرة من الحكم الفاطمي لدمشق، أُفسح المجال لنشاط الفقهاء على المذاهب المختلفة نتيجة ضعف الوجود الفاطمي من جهة، وللسياسة التي اتبعها الحاكم بأمر الله في الآونة الأخيرة، حيث بدأت تخف حدّة المعارضة للمذاهب الأخرى منذ سنة (399هـ/1008م)[4].

---

(1) انظر الذهبي: العبر جـ2، ص247.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ4، ص300، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص9-10، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص287.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351-380هـ) ص341.

(4) الدواداري: الدرة المضيئة ص279، المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ2، ص78.

وفيما يلي قائمة بأشهر فقهاء دمشق أيام الفاطميين:

1 - أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة بن شرام النحوي الغساني، وهو نحوي مشهور اهتمّ بالحديث والفقه، صحب أبا القاسم الزجاني فأخذ عنه كتبه وتصانيفه، وسمع أبا بكر الخرائطي و أبا الدحداح التميمي[1]، وروى عنه رشا بن نظيف وأحمد بن الحسن الطيان وأبو الحسن الربعي، وأبو نصر بن الجبان، وتُوفي سنة (387هـ/997م)[2].

2 - أبو الفرج محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عمر بن الميمون الدارمي، فقيه شافعي المذهب عُرف بالذكاء والفطنة، وكان شاعراً ومتصوفاً، وإماماً بارعاً[3]، وُلد في بغداد سنة (358هـ/968م)، وتُوفي بدمشق سنة (448هـ/1055م)[4].

انتقل الدارمي إلى الرحبة فسكنها بعض الوقت، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها، وروى عن أبي بكر الورّاق ومحمد بن المظفر وأبي بكر بن شاذان، وحدّث عنه الخطيب البغدادي وأبو علي الأهوازي و عبد العزيز الكتاني وأبو طاهر الحنائي ونصر المقدسي[5]، وصنّف عدة مؤلفات منها[6]:

- الاستذكار.
- جامع الجوامع ومودع البدائع.
- المتحيّرة.

3 - أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن صالح السلمي المطرّز النحوي (ت 456هـ/1063م)، سمع وروى ومات بدمشق، صنّف مقدمة في النحو، وكان على رأي الأشعري[7].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص162، ياقوت: معجم الأدباء جـ4، ص263.
(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ7، ص162-163، ياقوت: معجم الأدباء جـ4، ص264.
(3) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ2، ص361، الشيرازي: طبقات الفقهاء ص128، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ18، ص52-53 ، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص182.
(4) الشيرازي: طبقات الفقهاء ص128 ،الأسنوي: طبقات الشافعية جـ1، ص246.
(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ18، ص52-53، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص182.
(6) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص182، ابن القاضي شهبة: طبقات الشافعية جـ1، ص235، الزركلي: الأعلام جـ6، ص254.
(7) المقريزي: المقفى الكبير جـ6، ص336.

4 – أبو علي الحسن بن عبد الله بن الحسن الختلي، فقيه شافعي المذهب، سكن دمشق، وكان إمام الجامع الأموي[1].

سمع الحديث من أبي عثمان الصابوني، وروى عنه ابن الأكفاني،وتُوفي سنة 460هـ/1067م، ودُفن بباب الفراديس[2].

5 – أبو الحسن طاهر بن أحمد بن علي بن محمود الفقيه القابني، وهو محدّث وفقيه شافعي، حدّث عن منصور بن نصر بن عبد الرحيم، وعبد الرحمن بن الحسن النيسابوري، وروى عنه عمر الداهستاني و الموازيني وابن الحباني، وتُوفي وهو عائد من الحج سنة 463هـ/1070م[3].

6 – أبو القاسم زيد بن علي بن عبد الله الفسوي الفارسي المتوفى سنة 467هـ/1074م، كان عالماً باللغة والنحو ومُلِمّاً بعلوم أخرى كثيرة[4].

استوطن دمشق، وأخذ النحو عن أبي الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي، وروى عنه الإيضاح، وقرأ على الشريف أبي البركات عمر بن إبراهيم الكوفي، وأخذ الحديث عن أبي ذر الهروي، وأَقْرَأَ العربية بحلب ودمشق[5]، وصنّف عدة مؤلفات منها[6]:

1ً– شرح الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي.

2ً– شرح الحماسة لأبي تمام.

7 – أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أحمد المصيصي (نسبة إلى المصيصة)[7]،كان فقيهاً وعالماً كبيراً، تفقّه على القاضي أبي الطيب الطبري[8]، شافعي المذهب، سمع الحديث من أبي محمد

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص191، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ6، ص243–344.

(2) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص191–192، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ6، ص344.

(3) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ7، ص50، الأسنوي: طبقات الشافعية جـ2، ص218.

(4) انظر ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ6، ص27، ياقوت: معجم الأدباء جـ11، ص176–177، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص573.

(5) ياقوت: معجم الأدباء جـ11، ص177.

(6) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ6، ص27، ياقوت: معجم الأدباء جـ11، ص177، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص573.

(7) قرية من قرى دمشق قرب بيت لهيا (انظر ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص145).

(8) ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص145، الأسنوي: طبقات الشافعية جـ2، ص412.

ابن أبي نصر بدمشق وأبي الحسن بن الحمّاني وأبي القاسم بن بشـران ببغـداد، وسمـع منـه الخطيـب البغدادي بعد قدومه إلى دمشق سنة 451هـ/1059م[1]، وكانت ولادتـه سـنة 400هـ/1009م. ووفاتـه سنة 487هـ/1094م[2].

8 – ومن فقهاء دمشق أيضاً خلال الفترة الفاطمية أبو العباس أحمد بن منصـور بـن محمـد ابن قيس الغساني، وكان فقيهاً على مذهب الإمام مالك[3]، ومحمد بن خريـم أبـو قهطـم المـري، وهو من أهل الفتوى بدمشق[4]، والحسين بن محمد بن الحسن أبو علي الساوي الفقيه المتكلـم[5]، والقاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعد المعري المتوفى سنة 443 هـ/1051م[6]، وسـليم ابن أيوب الرازي (ت 447هـ /1055م)[7].

ولأن أهل الشام لم يتقبلوا المذهب الفاطمي، فقد رَدَّ الفاطميون بحظر الدراسات الفقهيـة على مذاهب أهـل السُّنَّة في دمشـق، وكـان أكـثر مـن درس علـى الرغـم مـن ذلـك علـى مذهـب الشافعية[8]، وهو مذهب أهل الشام.

وخضعت البلاد للقضاء الفاطمي وأغلب قضاته إسماعيلية وهم الذين تولّوا حَلَّ المشكلات والفصل بين الناس، ولهذا كان يُطَبَّقُ المذهب الإسماعيلي في فترة الحكم الفاطمي على الأغلب.

---

(1) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص3.

(2) انظر ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص145، الأسنوي: طبقات الشافعية جـ2، ص413.

(3) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك جـ4، ص765.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص287.

(5) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص332.

(6) سبط بن الجـوزي: مرآة الزمان جـ12، ص113، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ص280.

(7) الشيرازي: طبقات الفقهاء ص132، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ15، ص334.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ4، ص191، تهذيب تاريخ دمشـق جـ7، ص50، الشـيرازي: طبقـات الفقهـاء ص128، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ4، ص182، الأسنوي: طبقـات الشـافعية جـ2، ص218، السيوطي: بغية الوعاة جـ1، ص573.

التصوف

عرفت بلاد الشام حياة الزهد والتقشف بين المتعبّدين، فَمالَ بعضهم إلى الانشغال بالعبادة عن شؤون الحياة المختلفة، وآثروا العبادة والعمل الصالح والزهد لكسب رضى الله تعالى، وقد نشأ التصوف بفعل عاملين هما:

1 - الإفراط في الزهد والانقطاع للعبادة، فجاء التصوف رَدّاً على حياة الترف التي انتشرت بين المسلمين.

2 - فكرة الحلول الإلهي[1] في النفس الإنسانية، وبدأت هذه الفكرة تدخل عند الطوائف التي ادعت انتماءها إلى الإسلام كالسبأية والكيسانية والقرامطة[2]، ثم ظهرت عند الصوفية.

وأقبل بعض الناس على التصوف في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، وكان المتصوفون يسمّون أنفسهم أهل الحقيقة، فالتقت مع الفلسفة مما أدّى إلى انحراف بعض أتباعهم عن الهدف الأساسي، وصارت عقيدتهم سلبية ترضى بالواقع وترفض التغيير[3]، وكان من بين المتصوفين في دمشق خلال العصر الفاطمي:

1 - أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب السوسي، كان شيخ الصوفية بدمشق[4]، حدّث عن أبي علي بن مروان بن شعيب، وأحمد بن عطا الروذباري ومحمد بن داوود الرقي، وروى عنه أبو نصر بن الجبان وأبو الحسين بن الترجمان، وتُوفي أبو بكر سنة (386هـ/996م)[5].

2 - محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم العلوي، وُلد بهمذان، ونشأ ببغداد، ودرس الحديث والفقه على المذهب الشافعي، ثم انتقل إلى الشام فصحب الصوفية وأُعجب بها

---

(1) أي انتقال روح الله إلى البشر، وهي فكرة مستوحاة من العقائد الثنوية (انظر عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص126-127).

(2) عبد القاهر الجرجاني: الفَرْقُ بين الفِرَق ص241-242، عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية ص128، جميل عبد الله المصري: حاضر العالم الإسلامي جـ1، ص50.

(3) انظر جميل عبد الله المصري: حاضر العالم الإسلامي جـ1، ص50.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص749، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص175.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص749-750.

فصار من رجالهم[1]، وتُوفي بدمشق سنة 395هـ/1004م[2].

3 – أبو الحسن علي بن الحسن بن القاسم بن عبد الله بن محمد الصوفي، وهو صوفيٌّ محدّث روى عنه من أهل دمشق أبو نصر بن الجبان وأبو الحسن بن السمسار وعبد الوهاب الميداني، وتمام بن محمد الرازي وأبو علي الأهوازي، ورشا بن نظيف، وأبو القاسم الحنائي، وتُوفي سنة 407هـ/1016م[3].

4 – إسماعيل بن محمد البرزي المقرئ الصوفي، وروى عن أبي سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد وروى عنه إسماعيل بن علي السمّان وعبد العزيز الكتاني، وتُوفي سنة (415هـ/1024م)[4].

5 – أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن هارون المقرئ، شيخ أهل التصوف بالشام، سمع من عبد الوهاب الكلابي ومحمد بن علي بن أحمد بن يوسف العسقلاني، وحدَّثَ عنه أبو الحسن الموازيني، وتُوفي سنة (448هـ/1056م)[5].

6 – أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن سليمان بن إبراهيم التميمي الدمشقي[6]، وهو متصوف حافظ من أهل دمشق، رحل في طلب الحديث، فزار بغداد والموصل ونصيبين ومنبج، سمع بدمشق من صدقة بن محمد القريشي وتمام بن محمد الرازي وعبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المزي وعبد الوهاب الميداني، وروى عنه الخطيب البغدادي وأبو القاسم النسيب وأبو محمد الأكفاني وأبو القاسم السمرقندي وغيرهم[7]، وكانت ولادته سنة (389هـ/998م) ووفاته سنة (466هـ/1073م)[8].

7 – أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الساوي، فقيه متكلم على مذهب الشافعي، سكن دمشق وحدّث بها، وسمع الحديث بمكة وبغداد ودمشق وتُوفي سنة (488هـ/1095م)[9].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية جـ11، ص 335.

(2) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ6، ص 27، ياقوت: معجم الأدباء جـ11، ص 176-177، السيوطي: بغية الوعاة جـ11، ص 573.

(3) انظر ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد جـ117، ص 317، 319.

(4) ياقوت: معجم البلدان جـ1، ص 383.

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص 256-257.

(6) ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص 469، ابن كثير: البداية والنهاية جـ12، ص 109.

(7) انظر ياقوت: معجم البلدان جـ5، ص 469-470.

(8) ن . م، جـ15، ص 470.

(9) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ4، ص 246-247، الأسنوي: طبقات الشافعية جـ11، ص 330، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ14، ص 332.

8 – ومن الشيوخ الصوفية بدمشق أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الحسين المتوفى سنة (471هـ/1078م)[1]، وسهل بن بشر الأسفرايني الصوفي المحدّث المتوفى سنة (490هـ/1096م)[2]، والحسن بن علي بن وهب الصوفي المقرئ[3].

فكانت حركة التصوف في رأي الفاطميين مصدر قلق دائم لأنهم يعدّونها مثيرة للناس ومحركة لمشاعرهم ضدَّ الفاطميين، فحاولوا الحدّ من نشاطها أو استمالة أفرادها ليأمنوا خطرهم.

---

(1) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص 107.

(2) الذهبي: العبر جـ2، ص 364، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص 399.

(3) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ4، ص 236.

الآداب والعلوم

تطورت علوم اللغة والأدب في دمشق خلال الفترة الفاطمية، فلم تكن هناك موانع تحدُّ من نشاط المشتغلين بهذه العلوم، وظهر في دمشق عدد من الأدباء منهم أبو الفرج الحسن بن محمد النحوي المعروف بالمستور المتوفى سنة 392هـ/1001م[1].

وهو من علماء اللغة والأدب، وله قصائد شعرية نظم أحدها في دمشق فكان يتغنّى بها ويردّدها بعض أهل دمشق منها[2]:

الحب بحر زاخر	راكبه مُخاطر
جنوده المحاجر	والحُدق السواحر
ركبته على غرر	وخطرٍ على خطر

وأبو علي محمد بن محمد بن يحيى السلمي (ت 417هـ/1026م)[3]، ووجيه الدولة ذو القرنين الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي (ت 428هـ/1036م)، وهو أديب وشاعر تولّى إمرة دمشق فيما بين (415-419هـ/1024-1028م)[4]، وأبو الحسن ميسر بن هبة الله بن محمد بن مسعد التنوخي صاحب كتاب (أبكار المعاني المعتمدية) المتوفى سنة 487هـ/1093م[5].

---

(1) ياقوت: معجم الأدباء جـ10، ص 163.

(2) انظر ن . م، جـ10، ص 163-164.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص 926-927.

(4) ياقوت: معجم الأدباء جـ11، ص 119، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2، ص 279، الذهبي: العبر جـ2، ص 259، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص 137.

(5) انظر محمد سليم الجندي: تاريخ معرّة النعمان جـ3، ص 219.

الشعر

عُني الفاطميون بالشعر وتقريب الشعراء على اختلاف مذاهبهم، واستخدموا الشعر لنشر أفكارهم، ووسيلة للدفاع بها ضد خصومهم، ورفع شأنهم وشأن عقيدتهم الإسماعيلية، وأكثروا من استحداث الحفلات والمواسم وإقامة حلقات الشعر[1].

تناول شعراء الشام في العصر الفاطمي فنون الشعر التقليدية التي كانت معروفة من قبل كالمديح والفخر والرثاء والغزل والهجاء والوصف والحنين والغربة والزهد[2].

وتطوَّرت الأغراض المختلفة تبعاً لظروف العصر ومقتضياته، ومَالَ كثير من الشعراء للسلطة الحاكمة، وصارت أكثر أشعارهم للفاطميين من خلفاء ووزراء وأمراء وولاة والإشادة بهم وبأعمالهم[3]، واتَّجه بعض الشعراء للتكسب بأشعارهم فصارت مصدر رزق لهم[4].

غلب شعر المديح على معظم فنون الشعر وأغراضه في هذا العصر، فابن حيوس خَصَّ أمير الجيوش الفاطمي أنوشتكين الدزبري والي دمشق بكثير من قصائد المدح، كما مدح غيره من أعيان الفاطميين ورجالهم من وزراء وأمراء وولاة وقضاة وكتّاب وقادة ونقباء وعلماء وغيرهم[5].

ومدح عبد المحسن الصوري بعض الخلفاء وأعيان الشيعة التزاماً بِحُبِّهِ للمذهب الشيعي الذي يُصرِّح بانتمائه إليه[6].

---

(1) ابن حيوس: الديوان جـ1، ص283-284، 307، عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص 186، 320، جـ2، ص 187، الدواداري: الدرة المضيئة ص 255، 340، 426، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص 130-131، عارف تامر: تميم الفاطمي ص 10-11.

(2) الثعالبي: خاص الخاص ص 151، ابن حيوس: الديوان جـ1، ص 121، 173، 202، 588، عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص 186، 197، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص 174، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص 232، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص 233، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص 23.

(3) ابن حيوس: الديوان جـ2، ص 588-589، عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص 197.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص 232-233، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص 23، زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع جـ2، ص 278.

(5) ابن حيوس: الديوان جـ1، ص 121، 202، 313-314، جـ2، ص 388، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ4، ص 438.

(6) عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص 73، 140، 186، 220، 320.

وأجاد شعراء الشام بوصف الحروب أيام الفاطميين، فنظم ابن حيوس قصائد كثيرة في الصراع بين الفاطميين والقبائل العربية المتحالفة في بلاد الشام[1]، وبين الفاطميين والروم[2].

اهتمَّ بعض الشعراء بالوصف غير أن أكثره جاء من خلال قصائد المديح، وتنوَّع الوصف فجاء بعضه وصفاً للطبيعة، وبعضه وصفاً للمظاهر الحضارية أو الاجتماعية، واشتهر به كل من محمد بن أحمد الغساني الدمشقي[3]، وعبد الواحد بن نصر المخزومي[4]، والحسين بن الحسن الواساني الدمشقي[5].

أما الفخر فلم يكن له حظ كبير من الاهتمام، وجاء أيضاً من خلال قصائد المديح، فابن حيوس كان يفتخر بشعره، ويعتزُّ بأنه كان يأتي به من بنات أفكاره فيقول[6]:

وعذراء لما تلدها النساء ... ولكنها من بنات الفكر

إذا رفع الخفر الغانيات ... سمت بالتبرُّج لا بالخفر

ونظم بعض الشعراء الدماشقة القصائد في الرثاء والهجاء والحنين، فاشتُهر ابن حيوس بمرثياته التي خصَّ بها الفاطميين أيضاً، وكتب يعزي أنوشتكين الدزبري بوفاة زوجته شواقة يقول[7]:

هوى كوكب زُهْرُ الواكب مذ هوى ... ففارق منه مثواها عليه نوادبُ

ولو لم يراع الأنف حقَّ جواره ... لما شيعته بالبكاء السحائبُ

كما نظم له قصيدة يعزيه فيها بوفاة الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله[8].

وبرز في الهجاء الحسين بن الحسن الواساني، فيذكر ياقوت أنه كان له فيه نَفَسٌ طويل[9].

---

(1) ابن حيوس: الديوان جـ1، ص 60-61.
(2) ن . م، جـ1، ص 76، جـ2، ص 588-589.
(3) انظر ن . م، جـ1، ص 291.
(4) ن . م، جـ1، ص 276، 281.
(5) ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص 233.
(6) انظر ابن حيوس: الديوان جـ2، ص 255، 296.
(7) ن . م، جـ1، ص 87-88.
(8) ابن حيوس: الديوان جـ1، ص 283-284، 286.
(9) انظر ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص 233.

وكان عبد المحسن الصوري هَجّاءً مقذعاً لا يتورّع عن إلصاق التُّهم بخصمه أو بالشخص الذي يهجوه حتى أنه هجا أخاه عبد الصمد ووصفه بالبخل والغباء[1].

وبرع بعض شعراء دمشق بالغزل حتى أشاد بهم معاصروهم ولاحقوهم، فأثنى ابن حيوس على عبد المحسن الصوري، وفَضَّل غزله على غزل جرير التغلبي[2]، وأجاد محمد بن أحمد الغساني بقصائده الغزلية الظريفة بمحبوبته ذات العيون الزرقاء[3].

وفيما يلي أهم شعراء دمشق في العصر الفاطمي:

1 - أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء[4]، وُلد في دمشق فيما بين سنتي (310-315هـ/922-927م)، وكان فقيراً اشتغل أول أمره منادياً في دار البطيخ بدمشق يبيع الخضار والفواكه[5]. اهتم بالمطالعة والأدب، فحفظ دواوين بعض الشعراء كعمر بن أبي ربيعة وأبي نواس والبحتري والمتنبي. وبدأ حياته الأدبية بقصيدة مدح بها الشريف أبا القاسم العقيقي أحد أعيان الشيعة بدمشق سنة (378هـ/988م)، فاستحسنها الشريف وأعطاه عشرين ديناراً[6]، فكانت هذه القصيدة هي التي جعلته يوجِّه نظره للاهتمام بالشعر، وبدأ النظم فأجاد فيه وأصبح شاعراً مشهوراً أُعجب به الأدباء والشعراء، فوصفه الثعالبي على أنه من "حسنات الشام وصاغة الكلام"[7]. وشاع

---

(1) عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص 41، 73، 141، 262.

(2) انظر ابن حيوس: الديوان جـ1، ص 72، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص 269.

(3) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص297.

(4) المرزباني: معجم الشعراء ص420، الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص 288، الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة قسم 4، جـ2، ص574، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص745، القفطي: المحمدون من الشعراء ص 54، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ2، ص53، الكتبي: فوات الوفيات جـ2، ص301، عارف النكدي: الوأواء الدمشقي ص339، جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية جـ2، ص256، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي جـ2، ص522.

(5) الثعالبي: خاص الخاص ص 150، يتيمة الدهر جـ1، ص288، الشنتريني: الذخيرة قسم4، جـ4، ص 574، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص745، القفطي: المحمدون من الشعراء ص54، عبد الوهاب الصابوني: شعراء ودواوين ص209، عارف النكدي: الوأواء الدمشقي ص339، جرجي زيدان: آداب اللغة العربية جـ2، ص254.

(6) القفطي: المحمدون من الشعراء ص55، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي جـ2، ص522.

(7) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص288، وانظر الشنتريني: الذخيرة قسم 4، جـ2، ص 574، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ14، ص745، القفطي: المحمدون من الشعراء ص54.

شعره على ألسنة الناس، وتنقّل في بلاد الشام، فوفد على بلاط سيف الدولة الحمداني الذي كان ملتقى الشعراء ومنتدى الأدباء في حلب[1].

كان اتصاله بالولاة الفاطميين قليلاً لهذا خلت قصائده من مدائحهم باستثناء تلك التي مدح بها الشريف العقيقي بدمشق، وله ديوان شعر، وكانت وفاته بدمشق سنة (390هـ/999م)[2].

ومن أشعاره التي استحسنها الأدباء قصيدة غزلية تدلُّ على ما تمتّع به صاحبها من فصاحة و بلاغة يقول فيها[3]:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجس فسقت ... ورداً وعَضَّت على العناب بالبردِ

وليل كفكري في صدود معذبي ... وإلاّ كأنفاسي عليه من الوجدِ

وإلاّ كعمر الهجر فيه فإنه ... إذا قسته بالوصل فكان بلا حدٍّ

2 – أبو الفرج عبد الواجد بن نصر بن محمد المخزومي المعروف بالببغاء[4]،شاعر من أهل نصيبين، وُلد بحدود سنة (313هـ/925م)، ولُقِّبَ بالببغاء للثغة كانت في لسانه[5]،وقيل لفصاحته[6]، وكان بعضهم يسميه الفغفغاء لأنه كان يلثغ بالقاء[7].

وكان الببغاء من الشعراء المجيدين، وكاتباً مترسلاً جَيِّدَ المعاني، تنقَّل في البلاد بين حلب ودمشق وبغداد، وأقام في دمشق حينما خضعت لسيف الدولة الحمداني، والتقى بعدد من الشعراء

---

(1) انظر هلال ناجي: شعر الببغاء ص10.

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ2، ص57، الكتبي: فوات الوفيات جـ2، ص 306، عارف النكدي: الوأواء الدمشقي ص339، جرجي زيدان: آداب اللغة العربية جـ2، ص 256.

(3) انظر الثعالبي: خاص الخاص ص151، ابن منجب: الأفضليات ص270، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ2، ص53، الكتبي: فوات الوفيات جـ2، ص301–302.

(4) انظر التنوخي: نشوار المحاضرة جـ3، ص159، الثعالبي: خاص الخاص ص150، يتيمة الدهر جـ1، ص252، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ11، ص11، الشنتريني: الذخيرة قسم4، جـ2، ص574، ابن الجوزي: المنتظم جـ7، ص241، هلال ناجي: شعر الببغاء ص281، جرجي زيدان: آداب اللغة العربية جـ3، ص258، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي جـ2، ص612، محمود مصطفى: إعجام الأعلام ص71.

(5) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص252، هلال ناجي: شعر الببغاء ص8، عمر فروخ: الأدب العربي جـ2، ص612، جرجي زيدان: آداب اللغة العربية جـ2، ص258.

(6) التنوخي: نشوار المحاضرة جـ3، ص103، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص773.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص202، عمر فروخ: الأدب العربي جـ2، ص612.

كأبي العباس النامي والصنوبري والسّري الرفاء وكشاجم[1]، وهم من شعراء العصر الإخشيدي، وكان يهوى الانطلاق وارتياد المتنزهات الجميلة، وأجاد في قول الشعر فوصفه الأدباء بقولهم:

<<نجم الآفاق وشمامة الشام والعراق[2]>> جمع شعره في ديوان سُمِّي ديوان أبي الفرج[3].

كانت إقامته بدمشق قبيل الفتح الفاطمي لها، لذلك لا توجد دلائل تشير إلى اتصاله بولاة الفاطميين، أو مدحه لأحد منهم، وكانت وفاته بدمشق سنة (389هـ/1007م)[4].

3 – أبو القاسم الحسين بن الحسن بن واسان الدمشقي (ت 394هـ/1003م)[5]، شاعر مجيد اشتُهر بالهجاء، وكان معادياً لمنشأ بن إبراهيم الفرّار الذي ولاّه الفاطميون ديوان الشام، فهجاه بقصيدة كانت السبب في عزله عن عمله بدمشق[6].

كان اشتُهر بالوصف والغزل والمجون. وله قصيدة وصف بها دعوة أقامها لبعض أصحابه في قرية خمرايا من قرى دمشق، قال فيها[7]:

يا خليليَّ أقصرا عن ملامي	وارثيا لي من نكبتي وارحماني
ضُرِب البوق في دمشق ونادوا	لشقائي في سائر البلدان

4 – عبد المحسن بن محمد بن أحمد غالب بن غلبون الصوري، وُلد بصور سنة (339هـ/950م)، وتُوفي بدمشق سنة (419هـ/ 1028م)[8]، وهو أديب وشاعر، شيعي المذهب وَهَبَ أكثر مدائحه لآل البيت، ورغم أنه كان اثني عشرياً[9]، إلا أنه خصَّ بمدائحه بعض الخلفاء

---

(1) انظر التنوخي: نشوار المحاضرة جـ3، ص103، هلال ناجي: شعر الببغاء ص7–17، محمود مصطفى: إعجام الأعلام ص71.
(2) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص252، الشنتريني: الذخيرة قسم4، جـ2، ص574.
(3) حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص773.
(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ11، ص12، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ1، ص773، جرجي زيدان: آداب اللغة العربية جـ2، ص258.
(5) الباخرزي: دمية القصر وعصر أهل العصر جـ1، ص144، الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص351، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص 233، عمر فروخ: الأدب العربي جـ2، ص583، الزركلي: الأعلام جـ2، ص253.
(6) ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص 233، عمر فروخ: الأدب العربي جـ2، ص583–584.
(7) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص356، ياقوت: معجم الأدباء جـ9، ص 233–235.
(8) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص235، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص269.
(9) عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص73، 186–187، 307، 415، مقدمة الديوان ص6.

الفاطميين كالعزيز با لله والحاكم بأمر ا لله[1].

وقد أثنى عليه الثعالبي، فقال: ‹‹ من المحسنين الفضلاء، المجيدين الأدباء، شعره بديع الألفاظ حسن المعاني، رائق الكلام، مليح النظام[2] ››، كما مدحه الشاعر ابن حيوس وفضّله على أبي تمام والبحتري والمتنبي، فقال: ‹‹ إني ليعرض لي الشيء من شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم من المتقدمين فأعمل في معناه، فأبلغ مرادي منه، ولا أقدر أن أبلغ موازنة شعر عبد المحسن الصوري ما أريد لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه وقصر أبياته[3]››.

كان عبد المحسن الصوري إضافة إلى ثقافته العربية الإسلامية صاحب معرفة في الفقه والحديث و الكلام[4]، وله ديوان شعر مطبوع.

مدح أعيان الشيعة وآل البيت بأربع قصائد تحدث في بعضها عن فضلهم فقال[5]:

ولاؤك خير ما تحت الضمير	وأنفس ما تمكّن في الصدور
وها أنا بتُّ أحسس منه ناراً	أمنت بحرها نار السعير
أبا حسن تبين غدر قوم	لعهد ا لله من العهد الغدير
وقد قام النبي بهم خطيباً	فدلّ المؤمنين على الأمير
أشار إليه فيه بكل معنىً	بنوه على مخالفة المشير
فكم من حاضر فيهم بقلبٍ	يخالفه على ذاك الحضور

ويذكر ابن خلكان أنه مدح بعض الأمراء الفاطميين، فأجزل له العطاء[6]، كما يذكر الثعالبي أن أحد الأمراء أعطاه عمامة حسنة فلبسها أياماً، ثم باعها ولبس عمامة لطيفة ومشى الشارع، ولما رآه الناس قالوا: ثقلت عليه العمامة فباعها، فنظم رَدّاً عليهم يقول[7]:

---

(1) عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص220-320.

(2) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص212، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص232.

(3) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ4، ص269.

(4) عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص84، المقدمة ص15.

(5) عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص186-187، 307، 415.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص232-233.

(7) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ1، ص312.

قالوا: عسى ثقلت عليه فباعها من غير عُدْمِ

وا لله ما ثقلت علي عمامتي، بل خفَّ كمي

وكان عبد المحسن الصوري هجّاءً مقذعاً يهاجم من يقصد هجاءه بأمرِّ أنواع الهجاء، ويصفه بأبشع الأوصاف، فهجا أخاه عبد الصمد عدّة مرّات ووصفه مرّة بالبخل ومرّة بالطمع ومرّة بالغباء والكسل، فقال[1]:

وأخ مسَّه نزولي عليه	مثل ما مسَّني من الجوع قرحُ
قيل لي إنه جواد كريم	والفتى يعتريه بخل وشحٌّ
بتُّ ضيفاً عليه لما حكم الدهر	وفي حكمه على المرح قبحُ
فابتداني وقال وهو من الكره	والهمّ طافح ليس يصحو
لم تغربت؟ قلت قال رسول ا لله	والقول منه نصح ونجحُ
سافروا تغنموا، فقال، وقد قال	تمام الحديث. صوموا تصحوا

5 – أبو المطاع ذو القرنين حمدان بن الحسن بن عبد ا لله بن حمدان التغلبي، أحد الشعراء المجيدين[2]، ولاّه الحاكم بأمر ا لله على دمشق سنة (401هـ/1010م) وعُزل عنها سنة (402هـ/1011م)، ثم تولاها ثانية سنة (412-414هـ/1021-1023م)، فعُزل عنها وولاه الظاهر لإعزاز دين ا لله الإسكندرية في مصر سنة 414هـ/1023م، فأقام فيها سنة ثم عاد والياً على دمشق سنة (415هـ/ 1024م)، وبقي إلى أن عُزل عنها بأنوشتكين الدزبري سنة (419هـ/1028م)[3]، وتُوفي سنة (428هـ/1036م)[4].

كانت له أشعار كثيرة وفي أغراض متعددة، ومن أجمل ما قاله في الشعر هو حنينه إلى دمشق والغوطة الذي منه[5]:

سقى ا لله أرض الغوطتين وأرضها	فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفني	إلى برد ماء النيربين حنين

(1) انظر عبد المحسن الصوري: الديوان جـ1، ص84، 262،292.
(2) الباخرزي: دمية القصر جـ1، ص159، ياقوت: معجم الأدباء جـ4، ص201.
(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2، ص279، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص27.
(4) انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص112-115، الباخرزي: دمية القصر جـ1، ص159.
(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص 174-175.

6 – أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس بن محمد الغنوي الملقب مصطفى الدولة[1]، وهو أحد شعراء الشام المشهورين، وُلد بدمشق سنة (394هـ/1003م)، وتُوفي فيها سنة (473هـ/1080م)، وكان أبوه أميراً من أمراء العرب[2].

اهتم ابن حيوس بنظم الشعر ومدح في شعره الأكابر، مما جعله يلتقي بعدد من الأمراء والرؤساء؛ فكان يتقرَّب منهم ويمدحهم فيُنعمون عليه بالجوائز.

تقرَّب ابن حيوس من أعيان الفاطميين وأمرائهم، وجعل أكثر شعره في المديح لتمجيد الخلفاء والأمراء والولاة والوزراء والكتّاب والقادة الفاطميين، كما مدح جماعة من نقباء الطالبيين، والعلماء والفقهاء والمدرِّسين، وخصَّ أمير الجيوش الفاطمي أنوشتكين الدزبري والي دمشق بكثير من مدائحه، فمدحه بعد انتصاره في معركة الأقحوانة على تَجَمُّعِ القبائل العربية سنة 420هـ/1029م بقصيدة قال فيها[3]:

بفتى أمير المؤمنين وسيفه	**عمرت بلاد الله وهي خراب**
ولمصطفى الملك اعتزام المصطفى	**لما أحاط بيثرب الأحزاب**
فتحان يوم الأربعاء كلاهما	**للكفر عن حرم الهدى إذهاب**
يومان للإسلام عز لديهما	**دين الإله وذلَّتِ الأعراب**
ذا للنبي وذا لمنتجب ابنه	**ردا مشيب الحقِّ وهو شباب**

ومدح ابن حيوس الشريف فخر الدولة أبا يعلى حمزة بن العباس بن أبي الجن نقيب الطالبيين بمصر عندما تولّى قضاء دمشق من قبل الظاهر الفاطمي، ووصفه بالعز والمجد والجود والعفّة والتقوى[4]،وفي إحدى القصائد التي مدحه فيها يقرِّر حقَّ العلويين بالخلافة فيقول[5]:

---

(1) انظر الفارقي: التاريخ ص151، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص379، القفطي: المحمدون من الشعراء ص363، المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص683، تاج الدين اليمني: مختصر وفيات الأعيان ص56.

(2) الفارقي: التاريخ ص151، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص379، القفطي: المحمدون من الشعراء ص363، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ4، ص444، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ3، ص121، تاج الدين اليمني: مختصر وفيات الأعيان ص56.

(3) ابن حيوس: الديوان جـ1، ص174.

(4) ابن حيوس: الديوان جـ1، ص313-314.

(5) ن.م، جـ2، ص388، ص502.

أنتم عصمة الأنام ولو بنـ ـتم وكلاً ردُّوا بغير خلاف
ولرّب العباد منكم سيوف غير محتاجة إلى إرهاف
حمتّ الدين بالتلافي وبالقهـ ـر وقد كان عرضة للتلاف

وكان لابن حيوس قصائد أخرى في مدح أمراء الفاطميين وأعيانهم[1].

ومن شعراء الشام أيضاً أبو الفضل جعفر بن عبيد ا لله الأنصاري الدمشقي (ت424هـ/1032م)[2]، وأبو الفتح أحمد بن عبد ا لله بن فضالة الماهر الدمشقي، الذي سكن دمشق وتُوفي بها سنة (452هـ/ 1060م)[3].

لقد نشط شعراء دمشق في العصر الفاطمي، وطرقوا كثيراً من أغراض الشعر العربي، وجاء شعر هذه الفترة متأثراً بالأحوال السياسية، فكان أكثره في مدح الفاطميين والثناء عليهم،والإشارة بمآثر خلفائهم.

وكان للفاطميين دور في تشجيع الشعراء وتقديم الهبات والجوائز لهم، مما أدّى إلى ازدهار الحركة الشعرية وتطوّرها حتى صارت هذه الفترة من أزهى العصور الأدبية في دمشق.

التاريخ

كان التاريخ من بين العلوم التي اهتمَّ بها علماء دمشق وأدباؤها قبل قدوم الفاطميين إليها ، وكان أكثر المؤرخين من المحدِّثين والفقهاء، ومنهم مَنْ كان مِنَ الكتّاب والقضاة أو من أصحاب الاختصاصات الأخرى[4].

استأثرت دمشق على باقي مدن الشام بنصيب وافر من المؤرخين، واتَّجه بعضهم إلى رواية الأحداث على أساس حولي مع التركيز على أعمال الحاكم وحاشيته، ومنهم من اهتمَّ بسير الأشخاص، والترجمة لهم على أساس طبقاتهم، أو على أساس التسلسل الزمني[5].

---

(1) ن.م، جـ1، ص121، 283-284، 307.
(2) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص112.
(3) الباخرزي: دمية القصر جـ1، ص158، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص67.
(4) السيوطي: طبقات الحفاظ ص396، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص219.
(5) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ص158-160، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص222.

كما أرّخ قسم منهم لمدينة دمشق، فكتبوا عن فضائلها وما يتعلق بها من أحداث وروايات[1].

واشتهر من المؤرخين – الذي سبقوا العصر الفاطمي في دمشق – عدد غير قليل منهم أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي البجلي (ت 347هـ/958م)، الذي استوطن دمشق وكتب في تاريخها، فسجّل أسماء علمائها وأسماء شيوخه الذين درس عليهم، وصنّف كتاباً في فضائل دمشق[2]، وعبد الله بن أحمد بن جعفر التركي الفرغاني (ت 362هـ/972م) الذي حدّث في دمشق بتاريخ الطبري، ودرس عليه، وروى عنه جماعة من المؤرخين في مدينة دمشق كابن زبر الربعي، وتمام بن محمد الرازي[3].

ومن مشاهير المؤرخين في مدينة دمشق خلال العصر الفاطمي:

1 – أبو علي عبد الجبار بن عبد الله بن محمد الخولاني المتوفى فيما بين (365–370هـ/975–980م)[4]، وهو مؤرّخ من الفترة الإخشيدية عاصر السنوات الأولى للحكم الفاطمي في دمشق، صنّف كتاباً عن مدينة داريّا قرب دمشق وهي بلدته، وتضمّن الكتاب ترجمة لمن نزل بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و التابعين وأهل العلم على طبقاتهم و أزمانهم[5].

2 – أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن زبر الربعي (ت 379هـ/989م) وهو مؤرّخ للفترتين الإخشيدية والفاطمية، وله عدّة تصانيف حاول أن يجمع في أحدها أخبار الرواة والمحدّثين في العصر الإسلامي، فصنّف لذلك كتاباً سمّاه (وفيات النقلة)، وجمعه ابتداءً من الهجرة النبوية الشريفة، وانتهى به إلى سنة (338هـ/949م) ورتّبه على سنين وفياتهم[6]، وله كتابان آخران هما[7]:

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص438، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص280.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ15، ص415، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص227.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص293، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ص275.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص459، الزركلي: الأعلام جـ3، ص275، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين ص20.

(5) انظر عبد الجبار الخولاني: تاريخ داريا ص10 وما بعدها، الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 351–380هـ) ص459، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص275، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين ص20.

(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ16، ص440–441، العبر جـ2، ص155، السيوطي: طبقات الحفاظ ص396، ابن العماد: شذرات الذهب جـ4، ص419، البغدادي: هداية العارفين جـ6، ص51، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين ص22.

(7) انظر البغدادي: هداية العارفين جـ6، ص51، الزركلي: الأعلام جـ6، ص225، المنجد: معجم المؤرخين ص22–23.

1) أخبار أبي ذؤيب هشام بن شعبة.

2) وصايا العلماء عند حضور الموت.

3- تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي الدمشقي (ت 414هـ/1023م)[1]، وهو من كبار رجال الحديث والتاريخ، اشتُهر بحفظ حديث الرواة الشاميين، ومعرفة فضائل الشام ودمشق، وصنَّف كتابين هما[2]:

1ً) أخبار الرهبان.

2ً) الفوائد، وهو يشتمل على مجموعة من الأحاديث المنتقاة التي رواها عن شيوخه في الحديث.

4 – أبو الحسين عبد الوهاب بن جعفر بن علي الميداني (ت 418هـ/1027م)[3]، وهو من طبقة تمام بن محمد وزميله في العلم، اشتُهر بالحديث سمعاً وحفظاً ورواية ودوَّنَ كثيراً من الروايات والأخبار التي سمعها، وأخذ عنه ابن عساكر كثيراً من الأخبار ودوَّنها[4].

5 – أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحنائي الدمشقي(ت 428هـ/1036م)[5]، وكان مُقرِئاً ومحدِّثاً حافظاً للحديث، ومعروفاً بالزهد، كما كان مؤرخاً درَّسَ في دمشق ورحل إلى مصر، روى عن عبد الوهاب الكلابي وغيره، وخرَّج لنفسه معجماً في تراجم شيوخه و الأحاديث التي رواها عنهم، وكتب شيئاً عن مساجد دمشق كمسجد أبي صالح شرقي دمشق[6].

6 – علي بن محمد الربيعي المالكي، ويُعرَف بابن أبي الهول (ت 444هـ/1052م) وهو محدِّث كبير مالكي المذهب، ومؤلِّف صنَّف عدة كتب في ذلك أهمها كتاب (فضائل الشام ودمشق)، وأتمّه سنة (435هـ/1043م) وجمع فيه ما تواتر من حديث وراوية تتعلق بفضل دمشق الديني[7].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص440، الذهبي: سير جـ17، ص290، المعين في طبقات المحدثين ص122، السيوطي: طبقات الحفاظ ص413.

(2) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ10، ص440-441، الذهبي: سير جـ17، ص290، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ10، ص397، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين ص23، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص278.

(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص5، 14، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص279.

(4) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص5، 7، 8، 10، 14، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص279.

(5) الذهبي: العبر جـ3، ص166.

(6) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص115، الذهبي: العبر جـ3، ص166، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص279.

(7) انظر الزركلي: الأعلام جـ4، ص327، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين ص4، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص280.

7 – أبـو المحاسـن المفضـل بـــن محمــد بـــن ســعيد التنوخــي المتوفــى بدمشــق ســنة (443هـ/1051م)، وهو فقيه فاضل درس في بغداد، وعاد إلى دمشق فتولّى القضاء فيها نيابة عـن ابن أبي الجن، كما ولي قضاء بعلبك، وصنّف كتاباً في تاريخ النحاة وأهل اللغة[1].

8 – أبو القاسم علي بن محمد بن يحيــى السلمي السميسـاطي (ت 453هـ/1060م)[2]، وهو من أكبر المحدّثين بدمشق، اشتُهر – إضافة إلى ذلك – بعلـوم كثـيرة منهـا الهندسـة والفلـك وعلم الهيئة والتاريخ[3].

وقد أشار الدواداري إلى كتاب (أخبار الشام) للسميساطي حيث نقل عنه ما يتعلـق بأخبـار الشـام، ويبدو أن الكتاب ضاع بعد ذلك، فلولا الإشارة الـتي أوردهـا الـدواداري في أخبـار سنة (394هـ/1003م) والتي تقول: (وهذا آخر ما كان بخط الشيخ أبي القاسم علي بـن محمـد بـن يحيـى السـلمي السميسـاطي رحمه الله، فاستنسختُه منه في أخبار الشام)[4]، لكان من الصعب معرفـة شيء عـن هـذا الكتـاب؛ وهـو يشـتمل علــى تفـاصيل وأخبــار دقيقــة عــن الشــام ودمشــق خـلال العصـر الفـاطمي حتــى ســنة (394هـ/1003م)[5]، وكان للسميساطي كتاب آخر هو (تاريخ الموصل)[6].

9 – أبو الفتح هبة الله بن مختار الكاتب (ت 460هـ/ 1067م)[7]، وهو من مؤرِّخي دمشـق، كتب رسالة في تفضيل دمشق عن غيرها من البلدان وذكر خواصّها وبعض ما قاله الشعراء في وصفهـا[8]، وكان متأثراً في كتابة الرسالة بما حدث لدمشق في أواخر العصر الفاطمي مـن حريـق ودمـار ومجاعـات، فجاءت الرسالة تصف حال المدينة آنذاك وتُصوِّر الأحوال السياسية والاجتماعية فيها.

10– أبو محمد بن عبد المنعم بن علي النحوي، وهو أستاذ المؤرخ الكبير عبد العزيـز الكتـاني،

---

(1) سبط بن الجـوزي: مرآة الزمان جـ12، ص113، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص280.
(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص534، الذهبي: سير جـ18، ص71.
(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ12، ص534، الذهبي: سير جـ18، ص71، النعيمي: الدارس في تاريخ المـدارس جـ2، ص151–152، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص229.
(4) الدواداري: الدرة المضيئة ص272.
(5) انظر الدواداري: الدرة المضيئة ص126–129، 132–133، 160–161، 166، 170، 191–193، 200–201.
(6) انظـر شـاكر مصطفى: التـاريخ العربي ص230 / نقلاً عـن الفـارقي – تـاريخ ميافـارقين / مخطوطـة المتحـف البريطاني رقم (5803) ورقة35.
(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص234، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص283.
(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ16، ص234، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص283.

حيث سمع منه بدمشق سنة (415هـ/1024م)، وقد كتب ابن النحوي كتاباً عن أمراء دمشق، ويظهر ذلك من روايات ابن عساكر في ترجمة لبعض أمراء المدينة، وفي حديثه عن بعض معالمها وأبنيتها[1].

11- أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الكتاني الدمشقي (ت 466هـ/1073م)[2]، المؤرخ الكبير والمحدِّث المشهور، وكان أحد الحفَّاظ الصوفيين، والعلماء الذين رحلوا في طلب العلم، وكان لا يكتب الحديث إلا بعد أن يتأكد من صحته[3]، وكان يأخذ الحديث عن كبار المحدِّثين، كتمام بن محمد الرازي وأبي محمد بن أبي نصر وعبد الرحمن القطَّان[4].

صنَّف عدة مؤلفات في التاريخ والحديث أهمها[5]:

1) الذيل على كتب الوفيات لابن زبر وهو محاولة لإتمام تاريخ الرواة الذي بدأه ابن زبر الربعي.

2) الزيادات على تاريخ داريًا لعبد الجبار الخولاني، فأضاف معلومات كثيرة لتاريخ داريًا عن علماء المدينة وروّادها ورواة الحديث فيها.

لقد سجل المؤرخون أحداث دمشق السياسية والعسكرية، وترجموا لعلمائها ورواة الحديث فيها، ومنهم من سَجَّل فضائل دمشق الأدبية أو الدينية، فتمكّنوا بهذا من تغطية الفترة الفاطمية تاريخياً وإنْ فُقِدَ بعضه بمرور الزمن.

الطب والعلوم الأخرى

بدأ اهتمام الشاميين بالطب في زمن مبكر من العصور الإسلامية، فكان الوليد بن عبد الملك أول من أنشأ المستشفيات للمرضى، فكان منها المستشفيات الخاصة بأنواع الأمراض المختلفة، وخصَّص لها الأطباء وحَدَّد لهم المرتبات والأرزاق[6]، واستمرَّ وجود هذه المستشفيات في دمشق، وأضيفت إليها بعض الإضافات

---

(1) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص113، جـ10، ص444-445، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص283.

(2) الذهبي: سير جـ18، ص248، السيوطي: طبقات الحفاظ ص438، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص284، حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص2019، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص280.

(3) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص96، ابن العماد: شذرات الذهب جـ5، ص284.

(4) ابن الجوزي: المنتظم جـ8، ص288، الذهبي: سير جـ18، ص248-250.

(5) انظر حاجي خليفة: كشف الظنون جـ2، ص2019، عبد الوهاب الجابي: معجم الأعلام ص417، صلاح الدين المنجد: معجم المؤرخين ص30، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص280.

(6) انظر اليعقوبي: التاريخ جـ2، ص290-291، صلاح الدين المنجد: مدينة دمشق ص27، مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ص138.

في العصر الفاطمي، فقد اهتمّ الفاطميون بالطبّ وأغدقوا الأموال على الأطباء وأجزلوا لهم العطاء، وحظي الأطباء بمنزلة رفيعة عند الأمراء و الوزراء، وأصبح الطبُّ يُدَرَّس نظرياً وعملياً في المستشفيات التي كانت أشبه ما تكون بكليات الطب في الوقت الحاضر، ومن أطباء دمشق في العصر الفاطمي:

1 – أبو الفرج جورجس بن يوحنا بن سهيل بن إبراهيم اليبرودي (356– 400هـ / 967– 1009م)[1]، طبيب دمشق المشهور، وُلد ونشأ في قرية يبرود شمال دمشق، وكان أول أمره فلاحاً من فلاحي دمشق، وكان عمله جمع الشيح من نواحي دمشق وحمله على دابة إلى دمشق لبيعه هناك، حيث كان يُستخدم وقوداً للأفران[2].

وكان لاشتغاله بالطب قصة فريدة، فقد كان في أحد الأيام يجمع الشيح على عادته، ودخل بحمله من باب توما، فرأى شيخاً من المتطببين وهو يفصد إنساناً قد عرض له رعاف شديد من الجهة التي يفصد فيها، فوقف اليبرودي ينظر إليه وقد جرى الدم، واحتار الفاصد ماذا يصنع، وقد اجتمع إليه الناس، فطلب منه اليبرودي أن يفصد له في الجهة الأخرى، ويَشُدَّ الفاصد الأول، فشدّه ووضع عليه لازوقاً كان عنده، فتوقف الدم، وسأله الشيخ عن هذه المعرفة التي أشار بها، فقال اليبرودي: أنا أرى عندما يُسقى الكرم أنه إذا انفتح شق من النهر وخرج الماء منه، فتح فتحاً آخر ينقص به الماء الأول الواصل إلى ذلك الشق، ثم يسدّه بعد ذلك، فطلب منه الشيخ أن يتعلم الطب، فأخذ يتردد على الشيخ، ثم انتقل إلى دمشق يتعلم صناعة الطب، وسأل عن طبيب ماهر يدرس عليه، فَأُشير عليه بطبيب بغداد أبو الفرج، فتأهب وسار إليه، ودرس عليه حتى مهر في صناعة الطب، ثم عاد إلى دمشق، وأقام بها طبيباً مشهوراً[3].

اتصل اليبرودي ببعض أطباء مصر و منهم ابن رضوان الطبيب، ونقض كلام ابن الموفقي في

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص610، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص67، كرد علي: خطط الشام جـ4، ص32، نقولا زيادة: لمحات من تاريخ العرب ص20/ ويبرود قرية في دمشق (انظر ياقوت : معجم البلدان جـ5، ص427).

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص610، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص67.
Sanagustin: L'enseignement Medical Au Biled Al-Sham alepoque Abasside, p4.

(3) انظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص610–613، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص67، نقولا زيادة: لمحات من تاريخ العرب ص21.

مسائل تردَّدت فيما بينهما في النبض، وله مقالة في الطب (في أن الفرخ أبرد من الفروج)[1]، وكتب بخطه بعض كتب الطب، لاسيما كتب جالينوس وشروحها وجوامعها[2].

ومن طريف ما نُقِلَ عن اليبرودي قصة رجل كان يبيع المشمش في دمشق، حيث مَرَّ بخبّاز و اشترى منه الخبز الحار، و ما أن فرغ من الأكل حتى سقط مغشياً عليه، ونظر إليه الناس فإذا هو ميت، فغسّلوه، وكفّنوه وصلّوا عليه، ثم خرجوا به ليدفنوه، وبينما هم في الطريق إلى المقبرة، صادفهم اليبرودي وسمعهم يتحدثون بأمره فسألهم عن القصة، وعندما أخبروه بها طلب منهم أن ينزلوه إلى الأرض حتى يراه، ونظر إليه فوجد أمارات الحياة عليه، فسقاه شيئاً من الدواء كان معه، فأخرج ما في بطنه، وأخذ يفتح عينيه، ثم قام وقد عادت إليه الروح[3]. وتُوفي اليبرودي بعد سنة (400هـ / 1009م)، وَدُفن في كنيسة اليعاقبة عند باب توما[4]، فوجدوا في تركته (300) مقطع رومي و (500) قطعة فضية[5]، وهذا يعني أنه اشتغل بالجراحة، وأن أطباء دمشق كانوا في هذه الفترة يقومون بالعمليات الجراحية للمرضى.

2 – الفاصد أبو الخير، وهو جرائحي، وأستاذ اليبرودي الذي شَجَّعه على دراسة الطب، وبدأ يعلّمه الطب في دمشق[6]، وبالرغم من شهرته وإشارة المصادر إليه[7] بأنه من مشاهير الأطباء بدمشق، إلا أن المعلومات المتوفرة عنه لا تزيد على اسمه والإشارة إلى اشتغاله بالطب.

3 –أبو البركات محمد بن حيان بن محمد بن نصر البغدادي، أحد العلماء المجيدين، كان طبيباً ومهندساً مشهوراً، قدم إلى دمشق في النصف الأول من القرن (5 هـ / 11م)، وعمل فيها طبيباً وحدّث بكتاب الحماسة لأبي تمام، ثم انتقل إلى مصر وعُيِّنَ فيها وزيراً، وبقي حتى قُتِلَ سنة 448هـ / 1056م[8].

---

(1) انظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص613.

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص68، كرد علي: خطط الشام جـ4 ص32.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص68، وانظر:
Sanagustin:L'enseignement Medical Au Bilad Al-Sham, p 4-5.

(4) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص613، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص68.

(5) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص68.

(6) انظر الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص67، نقولا زيادة: لمحات من تاريخ العرب ص21.

(7) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص610-613، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ11، ص67.

(8) انظر المقريزي: المقفى الكبير جـ5، ص616-617.

هذه هي المعلومات القليلة عن الأطباء في دمشق في الفترة الفاطمية، وكانت دمشق من أوائل المدن العربية الإسلامية التي شهدت نشاطاً طبياً كبيراً، فكان الوليد بن عبد الملك أول من اتخذ البيمارستانات في مدينة دمشق وخَصَّص لها الأطباء وأجرى لهم الأرزاق والرواتب[1].

ثم تطورت المستشفيات في العصر العباسي، فَشَيَّدَها العباسيون وبالغوا في عنايتهم بها حتى صار لها وظيفتان هما؛ مدارس للتعليم، وتمرين الطلاب الذين يدرسون الطب، وأماكن للعلاج والاستشفاء.

وكان حول الجامع الأموي ثلاثة مستشفيات ولها أوقاف يُصْرَف منها على مستلزمات هذه المستشفيات، وتشتمل على أطباء متخصِّصين من الجرّاحين والكحّالين والفصّادين،وكانت هذه المستشفيات تفتح أبوابها للفقراء وكافة أبناء الشعب[2].

واستمر وجود المستشفيات والاهتمام بها في العصر الفاطمي، فيذكر ابن القلانسي وجود البيمارستان العتيق، وهو من مستشفيات دمشق في الفترة الفاطمية وكان موجوداً تحت المنارة الغربية للجامع الأموي[3].

وكان المارستان الصغير إلى الجنوب من مطهرة الجامع الأموي[4]، ومارستان باب البريد، حيث كانت هذه المستشفيات تُقَدِّم الخدمات للمرضى قبل إنشاء البيمارستان النوري في دمشق في القرن (6هـ/12م)[5].

ولعبت هذه المستشفيات دوراً كبيراً في تقديم الخدمات الطبية والتخفيف من المعاناة التي أصابت أهل دمشق بسبب انتشار الأوبئة والأمراض في الفترة الفاطمية.

وفي مجال العلوم امتاز العصر الفاطمي بظهور جماعة مِمَّنْ عُنُوا به عناية كبيرة، فدرسوا الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية[6]، وكان لهم دور بارز في تَقَدُّم هذه العلوم وتطورها، ومِمَّنْ

---

(1) انظر القلقشندي: صبح الأعشى جـ1، ص431، حنيفة الخطيب: الطب عند العرب ص198، أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص203.

(2) انظر حنيفة الخطيب: الطب عند العرب ص198-199، أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص203.

(3) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص12، ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ2، ص158.

(4) ابن العماد: شذرات الذهب جـ3، ص407، أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص205.

(5) انظر أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص206، 229.

(6) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص31، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص11-12.

اشتهر في هذا المجال:

1 – توفيق بن محمد بن الحسين بن عبد ا لله بن محمد، أصله من المغرب، استوطن دمشق وتُوفي بها، وهو أحد المهندسين المشاهير، ومُنَجِّم وأديب، وكان أستاذاً وخرّج عدّة تلاميذ في الحكمة والأدب والشعر منهم محمد بن نصر بن صغير القيرواني[1].

2 – محمد القيسراني الدمشقي، من مشاهير علماء الرياضيات، كان عالماً بالحساب والهندسة والنجوم والهيئة وعلم المساحة والميقات والفلك[2].

3 – جعفر بن عبد الرزاق الدمشقي، مهندس مشهور، روى عن جدّه أحمد بن خمارويه وأبي بكر الخرائطي[3]. واشتغل بالهندسة، وكانت وفاته سنة (395هـ / 1004م).

4 – محمد بن عبد الواحد، مهندس مشهور صنّف كتاباً في ركاية الزوال بدمشق، ومعرفة طلوع الفجر بمنازل القمر، وتُوفي سنة (409هـ / 1018م)[4].

5 – أبو الحسن علي بن الخضر بن الحسن العثماني القرشي، حَاسِبٌ من أهل دمشق، ذكر أبو المحاسن أن له تصانيف في علم الحساب دون أن يذكرها أو شيئاً منها، وتُوفي سنة (459هـ / 1066م)[5].

6 – أبو الفضل الحارث الدمشقي، وهو مهندس ورياضي اهتمّ بالحساب والتقسيمات الهندسية وعلم الهيئة، وتُوفي سنة (500هـ / 1106م)[6].

على ضوء ما تقدم فإن ظروف الحكم الجديد التي تَعَرَّضت لها دمشق، والمذهب الإسماعيلي المختلف عن مذهب أهل المدينة كان لهما أثر كبير على الحياة الثقافية في المدينة، إلا أن هذا الأثر لم يكن سلبياً دائماً وإنما كان إيجابياً في بعض الأحيان وكان تأثير هذا المذهب واضحاً على علوم الفقه التي كانت شبه محظورة لغير المذهب الإسماعيلي، لما يترتب على ذلك من معارضة للفاطميين، أو إثارة للسكان عليهم، كما أن القضاء الذي يعتمد كثيراً على الدراسات الفقهية كان بيد

(1) ابن القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص74، أحمد تيمور: المهندسون في العصر الإسلامي ص38.
(2) كرد علي: خطط الشام جـ4، ص32، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص12.
(3) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات 381–400هـ) ص313.
(4) كرد علي: خطط الشام جـ4، ص32.
(5) انظر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ5، ص80، بسام الجابي: معجم الأعلام ص517.
(6) انظر كرد علي: خطط الشام جـ4، ص31، عبد الجليل عبد المهدي: الحياة الأدبية في الشام ص12.

أتباع المذهب الإسماعيلي؛ فاتجهت معظم الدراسات الدينية في هذه الفترة لعلمي القراءات والحديث اللذين شهدا نشاطاً كبيراً لأن الفاطميين لم يتعرضوا لدارسِيها، فكان الجامع الأموي مركز نشاط كبير للعلماء في هذين المجالين، وملتقى للمهتمين بهما من كل البلاد.

وشهدت الدراسات الأدبية تطوراً غير قليل في الفترة الفاطمية خاصة الشعر وذلك لسببين هامين: الأول أن هذه الدراسات لا تمسُّ السلطة الفاطمية، والثاني لأن بعض الفاطميين من الأمراء والولاة والقادة اتخذوه وسيلة للدعاية لهم، وشجّعوا المهتمين به، فجاءت كثير من قصائد الشعراء لمدح الخلفاء أو الأمراء أو الولاة والقادة وتمجيدهم.

أما العلوم الأخرى فالمعلومات المتوفرة عنها في المصادر قليلة جداً خاصةً الطب الذي شهد تطوراً كبيراً في دمشق في العصور السابقة واللاحقة للفترة الفاطمية، ونادراً ما وُجدت إشارات لذلك باستثناء ما كُتِبَ عن اليبرودي طبيب دمشق المشهور، غير أن هذا لا يمنع أن تكون دمشق قد شهدت نشاطاً طبياً واسعاً في هذه الفترة بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت تعاني منها نتيجة انتشار الأوبئة والأمراض.

الخاتمة

تَمَتّعت دمشق بأهمية كبيرة طوال تاريخها، وزادت هذه الأهمية في العصر الأموي بعد أن صارت المدينةُ مركزَ الدولة الإسلامية، ومَحَطَّ أنظار الجميع، واهتمَّ بها خلفاء بني أمية حتى أصبحت حاضرة الإسلام الأولى.

ورغم إهمال بني العباس لهذه المدينة وانصرافهم إلى غيرها، إلا أنها بقيت تحظى باهتمام كبير، واستمرت في عداد المدن الهامة خلال العصر العباسي.

حاول الفاطميون الإفادة من موقع المدينة وأهميتها فتطلّعوا لامتلاكها وفصلِهَا عن خلافة الدولة العباسية، واتخاذها مكاناً للهجوم على الخلافة العباسية لإسقاطها.

وعمل الفاطميون على تحويل سكانها إلى المذهب الشيعي غير أن تحقيق ذلك لم يكن بالأمر السهل، إذْ أنَّ سيطرة الفاطميين على المدينة وإخضاعها سياسياً كان يحتاج إلى جهود كبيرة، وهذا ما عانى منه الفاطميون منذ وصولهم إلى بلاد الشام في مطلع العقد السابع من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

صحيح إن الفاطميين تمكّنوا من إخضاع أجزاء كبيرة من بلاد الشام لدولتهم التي نقلت مَقَرَّها إلى مصر سنة (362هـ / 972م)، فسيطروا على أجزاء واسعة من فلسطين بما في ذلك بيت المقدس والرملة وطبرية، ثم دمشق وطرابلس وصور وصيدا وجميع الساحل الشامي، إلا أن وجودهم في دمشق كان يفتقر إلى الاستقرار بسبب معارضة أهل الشام للفاطميين ومذهبهم المخالف.

ولم يتوانَ الدماشقة منذ دخول الفاطميين المدينة سنة (359هـ / 969م) عن طلب المساعدة من أية جهة، والتعاون مع أية جماعة تساعدهم في القضاء على الوجود الفاطمي في المدينة، فتعاونوا مع القرامطة مرّاتٍ عديدةٍ، كما تعاونوا مع الأتراك عندما قدم بهم أفتكين إلى بلاد الشام وَقَبِلُوا أن يتولى أمرهم، وأن يعيد ولاء المدينة لدولة الخلافة العباسية، ثم تجمّعوا ليتعاونوا مع القبائل العربية الأخرى في الشام كالمرداسيين في حلب، والطائيين في الرملة، والكلبيين في منطقة دمشق وذلك في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

وبالرغم من أن الفاطميين حكموا دمشق أكثر من مائة عام فيما بين (359–468هـ / 969–1075م) إلا أن هناك بعض الحقائق لا يمكن إغفالها في دمشق إبان الحكم الفاطمي منها:

1 – عدم قدرة الفاطميين على تحويل أهل دمشق إلى المذهب الشيعي، فقد احتفظوا بمذهبهم السُّنِّي، وظلوا ينظرون إلى الفاطميين كغرباء بالنسبة لهم.

2 – أن دمشق لم تَخْلُصْ ولم تَصْفُ لهم إلا لفترة وجيزة، فقد بقي حكمهم الفعلي لها ضعيفاً، واستمرَّ الخلاف قائماً بين الشاميين و الفاطميين.

3 – تعرضت المدينة لحركاتٍ معارضَةٍ قادها السكان بمفردهم أحياناً، وبالتعاون مع قوى خارجية أحياناً أخرى.

4 – شَكَّلَ أحداثُ دمشقَ عنصرَ المعارضةِ باستمرار ضد الوجود الفاطمي، وأساساً لمعظم الحركات المحلية، ولم يتوانَ الأهالي عن دعمهم والوقوف إلى جانبهم، فأصبحوا رمز التحدي الدائم للوجود الفاطمي المتمثل بالوالي وإدارته والحامية العسكرية.

5 – أن بعض ولاة دمشق لم يُخلِصُوا للفاطميين، بل سعى بعضهم لتحقيق أهدافٍ خاصةٍ و الانفصال عن دولة الخلافة الفاطمية، فكان هذا يدفع الفاطميين إلى تجريد حملاتٍ تأديبيةٍ ضدَّ هؤلاء الولاة لاستعادة دمشق، أو إلزام الوالي بتطبيق أوامر الخليفة الفاطمي.

6 – أن النشاط الاقتصادي في دمشق لم يتوقف، وإنما بقيت دمشقُ مركزَ الإنتاج الزراعي والصناعي، وموئلاً لكثير من التجّار، ولكن بدرجة أقل مما كان عليه الحال قبل الفتح الفاطمي لها.

7 – أن الأمراض والكوارث الطبيعية التي تعرَّضت لها دمشق خلال هذه الفترة كان لها أثرٌ

في تراجع المدينة وانخفاض الانتاج الاقتصادي فيها، إضافةً إلى فقدان أعداد كبيرة من الناس الذي كانوا يُشَكِّلُون أساسَ الإنتاج، وذلك لعدم قدرة السلطة الحاكمة أو الفئات الاجتماعية على مواجهة هذه الكوارث أو التخفيف منها.

8 – شهدت المدينةُ قيام حركةً علميةً وأدبيةً محدودةً، وبرز عدد من العلماء والأدباء رغم سيطرة الفوضى السياسية و العسكرية فيها لفترة طويلة.

9 – برز عددٌ محدودٌ من الشعراء المجيدين الذي سَخَّروا أشعارهم لمدح السلطة الفاطمية من خلفاء وأمراء وولاة.

10– انحسار الدراسات الفقهية نتيجة معارضة الفاطميين لها وتشجيعهم للمذهب الإسماعيلي الفاطمي.

وبهذا بقيت دمشق تحتفظ بدورها التاريخي والحضاري، مع تراجعِ مكانتها عن ذي قبل، واحتفظَ أهلها بمذهبهم السُّنِّي بفضلِ التعاون الدائم بين أهل المدينة وأحداثِها لمواجهة الفاطميين وإخراجهم من البلاد.

قائمة المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطات:

•ابن الأعرابي، أحمد بن محمد بن زياد (ت 340هـ/951م):

– منتقى من كتاب الزهد، مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد (رقم 1142).

•ابن السباهي، (ت 997هـ/ 1588م):

– أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، الجامعة الأردنية (شريط رقم 559).

• ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت 571هـ/1175م):

– تاريخ مدينة دمشق، صورة عن نسخة المكتبة الظاهرية موجودة في مكتبة جامعة اليرموك.

• ابن الوردي، أبو حفص سراج الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت 346هـ/957م):

– خريدة العجايب وفريدة الغرائب، مصوّر من مكتبة بودليان، في الجامعة الأردنية (شريط رقم 564).

•الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ/957م):

– كتاب الأقاليم، مكتبة الجامعة الأردنية رقم 53366.

•سبط بن الحوزي، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت 654هـ/1256م):

– مرآة الزمان، الجامعة الأردنية (شريط رقم 543)، مصوّر عن مكتبة بودليان، رقم 370.

•يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت 458هـ/1066م):

– تكملة تاريخ سعيد بن البطريق، الجامعة الأردنية، (شريط رقم 793).

• تاج الدين اليمني (ت 778هـ/1376م):

– مختصر وفيات الأعيان لابن خلكان المنعوت بلقطة العجلان، الجامعة الأردنية (شريط رقم 559).

ب ـ المصادر المطبوعة:

●إبراهيم بن أبي الليث الكاتب (تُوفي بعد سنة 432هـ/1043م):

– رسالة في وصف دمشق، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت 1967م.

●الأبشيهي، محمد أحمد أبو الفتح (ت 860هـ/1455م):

– المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1952م.

●ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 688هـ / 1269م):

– عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت 1965م.

●ابن أبي يعلى، القاضي محمد (ت 526هـ/1131م):

– طبقات الحنابلة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان بدون تاريخ.

●ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ / 1232م):

– الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت 1978م.

●ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت 729هـ/1329م):

– معالم القربة في أحكام الحسبة، دار الفنون، كمبرج 1937م.

●ابن إياس، محمد بن أحمد (ت 930هـ/1524م):

– بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة الشرق الجديد، بغداد 1984م.

●ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542 هـ/1147م):

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت 1979م.

●ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت 779 هـ/1377م):

– تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأمصار المعروف بالرحلة، دار صادر، بيروت.

●ابن تيمية، تقي الدين (ت 728هـ/1330م):

– الحسبة في الإسلام، تحقيق عبد العزيز رباح، مكتبة دار البيان، دمشق 1967م.

● ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت 614هـ/1217م):

– الجامع الأموي بدمشق، دار ابن كثير، دمشق 1985م.

– الرحلة، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1964م.

●ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت 833هـ/1429م):

– غاية النهاية في طبقات القرّاء، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة 1932م.

●ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ/1201م):

– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت 1358 هـ.

●ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852 هـ/1448م):

– رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة 1961م، وطبعة بيروت 1908م، ملحقاً مع كتاب الولاة والقضاة.

●ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت 456 هـ/1063م):

– جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة 1962م.

●ابن الحوراني، عثمان بن أحمد السويدي (ت 1000 هـ/1591م):

– الإشارات إلى أماكن الزيارات، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، مكتبة الغزالي دمشق 1981م.

●ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ/977م):

– صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.

●ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/912م):

– المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن 1967م.

•ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م):

- المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

•ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ/1282م):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1969م.

•ابن الدمياطي، أحمد بن إيبك بن عبد ا لله (ت 749هـ/1348م):

- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي، بيروت.

•ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ/1392م):

- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق هنري لاودست وسامي الدهان، دمشق 1951م.

- الاستخراج لأحكام الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

•ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمران (ت 290هـ/902م):

- الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن 1891م.

•ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م):

- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1970م.

- المغرب في حلى المغرب، القاهرة 1953م.

•ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت 458 هـ/1065م):

- المخصّص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

•ابن شداد، عز الدين بن علي (ت 632هـ/1234م):

- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي دمشق 1965م.

● ابن صصري، محمد بن محمد (ت القرن 8هـ/14م):

- الدرة المضيئة في أخبار الدولة الظاهرية، تحقيق وليم.م. برينر، جامعة كاليفورنيا، بريكلي 1963م.

● ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت 953هـ/1546م):

- تاريخ المزة وآثارها، تحقيق محمد عمر حمادة، دار قتيبة، دمشق 1983م.

- الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق 1956م.

- ضرب الحوطة على جميع الغوطة، مجلة المجمع العربي، المجلد الأول، دمشق 1946م.

- فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق نزار أباظة، دار الفكر، دمشق 1983م.

- قرة العيون في أخبار باب جيرون، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1983م.

- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، مكتبة الدارسات الإسلامية، دمشق 1949م.

- مفاكهة الخلان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1962م.

● ابن الطوير، أبو محمد عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت 617 هـ/1220م):

- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيّد، مطابع دار صادر، بيروت 1992م.

● ابن ظافر الأزدي، جمال الدين علي بن ظافر (ت 623 هـ/1226م):

- أخبار الدول المنقطعة، بذيل كتاب الجامع في أخبار القرامطة، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1987م.

● ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463 هـ/1070م):

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

● ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ/940م):

- العقد الفريد، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1949م، وطبعة مطبعة الاستقامة تحقيق محمد سعيد العريان، 1940م.

●ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت 685هـ/1286م):

– تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت.

●ابن العديم، كمال الدين (ت 660هـ/1262م):

– بغية الطلب في تاريخ حلب، دار حسان، دمشق 1987م.

– زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1954م.

●ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت 571 هـ/1175م):

– تاريخ مدينة دمشق، جـ1، جـ2، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق 1951، 1954م.

– تراجم عبادة بن أوفي، عبد الله بن ثوب، تحقيق شكري فيصل وروحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد، دار الفكر، دمشق 1982م.

– تراجم عبد الحميد بن حبيب، عبد الرحمن بن عبد الله، تحقيق سكينة الشهابي، المجمع العلمي العربي، دمشق 1986م.

– تراجم عبد الله بن جابر، عبد الله بن زيد، تحقيق شكري فيصل، سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق 1981م.

– تراجم عبد الله بن مسعود، عبد الحميد بن بكار، تحقيق سكينة الشهابي، مجمع اللغة العربية، بدمشق 1986م.

– تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي، المجمع العلمي العربي، دمشق 1981م.

– تهذيب تاريخ مدينة دمشق الكبير، تهذيب عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت 1979م.

●ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي (ت 1089هـ/1678م):

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق 1989م.

●ابن فرحون:

– تبصرة الحكام، القاهرة 1979م.

●ابن فضل ا لله العمري (ت 749هـ/1348م):

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1924م.

– مسجد دمشق، دار ابن كثير، دمشق 1985م.

●ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني (ت 286هـ/899م):

– مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن 1302 هـ.

●ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي (ت 851هـ/447م):

– طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت1987.

●ابن قتيبة، أبو محمد عبد ا لله بن مسلم (ت 276 هـ/889م):

– أدب الكاتب، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر 1963م.

●ابن القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت 646 هـ/1248م):

– إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت.

– المُحَمَّدون من الشعراء، تحقيق حسن معمري، دار اليمامة، الرياض 1970م.

●ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي التميمي (ت 555هـ/1160م):

– تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق 1983م.

●ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت 774 هـ/1372م):

– البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت 1966م.

– اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال وفالح البكور، دار القلم العربي، حلب 1989م.

●ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ/819م):

– جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت 1986م.

●ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن عبد الهادي (909 هـ/1503م):

– غدق الأفكار في ذكر الأنهار، تحقيق صلاح محمد الخيمي، دار ابن كثير، دمشق 1988م.

– نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق، دار ابن كثير، دمشق 1988م.

●ابن مماتي، الأسعد (606هـ/1209م):

– كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عمر طوسون، مطبعة مصر، القاهرة 1943م.

– مختصر قوانين الدواوين، رسالة ماجستير/ تحقيق عدنان الصمادي، الأزهر 1982م.

●ابن منجب الصيرفي، علي بن منجب بن سليمان (ت 550هـ/1155م):

– الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة 1924م.

– الأفضليات، تحقيق وليد قصاب وآخرين، مجمع اللغة العربية، دمشق 1982م.

– قانون ديوان الرسائل، نشر وتعليق بهجت علي، مطبعة الواعظ، القاهرة 1905م.

●ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م):

– لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1956م.

– مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر، دمشق 1984م.

●ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت 677هـ/1278م):

– المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

●ابن النجار، محب الدين محمد بن محمود بن الحسن البغدادي (ت 643هـ/1245م):

– ذيل تاريخ بغداد، تصحيح قيصر فرح، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان 1978.

●ابن الوردي، سراج الدين عمر بن الوردي (ت 861هـ/1456م):

– خريدة العجائب وفريدة الغرائب، المطبعة الشرقية، القاهرة 1314 هـ.

●أبو البقاء، عبد ا لله بن محمد الدمشقي (ت 847هـ/1443م):

– نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، دمشق 1341 هـ.

●أبو شجاع، محمد بن الحسين الروذراوري (ت 488هـ/1095م):

– ذيل كتاب تجارب الأمم، شركة التمدن الصناعية، القاهرة 1916م.

●أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ/1331م):

– تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس 1840م.

●أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغزي بردي الأتابكي (ت 874هـ/1479م):

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

●أبو المهلب، هيثم بن سليمان القيسي (ت 275هـ/888م):

– أدب القاضي والقضاء، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1970م.

●أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت 458هـ/1065م):

– الأحكام السلطانية، تصحيح محمد حامد الفقي، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة 1966م.

●أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ/798م):

– الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1347هـ.

●إخوان الصفا (القرن 5هـ/11م):

– رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت 1957م.

●الإدريسي، أبو عبد ا لله محمد بن محمد بن عبد ا لله الحمودي (ت560 هـ/1164م):

– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، روما 1974م.

•إسماعيل باشا البغدادي (ت 1339هـ/1920م):

– إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، مكتبة المثنى، بيروت.

– هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المثنى، بغداد 1951م.

•الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772هـ/1370م):

– طبقات الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت 1987 م، وطبعة مطبعة الإرشاد تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد 1970م.

•الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ/957م):

– المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، دار القلم، القاهرة 1961م.

•الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ/967م):

– الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة.

•الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (العماد الكاتب) (ت 594هـ/1161م):

– خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق 1968م.

– تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي بن محمد البندار.

•الأصفهاني (ت 643هـ/1345م):

– دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980م.

•الباخرزي، علي بن الحسن بن علي (ت 467هـ/1074م):

– دمية القصر، وعصرة أهل العصر، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار الفكر العربي، القاهرة 1968م.

– الببغاء، عبد الواحد بن نصر المخزومي (ت 398هـ/1507م):

– شعر الببغاء، تحقيق سعود عبد الجابر، مؤسسة الشرق، الدوحة 1983م.

●البصروي، علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت 905هـ/1499م):

– صفحات مجهولة من تاريخ دمشق، تحقيق أكرم العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق 1407 هـ.

●البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م):

– تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت.

●البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت 429 هـ/1037م):

– الفَرْقُ بين الفِرَقِ وبيان الناجية منهم، تحقيق محمد زاهد الكوثري، القاهرة 1948م.

●البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م):

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.

●البلاذري، أحمد بن جابر (ت 279 هـ/892م):

– أنساب الأشراف، نشر غوايتين، القدس 1936م.

– فتوح البلدان دار ومكتبة الهلال، بيروت 1978م.

●البلخي، أحمد بن سهل (ت 322هـ/934م):

– صورة الأرض، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت 1967م.

●البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ/1048م):

– الآثار الباقية عن القرى الخالية، طبعة ليبزغ 1923م.

●التنوخي، أبو علي الحسن بن علي (ت 384هـ/994م):

– الفرج بعد الشدة، القاهرة 1955م.

– نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بحمدون 1972م.

●ثابت بن سنان (ت 365 هـ/976م):

– تاريخ أخبار القرامطة، ملحق بكتاب الجامع في أخبار القرامطة جمع سهيل زكار، دار حسان، دمشق 1987م.

●**الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 430هـ/1038م):**

– خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

– لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة 1956م.

●**الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/868م):**

– البيان والتبيين، دار مكتبة الهلال، بيروت 1988م.

– التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد 1966م.

●**الجراعي، تقي الدين أبو بكر بن زيد (883هـ/1478م):**

– تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد، تحقيق الشيخ طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت 1981م.

●**الجواهري، إسماعيل بن حماد (ت 393 هـ/1002م):**

– الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفورعطار، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.

●**حاجي (ت 1067هـ/1657م):**

– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بيروت.

●**حسان بن ثابت الأنصاري (ت 50هـ/670م):**

– الديوان، دار صادر، بيروت.

●**الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر (ت 622هـ/1225م):**

– زبدة التواريخ، تحقيق محمد نور الدين، دار إقرأ، بيروت 1986م.

●**الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 610هـ/1213م) أو (710 هـ/1310م):**

– الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975م.

●خليفة بن خياط (ت 240هـ/853م):

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1968م.

●الخولاني، عبد الجبار (ت 370هـ/980م):

- تاريخ داريا، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق 1984م.

●الداوودي، محمد بن علي بن أحمد (ت 945هـ/1538م):

- طبقات المفسِّرين، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.

●الدواداري، أبو بكر بن عبد ا لله بن إيبك (ت 736هـ/1335م):

- كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة 1961م.

●الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت 282هـ/895م):

- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة 1960م.

●الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ/1374م):

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1989م.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1984م.

- العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت 1985م.

- المعين في طبقات المحدِّثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان 1984م.

●الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان (القرن 4 هـ/10م):

- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق عبد ا لله سلوم السامرائي، دار واسط للنشر، بغداد 1982م.

•الزبيدي، محمد مرتضى (ت 1250هـ/1791م):

- تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت.

•سبط بن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي (ت 654هـ/1256م):

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن 1951م.

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان/القسم الخاص بتاريخ السلاجقة، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، أنقرة 1968م.

•السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771 هـ/1369م):

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، مطبعة - عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1965م.

•السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1497م):

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسي، القاهرة 1354 هـ.

•السنامي، عمر بن محمد بن عوض (ت 725هـ/1324م):

- نصاب الاحتساب، تحقيق مريزن سعيد مريزن، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة 1986م.

•سهراب (ت حوالي 288هـ/900م):

- كتاب عجائب الأقاليم السبعة، مطبعة أودولف هولز هوزن، فيينا 1929م.

•السيوطي، جلال الدين (911هـ/1505م):

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرة 1964م.

- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة 1952م.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1968م.

- طبقات الحفّاظ، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.

– طبقات المفسّرين، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.

– نظم العقبان في أعيان الأعيان، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك 1927م.

•الشافعي، محمد بن إدريس (ت 204هـ/819م):

– الأم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1961م.

•شيخ الربوة الدمشقي، شمس الدين (ت 727هـ/1327م):

– نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطرسبورغ 1865م.

•الشيرازي، أبو إسحاق الشافعي (ت 476هـ/1083م):

– طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت 1970م.

•الشيزري، عبدالرحمن بن نصر (ت 774هـ/1372م):

– نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1946م.

•الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت 448هـ/1056م):

– رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد 1382 هـ.

•صاعد الأندلسي، صاعد بن أحمد القاضي (ت 462هـ/1070م):

– طبقات الأمم، مطبعة السعادة، مصر.

•الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك (ت 764هـ/1363م):

– أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق 1955م.

– الوافي بالوفيات، فرانز شتاينر بفيسبادن 1982 م، وطبعة دار صادر، بيروت 1970م.

– الصنوبري، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن (ت 334 هـ/945م):

– ديوان الصنوبري، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1970م.

●الصيادي، محمد عز الدين كاتبي:

- الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، مطبعة المقتبس، دمشق 1330 هـ.

●الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ/922م):

- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة الحسينية، القاهرة.

●الطهطاوي، رفاعة رافع (ت 1290هـ/1873م):

- رسالة في جغرافية بلاد الشام، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت 1967م.

●الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت 872هـ/1467م):

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس 1894م.

●عريب بن سعد القرطبي (ت 366هـ/976م):

- صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1982م.

●العسكري، أبو هلال (ت 395هـ/1004م):

- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عزت حسن، مجمع اللغة العربية، دمشق 1969م.

●العلموي، عبد الباسط بن موسى الشافعي (ت 940هـ/1533م):

- مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي، دمشق 1947م.

●عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ/1149م):

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت 1967م.

●الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/1111م):

- فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية، القاهرة 1964م.

●**الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي (ت 580هـ/184م):**

- تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة 1959م.

●**الفيروزبادي، محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م):**

- القاموس المحيط، دار الجليل، لبنان- بيروت.

●**القابسي، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القيرواني (ت 403 هـ/1012م):**

- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، وهي بذيل كتاب التربية في الإسلام لأحمد الأهواني، دار المعارف بمصر، القاهرة 1968م.

●**القاياتي، الشيخ محمد عبد الجواد (1320هـ/1902م):**

- نفحة البشام في رحلة الشام، دار الرائد العربي، بيروت 1981م.

●**قدامة بن جعفر البغدادي (ت 328هـ/939م):**

- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981م.

●**القرشي، يحيى آدم (ت 203هـ/818م):**

- الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت 1969م.

●**القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي (ت 1019هـ/1610م):**

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت.

●**القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م):**

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1960م.

●**القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821هـ/1419م):**

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت 1987م.

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والإنباء، الكويت 1964م.

●الكاساني، أبو بكر بن مسعود (ت 587هـ/1191م):

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، بيروت 1982م.

●الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764هـ/1362م):

- فوات الوفيات، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1951م.

●الكندي، يعقوب بن إسحاق (ت 260هـ/873م):

- رسالة في عمل السيوف، تحقيق فيصل دبدوب، مطبعة العاني، بغداد 1962م.

●الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م):

- ولاة مصر، تحقيق حسين نصار، دار بيروت ودار صادر، بيروت 1959م.

●الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/1058م):

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة 1960م.

●المجيلدي، أحمد سعيد (ت 1094هـ/1683م):

- التيسير في أحكام التعسير، تحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

●محمد بن عيسى بن كنان (ت 1153هـ/1740م):

- المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق 1947م.

●المرزباني، محمد بن عمران (ت 384هـ/994م):

- معجم الشعراء، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1960م.

●المسبحي، محمد بن عبيدا لله (ت 420هـ/1029م):

- أخبار مصر في سنتين، تحقيق وليم ج. ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1980م.

●المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م):

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت 1965م.

●مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م):

- تجارب الأمم، شركة التمدن الصناعية، القاهرة 1915م.

●مصعب الزبيري، أبو عبد ا لله (ت 236هـ/850م):

- نسب قريش، تحقيق ليفي برونفسال، دار المعارف، القاهرة 1982 م.

●المقدسي، أبو عبد ا لله محمد بن أحمد البشاري (ت 380 هـ/990م):

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن 1906م.

- البدء والتاريخ، مكتبة خياط، بيروت.

●المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني (ت 992هـ/1584م):

- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968م.

●المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م):

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1967م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، مؤسسة ناصر للثقافة.

- المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991م، وقطعة من المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي ببيروت 1987م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة المثنى، بغداد.

●المناوي، محمد عبد الرؤوف بن علي (ت 1031هـ/1621م):

- النقود والمكاييل والموازين، تحقيق رجا محمود السامرائي، دار الرشيد، بغداد 1981م.

●المنيني، أحمد بن علي بن عمر (ت 1172هـ/1758م):

- الإعلام بفضائل الشام، المطبعة العصرية، القدس.

●المهلبي (ت 380هـ/990م):

– قطعة من كتاب المسالك والممالك، مجلة معهد المخطوطات العربية، 1958م.

●ناصر خسرو المروزي (ت 481هـ/1088م):

– سفر نامة، ترجمة أحمد خالد البدلي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض 1983م.

●النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت 927هـ/1520م):

– جامع بني أمية، دار ابن كثير، دمشق 1985م.

– الدارس في تاريخ المدارس، مطبعة الترقي، دمشق 1951م.

– دور القرآن في دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت 1973م.

●النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ/1332م):

– نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، تحقيق محمد فوزي الغتيل، المطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م.

●الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت 611هـ/1214م):

– الإشارات إلى معرفة الزيارات، المعهد الفرنسي، للدراسات العربية، دمشق 1953م.

●الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 334هـ/945م):

– صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض 1974م.

●الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت 521هـ/1127م):

– تكملة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1982م.

●الواقدي، محمد بن عمر (ت 207هـ/822م):

– فتوح الشام، دار الجيل، بيروت.

•الوطواط، محمد بن إبراهيم بن يحيى الوراق (ت 718 هـ/1318م):

– مناهج الفكر، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت 1967م.

•وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت 306هـ/821م):

– أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت.

•ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد ا لله الرومي الحموي البغدادي (ت 626هـ/1229م):

– إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

– معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت.

•يحيى بن عمر الأندلسي (ت 289هـ/901م):

– النظر والأحكم في جميع أحوال السوق، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1975م.

•يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت 458هـ/1067م):

– تاريخ الأنطاكي، صلة تاريخ أوتيخا، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس بهرس، طرابلس، لبنان 1990م.

•اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284هـ/897م):

– البلدان، مطبعة بريل، ليدن 1891م.

– التاريخ، دار صادر، بيروت.

•يوسف بن عبدالهادي، (ت 909هـ/1503م):

– ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق محمد أسعد طلس، بيروت 1943م.

جـ - المراجع العربية :

●أبو زيد شلبي:

- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة 1964م.

●أحمد أبو سعد:

- أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، دار الشرق الجديد، بيروت 1961م.

●أحمد أمين:

- ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1962م.

●أحمد إسماعيل علي:

- تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، دار دمشق، دمشق 1984م.

●أحمد بدر:

- الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق 1982م.

●أحمد تيمور باشا:

- المهندسون في العصر الإسلامي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1977م.

●أحمد حلمي العلاف:

- دمشق في مطلع القرن العشرين، تعليق جميل نعيسة، دار دمشق، دمشق 1983م.

●أحمد شلبي:

- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1967م.

- التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1987م.

●أحمد صادق سعد:

- تاريخ مصر الاجتماعي- الاقتصادي، دار ابن خلدون، بيروت 1979م.

●أحمد عبد الباقي:

– معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1991م.

●أحمد عبد السلام ناصف:

– الشرطة في مصر الإسلامية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1987م.

●أحمد علي إسماعيل:

– تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دمشق.

●أحمد عيسى بك:

– تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981م.

●أحمد غسان سبانو:

– اكتشافات مثيرة تغير تاريخ دمشق القديم، دار قتيبة، دمشق.

– دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية، دار الكتاب العربي، دمشق.

●أحمد فؤاد الزهواني:

– التربية في الإسلام، دار المعارف بمصر، القاهرة 1968م.

●أحمد فائز الحمصي:

– روائع من العمارة العربية الإسلامية في سوريا، منشورات وزارة الأوقاف، دمشق 1982م.

●أحمد محمد الأوتاني:

– الحياة الاقتصادية والاجتماعية في شمال بلاد الشام في القرن (4 هـ/10م)، رسالة ماجستير، دمشق 1990م.

●أحمد مختار العبادي:

– في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1982م.

●أسعد طلس:

- ذيل كتاب ثمار المقاصد، بيروت 1943م.

●أكرم الساطع:

- حصون وقلاع، دمشق 1975م.

●أكرم حسن العلبي:

- خطط دمشق، دار الطباع، دمشق 1989م.

●أمين أبو دمعة:

- الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير، دمشق 1988م.

●الأمين عوض ا لله:

- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار المجمع العلمي، جدة 1979م.

●أمينة البيطار:

- تاريخ العصر العباسي، مؤسسة الوحدة، دمشق 1981م.

●أنستاس ماري الكرملي:

- النقود العربية وعلم النميات، القاهرة 1939م.

●أيوب سعدية:

- دمشق الشام، أقدم مدينة في العالم، مؤسسة الصالحاني للطباعة، دمشق 1989م.

●إبراهيم أبو الخشب:

- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.

●إبراهيم زعرور:

- الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والملوكي، رسالة ماجستير، دمشق 1990م.

●بسام عبد الوهاب الجابي:

- معجم الأعلام، الجفان والجابي للطباعة والنشر، دمشق 1987م.

●بشار عواد معروف:

- المؤسسات التعليمية، حضارة العراق، بغداد 1985م.

●توفيق سلطان اليوزبكي:

- دراسات في النظم العربية الإسلامية، الموصل 1988م.

●جرجي زيدان:

- تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة.

●جمال الدين القاسمي، وخليل العظم:

- قاموس الصناعات الشامية/الجزء الثاني، باريس 1960م.

●جمال صادق المرصفاوي:

- نظام القضاء في الإسلام، إدارة الثقافة والنشر، الرياض 1981م.

●جميل عبد ا لله محمد المصري:

- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، دار أم القرى، عمان 1989م.

●حسام الدين السامرائي:

- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، دار الفكر العربي، مكة 1983م.

●حسان علي الحلاق:

- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989م.

●حسن إبراهيم حسن وطه شرف:

- المعز لدين ا لله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1963م.

●حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1965م.

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1964م، و1981م.

- الفاطميون في مصر، المطبعة الأميرية، القاهرة 1932م.

●حسن الباشا:

- دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة 1975م.

●حسن شميساني:

- مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983م.

●حسن نصر ا لله:

- تاريخ بعلبك، مؤسسة الوفاء، بيروت 1984م.

●حسين عطوان:

- الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت 1987م.

- القراءات القرآنية في بلاد الشام، دار الجيل، بيروت 1982م.

●حسين محمد سليمان:

- الدولة الإسلامية في العصر العباسي والعلاقات السياسية مع الأمويين والفاطميين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض 1984م.

●حمدان الكبيسي:

- أصالة نظام الحسبة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1989م.

- التجارة الخارجية، حضارة العراق، بغداد 1985م.

●حنيفة الخطيب:

– الطب عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1986م.

●خاشع المعاضيدي:

– الحياة السياسية في بلاد الشام في العصر الفاطمي، دار الحرية، بغداد 1976م.

●خالد محمد علي الحاج:

– أعلام التربية والمربّين من القدماء والمحدثين، عمان 1989م.

●خطاب عطية علي:

– التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي، القاهرة 1947م.

●خليل إبراهيم السامرائي وآخرون:

– تاريخ الدولة العربية والإسلامية في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل 1988م.

●خليل الدين طوطح:

– التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس.

●خليل داوود الزرو:

– الحياة العلمية في الشام في القرنيين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1971م.

●خير الدين الزركلي:

– الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1989م.

●درويش النخيلي:

– فتح الفاطميين للشام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 1979م.

●رشاد عباس معتوق:

– نظام الحسبة في العراق، مطابع دار البلاد، جدّة 1982م.

●زامباور:

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، القاهرة 1951م.

●زكي مبارك:

- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الكاتب العربي، القاهرة.

●سليم عادل عبد الحق وخالد معاذ:

- مشاهد دمشق الأثرية، مطبعة الترقي، دمشق 1950م.

●سليمان عبد العبد ا لله الخرابشة:

- الصراع الفاطمي السلجوقي على بلاد الشام، رسالة دكتوراة، القاهرة 1990م.

●سهام مصطفى أبو زيد:

- الحسبة في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986م.

●سهيل زكار:

- الجامع في أخبار القرامطة، دار حسان، دمشق 1987م.

- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق 1975م.

●سوسن محمد نصر:

- صور حضارية من التاريخ الإسلامي، القاهرة الحديثة للطباعة، القاهرة 1982م.

●سيدة إسماعيل كاشف:

- مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1989م.

●شاكر مصطفى:

- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت 1980م.

●شوكت موفق الشطي:

– تاريخ الطب، مطبعة الجامعة اليسوعية، دمشق 1957م.

●صادق أحمد داوود جودة:

– مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام 492هـ/1099م، دار عمار، عمان 1986م.

●صالح أحمد العلي وآخرون:

– العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد 1983م.

●صباح إبراهيم سعيد الشيخلي:

– الأصناف في العصر العباسي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد 1976م.

●صبيحة رشيد رشدي:

– الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، مطبعة علاء، بغداد 1980م.

●صفوح خير:

– غوطة دمشق، مديرية الترجمة والتأليف والنشر، دمشق 1966م.

– مدينة دمشق، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق 1969م.

●صلاح الدين المنجد:

– مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت 1967م.

– معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المحفوظة والمطبوعة، دار الكتاب الجديد، بيروت 1978م.

– ولاة دمشق في العصر السلجوقي، دار الكتاب الجديد، بيروت 1981م.

●صلاح حسين العبيدي:

– الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، بغداد 1980م.

●عادل عبد السلام:

– جغرافية سورية، دمشق 1973م.

●عارف تامر:

– تميم الفاطمي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت 1982م.

– الحاكم بأمر ا لله، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982م.

– الخليفة الفاطمي الخامس العزيز با لله، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982م.

– المستنصر با لله، دار دمشق ودار الجيل، دمشق 1980م.

– المعز لدين ا لله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982م.

●عبد الجليل عبد المهدي:

– الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري، مكتبة الأقصى، عمان 1977م.

●عبد الحميد العلوجي:

– الباطنية وتياراتها التخريبية، آفاق عربية، بغداد 1989م.

●عبد العزيز الدوري:

– تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت 1974م.

– دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد 1945م.

●عبد العزيز سالم:

– تاريخ مدينة صيداء في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1986م.

– طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مطابع رمسيس، الإسكندرية 1967م.

●عبد القادر الريحاوي:

– خطط مدينة دمشق عند المؤرخ ابن عساكر، ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته، دمشق 1979م.

– مدينة دمشق، دمشق 1969م.

●عبد القادر بدران:

– منادمة الأطلال ومسايرة الخيال، المكتب الإسلامي، دمشق.

●عبد الكريم اليافي:

– معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق 1982م.

●عبد الكريم غرايبة:

– العرب والأتراك، دمشق 1961م.

●عبد اللطيف الطيباوي:

– محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، دار الأندلس، بيروت 1963م.

●عبد ا لله سلوم السامرائي:

– الغلوُ والفِرَقُ الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط للنشر، بغداد 1982م.

●عبد المنعم سلطان:

– المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة 1985م.

●عبد المنعم ماجد:

– تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مطبعة الأنجلو مصرية، القاهرة 1973م.

– الحاكم بأمر ا لله، الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1982م.

– السجلات المستنصرية، دار الفكر العربي، القاهرة.

– ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف، الإسكندرية 1968م.

– نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1953م.

●عبد الوهاب الصابوني:

– شعراء ودواوين، مكتبة دار الشرق، بيروت 1978م.

●عبدا لله قاسم الوشلي:

– المسجد وأثره في تربية الأجيال، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988م.

– المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت 1990م.

●عصام الدين عبد الرؤوف:

– الحواضر الإسلامية الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة 1976م.

●عصام محمد شباور:

– القضاء والقضاة في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت 1983م.

●عطية مصطفى مشرفة:

– نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة.

●عفيف البهنسي:

– الآثار السورية، دار فورفيرتس، فيينا 1985م.

– الشام والحضارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1986م.

– الجامع الأموي، دار طلاس، دمشق 1988م.

●علي أحمد:

– الأندلسيون المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار طلاس، دمشق 1989م.

●علي إبراهيم حسن:

– تاريخ جوهر الصقلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1963م.

– مصر في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1964م.

●علي الجمبلاطي وأبو الفتوح التوانسي:

– دراسات مقارنة في التربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

●علي الطنطاوي:

– الجامع الأموي في دمشق، دار الفكر، دمشق 1961م.

●علي حسني الخربوطلي:

– الإسلام وأهل الذمة، القاهرة 1969م.

– الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين، بيروت 1970م.

– الإسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1969م.

– العزيز با لله الفاطمي، دار الكاتب العربي، القاهرة 1986م.

●عمر رضا كحالة:

– العلوم العملية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق 1972م.

– معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت 1957م.

●عمر فروخ:

– تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت 1984م.

●فاروق عبد السلام:

– الشرطة ومهامها في الدولة الإسلامية، دار الصحوة، القاهرة 1987م.

●فاروق عمر فوزي:

– النظم الإسلامية، دار الخليج للطباعة والنشر، العين 1983م.

●فريال بدوي ويوسف الزربا:

– الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي، رسالة جامعية، الجامعة الأردنية، عمان 1980م.

●قتيبة الشهابي:

- دمشق، تاريخ وصور، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1986م.

●كمال الدين سامح:

- في العمارة الإسلامية، دار الاتحاد العربي، 1970م.

●محسن محمد حسين:

- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986م.

●محمد أحمد الزيود:

- العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والإخشيدي، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1989م.

●محمد أحمد دهمان:

- في رحاب دمشق، دار الفكر، دمشق 1982م.

●محمد أحمد عبد المولى:

- بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985م.

●محمد أديب آل تقي الدين:

- منتخبات التواريخ لدمشق، المطبعة الحديثة، دمشق 1927م.

●محمد أسعد طلس:

- التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت 1957م.

●محمد إبراهيم الأصيبعي:

- الشرطة في النظم الإسلامية، دار إقرأ للطباعة والترجمة والنشر، مالطا.

●محمد إسماعيل العمراني:

- نظام القضاء في الإسلام، دار الجيل، صنعاء 1984م.

● محمد الحسيني عبد العزيز:

– الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت 1973م.

● محمد المبارك:

– نظام الإسلام (الاقتصاد)، دار الفكر، بيروت 1972م.

● محمد جمال الدين سرور:

– تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة 1965م.

– الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة 1970م.

– سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة 1976م.

– النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، دار الفكر، القاهرة 1957م.

● محمد حسين محاسنة:

– الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد 1986م.

– النظم الإسلامية، دار الكتاني، إربد 1991م.

● محمد حمدي المناوي:

– الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة 1970م.

● محمد راغب الطباخ الحلبي:

– إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، دار القلم العربي، حلب 1989م.

● محمد زغلول سلام:

– الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف، الإسكندرية 1977م.

● محمد سالم بن شديد العوفي:

– العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي، الرياض 1982م.

●محمد سعيد القاسمي:

- قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، باريس 1960م.

●محمد سليم الجندي:

- تاريخ معرّة النعمان، تحقيق عمر رضا كحالة، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق 1967م.

●محمد عبد الحي شعبان:

- الدولة العباسية (الفاطميون)،الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1981م.

●محمد عبد الله عنان:

- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1959م.

●محمد كامل حسين:

- الحياة الفكرية والأدبية بمصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1959م.

●محمد كرد علي:

- الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1968م.

- خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق 1983م.

- دمشق مدينة السحر والشعر، مطبعة المعارف ومكتبتها، القاهرة.

- غوطة دمشق، دار الفكر العربي، دمشق 1949م.

●محمد ماهر حمادة:

- الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980م.

●محمد محمود إدريس:

- تاريخ الحضارة الإسلامية في مصر، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1985م.

●محمد ياسين الحموي:

- دمشق في العصر الأيوبي، المطبعة الكاثوليكية، دمشق 1946م.

●محمود أمين:

- سلمية في خمسين عاماً، دمشق 1983م.

●محمود شاكر:

- التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، بيروت 1985م.

●محمود محمد هاشم:

- النظام القضائي الإسلامي، دار الفكر العربي، 1984م.

●محمود مصطفى:

- إعجام الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.

●مرمول محمد الصالح:

- السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م.

●مصطفى الحياري:

- الإمارة الطائية في بلاد الشام، وزارة الثقافة والشباب، عمان 1977م.

●مصطفى السباعي:

- من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، دمشق 1982م.

●مصطفى الشكعة:

- سيف الدولة الحمداني، دار القلم، القاهرة 1959م.

- الزراعة العملية الحديثة، مطبعة الاعتدال، دمشق 1935م.

●مصطفى غالب:

- تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، دمشق 1953م.

●ممدوح عبد الكريم القطان:

- كتاب القضاة والولاة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان 1967م.

●منصور الرفاعي:

- مكانة المسجد ورسالته، 1978م.

●منير الخوري:

- تاريخ حمص، مطرانية حمص الأرثوذكسية، حمص 1984م.

- صيداء عبر حقب التاريخ، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت 1966م.

●منير كيال:

- الحمّامات الدمشقية وتقاليدها، وزارة السياحة والآثار، دمشق 1964م.

- فنون وصناعات دمشقية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

●ناصر الأنصاري:

- أنظمة الشرطة في مصر، دار الشروق، القاهرة 1990م.

●نظير سعداوي:

- نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مصر للطباعة، القاهرة 1953م.

●نقولا زيادة:

- الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1962م.

- لمحات من تاريخ العرب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت 1961م.

●هناء عبد الخالق:

– الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق، وزارة الإعلام العراقية، بغداد 1976م.

●يحيى عبد الله المعلمي:

– الشرطة في الإسلام وتطورها في القرن الرابع عشر الهجري، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض 1982م.

●يوسف العش:

– تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق 1982م.

– محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، جامعة دمشق، دمشق 1977م.

●يوسف جميل نعيسة:

– مجتمع مدينة دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1986م.

د ـ المراجع الأجنبية المترجمة:

●أدم متز:

– الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت 1967م.

●ترتون. أ. س:

– أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة 1958م.

●جان سوفاجيه:

– دمشق الشام، لمحة تاريخية، ترجمة فؤاد أفرام البستاني، الوارف، دمشق 1989م.

●ديماند.م. س:

– الفنون الإسلامية، ترجمة محمد أحمد عيسى، دار المعارف، القاهرة 1958م.

●ديمو مبين. موريس. غ:

– النظم الإسلامية، ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر، مطبعة الزهراء، بغداد 1952م.

●ريسلر. جاك. س:

– الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

●الفارس دارفيو:

– وصف دمشق في القرن السابع عشر، ترجمة أحمد إيبش، دار المأمون للتراث، دمشق 1982م.

●فالتر هنتس:

– المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان 1970م.

●فيليب حتي:

– تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت 1959م.

●كارل ولتسينجر وكارل واتسينجر:

– الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، دمشق 1984م.

●كلود كاهن:

– تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين قاسم، دار الحقيقة للطباعة، بيروت 1972م.

●كلينكل، هورست:

– آثار سورية القديمة، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق 1985م.

●لومبار، موريس:

– الإسلام في عظمته الأولى، ترجمة ياسين الحافظ، دار الطليعة، بيروت 1977م.

●لويس، أرشيبالد:

– القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1960م.

●منير الدين أحمد:

– تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ، الرياض 1981م.

●هامرتن، السير جون . أ :

– تاريخ العالم، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

●هاملتون جب:

– دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.

هـ - الدوريات والأبحاث:

●إبراهيم شوكت:

- تحقيق سورية ولبنان وفلسطين والأردن من نزهة المشتاق/ مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد30، بغداد 1979م.

●بشار عواد معروف:

- ابن عساكر في بغداد، مجلة كلية الآداب عدد30، بغداد 1981م.

- مؤسسات التعليم في العراق في القرنين (5-7 هـ)، بحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت جـ2، عمان 1987م.

●تيسير خليل زواهرة:

- طرق التجارة والحج في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان 1990م.

●ثييري بيانكي:

- ثلاث شخصيات انتقالية في سورية، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●جعفر الحسني:

- معبد دمشق، محاضرات المجمع العلمي العربي، دمشق 1954م.

●رمضان شيشن:

- دور الأتراك في الشام قبل السلاجقة، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●رناد الخطيب:

- المؤسسات التعليمية في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام.

●زريف المعايطة:

- الأسواق في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، 1990م.

●سلمان البدور:

- الإسماعيلية في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، 1990م.

●شاكر مصطفى:

- دخول الترك الغز إلى الشام، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الدار المتحدة للنشر، عمان 1974م.

●صالح درادكة:

- البريد وطرق المواصلات في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●صلاح الدين المنجد:

- خطط دمشق، مجلة المشرق، مجلد 43، 1949م.
- منازل القبائل العربية حول دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد30، دمشق 1955م.

●صلاح حسين العبيدي:

- الأسلحة في العصر العباسي في ضوء المصادر الأثرية والتاريخية، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد 32، 1982م.

●طه الطراونة:

- حركة التجارة بين بلاد الشام والبلاد الإسلامية في العصر العباسي،المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●عارف النكدي:

- الوأواء الدمشقي، مجلة المجمع العلمي العربي مجلد 4، الجزء الثامن، دمشق 1924م.

●عبد الجبار ناجي:

– نظرة في الأحوال الحضرية لبلاد الشام في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●عبد العزيز الدوري:

– العرب والأرض في بلاد الشام، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الدار المتحدة للنشر، عمان 1974م.

●عبد القادر الريحاوي:

– تاريخ دمشق العمراني، الحوليات الأثرية السورية مجلد14، دمشق 1964م.

– قصور الحكّام في دمشق، مجلة الحوليات الأثرية السورية مجلد22، دمشق 1972م.

●عبد الودود برغوث:

– حوادث اجتماعية من تاريخ دمشق، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الدار المتحدة للنشر، عمان 1974م.

●عدنان البني:

– قلعة دمشق، الحوليات الأثرية السورية ، مجلد 4–5، 1954–1955م.

●عفيف البهنسي:

– مجاهل الأسماء في أحياء دمشق الفيحاء، مجلة الحوليات الأثرية السورية، دمشق 1977–1978م.

– المدينة العربية الإسلامية ونموذجها دمشق القديمة، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد26، 1976م.

●عيسى إسكندر المعلوف:

– حقائق تاريخية عن دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي،المجلد الأول،دمشق 1969م.

●محمد أبو الفرج العش:

– الزجاج السوري المموّه بالميناء والذهب،مجلة الحوليات الأثرية السورية مجلد16، جـ1، 1966م.

●محمد أحمد الزيود:

– النشاط التجاري والصناعي في بلاد الشام، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●محمد الصليبي:

– النقود في بلاد الشام في العهد العباسي ودورها الإعلامي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، 1990م.

●محمد عبد القادر خريسات:

– التوسع العمراني في مدينة دمشق، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●نجدة خماش:

– التنظيم الإداري في الشام، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

●نقولا زيادة:

– تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م.

– جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الدار المتحدة للنشر، عمان 1974م.

●هارتمان:

– دمشق، دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر.

●هلال ناجي:

– شعر الببغاء، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد34، بغداد 1983م.

و- المراجع الأجنبية:

* **Bazmee, Ansari:** Diwan/Encyclopidia of Islam (El), vol. II, (London 1965).

* **Bazmee, Ansari Hlsba:** El, Vol. III, (London 1979).

* **Bianquis, Thierry:** Damaset La Syria Sous La Domination Fatimide (359-468/969 - 1076), (Damas 1989).

* **Basworth C.E:** lkhsid / El, Vol II, (London 1965).

* **Bulliet Rechard.** W Conversion to lslamin the medieval period, (London 1979).

* **Cahen, cl: Ahdath:** El, Vol I, (London 1960)

* **Cahen,cl Atsiz:** El , Vol I, (London 1960).

* **Charles, worth:** Trade Routes of the Roman Empire.

* **Creswell, K.A.C.** Early /Muslim Archiltecture, Oxford second edition 1969.

* **Ehernkretz. As:** Kafur / El, Vol III, (London 1979).

* **Elisseeff, N:** Dimashk / El, Vol.i, (London 1960)

* **Hartmann:** Barid / El, Vol I, (London 1960).

* **Have mann, Axel:** Non- Urban Rebels in urban society the case of fatimis Damascus.

* **Hitti, philip. K:** History of syria, (London 1951).

* **Gribb, H.A.R:** The caliogate and the arab, states, /history of the crysades, Vol 1, 1955.

* **Kremer, Al fred F.C:** Orient under the caliphs, 1920

* **Lane – poolem stanley:** Arab coins in cairo, Arab book shop, (cairo 1984).

* **Lane - Poole:** A History in the middle ages, frank cass, (Holand 1968).

* **Made Lunge. W:** Karamti/El, Vol IV, (Leiden 1978).

* **Makdisi, George:** The Rise of colleges institutions of learning in islam and the west, Edinaburgh university. Press 1981.

* **Mann:** The Jews in Egypt.

* **Rihawi, Abdul Gader:** Damascus. It's history, (Damascus 1977).

* **Salibi, Kamal.s:** syriander islam, (Berirrut (1977).

* **Sanagustin. S:** L'enseigment Medical Au Bilad Al- Sham alepoque Abasside. (المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان 1990م)

* **Satch, Akram:** Citadels and costles in Syria, Dar Dimashq & Atlas, Damascus.

* **Worth, Charles:** Trad Routes of the Roman Emprie.

* **Wusrenfeld, Ferdinand:** Geschichte der Fatimiden chalifen, (New yourk 1976).

Abstract

This study investigates the history of Damascus during the Fatimid period. The significance of this study stems from the rarity of studies about Damascus during the Fatimid period. Even the published studies did not refer to Damascus but incidentally. There for, I have chosen this topic to study the history of Damascus and its rule during this period.

Damascus was a city, which attracted the attention of many powers, such as the Qarmatians, who attacked it several times (between 350 -368 H) " 961 - 978 A.C".

The Fatimid determined to take hold of it to use it as a center of opposition to the Abbasides in Baghdad. The Byzantines, in their turn attempted to conquer it in 364H (974 A.C) during the reign of Emperor Basil II.

The Qarmatians were able to consolidate their domination over Damascus just for a short time as they clashed with the Fatimid, who sought help from the Bedouin tribes to drive them out.

One of the governors (Walis) of Damascus at that time named AFTIKIN the Turk, succeeded in keeping the Byzantines " hazard away from the city by giving them attribute ". Successive governors proved to be capable of driving back any Byzantine attack on the north of Syria by sending their forces there.

As for the Fatimids, they could not impose their absolute sovereignty on Damascus, despite their recurrent attempts. This was due to the differences in their creeds (mazhabs). In spite of that, opportunities for getting ride of the Fatimids failed. How ever this was realised with the Saljuk's arrival to Syria under the leadership of ATSEZ the Turk, who attacked Damascus and drove the Fatimids out in 468 H (1075 A.C).

The study comprises an analysis of the main references and studies relevant to the topic. It is divided into five chapters, a conclusion and a bibliography. The first chapter explores the following sides: a geographical summary about the location, climate, distribution of population and the effects of these elements on the economic life of the city. It also includes a study of the city lay out, structure and the changes that took place during the Fatimid rule, the design of the city walls, markets, houses, palaces and mosques.

The second chapter studies the Fatimid's conquest in Damascus and the consequent events and difficulties that preoccupied them. This exposed the city to faction, distraction and ruin. Despite the Fatimids attempts to impose their dominance and create an atmosphere of stability, Damascus did not enjoy this status for along time.

The third chapter is about the administration of Damascus, its governors and institutions established by the Fatimids, such as the post diwan, Al- Kharaj diwan and the court system, which followed the Isma'eli.

The fourth chapter deals with the investigations of the economic conditions, which revealed that despite the political instability in that period, Damascus resumed its economic activities.

The Ghuta farmers kept on planting their lands so as to cover the city needs for food. The craftsmen continued working in their workshops and produced high-quality goods, of which part was exported. The study emphasized the existence of commercial relations with other countries.

The fifth chapter is assigned to study the cultural life during the period, particularly Qur'anic and Hadith studies. Names of the most prominent scholars in Damascus were mentioned. Studies in jurisprudence regressed, because of applying the lsma'eli juries prudence in the courts, and the Fatimids' opposition to theological studies. As for other aspects there were poets, men of letters and historians in Damascus. Many famous scientists in the domains of medicine, geometry and mathematics are mentioned.

The cultural life in Damascus was active in the period.

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

من إصدارات الدار

الكتاب	المؤلف
1- أبناء آدم من الجن والشياطين	محمد منير إدلبي
2- الألوهية والحاكمية (دراسة علمية من خلال القرآن الكريم)	سامر إسلامبولي
3- أيام عربية 2/1	إبراهيم بيتموني
4- انتبهوا الدجال يجتاح العالم	محمد منير إدلبي
5- ببغاء أمريكو "رواية من الأدب العـالمي للفتيـان"/هوجيـت بيروت	ت. فاطمة عابدين
6- بين ابن المقفع ولافونتين (مدخل إلى دراسة مقارنة)	فاطمة عابدين
7- تاريخ المؤسسات الجزائرية	د. إحسان الهندي
8- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي (جزء من رسالة دكتوراه)	د.محمد حسين محاسنة
9- تحرير العقل من النقل (قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم)	سامر إسلامبولي
10- توظيف التراث في المسرح (دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونوس"رسالة ماجستير")	حسن علي المخلف

الكتاب	المؤلف
11- الجزيرة العربية أهم اكتشاف للحضارات القديمة	علي سكيف
12- الحاضر غائباً /مقولة/	د. محمد جمال طحان
13- الحياة هي في مكان آخر/ميلان كونديرا	ت: معن عاقل
14- رحلة إلى الأعماق (حوارات في الفكر والثقافة والأدب)	د. نعيم اليافي
15- سيبويه النحوي (حياته - كتابه - مصادر ترجمته ومراجعها)	هيثم الشيخ عبدو
16- سيد العشاق (ديوان د. وجيه البارودي)	د. وجيه البارودي
17- الشعر والتلقي (دراسات في الرؤى والمكونات)	د. نعيم اليافي
18- الشعرية (قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)	د. أحمد جاسم الحسين
19- قتل المرتد (الجريمة التي حرمها الإسلام)	محمد منير إدلبي
20- القصة القصيرة جداً	أحمد جاسم الحسين
21- القصر المسحور (سيد الباب السابع) (من عيون الأدب العالمي للفتيان)	إيفلين بريزو بيللين ت: فاطمة عابدين
22- ليلة في غرفة تشريح الجثث (أدب ياباني)/ يوشيو ساكاب	ت: موسى الزعبي

الكتاب	المؤلف
23- مئة موال في الغزل (دراسة في نصوص مشروحة "جمعاً ونظماً")	د. إحسان الهندي
24- المحاورة / ميلان كونديرا	ت: معن عاقل
25- المرأة اليهودية بين فضائح التوارة وقبضة الحاخامات	ديب علي حسن
26- المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح	سامر إسلامبولي
27- مظاهر اجتماعية في بعض روايات العجيلي	شاهر امرير
28- مفهوم الجامعة	د. نعيم اليافي
29- النبأ العظيم	محمد منير إدلبي
30- نزاع الصحراء الغربية بين المغرب والبوليساريو	طاهر مسعود
31- النزاع على الصحراء الغربية بين حق القوة وقوة الحق	مصطفى الكتاب
32- الوصايا المغدورة/ميلان كونديرا	ت: معن عاقل

التحضير الطباعي: مركز الباسل للفرز الالكتروني - دمشق - هاتف 2210667

طباعة الغلاف

مطبعة نضر - دمشق - هاتف 2312363

طباعة الكتاب

مطبعة البيان - دمشق - هاتف 6346871

يتضمن هذا الكتاب

- دراسة في الجغرافية والعمران:
  - الجغرافية.
  - العمران.
- دمشق في العصر الفاطمي.
- الإدارة الفاطمية لدمشق:
  - الولاة.
  - الدواوين.
  - الجيش.
  - القضاء.
  - الشرطة.
  - الحسبة.
  - البريد.
- الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في دمشق في العصر الفاطمي:
  - الزراعة.
  - الصناعة.
  - التجارة.
  - فئات المجتمع.
  - الأسعار.
  - الملابس.
  - الطعام.
  - المناسبات والأعياد.
- الحياة الثقافية في العصر الفاطمي:
  - التعليم في العصر الفاطمي.
  - المدرّسون.
  - العلوم الدينية.
  - الآداب والعلوم الأخرى.
- الخاتمة.

لعله لم تحظ مدينة كمدينة دمشق بكثرة الكتابات عنها، سواء أكانت هذه الكتابات انطباعات وسير شخصية أم كتابات أكاديمية متخصصة؟!

والذي يشفع لدمشق أن تتبوأ مركز الصدارة في المدن التي كُتب عنها أنها - إنْ لم تكن أقدم مدينة في العالم - إلا أنها أقدم عاصمة في العالم، وبعضهم يؤكد أنها أقدمُ مدينة في العالم لم تخلُ عبر تاريخها من سكانها.

الفترةُ التي يتناول فيها الباحث تاريخ المدينة هي فترةٌ غفل عنها الباحثون فبدت مظلمةً، غائمةً، ضبابيةً، استجلى فيها خفايا صراعات كثيرة، من الفاطميين إلى القرامطة إلى الأتراك والتركمان، إلى جماعات الأحداث الدمشقية.

تناول الباحث بدايةً جغرافيةَ المدينة وخططها وبدايةَ بنائها ومناخها ومياهها... ثم انتقل إلى الفتح الفاطميّ لها وإلى الأحداث الخطيرة التي رافقت هذا الفتح، ثم تحدثَ عن التنظيمات الإدارية والمالية ثم الحياة الاقتصادية ثم الثقافية.

باختصار، استهدفت الدراسةُ إلقاءَ الضوءِ على فترة من تاريخ دمشق لم يتناولها الباحثون بالدراسة، والتعريفَ بتاريخ مدينة تُعدُّ من أهمّ المدن العربية والإسلامية لِسدِّ نقص في جانب من جوانب تاريخ

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أن الدراسةَ أكاد متخصصةٌ موثّقةٌ توثيقاً دقيقاً، بذل فيها الب جهوداً جبّارة في تتبّع معلوماته ومصادره قد وحديثة ليكمل بها تحليلاته واستنتاجاته.

الناش

الأوائل
للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية
سورية . دمشق . ص.ب:10181 (ت) 3397

